الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 242 ـ شعبان 1417 هـ ـ ديسمبر 1996 / يناير 1997
ALFA'SAL MAGAZINE _ ISSUE 242 _ DEC. 1996/JAN.1997

مأزق الإنسانية المعاصرة:
ما بين الجوع والمعلوماتية!

- متى نجتاز المسافة بين أعمالنا و آمالنا ؟
- الأبناء بين شوقي والقصيبي.. والحزن النبيل!

براعة الاستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال

لعبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، أبي الوجاهة العمري، المرشدي الحنفي (ت 1037هـ).

ألّفه - حسب ما ذكر في الصفحة الأولى من المخطوط - «برسم سيدنا ومولانا سلطان الحرمين الشريفين، حامي المحلين المنيفين السيد الشريف إدريس بن الحسن».

كُتب على ورق مشرقي بخط النسخ في مكة المكرمة سنة 1030هـ. الصفحتان الأولى والثانية مذهبتان ومزخرفتان بزخارف نباتية متعددة الألوان. واستخدم الناسخ الحبر الأسود في كتابة النص، والحبر الذهبي والأزرق في كتابة عناوين الأبواب، بينما استخدم الحبر الأحمر لكتابة بعض الكلمات والعبارات المهمة ونقاط نهايات الفقر. وأُحيط النص بجداول مزدوجة بالذهب والحبر الأسود.

في بداية المخطوطة كشاف بعناوين الأبواب، وفي نهايتها دوائر فلكية.

تَملّك هذه المخطوطة النفيسة ابن المؤلف: حنيف الدين بن عبدالرحمن المرشدي العمري الحنفي الذي كتب اسمه وتَملّكه لهذه النسخة على الصفحة الأولى منها.

زُيِّنَ الجلد من خارجه بميدالية مزخرفة برسوم نباتية وزهرية بارزة.

يقع المخطوط في 122 ورقة، ومسطرته 17 سطرًا، ومقاسه 17,5- 28سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم 2413.

إعداد: د. عابد المشوخي





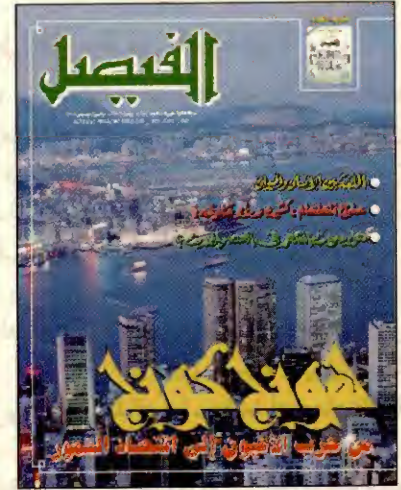
في العدد القادم:

- ماذا يفعل مريض الكلى في شهر الصيام؟!
- مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي
- ظاهرة الجريمة في أفلام الفيديو

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية



عن العدد الماضي

زخر عدد شهر رجب من مجلة «الفيصل» - رقم 241 - بموضوعات شائقة شملت معظم فروع المعرفة، وتراوحت بين مقالات علمية رصينة عن الأدب والشعر واللغة والإعلام والتربية والاجتماع والتراث والتاريخ والمسرح، بالإضافة إلى الأبواب والزوايا الثابتة. وقد اتسمت المقالات بمنهجيتها العلمية ومادتها الثقافية القيمة التي جعلت من هذه المجلة ثقافية جامعة لا غنى عنها لكل قارئ حريص على الاستنارة بالثقافة بأنواعها.

ففي «الإطلالة» تناول رئيس التحرير، بأسلوب علمي سهل وبموضوعية وعمق، موضوع الاستشراق: ما له وما عليه؛ مستعرضاً الآراء المختلفة حول هذا الموضوع الشامل الذي يشغل بال المؤرخين وعلماء الدين ورجال الأدب. وكان ذلك مدخلاً جيداً للموضوع الذي تناوله العدد عن الاستشراق للدكتور عبده يونس عبود، الذي دعا إلى تناول واعٍ لهذا الموضوع، وأثار القضية من زاوية تستدعي الوقوف عندها بوعي وموضوعية من دون تشنج وإدانة صريحة.

كما جاء في العدد موضوع آخر عن «ملح الطعام» لزياد أبي غنيمة تناول فيه أهمية هذه المادة وركز على ذلك الجانب المؤرق لكثير من مرضى الضغط العالي والقلب مع إيضاح كيف نتعامل مع هذه المادة الحيوية.

أما الموضوع الثالث فكان الاستطلاع عن جزيرة هونغ كونغ الذي تناول ماضيها واستقرأ مستقبلها في ظل نظام مغاير، فإن تسليط الضوء على موضوعات الساعة، من خلال الاستطلاعات المصورة يزود القارئ بزاد ثقافي ثر، وبنافذة يطل منها على ثقافات الشعوب، وكان الموضوع جيداً من حيث التوقيت والعرض.

أما الأستاذ الدكتور حسن ظاظا، أمد الله في عمره، الذي أوقف قلمه وعلمه الواسع عن العبرية على تعرية إدعاءات اليهود ومزاعمهم ودحضها؛ فقد كان رائعاً كالعادة في مقاله عن «القدس»، كما شدتني موضوعات أخرى مثل: «حوار مع» بأسئلته الحافلة والإجابات المحكمة عنها من قبل الأديب علي عرسان، وكذلك عالم الحيوان ودراسة سلوكه.

وأما الباب الثابت «العالم قريتي»، فلما له من أهمية كبيرة في حياتنا، أرى أن يتوسع ليشمل موضوعات مثل: «التربية البيئية» لتوعية القراء على مستوياتهم كافة بأهمية حماية البيئة. كما لاحظت خلو العدد من موضوعات تتعلق بالاقتصاد. وأقترح أن تكون «رواندا» و«بروندي» موضوع استطلاع في الأعداد القريبة القادمة.

وأخيرا أزجي تقديري الكبير للمجهود العظيم الذي يقوم به القائمون على أمر هذه المجلة الغنية في موادها، الجذابة في إخراجها، وأدعو الله لهم بالتوفيق.

د. حسن عبدالعزيز أحمد
كلية التربية للبنات بالرياض، الأقسام الأدبية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - **الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.**

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية
هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851
ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

متى تقطف ثمار الفيصل طازجة في السودان ؟

هناك مشكلة أصبحت حجر عثرة أمام قُرّاء «الفيصل» في السودان، وهي تأخر وصول الأعداد عن وقت صدورها. فقد وصل عدد ربيع الأول بعد منتصف ربيع الآخر، وتم توزيع عدد ربيع الآخر في الثامن من جمادى الأولى، ولم يصل عدد جمادى الأولى إلا في التاسع عشر من جمادى الآخرة. لا ندري ما السبب، هل هو خطأ دار التوزيع، أم إنكم تنتظرون الفائض «الرجيع» لترسلوه إلينا؟ ومهما كانت الأسباب فالأمر مؤسف، ونرجو معالجته على وجه السرعة لنقطف ثمرات مجلتنا العزيزة وهي ما تزال طازجة.

مهندس/ بدوي زين العابدين بدوي ـ غرفة السودان التجارية، الخرطوم
ص ب: 81، بوساطة سليمان عبدالماجد
آمال هاشم البرير، كلية اللغة العربية ـ جامعة أم درمان الإسلامية

التحرير:

نحن نحرص على وصول المجلة إلى جميع القراء في الوقت المناسب. ويبدو أن المشكلة متعلقة بالتوزيع. وعلى أي حال، فالمجلة سوف تدرس هذا الأمر مع وكلاء التوزيع. أما القول بأننا ننتظر «الرجيع»، فهذا غير صحيح، والدليل أن هذا الرجيع كمية لا تكاد تُذكر موازنة بالكمية التي تُرسل إلى السودان، كما أن كثيراً من الإخوة القراء في بلدكم يشاركون في مسابقة «الفيصل»، ويفوزون بجوائزها، الأمر الذي يعني أن المجلة تصل إليهم في وقت مناسب.

إصدار «الفيصل» أسبوعيا

أصدقكم القول: لقد عرفت هذه المجلة مؤخراً، ووجدت فيها من الموضوعات الجذابة التي تُقَدَّم بطريقة شائقة، ما وثّق صلتي بها، ولشدة ارتباطي بـ «الفيصل» أرى أن انتظار صدورها كل شهر، مدة طويلة، ولذلك أسأل عن إمكان صدورها أسبوعيًا، وأعتقد أن كثيرًا من القُرّاء لديه هذا الإحساس، مع الحرص بالطبع على ضرورة احتفاظ المجلة بالرونق نفسه، وبالتناول العميق ذاته.

رمضان عبدالعال محمد
رقم بريدي 12911
أبو النمرس، الجيزة، مصر

الخبر اليقين عن الطبيب «منكه»

أسعدني كتيب «الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية» هدية العدد 239، ولكني فوجئت عند قراءتي أولى مقالاته «الدولة الإسلامية وترجمة العلوم» للدكتور حسن ظاظا بقوله: إنه قرأ اسم الطبيب «منكه» لأول مرة في مجلة عالم الفكر الكويتية، وهو لا يدري لعله «كنكه» أو «كبكه» الذي ذكره القفطي. ثم أردف قوله: أما منكه الهندي المذكور فلم أقف له على أثر حتى بين المذكورين من أطباء الرشيد، ولا أدري أين وقع كاتب المقال على هذه المعلومات.

ولو أن د. ظاظا تصفح أشهر كتب التاريخ العربي والإسلامي: كتاب الطبري المسمى «تاريخ الأمم والملوك» وبالتحديد، تأريخه لعام 193هـ، وفي الصفحتين 202 ـ 203 من المجلد التاسع، طبعة دار الفكر عام 1987م؛ لوجد فيهما الخبر اليقين عن اعتلال الرشيد وحيرة أطبائه في علاجه، فقال له أبو عمر الأعجمي: إن بالهند طبيبًا يقال له «مَنْكَة»، فبعث إليه الرشيد فعالجه فبرئ؛ مما جعله يقدمه على علماء عصره.

أحمد بشير
حلب، شارع النيل، جمعية المعلمين
مقسم رقم 5 ط 2 أمامي، سورية.

«الكتيب الهدية» ونهج التوثيق

لقد سنت مجلة الفيصل سنّة حميدة حين أصدرت كتيبًا مع كل عدد، عن الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: حياته، وسياساته، وعلاقاته. وأقترح أن تستمروا في هذا النهج، كأن تصدروا كتيبات تحوي موضوعات مفيدة نُشرت في المجلة، إذا كانت تتناول قضية واحدة. أو أن تكون موضوعات جديدة غير منشورة، وبالأخص الموضوعات المرتبطة بشبه الجزيرة العربية وتراثها، وآثارها، وجبالها، ووديانها، وبعض السمات الحضارية فيها. ويمكن أن يحوي أحد الكتيبات موضوعًا عن النخيل وأنواعه، كما يمكن تناول مدينة من المدن: تاريخها وجغرافيتها. أطرح هذا الاقتراح وكلي ثقة أن المجلة ستجد في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبته العامرة، من المراجع، ما يثري هذه الموضوعات، لأن الكفاءات الموجودة في هذا المركز قادرة على النهوض بهذه المهمة. فهل تمضي مجلتنا في هذا الطريق قدمًا، وقد بدأته **بخطى رائدة؟**

المهندس/ عبدالعزيز بن محمد السحيباني
البدائع، السعودية

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء **يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض**

ملحق عن «الحاسوب» لمواكبة العصر

أقترح إضافة ملحق علمي معلوماتي يهتم بعلم الحاسوب. ومما يمكن أن يتضمنه هذا الملحق: التعريف بالحاسوب بدقة علمية، مجالات استعماله، كيفية استعماله، تحقيقات عن المنشآت العربية والشركات والبنوك، لتعرف المستويات المختلفة التي وصل إليها استعمال الحاسوب، بالإضافة إلى تخصيص مساحة إعلانية للمؤسسات المعلوماتية العالمية التي تريد أن تعلن عن منتجاتها. كما أن الملحق يمكن أن يُعنى بتعريب المصطلحات المعلوماتية التي يتسارع اكتشافها كل يوم. وأعتقد أن ذلك سيعمل على سد النقص الكبير الذي يعانيه العالم العربي، في هذا المجال العلمي المهم. وبما أنني اقترحت تخصيص هذا الملحق، وأعلم أنه يتطلب جهداً كبيراً، فإنني أود أن أعرب لكم عن استعدادي التام للمشاركة في إعداده، من واقع خبرتي في هذا المجال. وأشير في هذا الصدد، إلى أنني شرعت في إعداد دراسة موازنة علمية بين الحاسوب وكيفية برمجته من جهة، وعقل الإنسان وكيفية تلقينه النظم الفكرية المختلفة للمجتمعات المتباينة، من جهة أخرى. وأعتقد أن هذه الدراسة ستثير مناقشة فكرية واسعة، لما تحتوي عليه من آراء فلسفية حول علاقة «اللاشعور» باختراع الإنسان للحاسوب وتطويره إياه عبر التاريخ.

مهندس/ عبداللطيف بن أم هاني
إشبيليا، المسيلة 28000، الجزائر

التحرير:

المجلة لديها الرغبة في ذلك غير أنها تخشى أن تكرر عملاً قائماً، نظراً لكثرة الإصدارات المتعلقة بهذا الشأن؛ الأمر الذي يتطلب إجراء دراسة شاملة. والفكرة مطروحة أمام القراء الكرام، الذين نأمل أن نستضيء بآرائهم حول ما هو متوافر، وكذلك اقتراحاتهم بما يمكن أن نقوم به في ضوء معطيات الواقع بأكملها.
أما فيما يتعلق بمشاركتك، فيمكنك إرسالها للنظر فيها حسب معايير النشر المعمول بها لدينا.

مقالات ظاظا إضاءة مهمة في مرحلة دقيقة

أبعث بتحياتي إلى الدكتور حسن ظاظا، وأدعو الله أن يسدد خطاه، وأن يعينه على الجهاد بالقلم، من خلال مجلة «الفيصل» الغنية بموضوعاتها المفيدة لكل من يريد ثقافة جادة ومسؤولة، في هذا الزمان الذي غلب فيه الحشو والاجتزاء. فزدنا من روائع مقالاتك عن اليهود وتاريخهم، فهي إضاءات مهمة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة الإسلامية، ونحن نعلم أن الجهاد بالقلم لا يقل شأناً عن الجهاد بالسيف.. وشكري لـ «الفيصل» التي تفتح عيون الأجيال على الفكر الراقي وعلى حقائق التاريخ.

محمد المختار السباعي
ص. ب 16، حاجب العيون
3160، تونس

رابع المستحيلات!

أدعوكم لزيادة النسخ المرسلة من مجلتنا «الفيصل» إلى المملكة المغربية، وإلى مدينة تارودانت خاصة، فالأعداد تنفد فور وصولها كل شهر، ويتبع أصحاب المكتبات «منافذ التوزيع» أسلوباً غريباً، أشبه بالسوق السوداء، فهم لا يبيعون المجلة إلا لمن كان من عملائهم الدائمين، فإذا كان الحصول على الأعداد الجديدة تكتنفه هذه الصعوبات، فإن العثور على نسخ من أعداد سابقة في طول البلد وعرضه، يُعَدّ من رابع المستحيلات.

اللطيفي شكيب
درب سيدي الحاج بوتابت
ش المنصور الذهبي، تارودانت، المملكة المغربية

مستوى علمي رفيع

أعجبت بالعدد 232 الذي خصصتم فيه ملفاً للقدس بعنوان: «القدس عربية إسلامية»، وحقيقة أعتز بأنني أحد قراء مجلة «الفيصل» الغراء، التي يعجبني فيها المستوى الثقافي المتميز وموضوعيتها والمستوى العلمي الرفيع.

د. محمد نبيل رستم
إخصائي أمراض الرضع والخدج والأطفال
دمشق، ص.ب 3024، سورية.

«بين القارئ والقارئ» زاوية تخدم الثقافة

جميل جداً أن خصصتم زاوية «بين القارئ والقارئ». فتلك المساحة، على ضيقها، تشبع احتياجات أساسية لدى قراء كثيرين، لتداول الكتب والقراءات والأفكار المفيدة. والزاوية تخدم الثقافة في هذا الزمان الذي يتسم بارتفاع أسعار الكتب، مع منافسة منافذ ثقافية أخرى للكتاب.

محمد حسين منصور
دمشق، ص.ب 14125، سورية.

الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

هكذا نزداد



ليس هناك مشهد مأساوي يبعث في النفس كل كوامن الألم والحزن والحسرة، ويهز المشاعر الإنسانية، بل يثير الإحساس بالغثيان، أكثر من رؤية طفلة صغيرة تحتضن أمها، وتداعبها في براءة، من غير أن تتيح لها طفولتها إدراك أنها قد فارقت الحياة، وأصبحت رقماً في قائمة طويلة تضم ضحايا المجاعات والحروب والنزاعات التي تجتاح دولاً كثيرة في هذا العالم.

كان هذا مشهداً من مشاهد مأساوية أخرى لا حصر لها، تابعها العالم - وما يزال - على شاشات التلفاز، في إطار تغطية أحداث رواندا. ولا تنقطع مثل هذه المشاهد المسيئة لآدمية الإنسان عن وسائل الإعلام المختلفة على مدار اليوم، حتى صار يُخشى أن ينظر إليها الإنسان على أنها أمر مألوف، بعد محاولات تطبيع العنف والجريمة في وسائل الإعلام، حتى كاد يتمثل الشذوذ والغرابة في غيرها من مظاهر الحياة العادية.

لقد حظيت مشكلة الجوع باهتمام واضح من العالم، وبخاصة في أعقاب المآسي التي خلفتها الحرب العالمية الثانية، فكان إنشاء منظمة الأغذية والزراعة العالمية (الفاو) في العام 1945م ضمن مؤسسات منظمة الأمم المتحدة - بهدف البحث في حلول عملية لأزمة الغذاء - تعبيراً عن هذا الاهتمام، حيث عقدت أول مؤتمر لها في العام نفسه، ثم توالت بعد ذلك المؤتمرات والندوات على المستويات القطرية والإقليمية والقارية والدولية لتنظر في القضية نفسها، ولكن يبقى أبرزها المؤتمر الدولي الذي انعقد في العام 1974م، والذي تقرر فيه القضاء على المجاعة في العالم في خلال عشر سنوات من ذلك التاريخ، إلا أن المفارقة تمثلت في أن هذه السنوات العشر شهدت مجاعات حصدت أرواح الملايين من الضحايا، مقدمة دليلاً كافياً على إخفاق العالم في الوصول إلى حلول عملية وجذرية لأزمة الغذاء.

وأتى انعقاد قمة روما للغذاء في المدة من 13- 17 تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي استمراراً للطروحات النظرية السابقة، ومن ثم لم تحمل أي بوادر بقرب إيجاد مخرج فعلي من هذه الأزمة التي تستفحل بمرور الزمن، والتي تُجَسِّدها مأساة الملايين من البشر الباحثين عن أي شيء يقتاتون به، أو رشفة ماء تروي ظمأهم. ولكن ذلك لا يمنع من طرح أسئلة عن جذور هذه الأزمة وأسباب استفحالها، والوسائل التي تعين على حلها.

تشير الأرقام والإحصاءات أن هناك ثمانمئة مليون جائع في العالم، وأن عدد الجياع في إفريقيا وحدها زاد إلى نحو 215 مليوناً في عام 1990م - 1992م، بعد أن كان في حدود 103ملايين في عام 1969- 1971م، ويتوقع أن يصل هذا العدد إلى 264 مليوناً في عام 2010م.

ومن دلائل هذه الإحصاءات أن واقع اليوم، هو أسوأ ما شهدته البشرية في تاريخها الطويل، إذ لم يكن في أي وقت مضى كل هذا الفقر المدقع، أو هذا العدد الكبير من المحرومين والجياع، مع ما تَعَرَّض له الإنسان من أوبئة وأمراض وكوارث طبيعية كانت تقضي على أرواح الملايين. ولكن ما يثير العجب والدهشة أن يرتقي الإنسان في مضمار التقدم المادي في هذا العصر، ويحرز فيه ما لم يكن يحلم به من إنجازات في يوم من الأيام، ثم يتمخض الواقع عن هذا الوضع المأساوي غير المسبوق، على الرغم من كل الإمكانات المادية والتقنيات العصرية التي تتراكم يوماً بعد يوم، مما يقودنا إلى ضرورة إمعان النظر لحل هذه المعضلة الغريبة ، وفك طلاسمها، لعل في ذلك ما يبطل كل عجب.

إن الفقر الصارخ في وسط الوفرة والغنى يدل على أن هناك خللاً ما في هيكل الاقتصاد العالمي، فالإفريقي الذي كان يحقق اكتفاءً ذاتياً من الغذاء باستخدام وسائل الزراعة البدائية، أصبح يعاني الفاقة والجوع في ظل وجود تقنيات زراعية عالية المستوى، والدول المتخلفة أو النامية التي تمثل ثلاثة أرباع العالم يصل نصيبها من الإنتاج العالمي إلى 25٪، في حين أن 25٪ من سكان العالم يتمتعون بما مقداره ثلاثة أرباع ثروة العالم، ويمكن الاكتفاء في هذا المجال بالموازنة بين الولايات المتحدة الأمريكية والهند، فالأولى التي يبلغ سكانها 6٪ من سكان العالم تستهلك أكثر من 30٪ من مصادر الطاقة، بينما تستهلك الثانية التي يمثل سكانها نحو 15٪ من سكان العالم 2٪ من هذه المصادر.

ولعل من المفيد تتبع هذا الخلل استناداً إلى معطيات تاريخية تتيح صورة أكثر وضوحاً لجذور الأزمة ومسبباتها، وصولاً إلى المكونات الحقيقية للواقع المعيش، بغرض تحليلها تحليلاً شاملاً ودقيقاً يفضي إلى حقائق يمكن الاعتماد عليها عند بحث الأزمة، واقتراح الطرائق المؤدية إلى الخروج منها. ومما تبرزه المعطيات التاريخية في هذا الصدد: أن الخلل في النظام الاقتصادي العالمي تعود جذوره إلى زمن استعمار الدول الأوربية لغالبية دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وسيادة النظرة الاستعلائية من جانب الغرب تجاه هذه المستعمرات، واعتقاده أن قاطنيها شعوب بدائية متخلفة، تحتاج إلى من يقودها إلى المدنية والتحضر، متغافلاً بذلك عن تاريخ هذه الشعوب، ومنكراً لحضاراتها، وفارضاً رؤيته ونظرته عليها، ومجبراً إياها على تبني نظمه وقوانينه، من دون أي اعتبار لقيمها وأعرافها ونظمها في مجالات الحياة المختلفة، لضمان توجيه كل أنشطة المجتمع، وتسييرها نحو تحقيق غايات دول الغرب ومقاصدها، وتطوير أوجه الحياة فيها، ودفع انطلاق ما اصطلح على تسميته بالثورة الصناعية.

وعن هذه العقلية الاستعمارية التي احتكم إليها الغرب في رؤيته لثروات الدول المستعمرة، يورد مؤلفا كتاب «صناعة الجوع.. خرافة الندرة» - فرانسيس مورلابيه وجوزيف كولينز - رأياً للاقتصادي البريطاني جون ستيوارت ميل يقول: «إن المستعمرات لا يجب النظر إليها على أنها حضارات أو دول على الإطلاق، بل على أنها مؤسسات زراعية هدفها الوحيد هو إمداد المجتمع الأكبر الذي تنتمي إليه».

وبهذه الروح الأنانية انطلقت الدول الأوربية نحو توطيد سيطرتها على كل مناطق العالم، وبذل أقصى الجهود لتوظيف خيرات مستعمراتها، ووضعها في خدمة آلتها الصناعية التي ينبغي أن تدور بكل قوة، مستغلة ظروف توافر المادة الخام بأبخس الأثمان، ووجود الأيدي العاملة الرخيصة.

واحتدم التنافس بين الدول الأوربية على اقتسام العالم، وأصبحت المناطق الفقيرة مقصداً للمغامرين الغربيين الباحثين عن الثروة والشهرة، بعد أن أصبح من حق أي منهم أن يرفع علم بلاده على منطقة من هذه المناطق، ليدَّعي أسبقيته في الوصول إليها واكتشافها. ويشير مؤلف كتاب «تغريب العالم» - سيرج لاتوش - إلى هذه الحقيقة، فيقول: «من المألوف إعلاء شأن الموجة الاستعمارية التي انطلقت بعد 1880م تحت تسمية «سباق الأعلام»، فبعون تطور وسائل الانتقال، تنقض الدول الأوربية في سياق سباق محموم على البقايا الأخيرة من الأراضي «غير الواقعة تحت السيطرة» من الكرة الأرضية. ويعتقد الرجل الأبيض، واثقاً أكثر من أي وقت مضى بتفوق حضارته، أنه مُكَلَّفٌ برسالة مقدسة وأن هذه الرسالة عبء، لكنه يحمله بحبور وجشع مشبوهين. فالمبشرون والتجار والعسكريون من مختلف الدول يتنافسون بشراسة، وأحياناً تنافساً دامياً، من أجل السيطرة على مناطق جديدة».

ولم تكن هناك ثروة أفضل من الزراعة لتشغيل مصانع الغرب بكفاءة عالية تضمن لها الاستجابة لأنماط الحياة التي بدأت في التشكل بفعل تأثيرات المرحلة الصناعية، ولما كانت الشعوب الفقيرة المستعمَرة قد ألفت أن تزرع ما يدفع عنها الجوع، ويؤمِّن حاجاتها الغذائية، كان لا بد من تغيير نظمها الزراعية حتى تلبي احتياجات المصانع الغربية، ومن ثم، أُجبر الفلاحون الفقراء على زراعة المحاصيل النقدية للتصدير بدلاً من المحاصيل الزراعية، ثم بيعها بأبخس الأسعار، وسُخِّرت أفضل الأراضي الزراعية من أجل تحقيق هذا الغرض، ونتج من ذلك إغراق أسواق المستعمرات بأرخص المصنوعات الأوربية التي أزاحت الصناعات الشعبية وحجبتها عن التطور لتصبح شيئاً من الماضي، مما دفع كثيراً من الحرفيين المهرة إلى امتهان الزراعة، والعمل بأجور زهيدة في مزارع المستعمر ليصبحوا بذلك ترساً في آلة الصناعة الغربية، بعد أن أُرغموا على التخلي عن تطوير صناعتهم التي كانت منتجاتها محل إعجاب المستعمرين، ووجدت القبول والرواج في أسواقهم، قبل أن يعملوا على تطويقها.

ومع كل هذا الاستغلال الذي تعرضت له الشعوب الفقيرة، كان عليها أيضاً أن تدفع ثمن مغامرات مستعمريها، وأن تكون وقوداً للحروب التي اشتعلت فيما بينهم بسبب المصالح والأطماع والتنافس المحموم لاستنزاف ثروات العالم، وتحقيق الأمجاد الشخصية لقادتهم؛ فشهدت أراضيها فصولاً مروعة من الحربين العالميتين،

الفقير فقراً!

وأُزهقت أرواح الملايين من سكانها، وتشردت ملايين أخرى، وخُرِّب العديد من مدنها وقراها، وفقدت كثيراً من ثرواتها الزراعية والحيوانية. حدث ذلك كله من غير أن تكون طرفًا أصيلاً في هذا الصراع الغربي، وإنما كانت محل أطماع الأطراف المتصارعة، ولم تجن من نتائج هاتين الحربين اللتين أزهقتا أرواح نحو 90 مليونًا من البشر إلا الخراب والدمار.

وحين بدأت المستعمرات في نيل استقلالها، تفاءل كثيرون بأن مرحلة جديدة قد بدأت في تاريخ العالم المعاصر، تُبَشِّر باقتصاد عالمي قوي، تنعم في ظله كل شعوب العالم بخيرات الأرض وثرواتها، ولكن جاءت الحرب الباردة لتلقي بظلالها الكثيفة، عندما عمدت القوتان العظميان إلى ممارسة سياسة الاستقطاب على الدول المستقلة حديثًا، لينتج من ذلك دخول كثير منها مرحلة التخبط والحيرة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، ليتعمق بذلك مأزقها الاقتصادي، الذي امتد أثره ليصبح مأزقًا ثقافيًا نال من منظومتها القيمية وثوابتها الحضارية؛ وعندئذ جرى تقسيم العالم إلى عوالم ثلاثة، هي: العالم الأول ويضم الدول الرأسمالية، والعالم الثاني: ونعني به مجموعة الدول الاشتراكية، أما العالم الثالث فيدل على تلك الشعوب المستقلة التي تحاول أن تجد طريقها لتحقيق التقدم.

وتواكب مع ذلك قيام الشركات المتعددة الجنسيات المنتمية إلى الدول الغنية التي تمارس نشاطها على مستوى العالم كله، مؤدية الدور نفسه الذي كانت تؤديه الدول الاستعمارية في نهب خيرات الشعوب، واستغلالها لتحقيق غاياتها الاقتصادية، وتطلعاتها إلى التقدم المادي، فأحالت هذه الشركات أراضي الدول المتخلفة إلى مزرعة تمد الدول الغنية بما تحتاج إليه من المحاصيل الترفية، وذلك على حساب المحاصيل الغذائية التي تعتمد عليها الشعوب الفقيرة، فحلت - مثلاً - زراعة الفراولة، والأناناس، والمانجو والأزهار، محل الفول والذرة والقمح والشوفان، وأصبح هَمّ هذه الشركات تلبية حاجات المترفين في هذا العالم، حتى لو اقتضى الأمر تدمير التربة الزراعية في الدول المتخلفة بالزراعة المرهقة، والمبيدات الضارة، ونُظُم الري السيئة، ناهيك عما يتخلف عن ذلك من تلوث بيئي يضر بصحة إنسان هذه الدول، ويقلل من فاعليته الإنتاجية، في ظل انعدام الدواء ووسائل العلاج المناسبة.

وتحولت البلدان الفقيرة من خلال نشاط الشركات المتعددة الجنسيات إلى قواعد لتصدير السلع الزراعية الاستهلاكية إلى البلدان الغنية، بل أصبحت - كذلك - مزرعة لأعلاف حيوانات تلك الدول، نتيجة لرخص العمالة بها، وتمتعها بأراضٍ خصبة شاسعة لا يحتاج استصلاحها إلى نفقات مادية كبيرة؛ مما شجع بعض الدول الكبرى على التخلي عن زراعة بعض المحاصيل التي يمكن استيرادها من الدول الفقيرة بأسعار منخفضة تقل عن تكاليف زراعتها في أراضيها، ولاسيما أن شركاتها هي التي تقوم بمهمة الزراعة والاستيراد. ويذهب بعضُ خبراء الاقتصاد إلى القول بأن بعض الدول الإفريقية كانت تُصَدِّر إلى العالم الغربي محاصيل غذائية ترفية في ذروة استحكام أزمة المجاعة فيها، مما ينبئ عن حجم التبعية الاقتصادية للغرب، ومقدار تحكم الشركات المتعددة الجنسيات في مصائر الشعوب.

وقد أغرقت شركات تجهيز الغذاء المتعددة الجنسيات أسواق الدول النامية بسلع استهلاكية تستنزف كثيراً من الموارد الغذائية التي يحتاج إليها الفقراء في تلك الدول، بعد أن هيأت العقول لتقبل أنماط الغرب في الاستهلاك من خلال حملات إعلانية شديدة الإغراء في الأجهزة الإعلامية المختلفة. ومكمن الخطر في انتشار مثل هذه الأغذية الجاهزة، أنها تجمع بين ارتفاع الكلفة المادية، وانخفاض القيمة الغذائية، وحين يقبل عليها الفقراء، فإن إمكاناتهم المادية لا تسمح لهم إلا بالقليل منها، مع عدم القدرة على الحصول على مصادر غذائية أخرى، مما ينذر بمشكلات صحية، وقد وُجد أن أغذية الأطفال الجاهزة تؤدي إلى سوء التغذية في الدول الفقيرة، لأن هؤلاء الأطفال لا يحصلون إلا على كميات قليلة منها يوميًا، مع أنهم يُحرمون مبكرًا من لبن الأم، وأدى هذا الواقع إلى انتشار غش مثل هذه الأغذية، وتصنيعها محليًا، من خلال قنوات غير شرعية، تستغل تهافت الناس على شرائها، تحت تأثير الإعلانات الجذابة والدعاية الخادعة.

ويلحق هؤلاء الضحايا من الأطفال بأقرانهم الذين يموتون جوعًا، كما ينضم إلى قافلة الضحايا أولئك الذين تحصدهم الحروب التي تؤجج نيرانها الأحقاد والأطماع، فلا يصطلي بها سوى الأبرياء الذين لا ذنب لهم.

إن إنسان هذا العصر يعيش جملة من المتناقضات التي تتعدد أشكالها وصورها، حتى لا يكاد يتبيَّن من شدة وطأتها حقائق الأمور، ولا يفهم من مجريات الأحداث إلا أقلها، وليس هناك تناقض أكثر وضوحًا من وجود ثمانمئة مليون إنسان يعانون من الجوع والفقر والمرض على سطح الكرة الأرضية، بينما تتسابق الدول إلى دعم ترساناتها العسكرية بأحدث أنواع الأسلحة المدمرة وأكثرها فتكًا، حتى بلغ حجم الإنفاق العسكري في العالم نحو 700 مليار دولار سنويًا، كما أن من أعجب المتناقضات أن يكون للدول الفقيرة نصيب وافر في سوق استهلاك هذه الأسلحة، مع ما تعانيه من تردي الأحوال الاقتصادية، وانعدام الخدمات الأساسية.

وتفنن الإنسان في صناعة الأسلحة المدمرة، حتى تنوَّعت أشكالها وتعددت تأثيراتها، وتقدمت تقنياتها إلى مدى بعيد، فتكدست لديه أنواع متعددة من أسلحة الدمار التقليدية والنووية والجرثومية والكيماوية والذكية وغيرها، التي يكفي المخزون منها - كما يشير الخبراء - لتدمير الأرض أكثر من عشر مرات، وفي الوقت نفسه تتعاظم أعداد المؤسسات والمنظمات الدولية العاملة في المجالات الإنسانية. ولا يملك المرء إزاء هذا التناقض السافر إلا أن يتساءل عن جدوى كل هذه المؤسسات والمنظمات؛ مادام الإنسان قد ارتضى أن يمضي قدمًا في إبداع أسلحة الدمار الشامل والإبادة الجماعية. ولماذا الادعاء بأن الإنسان أخ للإنسان، ولماذا الإصرار على رفع الشعارات التي تؤكد هذا المعنى في كل محفل دولي؟ بينما تزدهر صناعة السلاح، ويتزايد الإقبال على اختراع أسلحة مختلفة المفعول والتأثير؛ فهذه تشوه، وتلك تذهب بالعقل، وأخرى تفني، إلى آخر تلك القائمة الطويلة من أنواع التعذيب وأساليب الإفناء. ولم تؤد مرحلة الحرب الباردة، ولا المرحلة الحالية التي يعيشها العالم إلا إلى مزيد من الاستثمار في صناعة الأسلحة، وتطوير قدراتها وتقنياتها. وهذا ما يقود إلى الاستمرار في طرح الأسئلة عن المستفيدين من هذا الواقع، وعن الذين يحاولون السيطرة على العالم بتعميق مأزق الإنسان ودفعه إلى أن يعيش دومًا تحت ضغط الخوف والهلع.

ومما لاشك فيه أن هذا الحرص على تطوير الأسلحة لا يمكن فصله عن قيم صانعيها الذين يرون أن غلبة حضارتهم مرهونة بقدراتها المادية، ومن ثم، لابد من اتخاذ الوسائل التي تدعمها، وتزيدها قوة على قوتها، وهذا الارتباط بين السلاح أو القوة والتصور الحضاري، يدعو إلى توكيد ما تفرد به الإسلام في هذا الجانب، إذ إن منظوره للسلاح هو أنه وسيلة للدفاع عن الذات، وليس وسيلة استعلاء أو تسلط على الآخرين، وهذا ما أبرزه التطبيق العملي لهذا المنظور في حقبة ازدهار الحضارة الإسلامية التي بنى أصحابها علاقاتهم مع أصحاب الحضارات الأخرى على أساس إنساني خالص، على عكس ما نجده اليوم من قيام العلاقات بين الدول على مبدأ تبادل المصالح والمنافع، ويتبدى ذلك فيما يُقَدَّم من مساعدات للدول الفقيرة أو التدخل لحل نزاعاتها وحروبها اعتمادا على موازنات المصالح، وقد كشفت أحداث البوسنة والهرسك حقيقة الاحتكام إلى هذا المبدأ، إلى جانب أحداث أخرى لا يتسع المجال لإيرادها.

وتتفاعل كل هذه المعطيات التاريخية المتعلقة بأزمة الغذاء، لنصل إلى السؤال الذي يطرح نفسه إزاء هذه الأزمة: متى يتحرر العالم من الجوع؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تحمل في طياتها منظورًا مغايرًا للعالم القائم حاليًا، وتلقي بمسؤوليات كبيرة على كل المجتمعات الإنسانية من أجل الإسهام الفاعل في إقرار واقع أفضل للإنسان في هذه الحياة.

ومفاد الإجابة أن العالم لن يتحرر من الجوع مادام هناك طرف مُستغِل وآخر مُستغَل، ومادامت مؤسسات صنع الأسلحة بأنواعها تستنزف موارد العالم، وتحرمه من استثمار تلك الموارد والطاقات والخبرات والإنجازات التقنية فيما يحقق صالح الإنسان في كل مكان؛ إذ لا يعقل أن تكون تكاليف بناء حاملة طائرات مساوية لتكاليف إعاشة 40 ألف إنسان مدة عام، أو أن يُنفق العالم في عام واحد (1989م) نحو 950 مليار دولار أمريكي لأغراض التسلح، في الوقت الذي يموت فيه الملايين من الجوع في أرجاء متفرقة من الأرض. فهذا الواقع المؤلم يقتضي من الغرب أن ينزع عن نفسه صفة الاستغلال ليكون مستحقًا للأولية التي خلعها عليه المعيار الاقتصادي لتقسيم العالم - علمًا بأن ليس هناك عالم ثان لانتفاء الفوارق الحقيقة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي -، ولا يتحقق له ذلك إلا إذا احتكم إلى قيم إنسانية تردعه عن ممارسة الاستغلال تحت أي دعوى من الدعاوى، وترافقت مع تقدمه المادي معايير أخلاقية تضبط سلوكه وتوجهه نحو مقاصد الخير للبشرية جمعاء بلا أي تميز. وفي الجانب الآخر، فإنه لن يكون هناك تحرر من الجوع، إذا ظلت الشعوب الفقيرة تنتظر أن يأتيها قوت يومها من أعالي البحار، من غير أن تُحَرِّك ساكنًا لتغير واقعها المؤسف، ولن يتحقق هذا التغير المأمول إلا باستيعاب ظروف العصر والتفاعل مع إنجازاته بوعي وإدراك تامَّين، على أن يسبق ذلك وعي بالذات، وإدراك لمقوماتها وثوابتها الثقافية والحضارية، مما يصونها من الوقوع في براثن الاستغلال والتبعية.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

الفيصل
العدد 242 ـ السنة 21 ـ شعبان 1417هـ ـ ديسمبر 1996/ يناير 1997م



ألعاب الأطفال : أسرار تربوية

مع أن الإنسان قد بلغ شأوًا بعيدًا في التقدم في مجالات مختلفة، إلا أنه لم يسبر ـ كما ينبغي ـ غور أهم الأطوار في حياته: مرحلة الطفولة. إن الطفولة بما تنطوي عليه من أسرار، وما تمثله من تحديات تربوية تعد عالمًا رحبًا يحفز الباحثين إلى تسليط الضوء على ما يحيط بهذه المرحلة الغضة من غموض. ولقد كانت دراسة ألعاب الأطفال، من أهم الطرائق التي يتخذها العلماء وخبراء التربية وعلم النفس، لفهم سلوك الطفل وتحليل استجاباته، بوصف اللعب وسيلة تربوية ناجحة، إذا أُحسن توظيفها.

د. كمال الدين حسين عرض بعض أنواع اللعب المفيد في كل مرحلة من مراحل الطفولة.

طالع ص 13

مأزق الإنسانية المعاصرة !

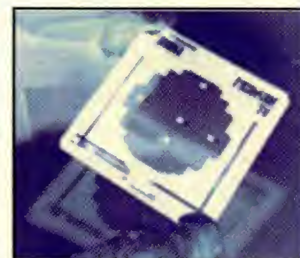


مفارقة عظيمة يشهدها العالم في أخريات هذا القرن الموشك على الانتهاء، تتمثل في اتساع الهوة بين أكثرية فقيرة متخلفة وأقلية غنية تمتلك مفاتيح التقدم.

وبينما الطروحات مستمرة ـ على مستويات متعددة ـ لتوصيف أسباب هذه الأزمة وجذورها، تتسارع ـ بأرقام فلكية ـ أعداد المنضمين إلى جيوش الفقراء والمعدمين. ومن المؤسف أن الاتهامات متبادلة مع عدم وجود بوادر انفراج في ظل وضع يتحكم فيه الشمال بجل منابع الثروة في العالم

الجوع والمعلوماتية.. مفارقة تكشف أبعاد مأزق الإنسانية المعاصرة. د. خيرالدين عبدالرحمن أوضح هذه الأبعاد بالأرقام.

طالع ص 24



غرائب عصر السيليكون

لا تنفك رقائق السيليكون تتيح للعلماء أفكارًا غاية في الغرابة، كلما اتجهت التقنية الحديثة إلى تحقيق المزيد من الدقة في الأداء، وتخفيض التكلفة. وهناك شواهد متعددة على حدوث تحول واسع النطاق طرأ في الآونة الأخيرة على مفهوم الآلات والأجهزة، مما جعل العلماء المتخصصون بهذا المجال يصرحون بكثير من الثقة: إن العالم يمضي حثيثًا نحو عصر الأنظمة المصغرة الذكية. ومع أن هذا الابتكار كان مبعثه الترف العلمي، وليس الحاجة الماسة إليه، إلا أنه أصبح توجهًا مقنعًا: اقتصاديًا وعلميًا، الأمر الذي جعل الدول الآخذة بناصية التقنية ترصد له ميزانيات ضخمة.

عدنان عضيمة عرض بعض جديد العلم في مجال تقنية الأنظمة المصغرة.

طالع ص 83

من كتاب العدد

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة



عبدالعزيز بن عبدالله السالم

- من مواليد محافظة الدرعية، المملكة العربية السعودية، 1351هـ / 1932م.
- خريج قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- له مشاركات صحفية في عدد من المجلات والصحف السعودية، وله مقالات أسبوعية في صحيفة الرياض ضمن الباب الأسبوعي «حروف وأفكار»، وهو مستمر في كتابتها منذ خمسة عشر عامًا.
- له كتاب منشور بعنوان «مأزق القيم»، من سلسلة كتاب الشهر الذي تصدره «الرياض»، يضم بعض ما نشره، وخاصة ما يتعلق بأزمة الخليج العربي.

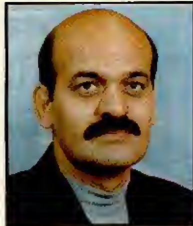


د. خيرالدين عبدالرحمن

- من مواليد فلسطين 1945م.
- حاصل على دكتوراه في العلاقات الدولية، ودكتوراه في الإدارة العامة من جامعة الباسفيك الجنوبية، لوس أنجليس، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل رئيسًا لتحرير صحيفة فتح اليومية، ومجلة المسيرة (1970- 1973م)، وكان سفيرًا لدى السودان وإثيوبيا، وباكستان، وسريلانكا، وكينيا (1973- 1989م). وفي عام 1989م أسس مركز القرن الحادي والعشرين للدراسات الدولية في قبرص الذي استمر حتى عام 1994م، وعمل مستشارًا لجامعة الباسفيك الجنوبية في كاليفورنيا للشؤون الدولية، وهو متفرغ حاليًا للبحث والكتابة.
- شارك في نحو خمسين مؤتمرًا دوليًا، وفي عدد كبير من الندوات الدولية حول قضايا التحرر والتنمية والبيئة في دول أوربية وإفريقية وآسيوية.
- من مؤلفاته: الثورة الفلسطينية، الصخرة والبحر (قصة للأطفال)، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، أسلحة القرن الحادي والعشرين، الوجيز في علم السياسة. وله بالإنجليزية:

PALESTINE- THE POLITICAL ASPECTS OF THE PLO- TRUTH WILL TRIUMPH.

- نشر عددًا كبيرًا من الدراسات والبحوث في صحف ومجلات عربية وأجنبية.



فلاح رحيم جاسم

- من مواليد بغداد 1956م.
- حاصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي من كلية الآداب، جامعة بغداد 1989م.
- عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في جامعة التراث ببغداد، وهو حاليًا عضو هيئة تدريس في كلية التربية، جامعة الفاتح الليبية.
- له عدد من البحوث بالعربية والإنجليزية؛ فبالعربية له: مقدمة نظرية لدراسة شعر اللغة، صيت البلاغة في الفكر المعاصر. وبالإنجليزية له: باوند، ييتس، إليوت وحركة الحداثة، السيكولوجيا باعتبارها ميتافيزيقا في مسرح أونيل، التغريب كوسيلة كوميدية في قصص مارك توين. كما أن له تسعة كتب مترجمة وعدد من المقالات المنشورة.



د. حسن بن محمد بن حسين باصرة

- من مواليد الطائف 1377هـ.
- حاصل على الدكتوراه من جامعة جلاسجو بالمملكة المتحدة، 1410هـ.
- يعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا بقسم العلوم الفلكية في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.
- له بحوث ومقالات علمية منشورة.



د. سعودي عبدالظاهر سيد

- من مواليد المنيا، مصر 1952م.
- حاصل على الدكتوراه في التربية، جامعة المنيا.
- عمل معيدًا بالكلية نفسها، ثم مدرسًا مساعدًا، فمدرسًا.
- يعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا بكلية المعلمين بالجوف، السعودية.
- من مؤلفاته: التربية الإسلامية في مواجهة ظاهرة المخدرات، إعداد معلمي المرحلة الابتدائية بين الواقع والمأمول، تدريب معلمي المرحلة الابتدائية أثناء الخدمة.





لنفكر مليًا في الكوارث ومغزاها

كوارث عديدة شهدها القرن الحالي الموشك على الانتهاء. ولكثرة الحوادث بسبب الحروب، والزلازل، وتحطم الطائرات، والحرائق.. وغيرها؛ فإن هذا القرن جدير بأن يطلق عليه «قرن المآسي». فالكوارث غدت جزءًا من حياتنا اليومية، إلى درجة أن تتابعها جعل بعض الناس يعتادها فلا يستغرق التفكير فيها عندهم - مهما كان عدد الضحايا - أكثر من وقت الاطلاع على بعض التفصيلات منشورة أو مذاعة، من دون التوقف مليًا لأخذ العبرة. ومع ذلك فإن كثيرًا من الناس يتفق على أن بعض الكوارث تمثل نقاطًا فاصلة في التاريخ، لأسباب عديدة، منها: عدد الضحايا، وظروف المأساة.

من تلك الحوادث التاريخية، كارثة السفينة «التيتانيك» التي غرقت في المحيط الأطلسي في الساعات الأولى من فجر 15 أبريل/ نيسان 1912م، ولقي 1513 شخصًا مصرعهم غرقًا من أصل 2224 راكبًا كانوا على ظهر السفينة. ومما جعل كارثة التيتانيك أمرًا مريعًا، أن السفينة كانت في رحلتها الأولى، بعد أن سبقتها دعاية بأنها غير قابلة للغرق، وأن تدشينها سيكون مؤشرًا، ومَعْلمًا للتقدم التقني، ورمزَ قوة لفجر القرن العشرين.. ومع ذلك أخفقت الرحلة، وانشطرت السفينة عندما اصطدمت بكتلة جليدية.

في عام 1985م أُضيف بُعْدٌ جديدٌ إلى الحادث الكارثة، حيث اكتشف روبرت بالارد موقع السفينة الغارقة، وبدأت عدسات التصوير في إبراز جوانب أخرى للمأساة التي تعرضت لها التيتانيك. من المشاهد المؤثرة التي كُشف النقاب عنها وأوردتها نيوسينتست NEWSCIENLIST في عدد سبتمبر الماضي، هذه الصورة: طفل من بين ضحايا الكارثة، يبدو كأنه مات بالأمس. ومن أكثر الصور الذهنية تأثيرًا تلك التي اتضحت مع وصول آلات التصوير إلى قاع المحيط حيث تقبع السفينة: فردتا حذاء جلدي في وضع محاذ، كأن صاحبهما قد خلعهما لتوه. وقد علق المكتشف بالارد على تلك الصورة بقوله: إنه شيء تراجيدي (مأساوي) يؤكد الرأي السائد القائم على الاعتقاد بأن موقع السفينة عبارة عن «قبر ثلجي» في ظلمة قاع المحيط.

أنسولين سريع المفعول لمرضى السكر



توصلت دراسة أجريت في الولايات المتحدة إلى أن نحو 43٪ من مرضى السكر يحقنون أنفسهم بالأنسولين قبل تناول الوجبة الغذائية مباشرة، مما يسبب على المدى الطويل تلفًا يلحق بالعيون والأعصاب والكلى. ومعظم المصابين بالسكر، الذين يستعملون الأنسولين يلزمهم الانتظار نحو ساعة قبل تناول الوجبة، وذلك من أجل إعطاء الهرمون وقتًا للتأثير في سكر الدم.

ولم يمر وقت على إعلان نتائج تلك الدراسة التي أجريت العام الماضي، حتى أقرت إدارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة نوعًا جديدًا من الأنسولين يُدعى «ليسبرو»، هو أول أنسولين يمكن تعاطيه خلال خمس عشرة دقيقة من تناول وجبة الطعام. والأنسولين الجديد السريع الذي طُرح في الأسواق باسم «هومالوج» أعلى سعرًا من الأنسولين البشري المعياري الذي يبلغ سعره يوميًا نحو دولار واحد، وقد جاء فارق السعر بين النوعين لصالح إمكانات المرونة والتحكم التي يوفرها النوع السريع.

سيارات متصالحة مع البيئة





يبدو أن استجابة صانعي السيارات لمطالب جماعات حماية البيئة، بدأت تتخذ صوراً عملية واضحة، لحل مشكلة التلوث التي تعاني منها مدن كثيرة في العالم، بدلاً مما درجت عليه المدن الكبيرة الملوثة، من تعاطي مسكنات بشكل دوري لتنقية الجو.

ومع أن المدى الزمني للبحوث وجهود التطوير لإنتاج أنواع من السيارات لا تغتال البيئة، سوف يستغرق عقوداً، فإن التقنية الجديدة تبشر بتطور كبير في تصميم السيارات، ويُتوقع أن يكون طراز «تيوليب» من بين أكثر السيارات التي ستدخل الخدمة إثارة لتحقق هدف حماية البيئة. وتيوليب سيارة كهربائية ذات مقعدين تسير لمسافة 60 كلم بسرعة 75 كلم/ ساعة من دون حاجة للشحن مرة أخرى.

وطراز تيوليب ـ الذي ما يزال في المراحل التطويرية ـ لا يُعدّ سيارة فقط، بل المرحلة الأساسية لعملٍ متكامل: السيارات ومحطات الخدمة والبرامج، ولن يعرض هذا الطراز للبيع في بادئ الأمر، ولكنه سوف يُطرح على أساس اشتراكات، متى ما نجحت الشركة الهادفة في التوصل إلى طريقة لدمجها في أنظمة النقل الحالية في المدن. أما كيفية الاستثمار، فإن المشترك سيحصل على جهاز شخصي للتحكم من بعد ليختار سيارة من مجموعة من السيارات موجودة في نقاط رئيسة منتشرة في المدينة، وتتاح الفرصة للمشترك لفحص إحدى السيارات من طراز تيوليب واستخدامها، ثم إعادتها إلى أية محطة خدمة في شبكة محطات تيوليب، حيث تعيد تيوليب شحن نفسها (ذاتياً).

في تقرير عن عالم السيارات جاء في مجلة تايم TIME الأمريكية في أكتوبر الماضي، أن إنتاج طراز تيوليب هو محاولة للإجابة عن أكثر مداخل النقد شيوعاً للسيارة الكهربائية، التي لم تنتشر، ولم تجد إقبالاً بسبب مداها القصير، وحاجتها المتكررة لإعادة الشحن.. وتأمل شركة بيجو أن تمضي قدما في هذا الطريق، وتقنع المجالس البلدية في بعض المدن بعقد صفقات شراء مجموعات من طراز تيوليب، ومواءمتها مع احتياجات تلك المدن. وقد ذكر التقرير أن بلديتي باريس وتورز تبديان اهتماماً بهذا المشروع.

مسؤولية الطبيب والخطأ القاتل

كلما وقع خطأ طبي (تشخيصي أو علاجي)، من ذلك النوع الذي لا يمكن تصحيحه، ويصعب التراجع عنه، يثور جدل حول مسؤولية الطبيب، وأخلاقيات المهنة.

صحيفة الإكسبريس اللندنية أوردت خلال أسبوع واحد في أكتوبر الماضي خبرين عن تجاوزات طبية أفضت إلى نتائج مؤلمة.. فقد توفي أربعة عشر رضيعاً حديثي الولادة بعدما خضعوا لتجربة اختبار دواء. حدثت الوفيات بين الأطفال، في بريطانيا، في أثناء تجارب سريرية أجريت على مستوى دولي على دواء كبريتات الماغنسيوم. فقد أُعطي الأطفال الرُضّع جرعة مضاعفة من طريق الخطأ، وعلى الرغم من أنه قد أُوقفت في الحال الدراسة التي تشرف عليها جامعة ليدز، وأُمِرَ بإجراء تحقيق لبحث أسباب الخطأ في إعطاء الوصفة الطبية، ورفع تقرير إلى مجلس البحوث، وإلى المسؤول التنفيذي لجمعية الصحة الوطنية حول ما حدث؛ فإن ما ذكرته لجنة تقصي المعلومات، التي شكلتها جمعية الصحة الوطنية NHS، من أن أولئك الأطفال كانت وفاتهم متوقعة في كل الأحوال، لأنهم ـ حسبما قالت اللجنة ـ كانوا يعانون مشكلات تنفسية، لا يُعدّ مقبولاً لتسويغ الخطأ القاتل.

وفي بريطانيا ـ أيضاً ـ مَثُل طبيب أمام لجنة شكاوى طبية، نتيجة التشخيص الصادر منه، الذي جعل سيدة في عداد الموتى.. فقد أعلن الطبيب ماريون بيهون (39 عاماً)، وفاة السيدة مورين جونز (59 عاماً).

وفيما كان يجري تجهيز الجثمان، تمهيداً لنقله بعربة الموتى إلى المقبرة، ذعر المشيّعون عندما شاهدوا الجثمان يتحرك، وانقشعت غيوم المفاجأة رويداً، باستعادة السيدة جونز وعيها، من نوبة الغيبوبة التي مرت بها نتيجة ارتفاع السكر عندها!!

أفق جديد في تقنية الرؤية بالسونار

الإنسان مدين لحيوان الدلفين بالكثير، وتأتي في مقدمة الفوائد التي جناها الإنسان من هذا الحيوان الوديع، الاختراعات والاكتشافات العلمية، التي توصَّل إليها العلماء نتيجة متابعتهم سلوك الدلفين. فحياة الدلفين تنطوي على أسرار تُغري العلماء وتشجّعهم على البحث والاختبار وإجراء التطبيقات.

الجديد في عالم الدلافين المدهش له صلة بـ «السونار»؛ أي جهاز الرؤية تحت الماء. ومعروف أن الدلافين تحدد المواقع بوساطة صدى الصوت، إذ تقوم بإطلاق شعاع رفيع بذبذبات عالية، وفي الوقت نفسه تحدث صوتًا يخرج من مقدمة رأسها، ثم تصغي للصدى الذي ينعكس نتيجة اصطدام الصوت بأي عائق كأن يكون فريسة مثلا. وكان الشائع لدى العلماء أن هذا السونار يعطي فكرة تقريبية فقط عن حجم الجسم (العائق) وشكله. ولكنّ الباحثين آدم باك ولويس هيرمان من مختبر كيوالابيزن للثدييات البحرية في جامعة هاواي، توصلا إلى أن الأمر أدق مما تصوره العلماء. فقد ذُهل الباحثان إذ اكتشفا - بعد إجراء اختبارات عديدة - أن سونار الدلفين يُعدّ معادلاً من الناحية الوظيفية لحاسة إبصارها. وذكر هيرمان لمجلة ديسكفري في يونيو/ حزيران الماضي: «أن المنبه الذي يتلقاه حيوان الدلفين منعكسًا هو سيل من رجع الصدى المرتب زمانيًا ومكانيًا»، ووصف التناظر الوظيفي للسونار مع حاسة الإبصار بأن ما يتلقاه حيوان الدلفين هو دفقات من الفوتونات (وحدات الكم الضوئي)، وأن الدماغ يحدد إدراكه الحسي بناء على ذلك.



ريثما يجد قلبًا



ما الذي يفعله مريض القلب الذي ينتظر أن يُزرع له قلب آخر بدلاً من قلبه المعطوب، ولكن حالته الصحية لا تسمح بإجراء العملية الجراحية فورًا، وفي الوقت نفسه يحذره الأطباء من أن بقاء قلبه المريض في جسمه يلقي به إلى التهلكة؟! لا شك أن شخصًا في هذا الوضع، يعيش في دوامة من الخوف واليأس والرجاء والترقب.

تلك كانت الظروف المحيطة بالمواطن البريطاني بيل هانكوك الذي أُصيب بأزمات قلبية كادت تودي بحياته، وتهيأت له فرصة استبدال قلب اصطناعي بقلبه العليل، ريثما يصبح قادرًا على تحمل إجراء جراحة زرع قلب طبيعي يأتيه من متبرع.

ومثلما كان الحدث نقطة تحول وبداية جديدة لهانكوك وعائلته، كان طيبًا أيضًا للجراح البريطاني العربي الأصل د. مجدي يعقوب وفريقه في مستشفى هيرفيلد في ميدلسكس، الذين فتحوا باب أمل للمرضى من أمثال هانكوك. وقد قال الناطق بلسان الفريق الطبي لصحيفة THE MAIL في نوفمبر الماضي: «إن الجهاز الاصطناعي بمثابة جسر حيوي يوصل إلى عملية زرع القلوب، وإذا استُخدمت تلك الأجهزة في وقت مبكر، فإن بوسعها أن تعمل على استقرار حالة المريض، وأن تزيد من إمكانية نجاح زرع قلب جديد». وبالفعل فإن هانكوك الذي صنع «حكاية طبية»، عاد إلى منزله لممارسة حياته بصورة طبيعية، بعدما تلقى قلبًا من متبرع متوفَّى. وكان قد مكث مدة 207 أيام مرتبطًا بالجهاز الاصطناعي، الموصول بمضخة هيدروليكية تعمل بالكهرباء، وعندما اقترح الدكتور مجدي يعقوب هذه الفكرة لم يكن يجد أمامه خيارًا آخر لإنقاذ حياة المريض، والأخذ بيده إلى أن تتحسن حالته ويحصل على قلب جديد. والآن يكافح مستشفى هيرفيلد لزيادة ميزانيته لشراء معدات من هذا النوع، بعدما ثبتت فاعليتها، لمساعدة مرضى آخرين.

دع طفلك يلعب
تكسب ابنًا عبقريًا!

د. كمال الدين حسين محمد



وُلِدَ الطفل ليلعب. فالطفل الطبيعي السويّ لابد له من اللعب. فالوليد يلعب بتحريك يديه وقدميه، وحركة رأسه التي يتعرف بها العالم من حوله، ثم ينتقل يمينًا ويسارًا من مكان لمكان؛ يضرب هذا بيديه، ويحاول أن يمسك شيئًا فيسقط، وهذا أيضًا شكل من أشكال اللعب. ويشتد قوامه قليلاً، فيقلد الأم والأب والضيوف. قد يحرج الأب، وتخجل الأم عندما يقلد الطفل البائعين الذين رآهم في السوق مع أمه ويحاكيهم، وكل هذه أيضًا صور من لعب الأطفال.

وهذا اللعب الذي هو حاجة طبيعية غريزية لدى الأطفال، يمثل ضرورة أساسية من ضرورات الطفولة، يصاحب الطفل منذ مولده ويتطور مع تطور قدراته الحركية والنفسية والاجتماعية تطورًا يخلق نوعًا من التأثر بكل العوامل والعناصر التي تساعد على نمو الطفل وتطوره.

اللعب.. من أهم وسائط التربية

فالطفل ذو الميول العنيفة، يمكن معالجة عنفه من خلال استثمار طاقة


اللعب والمرح من خلال ممارسة الفن التشكيلي (جانب من الصالة المجهزة للأطفال في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)

العنف لديه في اللعب، والطفل الخجول الذي يخشى وجوده بين مجموعات من الأطفال، يمكن أن نعالج خجله من طريق الألعاب الجماعية، والطفل المحب لذاته يمكن أن نحيله طفلاً اجتماعيًا يتعامل مع الآخرين من خلال اللعب.

في النهاية يمكن القول إنه من دون اللعب، يصبح الطفل أنانيًا، مسيطرًا، ضيق الأفق، غير محبَّب.

من هنا قال علماء النفس بأهمية اللعب بوصفه واحدًا من أهم الوسائط التي تساعد على تربية الطفل وتنشئته وتعليمه. فالطفل في أثناء لعبه يتجاوز واقع طفولته ليعيش هذا الواقع بخياله بالصورة التي يتمنى أن يكون عليها هذا الواقع، وتتحدد هذه الصورة بحدود إدراك الطفل لهذا الواقع.

فاللعب يساعد على تنمية قدرات الطفل العقلية التي تساعده على إدراك العالم الذي يعيش فيه، ويتمكن من أبعاد هذا العالم، يتعرّفه من خلال الحواس، من خلال لمس الأشياء، ورؤيتها، وشم رائحتها، وسماع الأصوات التي يمكن أن تحدثها.

ومن خلال ملاحظاته للكبار يكتسب المعرفة والخبرة، يتعرف أساليب الناس في الحياة والتي تظهر في لعبه عندما يقلد أباه وأمه وزملاءه في المدرسة والجيران ويحاكيهم، ومن هذه الملاحظة يكتسب الطفل أشكال السلوك والأخلاق التي تريدها له الأسرة والمجتمع.

اللعب وسيلة لاكتساب المعلومات

لو نظرنا إلى الطفولة التي يعيشها الطفل بين أسرته التي يعتمد عليها اعتمادًا كليًا، لوجدناها تنحصر في عدة مراحل، أهمها مرحلة المهد (منذ الميلاد حتى الثالثة)، ثم مرحلة الطفولة المبكرة (من 3 ـ 6 سنوات) وهي ما تعرف عادة بمرحلة ما قبل المدرسة. وتمثل هذه المرحلة حجر الزاوية في تعليم الطفل وتربيته؛ حيث إن الطفل في هذه المرحلة يميل بشدة إلى اللعب، بل يعدّ اللعب في هذه المرحلة هو كل الأنشطة التي يقوم بها الطفل.

لذلك يرى علماء التربية أنه من أفضل الوسائل التي يمكن أن تساعد المسؤولين عن تربية الطفل في هذه المرحلة على تلقينه السلوك والأخلاقيات والعادات اللازمة له، وخاصة أن اللعب في هذه المرحلة لا يحتاج إلى أية قدرات أو مهارات عقلية، بل كل ما يحتاج إليه هو رغبة الطفل في اللعب، والانطلاق، في أي مكان وفي أي وقت، ودون أي تنظيم.

أما اللعب ذاته في هذه المرحلة فيتنوع ما بين ألعاب التقليد والمحاكاة، واللعب بالدمى والمكعبات، والاهتمام بالأغاني والموسيقى، وحتى تُؤتي هذه الألعاب ثمارها حرص الجميع على المناداة بأهمية توجيه الآباء والمسؤولين عن تربية الطفل إلى ضرورة الإشراف غير المباشر، بل المشاركة مع الأطفال في بعض الأحيان بمثل هذه الألعاب.

وسنحاول هنا أن نعطي مثالاً لما يمكن أن تكون عليه مثل هذه الألعاب، والتي يمكن أن تؤديها الأم مع أطفالها في المنزل أو المُدَرِّسة مع الصغار، وفي رياض الأطفال. ومثالنا هنا هو عدد من الألعاب الشعبية المصرية التي يوجد مثيل لها في كل مجتمع أو جماعة إنسانية


الألعاب التركيبية تسهم في تنمية القدرات الفنية لدى الطفل

في العالم، والتي سنحاول أن نعرف من خلال إعادة النظر في دراستها كيف يمكن من خلالها الاستفادة من إشباع حاجات الأطفال للعب، وللمساعدة أيضًا على إكسابه عددًا من المعلومات والمعارف الضرورية والجديدة.

في ألعاب الأطفال الشعبية نجد نوعًا من اللعب الجماعي الذي يساعد على جمع الأطفال معًا، وإشباع حاجتهم للعب وتلقينهم عددًا من المعلومات؛ من هذه الألعاب اخترنا لعبتي:

1- طار الحمام حط الحمام.
2- سوسو في الميَّة.

وهذه الألعاب تعتمد على وجود قائد يفضّل هنا أن تكون الأم، أو المدرسة، حتى تستطيع أن توجه اللعبة نحو الهدف الذي نسعى لتحقيقه.



اللعب مع الحاسوب يسهم في تنمية قدرات الطفل العقلية (جانب من الصالة المجهزة للأطفال في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)

طار الحَمَام حطّ الحَمَام

ويشارك في اللعب مجموعة من الأطفال الذين يجلسون في دائرة، بينما يقف القائد (المدرسة أو الأم) في المنتصف، يطلب القائد من كل طفل أن يختار اسم طائر ويعلنه للجميع، ويساعدهم القائد في اختيار الأسماء، وتبدأ اللعبة بأن يضع الأطفال أيديهم أمامهم ويقول القائد:

حَلَّقتُ أنا والعصفورة (مثلاً)

فيرفع الطفل الذي اختار اسم العصفورة يده مع القائد

ثم يقول القائد مثلاً: نزلت لوحدي.

وينزل القائد يده والمفروض هنا أن تبقى يد الطفل مرفوعة.



اللعب الجماعي يجعل الطفل إنسانًا اجتماعيًا محبيًا

وهكذا يكرر القائد الأوامر باختيار واحد أو أكثر من الطيور، ويخرج الطفل الذي يخطئ في تنفيذ الأمر حتى يبقى الأفضل. وهذه اللعبة تساعد الأطفال على تنمية قوة الملاحظة والتركيز كما تساعدهم أيضًا على تعرف بعض أسماء الطيور.

وهنا يمكن الاستفادة منها في تعليم الأطفال أسماء الأشياء الأخرى كالفواكه والخضروات، أو أسماء البلدان وغيرها، كما يمكن أن تزود كل اسم ببعض المعلومات التي تناقشها مع الأطفال.

وكما يلاحظ أيضًا أن مثل هذه الألعاب الجماعية تساعد الأطفال الخجولين على إزالة خجلهم من خلال المشاركة الجماعية، أما أصحاب الميول القيادية، أو العنيفة فيمكن امتصاص طاقتهم الزائدة في القيام بدور القائد، فهذا يشبع حاجتهم إلى القيادة.

سوسو في الميَّة

وهي لعبة جماعية أخرى تقوم على الحركة والغناء، فيدور الأطفال في دائرة يمسك بعضهم بأيدي بعض ويغنون:

سوسو في المية
سوسو في البحر
سوسو صاد عصفوره
من وسط العصافير

ثم يقفون ويغنون:

دخَّل إيدك جوه

ينفذ الأطفال ويدخلون أيديهم داخل الدائرة

طلّع إيدك بره

فينفذ الأطفال ويخرجون أيديهم خارج الدائرة.

هز فيها شويه

ينفذ الأطفال ويهزون أيديهم

نط ثلاث نطات

يقفز الأطفال في أماكنهم ثلاث مرات.

ويكرر الأطفال باستخدام باقي أعضاء الجسم، الرجل اليمنى، اليسرى، البطن، الرأس.

ومن يخطئ في اللعبة يخرج من الدائرة

وهذه اللعبة، كما هو واضح، تعتمد على تعليم الأطفال الاتجاهات (الداخل والخارج)، وأيضًا أجزاء الجسم وإمكاناتها الحركية، كما تساعد على التنمية العضلية (الفيزيقية) لهذه الأعضاء.

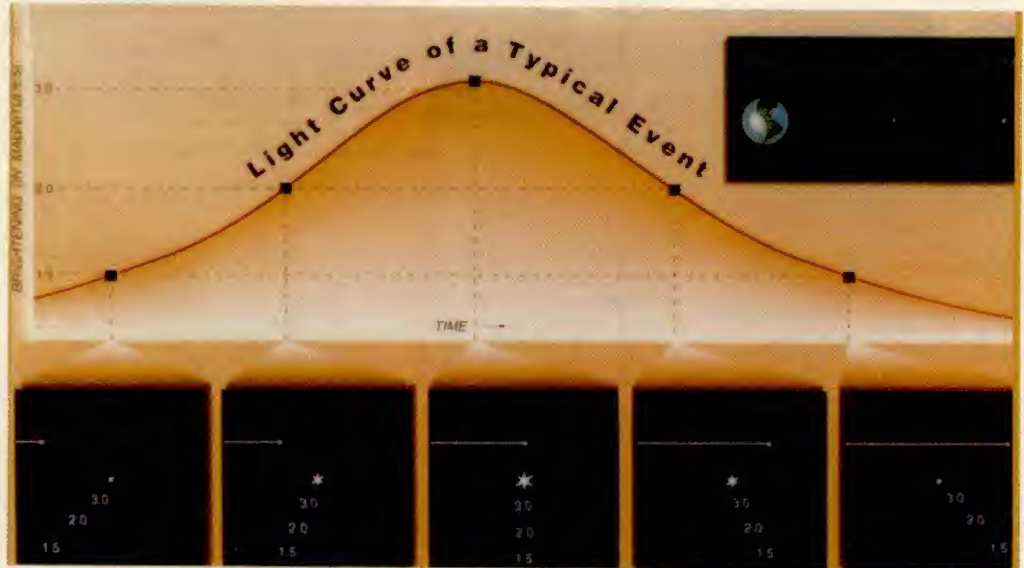
كما يمكن الاستفادة منها في تعليم الأطفال الاتجاهات الرأسية (فوق، أسفل، الوسط) وجميعها قدرات تساعد الأطفال على معرفة المكان وحدوده.

هذا نموذج للَّعب، ذلك اللعب الذي هو ظاهرة طبيعية؛ إن دلت، فإنها تدل على سلامة الطفل صحيًا، وعقليًا، وبدنيًا، واجتماعيًا.

فلماذا لا نترك أولادنا يلعبون لنساعدهم على أن يكونوا أكثر إبداعًا وعبقرية؟!

المادة غير المرئية داخ

د. حسن بن محمد باصرة



منحنى تمثيلي يبيّن التغير المتوقع الذي يحدث لإضاءة نجم ناء بسبب تأثير التعدس التجاذبي الناشئ بسبب جسم غير مرئي، ويصل أقصى حد للزيادة عندما يكون النجم النائي والجسم غير المرئي والأرض على استقامة واحدة تمامًا في أثناء الحركة النسبية للأجرام الثلاثة .(Sky and Telescope 1994, January)

يبدو أنه كلما تطورت العلوم في شتى المجالات ظهرت أسئلة محيرة تظل مدة من الزمن من دون إجابة. ففي مجال العلوم الفلكية ظل سؤال نيوتن قرابة قرنين من الزمان؛ فقد كان تساؤله: هل يمكن للكتل ذات الجاذبية الضخمة أن تؤثر في مسار الضوء الذي يمر بالقرب منها؟ أما التساؤل الآخر فقد أثاره العالم الفلكي السويسري زويكي الذي توصل بالحسابات في ثلاثينيات هذا القرن إلى أن هنالك مادة غير مرئية موجودة في الكون، وكانت هذه الخلاصة مستنتجة من دراسات مستفيضة لدوران بعض المجرات حول نفسها بسرعة كبيرة جدًا، والتي من المفروض أن تتسبب في تناثر أجزائها بدل من أن تبقى متماسكة، وخاصة تلك المجرات اللولبية ذات الأذرع.

ومن هنا استوحى زويكي فكرة وجود مادة غير مرئية ذات كثافات عالية وكتلتها أضعاف كتل المرئية، وتكون منتشرة بين أرجاء المجرة مسببة الانسجام الذي نراه بين السرعات الكبيرة واحتفاظ المجرات بأشكالها. وهكذا انبثق التساؤل عن مادة الكون غير المرئية: هل هي موجودة فعلاً؟

بعد ظهور النظرية النسبية العامة أُثبت رياضيًا أن المجرات البعيدة التي لا تُرى وذات الجاذبية الضخمة تؤثر في مسار الضوء القادم من أي جرم يقع خلفها، إضافة إلى ذلك تتسبب في تكرار صورته، وتدعى هذه الظاهرة بالتعدس التجاذبي (أي تكسر الأشعة مثل مايحدث تحت تأثير العدسات) وهو ما تم رصده حديثًا، وهو من أهم الموضوعات الفلكية التي تهم المختصين هذه الأيام. هكذا أوضحت النسبية الصورة بالنسبة للأسئلة السابقة.

ولم يقف شغف العلماء عند هذا الحد، فقد اقترح الفلكي البولندي بازينيسكي أنه إذا كان بإمكان المجرات البعيدة أن تقوم بتأثير التعدس التجاذبي، فلا بد للأجزاء الصغيرة المماثلة لها أن تعمل التأثير نفسه لكن بقدر أقل، وأُطلق على هذه الظاهرة هنا

...ل مجرّتنا

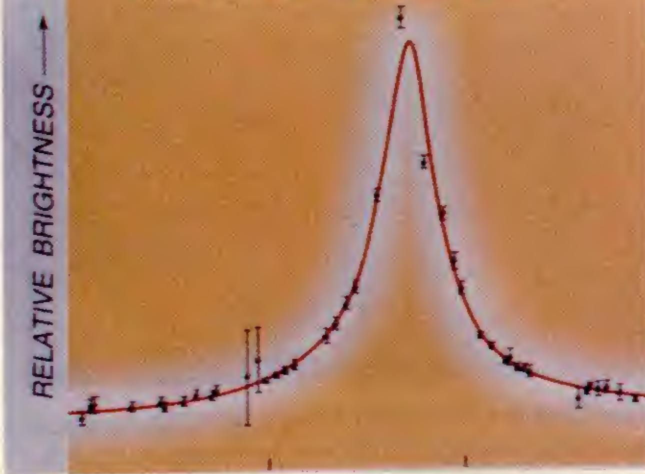
التعدس التجاذبي المصغر Mi-crolense، وذلك للبحث عن المادة غير المرئية ضمن مجرتنا (مجرة درب التبانة). وبما أن هذه الكتل غير المرئية قد تقع في أثناء حركتها على خط مستقيم تمامًا مع أحد النجوم النائية التي على أطراف مجرتنا، فإنها ـ من ثم ـ تعمل على حدوث تعدس تجاذبي يجعلنا نرى صورتين لذلك النجم الذي تمر أمامه، وبما أن الصورتين لن تنفصلا عن بعضهما فإن النتيجة تكون عبارة عن زيادة في لمعان ذلك النجم النائي. وسيكون الأمر في غاية الأهمية لو أن أحد النجوم المعروفة حصل له تأثير تعدسي مما سيساعد على معرفة كتلة المادة غير المرئية. ومن ثم فإن تأثير التعدس التجاذبي المصغر في النجوم سيستخدم كطريقة جديدة للبحث عن الكتل ذات الكثافة العالية غير المرئية التي كتلتها مابين 10^{-3}، 10^{-1} من كتلة الشمس.

هكذا يُعدّ بازينيسكي من أوائل الذين اقترحوا استخدام تأثير التعدس التجاذبي المصغر للكشف عن المادة غير المرئية في مجرتنا. لقد كانت فكرته أن يُرْصَدَ عدد هائل من النجوم في المستوى المجري ومحاولة مراقبة تغير شدة لمعان بعضها في أثناء عبور الأجرام غير المرئية أمامها تحت تأثير التعدس التجاذبي. ويعتمد التغير في إضاءة النجم على الحركة النسبية للجرمين إذ قد تزيد الإضاءة بنسبة 34٪. أما التغير الزمني فهو يعتمد على كتلة الجرم غير المرئي والوضع الهندسي لهما والسرعات والمسافات، إذ ربما تستمر فترة التغير من ساعات إلى سنوات.

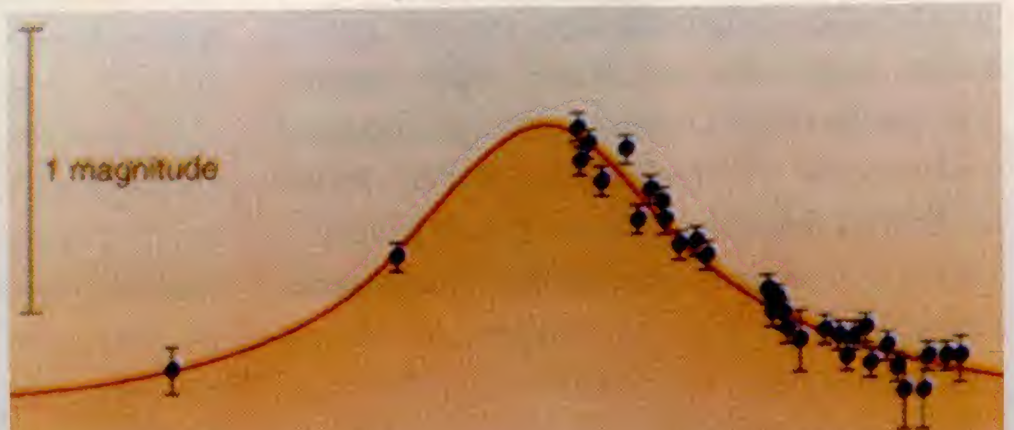
وما يزال أمر التغير في اللمعان في غاية الصعوبة؛ لأن هنالك أنواعًا مختلفة من النجوم يحدث لها تغير دوري في اللمعان، منها النجوم المزدوجة والنجوم المتغيرة، ولكي يتميز التغير الذي يحدث عن تأثير التعدس يلزم أن يحقق الشروط الثلاثة التالية:

1ـ التغير في الإضاءة يحدث مرة واحدة فقط ولا يتكرر.

2ـ يكون المنحنى الضوئي



منحنى يبيّن التغيّر الذي حدث لإضاءة أحد نجوم سحابة ماجلان الكبرى تم رصده بوساطة فريق المشروع MACHO، حيث استمر التغيّر قرابة ثلاثين يومًا (Sky and Telescope 1993, December).



منحنى يبيّن التغير الذي حدث في إضاءة النجم BW71، كما تم رصده بوساطة فريق المشروع OGLE حيث استمر التغيّر ثلاثة أشهر (Sky and Telescope 1994, January).

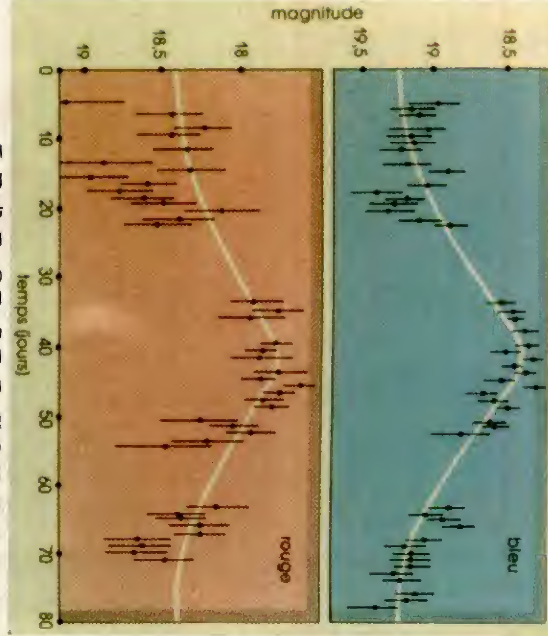
متماثلاً حول أقصى زيادة.

3- لا يعتمد التغير في الإضاءة على الطول الموجي (المنطقة الطيفية التي تتم فيها الأرصاد). ولقد قامت ثلاث فرق بحثية بدراسة ظاهرة التعدس التجاذبي المصغر للتأكد من وجود المادة غير المرئية في مجرتنا، وهي:

1- فريق من جامعة كاليفورنيا وأستراليا. بدأ مشروع الأرصاد عام 1992م مستخدمًا أحدث الكاميرات التي تدعى كاميرات CCD مثبتة على منظار قطره 1.3 متر. وأُطلق على هذا المشروع اسم MACHO وظهرت أولى نتائجه في سبتمبر 1993م؛ إذ حدث تغير لإضاءة أحد نجوم سحابة ماجلان الكبرى.

2- فريق من الفلكيين والفيزيائيين الفرنسيين. بدأ مشروعه عام 1990م مستخدمًا الطريقة الفوتوغرافية العادية بالإضافة إلى كاميرات CCD المثبتة على منظار في شيلي. أُطلق على هذا المشروع اسم EROS، وكانت أولى نتائجه في سنة 1993م أيضًا؛ إذ رُصدت حالتان لهذه الظاهرة.

3- فريق مشترك بين جامعة وارسو وجامعة برينيستون ومعهد كارنيجي. بدأ عمله عام 1992م مستخدمًا كاميرات CCD على منظار قطره 1.0متر في شيلي. وأُطلق على هذا المشروع اسم OGLE. وفي سنة 1993م كان أول اكتشاف لما يُعتقد أنه ظاهرة التعدس التجاذبي المصغر ضمن أرصاد OGLE ورمز النجم الذي حدثت له هذه الظاهرة هو BW71. وإذا تم التأكد من أن التغير ناتج فعلاً عن تأثير ظاهرة التعدس التجاذبي المصغر؛ فإن كتلة المادة غير المرئية التي سببت هذا التغير تقدر بنحو ثلث كتلة الشمس؛ أي إن الجرم غير المرئي يُعدّ من تصنيف النجوم الأقزام البنيّة.



التغيّر الضوئي لنجم وقع تحت تأثير التجاذب التعدسي كما رصده فريق المشروع EROS، والشكل يوضح اعتماد التغيّر على المناطق الطيفية، إذ يلاحظ أن المنحنيين متماثلان لكل من المنطقتين الطيفيتين الحمراء والزرقاء (LA-RECHERCHE 261, 1994).


إحدى المجرات اللولبية التي تدور بسرعات هائلة حول محورها

ومايزال هذا غيض من فيض لما يمكن أن تعطيه لنا التقانة، كما يتضح لنا أنه كلما ازدادت البشرية تعمقًا في علوم المعرفة اتضحت ضآلة ما توصل إليه العلم مصداقًا لقول المولى عز وجل: *وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا*. **الإسراء**: 85. وقوله جل شأنه: *سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق*. **فصلت**: 53.

المراجع:

A. Udalski et al. ACTA 43, 1993, 289-294.
Paczynski, B. Ap. J. 1986, 304, 1.
Paczynski, B. Ap. J. 1991, 371, L63.
M. Mateo: Sky & Telescope January 1994, 20-24
NEWSWIRE Sky & Telesope. December 1993.
J. F. Beaulieu et al. LA-RECHERCHE 261, 1994, 86-88.

أورشليم اليهود؟! في علم الغيب



د. حسن ظاظا

يسأل أي باحث في تاريخ المدينتين المقدستين في فلسطين (حبرون) الخليل، و(أورشليم) القدس: لماذا كُتب عليهما النزاع والصراع والقتال منذ القدم إلى يومنا هذا، وكأنها سخرية من التاريخ؟ إذ إن (حبرون) تعني في الكنعانية والفلسطينية القديمة «الوئام» أو «الوفاق»، كما أن (أورشليم) كانت تعني «مدينة السلامة» أو «مدينة السلام». ثم جاء داود - عليه السلام - فأقام يحكم «بني إسرائيل» في حبرون، ويهاجم منها قبيلة «يبوس» الفلسطينية في أورشليم، فشرّدهم واستولى على أرضهم، واتخذ من أورشليم عاصمة جديدة له، ومقامًا لأسرته من بعده. ولم يشيد فيها معبدًا مركزيًا، بل أقام على أحد مرتفعاتها مذبحًا يؤدي فيه هو وأتباعه الصلوات ويقدم عليه القرابين والأضحيات لله تعالى، ثم فكر في تشييد معبد مركزي مثل أية عاصمة في العالم القديم. ويقول تاريخه المقدّس الوارد في كتاب اليهود إن ذلك لم يكن بأمر سماويّ من الله، بل مجرد فكرة عنّت له، وشجعه عليها (نبي) معاصر له اسمه ناتان. أما الربّ فلم يكن راضيا كل الرضا عن فكرة بناء الهيكل. والقصة في «العهد القديم» طريفة وصريحة، إذ تقول: ولما سكن الملك في بيته، وأراحه الرب من جميع الجهات من كل أعدائه، قال الملك لناتان النبيّ: انظر! إنني أسكن في بيت من خشب الأرز على حين أن تابوت الربّ (صندوق التوراة) موجود داخل الشقق! فقال ناتان للملك: اذهب فنفذ ما في فكرك! لأن الرب معك. وفي تلك الليلة كان كلام الربّ إلى ناتان قائلاً: اذهبْ وقل لعبدي داود، هكذا قال الربّ! أأنت تبني لي بيتًا لسُكناي؟ فإنني لم أسكن في بيت منذ يوم سيّرتُ بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم! بل كنتُ أسير بخيمة أو بمسكن. وعلى طول سيري مع جميع بني إسرائيل ما تكلمتُ بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي إسرائيل قائلاً، لماذا لم تبنوا لي بيتًا من الأرز؟ والآن، هكذا تقول لعبدي داود، هكذا قال رب الجنود، إنني أخذتك من الحظيرة، من وراء الغنم، لتكون رئيسًا على شعبي إسرائيل، وكنت معك حيثما توجهت، وأفنيت جميع أعدائك من وجهك، وجعلتُ لك اسمًا عظيمًا، كاسم العظماء الذين في الأرض وعلّيت مكانًا لشعبي إسرائيل، وغرسته فسكن في مكانه، فلا ينزعج بعد، ولا يعود أهل المعصية لإذلاله، كما كان أولاً، وعندما أقمتُ فيه قضاةً على شعبي إسرائيل، ثم أرحتك من جميع أعدائك فإن الرب يخبرك بأنه سيقيم لك أسرة، متى كملتْ أيامك، ورقدت مع آبائك، فأقيم بعدك نسْلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته، فهو يبني لاسمي بيتًا، وأنا أثبت كرسي مملكته.. إلى الأبد!! أنا أكون له أبًا، وهو يكون لي ابنًا، إن انحرف أدبته بعصا الناس، وبضربات بني آدم، لكن رحمتي لا تُنزع عنه، كما نزعتها عن شاؤول الذي أزحته عن وجهك. ويأمن بيتك ومملكتك من بعدك إلى الأبد! وعرشك يكون راسخًا إلى الأبد!! فحسب جميع هذا الكلام، وحسَب كل هذه الرؤيا كلّم ناتان داود. (العهد القديم - أسفار الأنبياء - سفر صمويل الثاني - الفصل السابع من رقم 1 إلى17). ودعا سليمانَ - ابنه -، وأوصاه أن يبني بيتا للرب إله إسرائيل. وقال داود لسليمان: يا بُنيّ! قد كان في فكري أن أبني بيتًا لاسم الربّ إلهي. فكان إليّ كلام الرب قائلاً: قد سفكتَ دمًا كثيرًا، وعملت حروبًا عظيمة، فلا تَبْن بيتًا لاسمي، لأنك سفكت دماء كثيرة أمامي على وجه الأرض (سفر أخبار الأيام الأول - الفصل 22- رقم 6 - 8) وفي بقية الفصل معلومات أخرى مفيدة.

القدس مسرح للصراع منذ قديم الزمان!

وهكذا يتضح لنا أن الهيكل في أورشليم (القدس) لم يقم بأمر الله، وأن داود عندما فكر في بنائه كره - سبحانه - أن يتم ذلك بأمر ملك «سفكت يده دماءً كثيرة» فأجّل ذلك إلى ما بعد موته وجلوس ابنه المسالم، المتمسك بالسلام، المنذور لهذا السلام، حتى باسمه «سليمان». ويبدو أن «أورشليم» مدينة السلام كانت منذورة، عكس ذلك، للحرب. احتلها فراعنة مصر، وحارب في طرقاتها الأشوريون، والبابليون الكلدان، والفُرس، واليونان بقيادة الإسكندر الأكبر، ثم خلفاؤه السلوقيون الحاكمون في سورية الذين دمّروها، ثم نازعوا عليها خلفاء الإسكندر في مصر (البطالسة)، ثم الإمبراطورية الرومانية التي محت القدس من على وجه الأرض، وكادت تبيد اليهود في العالم أيضا، ثم إمبراطورية الروم النصرانية في القسطنطينية، ثم فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، وكان كل سكانها تقريبا من سلالات عربية من قبائل «تغلب» في سورية، أو من قبائل

حرب وطيّئ وقيس واليمن منذ أقدم العصور. وفي عهد الدولة الأموية تم بناء قبة الصخرة المشرّفة أمام مسجد القدس الجامع - مسجد عمر -، ثم تحركت أوروبا النصرانية تحارب فيها الإسلام، وتحتلها مع كل فلسطين وأجزاء شاسعة من سورية والأردن ومصر، إلى أن حسم الصراع صلاح الدين الأيوبي، فوضع حدًا للصراع الدامي الذي اشتعل حول مدينة السلام (القدس) طوال قرنين من الزمان. ولعل من المفيد أن نشير إلى أن وصف الغزاة النصرانيين لأنفسهم باسم «الصليبيين» كان لمجرد الدعاية، وتسويغ حروب أوربية استعمارية لاحتلال الشرق كله، وكان المؤرخون والسياسيون المسلمون يصرون على تسمية أولئك الأعداء باسم (الإفرنج) فقط دون نسبتهم إلى الصليب؛ لأنها في أعين علماء المسلمين الفاحصة لم تكن إلا تعمية سياسية على حرب لم تكن في سبيل المسيح - عليه السلام -. وربما لاحظ قرائي لهذه المقالات حرصي على تسمية اليهود المحتلين لفلسطين الآن باسم (الصهيونية) لأن يهوديتهم لا تمتّ بصلة إلى أسلافهم من أهل الكتاب، إن كانوا حقا أسلافهم، فهذا التنظيم الصهيوني خلاصة رواسب الاضطهاد الديني والعنصري الذي عانوه منذ أقدم العصور تحت نير أمم كثيرة ليس منها العرب ولا المسلمون. ومع ذلك بقيت فلسطين - حتى في ظل الإسلام - مسرحًا للحروب وسفك الدماء. كانت دولة المماليك تحارب المغول والتتار بعد أن اكتسحوا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية، ثم احتلها الأتراك العثمانيون في طريقهم إلى مصر لاحتلالها، ثم عادت السياسة الأوربية الاستعمارية في ثوب جديد غير حججها الصليبية القديمة، وكان هذا الثوب الجديد يُسَمّى أحيانًا التمدين والحضارة والتنوير وتلافي التخلف، وأحيانا أخرى تأمين طرق الملاحة والتجارة، أو الرد على بعض الحوادث المؤسفة التي كانوا يفتعلونها للتدخل، أو تلبية لمتطلبات الحرب كما حاربوا الأتراك في فلسطين - بعد أن كانوا قد احتلوا مصر بالجيوش البريطانية -، ولم يكن بمحض المصادفة أن يصدر وعد بلفور إلى الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان في أثناء زحف الجيش البريطاني إلى فلسطين ودخوله القدس عام 1917م.

مكاسب الخوف أسهل من أرباح العمران !

ومنذ ذلك الوقت والصراع الدامي هو القوت اليومي للفلسطيني المسكين واليهودي الأكثر بؤسًا الذي بصقه العالم في وجه الأمة العربية؛ فجاء إلى فلسطين مخدوعًا، ودفع العالم المتحضر للصهيونية مبالغ خيالية حتى تُؤَمِّن نجاح المشروع ببرنامج يفوق الخيال، جعل من هذه الصهيونية المحتلة لفلسطين قوة عسكرية أكبر من حجمها الطبيعي بكثير، وأحالها إلى بؤرة إرهاب، وتعطيل لأي تقدم سياسي أو اقتصادي أو حضاري في المنطقة كلها، والذين يمدونها بالسلاح والعتاد والمال والخبراء والمعلومات الاستراتيجية مجانًا، يربحون من ورائها أرباحًا مضاعفة من بيع الأسلحة لبقية دول المنطقة. فالصهيونية تجني من تجارة الخوف والقلق، كسبًا أسهل وأوفر من مكاسب الأمة العربية من الزراعة والصناعة والتجارة والسياحة والتعدين. وما تزال مشكلات هذه الصهيونية تحتل مكان الصدارة في المناقشات الدولية، والسياسية والحزبية، في قاعات هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وجامعة الدول العربية، والمؤتمر الصهيوني العالمي، ورابطة العالم الإسلامي، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، والجمعيات الدولية لحقوق الإنسان، واتحاد جمعيات (السلام الآن) في قلب إسرائيل، وما لا يكاد يُحصى من التجمعات العالمية المناضلة من أجل إبعاد شبح الحرب عن الجنس البشري. ويطول الحديث جدا عن أسماء القتلى الذين راحوا ضحية عملهم لحلّ مشكلة القدس وفلسطين، ونذكر منهم على سبيل المثال فقط: «الكونت برنادوت» الذي اغتاله متطرفون من الصهيونية عندما كان يشغل منصب الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، لأنه أيَّد اتهام العرب لإسرائيل بالعدوان على فلسطين، ومن ثم على السلام العالمي.

العالم المتحضر جعل من الصهيونية قوةً عسكرية أكبر من حجمها الطبيعي ، وأحالها إلى بؤرة إرهاب وتعطيل لأي تقدم سياسي أو اقتصادي أو حضاري !

ويذكّرني هذا القدر الذي جرى على أورشليم/القدس، بما ورد في «المدراش» - وهو تفسير نصوص التوراة لقدماء أحبار اليهود - إذ قال واحد منهم: إن أورشليم اسم مركب من جزأين في لغة إبراهيم عليه السلام: برأه ومعناه (الخوف) وشلم (السلام)، فهذه المدينة تجمع متناقضين: الخوف والسلام (المدراش الكبير على سفر التكوين - مدْراش ربّا - فقرة7). ويزعم التلموديون أن سَفينة نوح توقفت عن الإبحار في سمت مدينة القدس إجلالاً لها! وزعموا أيضًا أن الصخرة التي تحت القبة الإسلامية هي التي وقفت عندها سفينة نوح. وقال الربّي التلمودي «إليعازار»: إن الصخرة هي أصل خلق الأرض، وجبل صهيون بجوارها هو سرّة العالم، وهو كامل البهاء والجمال (التلمود البابلي - يوما - عيد الغفران - فقرة 54) وحاشية عليها (توسفتا - يوما 4:84).

صخرة القبة ليست هي صخرة الدنيا !

ومن شطحات الصوفية اليهود القدماء أن يعقوب عندما ترك بيت أبيه إسحق متجهًا إلى شمال العراق نام على الصخرة! (الزوهر - أي الاشراق - أكبر كتب التصوف اليهودي وأشهرها). والمعروف أن إبراهيم وإسحق لم يسكنا القدس. وأما يعقوب فقالت التوراة إنه كان يسكن هو وأبوه إسحق بجانب معبدهم في «بيت إيل» من ضواحي نابلس، وأنه لم ينم عند ذهابه، بل عند إيابه من العراق بعد نحو خمسة عشر عامًا تزوج فيها باثنتين، ليا وراحيل ابنتي خاله لابان، وتسرّى بجاريتين من بيت خاله هُما بلهة وزلفة، وأنجب من الجميع أحد عشر ابنا وابنة واحدة اسمها دينا، أما يوسف فقد وُلد في «بيت إيل» لأنه كان آخر مواليد يعقوب. وهناك صخرة أخرى مذكورة في التوراة هي صخرة «جلعاد» في سورية، وكان يعقوب عندما أخذ نساءه وأولاده وثروة صهره وهرب بها نحو فلسطين أدركه صهره وعشيرته عند صخرة جلعاد، وكاد الرجل ومن معه أن يقتلوا يعقوب، ولكنه أقنعهم (دبلوماسيًا) بالأكل والراحة والنوم، فرأى الرجل المسنّ أن شيطانا يجثم على صدره ويهم بخنقه، فقام خائفًا - وقد تكون التخمة بالطعام والخمر هي سبب هذا «الكابوس» - ولكن يعقوب كان قد ألقى في فكره أن هذه قوة خفية جاءته لتحذره من قتل يعقوب! فافترق الجمعان عند هذه الصخرة، وأقسما عندها بألا يمشي أحدهما نحو الآخر، وأن يكون فراقهما أبديا، فَسُميت الصخرة بالكنعانية القديم: جَلْ (صخرة) عاد (الشهادة)؛ لأنها شهدت يمينهما على التباعد كل منها عن الآخر. وليت القضية الفلسطينية اليوم تشهد نهاية سعيدة من هذا النوع.

أما الصخرة التي تحت القبة الإسلامية فإن علماء الآثار - حتى اليهود منهم - لم يستطيعوا أن يثبتوا أنها الصخرة التي خُلقت منها الدنيا، اشتهر من بينهم الألماني «شيك» في النصف الأول من هذا القرن العشرين. يقول معبراً عن هذا الشك: «إن الصخرة (أي الإسلامية) الحالية، تبدو - على أكثر تقدير - كأنها إحدى ركائز مذبح القرابين فقط ، ولم تكن في يوم من الأيام داخلة في الحوزة المقدسة للهيكل». وحتى هذا الافتراض يرفضه الواقع، فالصخرة لا تحمل أية علامة معمارية تنبئ بأنها ركيزة مذبح، لا بأبعادها، ولا بوضعها الطبيعي المائل، ولا بخلوها من أي صقل أو حلية أو كتابة، ثم إن التلمود يقرر نصاً أنها ترتفع عن الأرض المستوية بمقدار ثلاثة أصابع (يوما 85: 3، 4- التوسفتا 6:83، وطقوس يوم الغفران لموسى بن ميمون)، في حين أن الصخرة الإسلامية ترتفع عن مستوى سطح الأرض بأكثر من متر ونصف المتر وتحتها فجوة تدل على أنها بقية مغارة أكلتها عوامل التعرية، وكانت الصخرة مدعمة - عندما عاينتها - بجزء من جزع شجرة حتى لا تنهار. وأما الصخرة التي سمّاها التلموديون (حجر الأساس) فالله أعلم أين هي الآن، بعد تدمير القدس مراراً وتكراراً، بالجهود التي بذلتها الجيوش المختلفة في محو أي أثر لليهود في القدس منذ الغارة الفرعونية عليها - في أثناء حكم سليمان - إلى ما تلا ذلك من خطوب وحروب.

وعندما يقول التلموديون (حجر الأساس)، فإنهم لا يعنون بذلك أساس مدينة القدس وحدها، بل حجر الأساس لخلق الدنيا كلها!! تقول أشهر كتب التصوف عندهم، وأوثقها في نظرهم وهو (زوهر) أي الإشراق أو التجلي: «عندما خلق الله العالم، ألقى حجراً كريماً من عرشه العظيم، في الفضاء المظلم، فغطس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السديم، وهذه البقية الناتئة كنقطة في هذا الفضاء غير النهائي، بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وقامت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر «حجر الأساس» لأن تكوين الأرض كان حوله، في ثلاث درجات: الدرجة الأولى عبارة عن نقطة دائرية حول حجر الأساس، نورانية شفافة. والدرجة الثانية حولها، من مادة أقل شفافية، ولكنها أرق من الأولى، والثالثة: أرض معتمة يطوقها ماء المحيط الذي يستدير حول العالم. وهذه الدرجات الثلاث تمثل الهيكل الذي في أورشليم. فالنقطة النورانية هي العظمى، وهي الهيكل وأورشليم! والثانية، الأقل نورانية هي الأرض المقدسة (فلسطين)، والثالثة، المعتمة هي بقية الأرض حيث تسكن الأمم الأخرى (الجوييم)، أما المحيط الدائر بالكل فهو مملكة الجنّ التي تحيط بالعالم. ولم ترَ الدنيا شيئاً أجمل من تابوت العهد (أي صندوق التوراة)، وعندما أُدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بمقطع من مزامير داود: هذا مستقرّي إلى الأبد، وهنا سوف أقيم! وكان صوت الروح القدس يردد على مسامع إسرائيل هذه الكلمات!» (المزامير 132: 14).

يزعمون أن الرب لا يتخلى عنهم!

وعلى الرغم مما ساد أورشليم، والهيكل من حروب وانقلابات ودمار، وعلى الرغم من ضياع (تابوت العهد) من مكانه، وإحلال غيره مكانه مع تحريف الرواة بالإضافة والحذف والتغيير والتشويه،

> **حرص شيوخ التلمود على إبقاء نيران الحقد مشتعلة في قلوب اليهود على كل أمم الأرض، وافتن التلمود في ترسيخ الهزائم والمحن التي لحقت بأورشليم**

وعلى الرغم مما تعرضت له أورشليم من الفساد والشرك والفسوق والفجور فإنها بقيت في خيال أولئك الدراويش مثالية لا نظير لها إلا في صورتها المحفوظة عند الربّ، في السماء! وللتدليل على ذلك أكتفي بشهادة واحد من أنبيائهم عاصر أورشليم وترك له سفراً من أسفار الكتاب الذي يؤمنون به، يقول نبيهم «عاموس»: هكذا يقول الربّ، من أجل خطايا، يهوذا - الثلاثة والأربعة - لا أرجع عنهم، لأنهم رفضوا ناموس الله، ولم يراعوا فرائضه، وأضلتهم أباطيلهم التي اتبعها أسلافهم، فسأرسل ناراً على يهوذا تأكل قصور أورشليم. هكذا قال الرب، من أجل خطايا إسرائيل - الثلاثة والأربعة - لا أرجع عنهم، لأنهم باعوا الصالح بالفضة والمسكين لقاء نعلين! الذين يلقون تراب الأرض على رؤوس البائسين، ويسدّون السبيل على المساكين، الذين يذهب الرجل منهم وأبوه إلى غانية واحدة، حتى دنسوا اسم قدسي، ثم يضطجعون على ثياب مرهونة، بجانب كل مذبح مقدس، ويشربون خمر الميسر في بيوت عباداتهم! (عاموس 2: 4 - 8). ومن مثل تلك الخطايا - وأشنع منها بكثير - يتكرر ذكره مئات المرات في كتابهم، وعلى ألسنة أنبيائهم وحكمائهم.

وأورشليم تبقى مع ذلك مثل (مسمار جحا) لا يسكنها يهودي طائعاً مختاراً، بل مضطراً تحت ضغط الفاقة والبطالة والعنصرية القومية والدينية المعادية لليهود، وقليل من جاؤوا متأثرين بما يقرؤونه عن قرب ظهور المسيح المنتظر المخلص لليهود.. في فلسطين، أو بالوعود المعسولة التي يعدهم بها سماسرة الصهيونية ودعاتها.

وكانت لكل جيل من اليهود صهيونية بمستواه ومقاييسه، منذ تدمير الهيكل الأول وأورشليم في القرن الخامس قبل الميلاد. وفي عصور الهوس التلمودي برزت فكرة أورشليم العروس، البتول، الطاهرة، السماوية، الأبدية، تعويضا عن أول عاصمة لُملك يهودي في قديم الزمان، آل إلى زوال. تخيلوها كانت حجراً كريماً في عرش الله، هبطت على الأرض، ثم عادت إلى السماء بعد ذلك.

قالوا: إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا!

وانزلقت في العهد القديم أوصاف لأورشليم الفلسطينية بكامل بهائها وروائها في نص من مزامير داود يقول: «فرحت بالقائلين لي: سنذهب إلى بيت الربّ. تقف بأبوابك أرجلنا ياأورشليم! أورشليم كمدينة متكاملة كلها، هي مبنية، حيث صعدت الأسباط، أسباط الربّ شهادة لإسرائيل، ليحمدوا الرب. إذ هناك وضعت الكراسي للحُكم؛ كراسي بيت داود، سلوا أورشليم عن سلامتها. ليستَرِحْ مُحبّوك. ليكن سلامٌ في أبراجك، وراحة في قصورك.. الخ» (المزامير 122: 1- 7). وهذا النص منسوب بالاسم إلى داود، والكتاب نفسه يخبرنا أن أورشليم لم تكن قد بُنيت بعد، لا هي ولا «بيت الرب» فكل هذا بدأ بناء وأتمه سليمان، بعد أن مات داود والتحق بآبائه! وكاتب اليهود لم يدر بقول حكماء العرب «إذا كنت كذوبًا، فكن ذكوراً». وهذه القطعة كانت أنشودة يترنم بها الحجاج وهم يرتقون سلالم الهيكل فوق الجبل، وهم متعبون من الرحلة، والسلالم المريحة المؤدية

إلى أبواب منطقة الهيكل لم يتم إعدادها، هي والهيكل إلا بعد سنين من حكم سليمان بعد وفاة داود، وبيّن كاتب النص ومن معه من الشيوخ والحفاظ والرواة ذلك عندما وضعوا لها عنوانا هو - حرفيًا - ترنيمة المصاعد. وترانيم الحجاج هذه تكثر في سفر مزامير داود، وأغلبها ليس له، ولا من الوحي الذي أنزل عليه، وقد يصادف أن تكون فيها له كلمات هنا وهناك، في التقوى ومكارم الأخلاق واحترام الدين، أما التغني بسلام الهيكل قبل بنائه فالله أعلم بالحقيقة.

وواضح من وصف العظمة في البناء والفخامة في التخطيط، والشموخ في الأركان، والترف في الزخرفة، أنها أضخم من أن تكون في معبد مستطيل طوله ثلاثون مترًا فقط، وعرضه عشرة أمتار حسب ما جاء - رسميا - عن سليمان - عليه السلام - في سفر الملوك، وسفر أخبار الأيام، في سيرة سليمان. لكن رواة الأخبار الذين غصّ بهم التلمود بعد تدمير أورشليم الأول على يد بختنصر الكلداني الزاحف من بابل أكثروا وجاوزوا الخيال في تخيل ما حدث، واستعانوا في أدبهم بالأسلوب الرمزي لمزيد من التأثير.

قال الراوي (التلمود البابلي - قسم أحكام الطلاق): إنه كانت في أورشليم فتاة بارعة الجمال اسمها «صافنة» لكثرة ما كانت العيون «تصفن» أي تدهش من جمالها، وكان أبوها أحد كبار الكهنة في هيكل سليمان، ومن القلة المأذون لها بالدخول إلى تابوت العهد في أقدس مكان في الهيكل، وهو «قدس الأقداس». فرآها يهودي ثري، وخطفها، وزنى بها اغتصابًا، ثم خاف من القصاص، فألبسها سبعة من أفخر الثياب، بعضها فوق بعض، وغطى وجهها ببراقع وأقنعة، ثم ذهب يبيعها في سوق الجواري! وأورشليم يحاصرها جيش بختنصر. فجاء أحد أجلاف اليهود يريد أن يشتري جارية، وأصرّ على تجريد «صافنة» من جميع ثيابها، ولما نزع براقعها، وأحس بروعة جمالها، سقط على الأرض قائلاً: ياإله العالمين! حتى إذا كنت أردت ألاّ تعفو عنا، فلم لم تعف عن هذا الجمال الذي خلقته؟ ثم يقول هذا الراوية جملاً من كلام نبيهم إرميا المنصوص عليه في العهد القديم، زاعما أنه كان في وصف هذا الموقف: يا بنت شعبي! البسي الحداد، وتمرّغي في الرماد والتزمي بكاء الثكلى على وحيدها! أقيمي لنفسك مناحة الآن، لأن المدمر سيهاجمنا بغتة (إرميا 6:26).

قلوب تأكلها نيران الحقد!

مهما حاولنا أن نقدم أمثلة مما ابتدعه التلمود في ترسيخ الهزائم والخراب والمحن التي رأتها أورشليم فلن نأتي إلا بصور شاحبة من ذلك؛ لشدة حرص شيوخ التلمود على إبقاء نيران الحقد في قلوب اليهود على كل أمم الأرض. قال الراوي، في العصر اليوناني في فلسطين، قبل استيلاء الرومان عليها، كانت أورشليم محاصرة من جديد بجيش ملك سورية - من دولة السلوقيين خلفاء الاسكندر - وكان وقتئذ أنطيوخوس إبيفانس الرابع. وطال الحصار على أورشليم. وكانوا يشترون الرأس من الغنم بدينار ذهبي كامل، وكان عليهم - حتى إذا كفّوا هم عن أكل اللحم - أن يشتروا رأسا من الغنم بالأمر الكهنوتي قربانًا يوميًا للهيكل. وكانت هذه الذبائح تُهرّب إليهم مذبوحة من وراء سور المدينة، وذات يوم: وضع لهم مهرّب الذبائح بدل الخروف خنزيرًا! - وهو عندهم محرّم جداً ونجس كما هو في الإسلام -

رواة الأخبار الذين غص بهم التلمود، بعد تدمير أورشليم على يد بختنصر، جاوزوا الخيال وأسرفوا في رواياتهم عن أورشليم

ولكن عندما مسّ الخنزير السور ارتجت الأرض بزلزال عنيف عمّ كل فلسطين إلى بُعد أربعمئة ميل! (التلمود البابلي - قسم المرأة البغي). ويختم التلمود القصة بقوله: ومن هنا قال الحكماء عندهم: ملعون من يربي الخنازير، ومن يعلّم الأولاد اللغة اليونانية! التلمود (سُوتا - أي أحكام البغي). والتلمود ثوب فضفاض، وأذكر أن دراستي الأولى في اللغة اليونانية بدأت في قسم الدراسات العليا للفكر اليهودي في الجامعة العبرية (الصهيونية) في مدينة... القدس!!

العالم الآخر في تلمودهم: خيال في خيال!

وإذا كانت توراة اليهود التي بين أيديهم الآن لا تذكر كلمة واحدة عن البعث والنشور والقيامة وحساب الآخرة بما فيه من ثواب وعقاب، فإن رواة التلمود - بعد موسى بما يناهز الألفين من السنين - قد تلافوا - بطريقتهم - هذا النقص، وأكثروا جدا من ذكر العالم الآخر، وتوسعوا في تفاصيل مذهلة حول هذا الموضوع. جاء في الباب الأخير من التلمود البابلي حديث عن التنين. وسأل تلميذ منهم شيخه: والتنين أهو ذكر أم أنثى! فأجاب الشيخ: فيه ذكر وأنثى مثل كل الدواب. لكن الباري تقدّس اسمه خشي من تكاثر التنين، لأنه ضخم جدا، يطوّق الأرض بجسمه، فأمات الأنثى وحفظها في الملح في قاع المحيط، وخصى الذكر فهو باق في الأرض إلى نهايتها. وفي العالم الآخر يُذبح التنين، ويصنع الله من جلده خيامًا للصالحين، ومن حراشيف رأسه قلائد لأعناقهم لهم ولبناتهم، وإذا كانوا أقل عند الله درجة أعطاهم تميمة من حراشيفه فقط، وما بقي من جلد هذا التنين يصير ستورًا لأبواب أورشليم السماوية في الجنة، تتألق فتضيء الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وفي ضوئها تسير الأمم والملوك! وسأل أحد المريدين الشيخ الذي يقص هذا: ولحم التنين؟ فأجاب: يؤكل في جنات عدن! يأكله هناك المرضي عنهم من بني إسرائيل! قال الربي التلمودي «يُوحنّان» لأن أورشليم الآخرة ستكون مختلفة تمامًا عن أورشليم الدنيا، ففي الآخرة لا تكون هناك إلا ثلاثة أسماء مقدسة: الله تبارك اسمه، والمسيح المخلص المنتظر، وأورشليم! ومن حولهم الصديقون وأهل الرضوان، وسيكون طول أورشليم ثلاثة فراسخ (الفرسخ ستة أميال تقريبا) وارتفاع أبراجها مثل طولها. وعن الربي إليعازر أن أنقاض أورشليم الدنيا وبقايا جبل صهيون ستدخل في أورشليم الآخرة وسوف تكون مقدسة» كما قال (النبي إشعيا 3:4).

والتلمود هنا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. فالنص الكامل في هذه الفقرة هو: «في ذلك اليوم يكون غُصن الربّ بهاءً ومجدًا، وثمر الأرض عزًا وزينة، للناجين من إسرائيل، ويكون من تبقى في صهيون، ومن يمكث في أورشليم قدّيسًا، هكذا يسمى كل من كُتبت له الحياة في أورشليم، إذا غسل الله قذارة بنات صهيون ونقّى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء، وبروح الإحراق. يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهارًا، ودخانًا ولمعان نار ذات لهب ليلا، إذ يكون على كل مجد سترًا، فيكون مظلة فَيْءٍ نهارًا من الحر، وملجأ ووِقاءً من السيل ومن المطر» (إشعيا فصل 5).

وقد عاصر النبي إشعيا انهيار مملكة إسرائيل الشمالية على يد الإمبراطور الأشوري، وتهديده

لدولة يهوذا الجنوبية، ومطامع الكلدانيين فيها، إلى أن دمرها بختنصر هي أيضًا. فهو محلل سياسي دقيق، وكلامه الذي فُسر على أنه في آخر الزمان، إنما كان وعظًا بالعودة إلى الله، وإلى الاستقامة، حتى تتجدد آمال هذه الأمة المتورطة في فسادها، فتنجو منها بقية تصلح ما أفسد أولهم، ولكن هذه الآمال في عودة إلى (المجد) في أيام داود وسليمان كانت سرابا. مع أن كثيراً من هؤلاء الناس قد فُتنوا ببلاغة النبي إشعيا، فنسجوا على منواله، حتى أصبح أسلوبه نوعًا أدبيا، ونموذجًا لغيره، وأضيف هذا إلى كتابه، حتى وجدنا المدققين في تاريخ التوراة وجمعها - من اليهود والنصارى - يقسمون تراثه إلى إشعيا (1) - إشعيا 2 - 3... إلخ.

الدجالون والمنجمون يتلمسون النبوءات عن المستقبل

ولتأكيده في تفاؤله أن المصلح الحقيقي لعقيدة بني إسرائيل وشريعتهم آت في المستقبل لا محالة، وجد الحواريون أن المسيح المخلص الذي بشر به إشعيا هو سيدنا عيسى المسيح بن مريم عليه السلام، فتعلقوا بأقواله ووجدوا فيها ضالتهم المنشودة، وتأثروا كثيرا بالإسرائيليات التي نبعت من رواة اليهود، وفُتنوا بفكرة أورشليم السماء، عاصمة الفائزين برضوان الله تعالى، كما كانت أورشليم - قبل تدميرها - عاصمة لقوم ينسبون تراثهم إلى إبراهيم وموسى، مع أن القديس بولس الذي كان يهوديًا متطرفًا، شهد محاكمة المسيح وصعوده إلى السماء وكان في زمرة المطالبين بقتله، ثم انتابته حالة توبة فعاد إلى الحواريين حيث اختبأوا، ودخل في دين عيسى بن مريم، وكان اسمه قبل أن يتنصر «شاؤول»، وكان أبوه من علماء اليهود المعروفين في آسيا الصغرى. وعلى العكس من القديس بولس كان القديس يوحنا، الذي - مع قربه من المسيح - كان صوفيًا متأثرًا جدا بحكاية (أورشليم السماوية)، وله في العهد الجديد - الإنجيل وما يكمله - رؤيا أخروية غيبية طويلة اسمها «رؤيا القديس يوحنا النهائية»؛ أي الخاصة بتاريخ مستقبل العالم حتى نهايته يوم القيامة، وهو نص مازال يعكف عليه الدجالون والمنجمون يتلمسون فيه نبوءات عن المستقبل، في جميع أنحاء العالم النصراني إلى الآن.

ليس على الأحلام ملام!

ولم يفته أن يعطي وصفًا لمدينة (أورشليم السماوية) التي يصفها في «الرؤيا» كإنسان رآها رأي العين، وشتان بينها وبين (أورشليم الدنيوية، الصهيونية، الأرضية)! وسأجعل وصف يوحنا ختامًا لذلك الحديث عن (أورشليم النصارى) والفرق بينها وبين (أورشليم اليهود) معماريا وحضاريا ودينيا. أما اجتماعيا فالفرق بين الاثنتين يحتاج إلى مجلدات.

جاء وصف يوحنا لأورشليم السماء في سفر الرؤيا، وعنوان هذا السفر «رؤيا يوحنا اللاهوتي» تمييزاً له من القديس يوحنا الإنجيلي أحد رواة الأناجيل الأربعة المعتمدة رسميًا. ويأتي وصف يوحنا صاحب الرؤيا في الفصل الأخير من رؤياه - الفصل الثاني والعشرين - وهو آخر نصوص (العهد الجديد) أيضا. يقول في الرؤيا: .. وأنا يوحنا، الذي سمع هذه ورآها، وبعد أن سمعت ورأيت، خررت لأسجد أمام قدمي الملك الذي أراني هذه. فقال لي: إياك أن تفعل! فإني نظير له في الخدمة، ونظير إخوتك الأنبياء، والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب، فاسجد لله! وقال لي: لا تختم على أقوال نبوءة هذا الكتاب! فإن الزمان وشيك. من يظلم فليُمعن في ظلمه، ومَن هو نجس فليوغل في نجاسته، أما البارّ فليزد برًا، والقديس فليتقدس أكثر (رؤيا يوحنا 22: 8- 11). وكان هذا الكلام تعليقًا على رؤيته العينية لأورشليم السماء. قال: ورأيت سماءً جديدة، وأرضا جديدة. الآن السماء الأولى، والأرض الأولى قد زالتا، والبحر كأن لم يكن. وأنا - يوحنا - رأيت المدينة المقدسة «أورشليم» الجديدة نازلة من السماء، من عند الله، مهيأة كالعروس المزينة لعريسها. وسمعت صوتًا عظيمًا من العرش، يقول: ها هو ذا مسكنُ الله مع الناس! سيسكن معهم ويكونون له شعبًا، والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم. ويمسح الله كل دمعة من عيونهم، ولا يكون بعدُ موت ولا نواح ولا صراخ ولا وجع! لأن ما كان مضى قد سلف. وقال الجالس على العرش: إني جاعلٌ كل شيء جديدًا، وقال لي: اكتب، فإن هذه الكلمات صدق وحق! وقال لي: أنا الألف والياء، قولا واحدا. البداية والنهاية! أنا أعطي الظمآن من نبع الحياة مجانًا. من غلب أخذ هذه، وأنا أكون له إلهًا، ويكون هو لي ابنًا. وأما المنافقون والكفّار والأنجاس والقتلة والزناة وأصحاب السموم السحرية وعبدة الأوثان وكلّ كذّاب فإن نصيبهم في البحيرة المتأججة بالنار والكبريت، التي هي الموت الثاني، وجاءني واحد من الملائكة السبعة الذين معهم الكؤوس السبعة المملوءة بالضربات السبع الأخيرة، وكلمني قائلاً: هلم فأريك العروس امرأة الحَمَل! وذهب بي في الروح إلى جبل عظيم عال، وأراني المدينة المقدسة «أورشليم» نازلة من السماء من عند الله، ولها مجدُ الله! وتألقها يشبه أكرم حجر كحجر اليشب الصافي كالبلور. ولها سور ضخم مرتفع، واثنا عشر بابا، وعلى الأبواب اثنا عشر ملكًا، وعلى الأبواب أسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، إلى الشرق ثلاثة أبواب، وإلى الشمال ثلاثة أبواب، وإلى الجنوب ثلاثة أبواب، وإلى الغرب ثلاثة أبواب، ولسور المدينة اثنا عشر أساسًا، فيها أسماء رُسُل الحَمَل (المسيح) الاثني عشر، ومع الذي يكلمني قصبة من الذهب، ليقيس بها المدينة، أبوابها وسورها، والمدينة مربعة، طولها كعرضها. فقاس المدينة بالقصبة فكانت اثني عشر ألف غلوة، طولها وعرضها وارتفاعها سواء! وقاس سورها فكان مئة وأربعة وأربعين ذراعًا، بحسب القياس الإنساني الذي كان المَلَك يستعمله. وبناء سورها من حجر اليشب، والمدينة من ذهب برّاق كأنه الزجاج الصافي! وأسس سور المدينة مزينة بكلّ حجر ثمين: فالأساس الأول يشب، والثاني لازود، والثالث عقيق يمان، والرابع زمرد، والخامس ماس، والسادس ياقوت أحمر، والسابع حجر من ذهب، والثامن جزْع، والتاسع ياقوت أصفر، والعاشر عقيق أخضر، والحادي عشر اسمانجوني (أزرق سماوي) والثاني عشر جَمَشْت. والأبواب الاثنا عشر اثنتا عشرة لؤلؤة، كل واحد من الأبواب لؤلؤة. وسوق المدينة من ذهب برّاق كالزجاج الشفاف، ولم أر فيها هيكلاً لأن الربّ القدير، والحَمَل، هما هيكلها، والمدينة لا حاجة لها إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن مجد الله أنارها ومصباحها الحَمَل، وستأتي الأمم ماشية في نورها، ويجيء ملوك الأرض بمجدهم وكرامتهم إليها، وأبوابها لا تغلق نهارًا، وليس فيها ليل! (رؤيا القديس يوحنا 21: 1- 25).

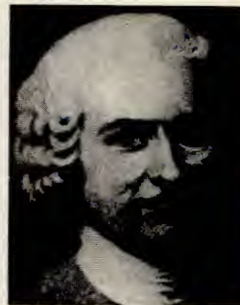
فهذه الرحلة السياحية في أورشليم السماء تنطق بوضوح بالأثر الإسرائيلي الدامغ للضمير النصراني إلا في أشياء قليلة يبدو فيها الأثر البابلي. فأورشليم الأرض مدورة، أو كانت كذلك قبل التشويه الإسرائيلي الجديد جدا، والذي يمثل تدنيسًا للمدينة المقدسة المسيحية والإسلامية.

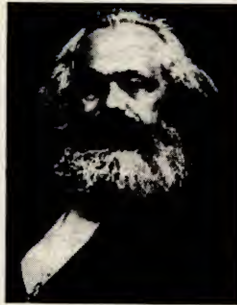
أما أورشليم السماء فمكعبة طولاً وعرضًا وارتفاعًا، وهي بذلك تشبه أبراج بابل المكعبة التي ترمز إلى ما للملك عندهم من إجلال، فكان لقبه حاكم جهات العالم الأربع، كما أن إطلاق العنان لأحلام الذهب والدرّ وكل الأحجار الكريمة ينم عن أثر إيراني أو فرعوني، ولكنها رؤيا، وكما يقولون: ليس على الأحلام ملام.

ما بين الجوع والمعلوماتية

د. خيرالدين عبدالرحمن

كان جان جاك روسو قد ربط يومًا بين الحرية والعدالة الاجتماعية قائلاً: «أما فيما يتعلق بالثروة، فإن المساواة تعني ألاّ يبلغ أي مواطن من الثراء حدًا يجعله قادرًا على شراء مواطن آخر، وألاّ يبلغ مواطن من الفقر حدًا يضطره إلى بيع نفسه». في الوقت الذي قال روسو هذا مدافعًا عن الإنسان الفرد، داعيًا إلى حمايته من الاسترقاق، في سياق تبشيره بقيم الحرية والمساواة والعدالة في فرنسا، ومشاركته في تأسيس النمط الديمقراطي الأوروبي الغربي، بدأت حركة الاستعمار الأوروبي تنشط بزخم كبير، وتنتشر في أنحاء العالم، منطلقة من النظرة نفسها التي احتفلت بالاستكشافات الجغرافية الأوروبية المؤسسة للحركة الاستعمارية، أي النظرة التي تحسب أوروبا - بشرًا وأرضًا وفكرًا وقيَمًا - مركز العالم ومحوره القائد الذي يستحق ما يكتشفه من قارات ومناطق لم تكن أوروبا تعرفها قبلاً، بوصفه غنائم لمكتشفيها، بغض النظر عن الكائنات البشرية التي تقطن تلك القارات والمناطق.


جان جاك روسو


كارل ماركس

ثم توسع الأمر ليصبح حق أوروبا في إلحاق أي أرض أو شعب خارجها بها، وفي الحصول على ثروات باقي العالم وموارده الأولية ومحاصيله الزراعية لدعم النهضة الأوروبية وثورتها الصناعية. وإذ باسترقاق فرد لفرد آخر، الذي دعا روسو إلى تحاشيه من طريق تحقيق العدالة الاجتماعية ضمانًا لحق الإنسان في الحرية، يصبح استعباد شعوب لشعوب أخرى، واسترقاق أمم لباقي الأمم.

بعد ربع قرن من موت روسو أطلق توماس مالتوس تحذيره من لندن بأن الفجوة تزداد اتساعًا بين نمو أعداد السكان من ناحية، وفرص استثمار أكبر لموارد الأرض من ناحية ثانية، بحيث باتت المجاعة قادمة لتحصد البشر حتمًا. كانت بريطانيا أولاً، وأوروبا ثانيًا، في ذهن مالتوس عندما أطلق نظريته، وإن غلّفها بالموضوعية والعالمية. وهكذا حفزت نظرية مالتوس الحركة الاستعمارية إلى أن تزيد من نشاطها وامتداداها لتغرف مزيداً من الثروات من قارات العالم الأخرى، وتستخدم شعوب تلك القارات لإنقاذ أوروبا.

بعد مئة سنة من إطلاق مالتوس نظريته في العام 1798م، بدأ القرن العشرون، وإذ بسكان بريطانيا قد تضاعف عددهم أربع مرات، أما الناتج القومي لبريطانيا فقد تضاعف أربع عشرة مرة - لا مرة واحدة كما توقع مالتوس - ومن ثم، ارتفع مستوى معيشة البريطانيين أربعة أضعاف. تكررت اللعبة في باقي أنحاء أوروبا، ثم في الامتدادات البشرية الأوروبية في شمال أمريكا وأستراليا لتستقر عند وضع يفوق فيه متوسطُ دخل الفرد في مجتمعات الشمال متوسطَ دخل الفرد في مجتمعات الجنوب بما يزيد على مئة مرة! بل تستهلك مجتمعات الشمال، التي تشكل أقل من 20٪ من سكان العالم، 80٪ من ثروات الأرض الإجمالية. وبتفصيل أكثر تستهلك 70٪ من إجمالي الطاقة المستهلكة في العالم، و75٪ من معادن الأرض، و85٪ من أخشابها، وتحصل آخر الأمر على 90٪ من الناتج القومي الإجمالي لعالمنا. ولكي تكون الصورة أكثر وضوحًا ننقل عن آخر دراسات الأمم المتحدة وهيئات عالمية أخرى أن معدل استهلاك الطفل الواحد في مجتمعات الشمال يعادل ما يستهلكه مئة وسبعة وعشرون طفلاً من أطفال الجنوب.

أسباب الجوع

وإذ يتحدث البنك الدولي عن ألف وثلاثمئة مليون إنسان يعيشون تحت خط الفقر، تصفعنا أرقام تقرير لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، إذ تؤكد أن تسعين في المئة من سكان العالم اليوم لا يملكون القدرة على تأمين مستقبلهم، ولا يتحكمون بمصائرهم. كما تشير دلائل كثيرة إلى أن الوضع يزداد تفاقمًا، فتقرير «معهد خبز

العالم» الأمريكي الصادر في العام 1995م تحت عنوان «أسباب الجوع» يتحدث عن ثمانمئة مليون جائع في العالم، والجائعون هم أكثر الفقراء فقرًا بالطبع.

قال البنك الدولي: إن الدخل الفردي اليومي لمليار وثلاثمئة مليون إنسان فقير يقل عن دولار واحد. وتحركت أصابع محترفي الفضول في الشمال على أزرار الحاسبات الإلكترونية لتحسب نصيب كل فرد من فقراء العالم لو أن «مسًّا» قد أصاب أولي الأمر، فلم يطلقوا المكوك الفضائي الأمريكي «هابل»، وتصدقوا بتكلفته التي بلغت ألفي مليون دولار، أو فيما لو لم يصرّ الرئيس كلينتون على إنتاج الغواصة النووية «ذئب البحار» بتكلفة بلغت ثلاثة عشر ألف مليون دولار، التي كان سلفه الرئيس بوش قد دعا إلى إلغاء برنامج إنتاجها، أو فيما لو لم يتم إنتاج طائرات B-2 التي قالت وزارة الدفاع الأمريكية إنها مصممة - أصلاً - لضرب أهداف في الاتحاد السوفييتي السابق في حالة نشوب حرب نووية فقط، ومن ثم لم تعد هناك حاجة إلى إنتاجها بعدما انتهى أمر الاتحاد السوفييتي السابق ذاته وتفكك، فزال خطر المواجهة النووية معه، لكن الشركة صانعة تلك الطائرة أقنعت الكونجرس بالموافقة على تخصيص ثمانية مليارات من الدولارات لإنتاج عشرين طائرة من ذلك الطراز، حتى لو لم تكن هناك حاجة لاستعمالها. وقد تقرر - بالمناسبة - وقف تلك الطائرات عن الطيران في منتصف العام 1996م بعد اكتشاف شروخ في الأربطة التي تجمع ما بين أنبوب المحرك فيها وذيلها. وتكف أصابع الفضوليين عن العبث بالحاسبات الإلكترونية عندما تريحها صحيفة واشنطن بوست بنقل نتائج حسابات أجراها مركز المعلومات العسكرية في واشنطن مفادها أن وزارة الدفاع الأمريكية تنفق ثلاثة ملايين دولار في الساعة الواحدة، وأن ما تنفقه هذه الوزارة في أسبوع واحد يكفي لتقديم أربعمئة مليون وجبة طعام لجياع العالم. يقول أحدهم: لن يحل المشكلة أن تضغط تلك الوزارة نفقاتها وتوفر نفقات أسبوع في السنة ما دام هذا التوفير لن يطعم سوى نصف جياع العالم وجبة واحدة في السنة فقط. يفكر في الأمر لحظات، ثم يقرأ أن بلدان الجنوب تدفع لبلدان الشمال مئة وسبعين مليار دولار كل سنة فوائد مترتبة على ديون الجنوب المالية للشمال، أما أصل الدين فله شأن آخر. تلمع الفكرة في خاطره: هذه الفوائد التي يدفعها الجنوب للشمال تكفي لإطعام كل جائعي العالم لثلثي أيام السنة، لكن العقل المتحضر فيه سرعان ما يوبخه قائلاً: كيف يخطر ببالك أن تشجع التسول؟ وماذا سوف يحل بنا في الشمال إذا ما توقف الجنوب عن الدفع؟

المنطق السائد: البقاء للأقوى!

لا يُقلق ألف وخمسمئة مليون عاطل عن العمل في العالم الثالث، عالم الجنوب، أحدًا. أما البطالة المقنعة فأمرها أدهى وأشد مرارة. (شيزوفرانيا) الشمال قد تسللت إلى المتحكمين المحليين بالجنوب ليشتد طغيان (الأنا) الضيقة، ويشتد الخناق على الجنوب من الخارج ومن الداخل، بما يديم قيوده وعبوديته المباشرة وغير المباشرة، العادية والمتسترة. فلا يزال الهدف ما كان قبل ثلاثة قرون: إذلال الجنوبي ليدمن المذلة، ومسخه كائنًا تستغرقه هموم لقمة يومه، ويطوح الضياع بتوازنه، ويسلبه القمع قدرة التفكير المستقل وإرادة الفعل الحرة. ما كان تمادي الشمال وإمعانه في فرض ضريبة تفوقه على الجنوب مجرد استمرار في السعي الشمالي إلى مزيد من الإسفاف في الرفاهية المادية لمجتمعاته، بوصفه مسألة اقتصادية بحتة، وإنما هو إفراز طبيعي - وإن كان مريضًا - لتربية متوارثة طغت على صميم التكوين النفسي والفكري والأخلاقي لمجتمعات الشمال، فجبلت وعيه - وغير وعيه على حد سواء - على عنصرية تقصر الانتماء للإنسانية المتطورة على تلك المجتمعات، دامغة ما سواها من مجتمعات بقصور تكويني يجعلها كائنات دون البشرية. إنها التربية التي ابتُدعت قوانينها من قبيل «البقاء للأفضل»، ونقيضه المنطقي الفناء للأقل جودة، و«الحياة للأقوى»، ونقيضه المنطقي الموت للأضعف، و«القوة هي الحق» ومدلوله المنطقي لا حقّ لغير الأقوياء، ثم راحت تجعل هذه القوانين ناظمًا لعلاقة البشر/ الشمال بمن هم دون البشر/ الجنوب!

إن استفحال التعارض بين ثروة شمالية تنمو بتسارع مستمر، وفقر جنوبي ينشب مخالبه في أصحابه أكثر فأكثر، في ظل علاقة تعمل على إنضاب أية ثروة جنوبية وامتصاصها إلى الشمال سريعًا، هو وجه من وجوه استشراء ما كان قد خشي جان جاك روسو وقوعه على مستوى الأفراد في مجتمعه؛ أي الثراء الفاحش الذي يطغى على إنسانية صاحبه فيجعله قادرًا - وراغبًا - في شراء مواطنه، والفقر المدقع الذي يمتهن إنسانية صاحبه فيجعله مضطرًا إلى بيع نفسه، بعدما انتقل من مستوى علاقة فرد بفرد آخر إلى مستوى تعامل مجتمعات بمجتمعات أخرى، وأمم بأمم، ودول بدول، في ظل فرض القوي شروطه على الضعيف، خيارًا ما بين نصف جوع مع العبودية أو الموت جوعًا. وهكذا، فالجوع وجه للمأزق الجنوبي، ونتيجة من أبرز نتائجه. ينفق الهندي مثلاً 53٪ من دخله الفردي على طعامه، وينفق الصيني 48٪ من دخله الفردي على طعامه، وينفق المكسيكي 32٪، والتايلندي 29٪، والياباني 18٪، والفرنسي 16٪، أما الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية فينفق 10٪ فقط من دخله على طعامه. ولا تعكس هذه الأرقام زهد الأمريكي والفرنسي بالطعام، وشره الجنوبي، أو ولهه بالإنفاق بإسراف على متعة معدته، بل على العكس تمامًا، فإذا ما تحدثنا بالأرقام - لا بالنسب - نجد أن تكلفة طعام الفرد الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي أو الألماني تبلغ خمسين ضعف تكلفة طعام الفرد الهندي، أو الأثيوبي تقريبًا. مع ذلك فإن تدني معدل الدخل الفردي للجنوبي يضطره إلى إنفاق نصف هذا الدخل ليسد رمقه، ومن ثم تدبير أمور سكنه وعلاجه الطبي وثيابه وربما التعليم أيضًا، أو حتى تذوق ترف استخدام وسيلة مواصلات عامة ذات مرة على سبيل العلم بالشيء. وفي المقابل لا يحتاج الشمالي إلى أن ينفق من دخله ما بين 10٪ - 18٪ على طعامه مهما تفنن في الإسراف والتنويع؛ لأن دخله الفردي مرتفع جدًّا أصلاً.

جذور تُسقى من ماء واحد!

أطلق كارل ماركس دعوته الصارخة «يا عمال العالم اتحدوا» في مواجهة طغيان رأس المال المتمركز في أيدي قلة استأثرت بثمار الثورة الصناعية، وما جرفته الحركة الاستعمارية من ثروات الجنوب، فدغدغت دعوته أحلام عشرات الملايين من الفقراء، وأثارت أحقاد ملايين من الذين أحسوا الظلم، فاندفعوا وراء الدعوة التي تحولت نظامًا حكم نصف أهل الأرض يومًا. لكن دم هؤلاء المندفعين وعرقهم سرعان ما صار وقودًا لآلة نقيض لا يختلف في الجوهر عن نقيضه. فكلاهما محكوم بعبادة العجل الذهبي، وكلاهما ديدنه المادة، وكلاهما تعامل مع البشر وقودًا وأدوات إنتاج، وتعامل مع الإنسان حصانًا تركبه عنصرية النخبة الأوروبية البيضاء عابدة المادة.

دعوة كارل ماركس كانت فخًا وقع في شراكه نصف أهل الأرض، وتحولت الدعوة إلى وقود يغذي عنصرية النخبة وأحلامها، ويدعم سيطرتها

كانت بدايه انهيار الماركسية عندما تمردت قاعدتها البشرية الآسيوية الكبرى في الصين على السادة البيض في موسكو قبل أكثر من ثلاثين سنة، لا مع انهيار جدار برلين قبل ست سنوات. وتبين منذ ذلك التمرد أن جذور النقيضين كانت تُسقى من ماء واحد، لذلك خرج من يحاول طريقًا آخر في الجنوب، صارخًا بفقراء العالم أن يتحدوا بعيدًا من النقيضين اللذين شكَّلا وجهين لعملة واحدة. لكن ما زرعته النخبة البيضاء من ألغام تحت جلد الجنوب وفي تلافيف دماغه وأمعائه، لتنفجر هذه الألغام بأوامر تصدر من

ما بين الجوع والمعلوماتية

بُعد كلما احتاج الأمر، قد راح ينفجر تباعًا ليزيد من تشظي الجنوب وقسوة محنته. صرخ آخرون داعين إلى وحدة الضحايا وتضافر المقتولين ضد القتلة، وحلموا بجثث القتلى وأجساد المحتضرين تتراكم سدًا ضخمًا يوقف طغيان النخبة البيضاء والاستنزاف الذي تمارسه، وإذ الجثث والأجساد المحتضرة تتناثر تنافرًا بعدما استخدمت ما تبقى لديها من رمق في خدش بعضها بعضًا، بينما مستعبدوها يتبادلون البسمات.

أفرز الشمال من تَقَنَّع بقناع الحكمة والإنسانية، فراح يوبخ الجنوب واضعًا على كاهله مسؤولية التخلف والجوع، حيث عزا أمرهما إلى كسل الجنوب الفطري(!)، وَدَعَته وخضوعه لتقاليد وثقافات سلبية. ثم راح يصر على أنّ خلاص الجنوب كامن في اقتفائه الخطوات نفسها التي سارها الشمال في القرنين الماضيين، بدءًا من تبني الفلسفة والأفكار التي سمحت للشمال أن يحقق ازدهاره. وانصاع بعض الجنوب متغافلاً عن الاستحالة التاريخية لنجاح حل يقوم على استنتاج تجربة مجتمع آخر وتقليدها بمعزل عن اختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وتباين الجذور الحضارية، فكانت عاقبة المنصاعين أشد وبالاً. تسارع تدهور أوضاعهم الاجتماعية وانهيار قيمهم الأخلاقية والسلوكية، واشتد اختلال بناهم المجتمعية والاقتصادية على حد سواء. لم يتحقق من الرفاهية الموعودة والتنمية المأمولة لهؤلاء سوى قشور واهية خادعة تركزت عوائدها في أيدي قلة هامشية وأخرى طفيلية، أما المجتمع بغالبيته فقد كانت خسارته مزدوجة، أخلاقيًا واقتصاديًا.

انقلاب السحر على الساحر!

حققت الثورة الصناعية الشاملة بالمقابل إنجازات مادية مؤكدة وهائلة في أوروبا وامتداداتها البشرية. وإذ أكملت دورتها وبلغت مداها، كان لا بد لعنصرية مجتمعاتها وامتهانها المجتمعات الأخرى من ناحية، وللقيم الأنانية والفردية المفرطة التي فرضت نمط إنتاج وعلاقات تحكمه قوانين سوق استهلاكي جشع، ومعايير مريضة تسوّغ الكسب بأي سبيل وتجعل من الثراء المادي قيمة قصوى تعلو كل قيمة أخرى، وترسخ قاعدة «الحق هو القوة»، ومن ثم «الحق للقوة» في التعامل مع الغير بما يمسخ العدالة وينحرها من ناحية أخرى. كان لا بد لعنصرية كهذه أن تقلب السحر على الساحر آخر الأمر، بعدما عملت تدميرًا في حياة المجتمعات الأخرى وبناها. وهكذا مع خروج المعلوماتية من رحم الثورة الصناعية، انتشرت الروبتة (استعمال الروبوت) والأتمتة (الآلية والأساليب الأوتوماتيكية)، فتغيرت أوضاع الإنتاج وعلاقاته، وازداد نمط الحياة الاستهلاكي شراسة، وراح يلتهم الإنسان بلا ألم. أنجب هذا الوحش وحوشًا أخرى، وإذ بغيلان الجوع والبطالة والفقر تكبر في مجتمعات الشمال ذاتها، وتتضافر مع الضياع والخواء الروحي لتُنهك تلك المجتمعات شيئًا فشيئًا.

جاء اجتياح المعلوماتية كاسحًا فهللت مجتمعات الشمال له، وعدّته معجزة جديدة تكرر الفرص التي أتت الثورة الصناعية والحركة الاستعمارية بها. لكن الوضع قد اختلف، إذ راح ينذر بغروب سيادة مجتمعات النخبة البيضاء لصالح سيادة نخبة النخبة التي أفرزتها تلك المجتمعات. ويبدو واضحًا الآن أن نخبة النخبة لن تتورع عن التهام المجتمعات التي أفرزتها، على نحو ما فعلت تلك المجتمعات بالجنوب طويلاً. لم يعد التضخم الهائل للتنافس والصراع الإنتاجي والتقاني (التكنولوجي) وتداعياته يقف عند حدود ما تعارف العالم عليه من دول وقوميات وأطر إقليمية، فالقاعدة ذات الجذور اليهودية القائلة بأن «المال لا وطن له» قد مضت تأثيراتها بعيدًا؛ بحيث اكتسح التنافس والصراع الإنتاجي تلك الحدود باستخفاف وعدم اكتراث، جاعلاً سلطة المال تعلو على ما عداها من سلطات، وقيمة تتضاءل القيم الأخرى أمامها. لقد راحت الشركات المتعددة الجنسيات تنمو سريعًا ليرتفع نفوذها وسلطانها فوق نفوذ الدول وسلطانها، ولتبسط هيمنة غير مسبوقة عبر القارات، إلى أن تمكنت من استخدام قدراتها المادية والتقنية والتنظيمية والتعبوية الهائلة في إدارة شؤون الإنتاج والاستهلاك والموارد والتنمية؛ بوصف العالم وحدة إنتاجية واستهلاكية متكاملة واحدة تديرها عبر شبكات أذرعها الأخطبوطية، مع كل ما لهذا من تأثيرات سياسية واجتماعية عميقة شاملة. من عقابيل هذا الوضع المستجد، أن الحضارة الغربية التي فرضت نسق قيمها ومعاييرها وشروطها في تشكيل الدول وقيامها في القرنين الماضيين قد راحت ـ هي نفسها ـ تُسقط تلك القيم والمعايير والشروط وتنبذها، بل تتساءل عن قيمة كثير من الدول ومسوغات وجودها واستمرارها، مشككة بالحاجة إلى تلك الدول مع بدء تحول العالم إلى سوق واحدة. مرة أخرى تسود القاعدة الطاغية الزاعمة أن «الحق للقوة»، وإن تبدلت الأدوار قليلاً في الظاهر. جرى الترويج للمعرفة قوة كبرى، وسيدة عناصر القوة ومكوناتها الأخرى، بحيث بدا لوهلة أن العقل الإنساني يستعيد مكانته وكرامته ما دامت المعرفة ذات الطبيعة الحيادية والنبيلة تتقدم على عناصر القوة الأخرى من مالية، وعسكرية، واقتصادية، وسياسية. لكن المعرفة سرعان ما تحولت إلى سلعة رئيسة تنتقل عبر شبكات وسائط الاتصال والتواصل الإلكترونية، بحيث يحكمها ما يحكم السلع الاستراتيجية الأخرى التي يتداولها العالم، ومن ثم لن تكون مشاعًا مطلقًا. كذلك لن تكون المعرفة حيادية، إذ هناك من يتحكم بها صياغة وانتقالاً وتوزيعًا بما يكفل له أن تخدم المعارف والمعلوماتية مصالحه آخر الأمر، أيًا كان من يشتريها.

مأزق الإنسانية المعاصرة

توالت أفكار وتطبيقات موغلة في الجنون في زحام ما تفرزه نخبة النخبة، وفي سياق ما أعلنته عن عالم مختلف تمامًا تقوم بصياغته. ولم يقتصر الأمر على معايير التحكم بالمعارف والمال والسلطان، وإنما تعداه إلى التحكم بالموت والحياة ومواءمتهما مع مصالح نخبة النخبة ومقتضياتها. فمن ادعاء حق افتعال الحروب والأوبئة وشرعيتها كأبسط سبيل للتخلص من الفوائض البشرية التي لا ترى حاجة إليها لعملية التنمية على المستوى الكوني وفقًا لخططها، إلى الذهاب بعيدًا في محاولة التحكم المسبق بالجينات الوراثية، وبتشكيل الأجنة في الأرحام والأنابيب، لبرمجة إنجاب أطفال خارقي الذكاء يشكلون الأجيال المقبلة لنخبة النخبة المؤهلة لهيمنة أشد رسوخًا على باقي الجنس البشري، والقادرة على فرض نمط جديد صارم من العبودية والتبعية والالتحاق على البشر العاديين.

يكمن جوهر مأزق الإنسانية المعاصرة في أن الإلكترونيات والمعلوماتية والتحكم بالأشعة وسائر الإنجازات العلمية والتقنية الباهرة لا تستطيع أن تعوض عن أخلاق تم إفسادها، ولا عن قيم جرى امتهانها ومسخها، ولا عن علاقات إنسانية جرى تشويهها. إن النتائج الكارثية الناجمة عن السعي اللاهث إلى المال والإنتاج الغزير والاستهلاك المفرط على حساب الأخلاق والقيم والعلاقات الإنسانية قد صارت واقعًا طاغيًا سريع التوسع والتوالد، أفقيًا وعموديًا، في عالم اليوم. وما دام طور المعلوماتية قد جاء من رحم ذلك السعي، حاملاً خصائصه بتركيز أكثر كثافة، فإن المستقبل يحمل نتائج مماثلة على الغالب؛ لأن انتشار الجوع إلى الطعام رديف لانتشار الجوع إلى الأخلاق .

ومرحبًا بقوة المعارف والمعلوماتية وما تفرزه من قوانين وأشكال إنتاج وعلاقات جديدة ونمط حياة مختلف، ولكن مع تلازم هذه القوة ـ بل خضوعها ـ لقوة الأخلاق السليمة التي تستعيد تأثيرها وألقها بإرادة ذاتية مرادفة لإرادة الحياة والبقاء.

ولكن، هل من سبيل إلى هذه الأخلاق بغير إيمان تنمو برعايته وتحتمي في رحابه؟ لعل الأوان قد آن لصرخة تعيد للإنسان إنسانيته في وجه استشراء التخريب العابث بعلاقاته ومصيره، صرخة تدعو أن «يا مؤمني العالم أفيقوا.. واتحدوا»!.

الاستشراق والغزو الثقافي

للغرب الأوروبي تاريخ حافل بالكراهية والحقد على العرب والمسلمين، ومع أن القارة الأوروبية مشمولة مع القارتين الآسيوية والإفريقية في ما يسمى بالعالم القديم، الأمرُ الذي يوحي بخلفية إنسانية من التفاهم والتعاون والسلام، قائمة على تلاقح الحضارات والثقافات، فإن الأمر كان دائماً على خلاف ذلك.

ولا يذكر التاريخ أن شعوب المنطقة العربية سعت إلى غزو أو عدوان على الشعوب الأوروبية، إلا ما كان منه ذوداً عن حياضها. فيما يذكر التاريخ أن الغربيين هم الذين كانوا غزاة معتدين على العرب وغير العرب، من شعوب آسيا وإفريقيا، قريبها وبعيدها، أبيضها وأسْودها.

يوسف فجر رسلان

فالعرب كانوا دائمًا أهلَ جار، أهلَ سلامٍ ومحبة وتسامح، وقد جاء الإسلام فيما بعد مرسّخًا هذه الخصال النبيلة مع ما رسخه من القيم الإنسانية والمكارم الأخلاقية. وإذا دققت النظر في تاريخ الفتوح الإسلامية، وبما وقف عنده المغرضون من المؤرخين الغربيين، مما قد يخالف روح الإسلام وشريعته السمحة بقليل أو كثير، وجدت أن ذلك كان محصوراً بفاتحين من غير العرب (فتح الهند مثلاً)، ومع ذلك فإنك إذا ما قست تلك التجاوزات بامتداد الإسلام وفتوحاته العظيمة الخارقة وجدتها من الأمور الصغيرة التي ما تكاد تذكر.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الشريعة الإسلامية لم تسوّغ تلك التجاوزات مهما كانت صغيرة، بل كانت دائمًا تعدّها نسيجًا غريبًا على لُحمة السلوك الإسلامي الواحد المتماسك، فيما كان لكل عدوان غربي على الشعوب كُتَّابٌ ومؤرخون ولاهوتيون يباركونه ويسوّغونه، بعد أن يكونوا هم الذين أجَّجوا ناره.

وشهد شاهد من أهلها!

من هنا، من خلفية القيم العربية الإسلامية السمحة، كانت الشعوب المقهورة من الغزاة، ومن حكامها المحليين على حد سواء، ترحب بالفاتحين العرب المسلمين، وترى فيهم الخلاص والتحرر من الظلم والقهر والعبودية، سواء في ذلك ما كانت عربية أم غير عربية. وهذا شاهد من أهله، أو من نفسه:

يقول مؤرخ الحروب الصليبية ستيفن رونسيمان: «قَبِل المسيحيون في الشرق عن طيب خاطر سيطرةَ سادتهم المسلمين»(1)، ويقول بطريرك أنطاكية ميخائيل السرياني: «إن الله الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل (يعني العرب المسلمين) لإنقاذنا من أيدي الرومان»(2)، ويقول المؤرخ النسطوري: «إن قلوب المسيحيين انشرحت لسيادة العرب، فليزد الله هذه السيادة قوّة، وليجعلها زاهرة»(3).

لكن كتّاب الغرب المضلِّلين ـ وجُلُّهم هنا كُتَّابُ لاهوت خرافي ـ بما جُبلت عليه نفوسهم من الغلّ والحقد، وبما تشربته ذمتهم من الزيف والبهتان، أبوا أن يُرجعوا اندحار الصليبيين إلى قوة المسلمين وجهادهم وإيمانهم، بل عَزَوْا ذلك إلى الخطيئة الكبرى التي اقترفها هرقل، وهي زواجه من بنت أخته مارتينا(4).

لقد كان انتشار الإسلام سريعًا، فما مرت ثمانية عقود إلا كانت رايته ترفرف على الشام ومصر وشمال إفريقيا، كلّ ذلك على حساب الإمبراطورية الرومانية، وما دخلت شعوبها في الإسلام، أو انضوت في ذمته، إلا لمَا لمسته من حق وعدل ومساواة وكرامة وتسامح، في مقابل ما كانت تكابده على يد الرومان من ظلم وجَوْر وإذلال وعبودية، كيف لا، ونبي الإسلام يقول، فيما رواه أحمد في مسنده: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»؟!

أسباب الحقد الأوروبي على الإسلام

إذن، بظهور الإسلام وانتشار رسالته تحتم على حكام الغرب ورهبانه وأحباره أن يتحسّسوا الخطر القادم عليهم، وأن يتنبّهوا إلى جملة من الأمور، منها:

أ ـ خطورة هذه الرسالة السماوية السمحة، لكونها تتعارض مع بربريتهم وظلمهم واستعبادهم الشعوب. وهذا بلسانهم كما ذكرت.

ب ـ إيمان المسلمين برسالتهم إيمانًا منقطع النظير، حتى لينِدفع المسلم إلى الشهادة اندفاع الظمآن إلى نهلة الماء القَراح.

ج ـ امتداد الإسلام في مراحل لاحقة إلى العمقين الآسيوي والإفريقي، بل إلى العمق الأوروبي، أي إلى عقر الديار الأوروبية نفسها.

د ـ يضاف إلى ذلك رواسب التفكك المذهبي في صلب النصرانية، تلك الرواسب التي ظلت مستمرة بعد مؤتمر نيقيا عام 325م، والذي تداعى إليه ألفان أو أكثر من الرهبان واللاهوتيين لرأب الصدع. إن استمرار تلك الرواسب جعل النصرانية ديانات ومذاهبَ شتى في مقابل إسلام واحد موحد متماسك العقيدة والإيمان منطلقٍ إلى كل الآفاق.

هـ ـ ويضيفون إلى ذلك أيضًا، أهمية المنطقة العربية بوصفها مهبطًا لجميع الديانات السماوية، ومنطلقًا لكل تشريع روحاني، وموقعًا استراتيجيًا اقتصاديًا عسكريًا أثريًا حضاريًا ثقافيًا ينفرد بذلك كله عن سائر الأرض، حتى ما ينطق التاريخ إلا منه بأبجدياته وعمرانه وأنبيائه وبنيانه وتشريعاته وخيراته.

لهذه الأهمية، ولتلك الأسباب، كانت المنطقة العربية محط أطماع الغرب الحديث مرورًا بالعصر الوسيط وما سبقه من غزوات صليبية على مدى قرنين، صب فيها، وفي غيرها سابقًا ولاحقًا، حقده المرير على العرب والمسلمين.

تلك إشارات إلى الغزو العسكري الغربي المباشر أوجزتُها وأسرعتُ بها لاشتهارها لدى المثقف العربي، ولكي أفسح في المجال للحديث عن غزو من نوع آخر، يلبس له الغرب كل لَبوس، بل يحاول أن يُلبسنا له كل لَبوس، أعني به الغزو الثقافي بكل فروعه وأجناسه، وأخشى أن نكون في حداثتنا وتحديثنا ومعاصرتنا وتقليدنا طيعين لذلك اللَّبوس.

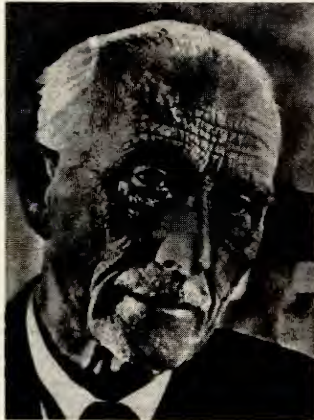
ألم يأتنا بونابرت غازيًا محتلاً؟ ومع ذلك فما زال كُتّابنا ومؤرخونا يعترفون له بفضل تحديثنا وتثقيفنا حتى اليوم!! لماذا؟ لأنه جلب لنا آلةَ طباعة، يا للآلة!!

وإذا كان بونابرت قد جلب لنا شيئًا من الحضارة المادية فهو قد استجرَّ في مقابلها جيشًا من الطامعين والمزوِّرين والمشبوهين والجواسيس باسم العلم والعلماء، لينطلقوا إلى تشويه تراثنا وتخريبه.

لقد نَوَّع الغرب على هذا المدى الطويل أدواته وأساليبه ووسائله، وعدَّد أعوانه وأُجراءه ومؤسساته، جاعلاً لكل منهم ومنها مَهَمَّةً مدروسة محسوبة في خضم واسع من تيارات الغزو الثقافي، وكان عليه أن يعتمد على أُجراء وأعوان محليين، مثلما يعتمد على



نابليون بونابرت



لويس ماسينيون

الجواسيس من أبناء مجتمعه، بل ربما فضل العمالة المحلية في بعض المهمات على استخدام أبنائه أنفسهم. وما كانت الأفعى لتنقطع عن أن تطل برأسها من حين لآخر، أعني بها الصهيونية، أعني بها اختراق الغزو الثقافي الصهيوني للغزو الثقافي الغربي، وللثقافة الأوروبية بعامة. ومن الأدلة الحسية القاطعة على اختراق هذه الأفعى للثقافة الغربية ـ وأتحرَّج من أن أقول للدين النصراني ـ أنها غيَّبت إنجيلَ عيسى ـ عليه السلام ـ (إنجيل ربِّ العالمين الذي أُنزل على عيسى)، كما غيَّبت ـ من قبل ـ توراةَ موسى ـ عليه السلام ـ، واستبدلت بهما ما تعرفونه.

الأجراء المحليون

انسلخ عدد غير قليل من أبناء جلدتنا عن وطنيتهم، وانسلكوا في تيارات الغزو الثقافي الغربي، والتربةُ في بعض أقطار الوطن العربي خصبة مهيأة لاستنبات مثل ذلك الشوك والحنظل؛ فكان لكل عنصر أو جماعة وظيفة محددة ضمن اختصاص يتقنه، كأن تكون وظيفةً فكرية، أو تاريخية، أو شعرية، أو لغوية، أو نقدية، أو سلوكية، أو كأن تكون تنصيرية، أو تهويدية بثوب تنصير.

وحتى أدلل على أهمية الأجير المحلي عند مؤسسات الغزو الثقافي أذكر المثال التالي عن الوظيفة السلوكية للأُجراء والجواسيس معًا:

عندما احتل الأمريكان فيتنام دفعوا بجيش من الأجراء المحليين لنشر المفاسد الاجتماعية من خمر وعهر وحشيش وحانات قمار وغيره، واستقدموا من ديارهم، التي لا تقيم وزنًا لهذا النوع من الأخلاق، أمْثالاً من بائعات الهوى إضافة إلى بضاعة السوق المحلية، فإذا المجتمع الجنوبي يركع للمحتلين، فيما كان أشْقاؤهم الشماليون يقاومون بضراوة انتزعت إعجاب العالم كله. نعم كان الجنوبي متهتكًا مخمورًا فارغ الرأس والنفس، فيما كان الشمالي ينقب الجبال، ويحارب المقبلات اليومَ كله على حفنة من الرز، لكن الجنوبي ـ من أفسده الغزو الثقافي السلوكي ـ كان ذليلاً مطاطئ الرأس، فيما كان الشمالي شامخ الهامة موفور الكرامة.

وكان الفرنسيون قد حاولوا تحقيق مثل هذه الوظيفة السلوكية في القطر العربي الجزائري المسلم الخالص، لكنهم عجزوا وتراجعوا أمام صلابة الثوار وتمسك الشعب الجزائري بأخلاقه العربية الإسلامية القويمة، ومع ذلك، فإذا كانت الأسرة المسلمة ـ بما للتربية الدينية فيها من عمق ورسوخ ـ تجعل مثل هذه الوظيفة صعبة التحقيق، أو حتى مستحيلة، فإنه لمن الخطأ والجهل أن نتغاضى عنها، أو أن نظن أن مؤسسات الغزو الثقافي تغفل عنها في ربوعنا، وأنتم تشاهدون بعض البوادر بلا شك.

من الأجراء المحليين

أما من نماذج العمالة المحلية في الوظيفة الدينية فإليكم هذا الرجل، إنه أبو موسى الحريري. والواقع أنني ما مررت، في كل ما قرأت أو سمعت، على كاتب يساويه سفاهةً بحق الإسلام والمسلمين، سمعتم بالسوس الذي ينخر جوف الشجر، وإذا كان السوس لا يستطيب غير لُبِّها ونُسْغها، فإن الحريري لم يختر غير لبِّ العقيدة الإسلامية وجوهرها، أتراهم استنبتوه لمثل هذا الزمان؟ وحاضرنا الإسلامي صعب كما تلاحظون، أتراه في غير هذا الزمان كان سيجترئ على أقدس المقدسات وأرفع رموز المسلمين وهو من الجِلْدة العربية انتماءً؟!

ولقد ترددت كثيرًا في تقديم بعض من هرطقاته، بل أراني مترددًا حتى اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور، ولست أدري إن كان من الخير أن أقدم أم أن أحجم.

ثم تذكرت بعض المثقفين من التربة الجاهزة لاستنبات الشوك والحنظل، تذكرتهم يدافعون عن جماعة «الحقيقة الصعبة»، وقد اختاروا لها هذا الغطاء، غطاءَ الصعوبة لما يسمونه حقيقة، وفي مقدمة هذه الجماعة، جماعة الأباطيل الصعبة، أبو موسى الحريري، فرجَّحت عندئذ أن أحذر الشباب المسلم، والشبان العرب الأنقياء، من أضاليل الحريري وأمثاله، وما كان المدافعون عنه وعن جماعته إلا هَشْرًا لا يَنْشُر غير الشوك، وحنظلاً لا ينضح بغير المرارة.

وهاكم بعض ضلالات الحريري من كتابه «قس ونبي»:

1- لقد وصل الأمر بهذا المجدِّف إلى حد الزعم بأن (مكة) ليست موطن الدعوة الإسلامية، وأنها كنيسة نصرانية(5).

لاحظوا هذه الهرطقة من عربي يعيش في الشفق الأخير من القرن العشرين!! وهل تُفجَؤُون إذا قلت لكم إن ثمة من المثقفين العرب من يؤمن بها؟!

على أني أؤكد لكم أن الذين لا يؤمنون بها من هؤلاء العرب هم الكثرة الغالبة، حتى لكأن التخرُّص بها محصور بالأجَراء المحليين، ومع ذلك فإن لكل مكذِّب من يصدقه، ولاسيما وأنتم تلاحظون ما ينتشر بحق الإسلام من تجديف، وما يقع بالمسلمين من قتل وعسف واضطهاد، وفي ديارهم من سلب وتمزيق، إنه زماننا الصعب، ولله الإسلام والمسلمون ديارًا وأنصارًا.

2 - ولقد وصل الأمر بهذا الجاسوس إلى حد التجديف بأن (القس) ورقة بن نوفل أدخل (محمدًا) في النصرانية، ثم أوكل إليه الإشراف على تلك الكنيسة (مكة)(6)!!

وهذه الهرطقة أيضًا لا تستوجب ردًا، لكن العجيب فيها أن الغرب يختار مأجوريه عادة من الأذكياء والعقلاء لا من المخبولين، وقد يكون الحريري ذكيًا؛ إلا أن الحقد أفسد عقله، وسفَّه حلْمه، وأفقده التوازن.

3 - ولَقد وصل الأمر بهذا الأفَّاك إلى حد الزعم بأن (القرآن) مترجم عن إنجيل متَّى، وأن (عثمان بن عفان) أدخل عليه تحويلاً وتشويهًا(7)!!

4 - ومن هرطقاته أيضًا أن (القرآن) كان آراميَّ اللغة عبرانيَّ الحرف (لاحظوا الخرق الصهيوني لثقافته ومذهبه)(8).

إن هذا الأفّاق يعرف - وهو المثقف - أن لغة القرآن الكريم عصيَّة على التقليد والتحريف والتزوير، وعلى أن يأتي بمثلها بشر، فكيف تكون هي - في أصلها - آرامية عبرانية؟! أعوذ بالله واستغفره، وقد قادتني الأحوال إلى هذه الأقوال. وأنا إذ أدفع هذه الهرطقة أكتفي بالناحية الفنية اللغوية وحسب، أعني بما في القرآن الكريم من فصاحة، وبلاغة، وبيان، وإيجاز، لا تبلغه لغة البشر، لأن الردود عليه بالآيات الدالة على حفظه ومكانته غيرُ مجدية في حال من مثلِ حاله، إنها حال من شمّر عن ساعديه، وراحَ يخلط الكذب والتزوير والبهتان وفساد الذمة والضمير في قصعة واحدة، أعني بها رأسًا ضالاً مضللاً مأجورًا. وهذا المثقف يعرف أن لغة القرآن الكريم أجْدَتْ مع أجداده وآبائه وإخوانه من غير المأجورين، عندما جاؤوا إلى الإسلام أفواجًا، وكان منهم من عمر الإيمان قلبه إلى يوم الدين. والواقع أني ما أجد بي رغبة في متابعة سفاهات الحريري بحق الإسلام، وأكتفي بما أوردت.

أين تكمن المهمة ؟

لقد كان من صلب وظيفته أن يعمل على تمزيق الوحدة الوطنية في المجتمع العربي، فهو يعلم أنه إذ يكتب مثل هذه الهرطقات والأكاذيب، إنما يكتبها لفئة من العرب. وأنها إن صدقته ورددت تجديفه وهرطقاته فسوف تخرج من ثوبها العربي، وتحل الفرقة والتمزق، لقد كان يعلم أنه يدق الأسافين في صرح الوحدة الوطنية في بعض الأقطار على الأقل لنسفها وتقطيع أوصالها، ولعمري ما كان مأجورًا في تيار الغزو الثقافي الغربي الصهيوني معًا إلا من أجل هذه المهمة. أضف إلى ذلك محاولاته العابثة اليائسة لدق أسافين الخلاف بين الفرق الإسلامية منشغلاً أو متشاغلاً عن أحواله بأحوال غيره، لقد شُغل بالنَّمش في وجه غيره، وعميت أو تعامت بصيرته وبصره عما فيه من أورام وثآليل.

وأرجو أن يدقق القارئ في النقاط التي أوردتها من هرطقات الحريري، ليرى أنه تناول قبلتنا الشريفة المكرمة، ونبينا - صلى الله عليه وسلم -، وقرآننا كتابَ الله العزيز. فإذا تطاول هذا الكاتب الأجير على قبلتنا ونبينا وقرآننا أترونه يتعفَّف أو يُحجم هو وأضرابه عن التطاول على قيمنا ومثلنا وتراثنا والتآمر عليهم جملة وتفصيلاً؟

لقد طرح الحريري هذه الكبائر بسفاهة وصفاقة مجترئًا على أقدس مقدساتنا، فيما وجدنا الآخرين، الموظفين في مهمات أخرى، يطرحون دعواتهم بأغلفة متنوعة، يأتي في مطلعها عنوانٌ عريضٌ جذّاب، هو: التحديث والحداثة، كتحديث اللغة والشعر والفكر، ومظاهر الحياة، وقواعد السلوك... إلخ. ومن خلفه يكون هدم الأوابد، أو هدم التراث حتى آخر الأطلال، إنهم يطرحون دعواتهم تسترًا وتسللاً كتسلل النعاس إلى أجفان الأصحاء والمرضى على حد سواء. فعلى المسلمين، وعلى العرب عامة - لأن الجميع موضوعون في الدريئة - أن يتنبهوا إلى خط الغزو الثقافي، وما أوردت أكاذيب الحريري إلا لمثل هذا الحذر والتحذير. فلندقق في كل الدعوات المطروحة باسم التحديث والمعاصرة، واضعين في حسباننا أن أية حداثة مقطوعة عن جذورنا التراثية لا بد من أن تكون إما متآمرة موظفة، وإما مخدوعة مضلَّلة، وإما لاهية عابثة.

المستشرقون ودعاة التنصير

يختار الغربيون مستشرقيهم رجالاً على غاية من المكر والدهاء، وعلى غاية من الصبر

نوّع الغرب في أساليب الغزو الثقافي وأدواته، واعتمد - فيمن اعتمد - على أعوان محليين انسلخوا عن وطنيتهم، وانسلكوا في تيارات الغزو الثقافي الغربي

واحتمال المشاقِّ والشدائد، وما يرسلونهم إلا بعد أن يكونوا قد مَهَّدوا لهم برعيل من الرهبان والقساوسة من دعاة التنصير المزركشين بالحرير وأثقال الذهب، لأن هؤلاء أيضًا على غاية من النعومة والأناة ورقة الحديث وهدوء النفس، مما يؤهلهم لحسن التعامل مع الحكام. وتكون هذه المزايا بعدئذ وسيلة لاستقدام المستشرقين الجواسيس بلبوس العلم والاقتصاد والفن والسياحة وجميع الوظائف الاجتماعية الأخرى المبطنة بالتآمر. وهم يفدون من كل الديار الأوروبية، لأن مساحة الأطماع الممزوجة بالحقد والكراهية واسعة جدًا. وإذ كان الفرنسيون أكثرهم عَددًا وأشدَّهم حقدًا على العرب والمسلمين، فما من تفسير عندي بغير الطبع الفرنسي المشهور بالحماقة والنزق، يُضاف إليه ما عرف عن (الغاليين) من تعصب ديني أعمى. والحقيقة أن هؤلاء لو كانوا امتلكوا قوة هتلر العسكرية في زمانه المواتي لفعلوا بإخوانهم وجيرانهم أولاً، ثم بالمجتمع الإنساني ثانيًا، أكثر مما فعل. لقد كان الفرنسيون أكثر الأوروبيين طمعًا بديار المسلمين وثرواتهم (سرقوا كل ما وصلت إليه أيديهم من كنوز سورية ولبنان في أثناء الانتداب)، وكانوا أكثرهم حماسة لكسر شوكة الإسلام، فبهم بدأت الحملات الصليبية على فلسطين والمشرق (الحملة الأولى عام 1095م بقيادة بطرس الناسك)، وبهم بدأت حملات التنصير بضراوة منقطعة النظير (مؤسسات الجزويت اليسوعية التي ملأت الآفاق في إفريقيا والوطن العربي). وهاتوا أشد منهم حقدًا ولؤمًا على الإسلام والمسلمين، بل على العرب أجمعين! والفرنسيون هم الذين جددوا الغزو على مصر والمشرق العربي في التاريخ الحديث على يد مُدلَّلهم بونابرت، ومازال لي فيه حديث.

إذَن، لقد جاء المستشرقون والرهبان من كل حدب وصوب، يحملون في نفوسهم غلاً وحقدًا مزمنين، تمتد جذورهما إلى انتصار المسلمين على الروم في اليرموك، وإلى انتصاراتهم المتكررة على البيزنطيين في حروب الثغور، أو حروب الصوائف والشواتي على أيدي الحمدانيين، وإلى انتصاراتهم على الجيش الصليبي اللجب، ومِسْكُ ختامها حطين. وإليك من المستشرقين وأحوالهم ما يمكن عرضه في مقالة:

فانتور

«مستشرق داهية محنك متستر، خفي الوطء، أمضى أربعين عامًا يتجول في ديار الإسلام يراقب ويرصد، ويرسم ويخطط، وفجأة يظهر - وفي الوقت اللازم - في طليعة الحملة الفرنسية التي قادها نابليون على مصر»(9).

بقي أن تعلم أن نابليون هذا ما كان إلا أداة طيعة بيد فانتور، وأنه هو الذي اقتاده إلى احتلال مصر، بعد أن استغل غروره، وزيَّن له - في ما يزين الشيطان لربيبه - احتلالها واحتلال بلاد الشام.

«كان فانتور شيطان نابليون ومستشاره وخليله ونجيَّه، لا يغادره في الحل ولا في الترحال، يرسم له الطريق، ويعين له المدى، ويحدد له الهدف»(10).

لقد كان ذلك المستشرق كأنه يحمل وحده هموم الغرب المغلوب أيام قوة المسلمين، فينفثها حقدًا، ويصرفها مكرًا ودهاء واستعداء للمتغطرسين على العروبة والإسلام.

وهو إذ استجرَّ نابليون إلى مصر أعلمه أن المسلمين هناك ينجابون للعاطفة الدينية، وينخدعون بالمظاهر المعبرة عنها، لذلك كان عليه أن يتظاهر:

1- بلبس العمامة [عمامة نابليون المملوكية الكبيرة كانت مضرب المثل].

2- وبارتداء الزي المصري.

3- وبالمشاركة بالأعياد الدينية.

4- وبالإيمان بالقضاء والقدر.

5- وبأنه جاء لينقذهم من المماليك الظالمين [هنا بيت القصيد - هنا الاحتلال - وخلاف ذلك فتزوير]، فتصوروا حال مستشرق من مثل هذا يصرف من عمره أربعين عامًا بين المسلمين مستطلعًا راصدًا مراقبًا مدققًا حذرًا، يعيش عيشهم، ويسلك مسلكهم انتظارًا ليوم حاسم. وقد جاء ذلك اليوم الحاسم فعلاً بإذن ربِّ العالمين ولم يتأخر، عندما ارتد بونابرت خسيئًا مهزومًا على أبواب عكا يجر، ومن بقي معه، أذيال الخيبة والخسران. ذلكم هو واحد من المستشرقين الجواسيس الموظفين لدى مؤسسات الغزو الثقافي المتواصل.

هنري لامنس
1862-1937م

«مستشرق وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًا إلى النزاهة، يُعَدُّ بين المستشرقين نموذجًا سيئًا جدًا للباحثين في الإسلام»(11).

يقول فيه عبدالرحمن بدوي: «يشير لامنس في كتابه عن فاطمة وبنات محمد إلى مراجع غير موجودة مطلقًا، ولا يُعرف باحث من المستشرقين بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية، إن ما كتبه في السيرة النبوية، وفي الإسلام وفرقه يعبّر عن كراهية للإسلام في غلٍّ منقطعَ النظير»(12).

فإذا كان افتقاره إلى النزاهة تامًا، وإذا كان على هذا المستوى من الكراهية والحقد على الإسلام، وإذا كان على تلك المرتبة من التضليل وفساد النية، وإذا علمت أنه لم يترك جنسًا واحدًا من أجناس التراث العربي الإسلامي إلا وعبث به تزويرًا واختلاقًا وإيقاظ فتنة، من السيرة النبوية، إلى الفقه والشروح والتفاسير، إلى مسندات الحديث وإسناده، بل إلى الشعر العربي ونقده، وإذا علمت أنه كان مسؤولاً عن مجلتين (عربيتين) دفعة واحدة، هما «البشير» و«المشرق» أدركت الدور الخطر الهدّام الذي أداه ذلك الأفاق في تراثنا العربي الإسلامي.

شارل دي فوكو

«راهب فرنسي عاش بين الطوارق في صحراء الجزائر، ووضع قاموسًا في لهجتهم، أدَّى دورًا سياسيًا غامضًا في الجزائر وتونس، وانتهى الأمر بمصرعه في تونس عام 1916م»(13). ويبدو أن مصرعه كان لدفن سره معه.

يختار الغرب مستشرقيه رجالاً على غاية من المكر والدهاء، وعلى غاية من الصبر واحتمال الشدائد بعد أن يكون قد مهد لهم برعيل من الرهبان والقساوسة

لقد عرفت الجزائر العديد من الدعوات الانفصالية قديمًا وحديثًا، شمالاً وجنوبًا، كما عرفت الدعوات القومية العربية، ويعرف الجزائريون أن اسم «الكاهنة» مازال يتردد في كثير من أنحاء التراب الجزائري، وقد ظهرت في الجنوب الصحراوي، في الموضع الذي كان مسرحًا للمستشرق دي فوكو. على أني لا أجزم سلبًا أو إيجابًا بغير قرينة الموقع، أما العلاقة والامتداد والرواسب فلا أستطيع أن أجزم بشيء منها، لكني أجزم - بالاستنتاج - بعلاقته بيهود تونس، علمًا أن الجزائر خالية منهم تمامًا، حتى على الواحد فيما أعلم وأذكر، إلا إذا كان بين (المعمِّرين) أحد منهم. والمعمرون هم الفرنسيون الذين اختاروا البقاء في الجزائر حين استقلالها. وعلى كل حال لاحظوا أين زرعت دوائر الغزو الثقافي ذلك المستشرق!

لويس ماسينيون
1883 - 1962م

مستشرق فرنسي وعالم آثار، سلك مسلك سلفه القديم نابليون، بل زاد عليه بلبس الجبة والعمامة معًا، انتسب إلى الأزهر الشريف ودرس فيه، وكانت علاقته وثيقة بشارل دي فوكو.

يقول عنه عبدالرحمن بدوي: «إن هذا المستشرق أتقن التسلل، ولعب دوره ببراعة، درس اللغات الشرقية الحية في المدرسة الوطنية التي أُعدت في باريس لتخريج أمثاله»(14).

ولعل هذا الدور من التسلل البارع المتقن هو الذي جعل الدكتور مصطفى الرافعي لا يكتشف عمالته حتى اعترض على اتهامه، بينما أشار إلى اتهامه أيضًا كل من الدكتور هشام الشواف، والقس العراقي وهان الموصلي.

ريموند مارتيني

مستشرق ولاهوتي إسباني اختارته دوائر التنصير علمًا من أعلام (التبشير)، فما كان إلا علمًا من أعلام الصفاقة والتزوير. أنشأ له أسياده الدومنيكان في تونس، حيث أقام، مدرسة لتعليم اللغة العربية لدعاة التنصير، لأن هؤلاء سيكلَّفون البحث في أمور الفقه والتفسير، وفي التطاول على كتاب الله العزيز، وقد توهم - فيما يتوهم التعس اليقظان - أنه أتقن العربية إلى الحد الذي يمكنه من معارضة القرآن الكريم، فأقدم بسفاهته وحماقته على وضع ما توهمه (سورة) وأنت لو اطلعت عليها لما وجدتها إلا نصًا سخيفًا.

ماذا بعد ؟!

لقد حار الغربيون في أمر هذا القرآن المعجزة، فاندفعوا مرارًا يقلّدون ويُحرِّفون ويترجمون ويعارضون، كي يختلقوا مقولة «الوضع» اعتسافًا، وما كانوا في كل مرة ليعودوا إلا خاسئين. فماذا بعد؟! وإلى متى هذه الضلالات؟

وإذا كنت سأطرح بعض الإشارات السريعة حول المستشرق مارتيني فإنما أعنيهم جميعًا، ولا أعني أو أقصد حالة فردية وحسب.

وعليه، فأنا أرى أن ذلك المستشرق (اللاهوتي) الأفاك، كان على إحدى حالين، أو عليهما معًا: فإما أنه كان واهمًا، وإما أنه كان عابثًا:

1- أما إذا كان واهمًا بأنه امتلك ناصية اللغة العربية، فما هذا - إذا توافر حسن النية - إلا دليل على عظمة لغة القرآن الكريم، بحيث ما يقبس الأجنبي بعضًا من نورها إلا ويظن نفسه مالكًا لها. على أن هذا لا يعفيه من سوء النية وفساد الطوية، بل يوقعه بهما، وإليك البيان:

- كيف يكون ضليعًا من اللغة العربية، ولا يكون أول المُسلِّمين بأن لغة القرآن الكريم غيرُ لغة البشر، حتى وإن نزلت بالعربية تكريمًا لها ولنبيها وللعرب؟

- كيف يكون ضليعًا من اللغة العربية، ولا يكون أول العارفين بعجزه عن تقليد القرآن ومعارضته؟

- كيف يكون ضليعًا من اللغة العربية، وأخبار فقهاء الدنيا قديمًا وحديثًا، وعلماء الألسن البشر، ولا يكون واحدًا من الواثقين المعترفين بأن لغة القرآن الكريم ليست من صنع البشر؟

إنه لو كان ضليعًا من اللغة العربية لأدرك أن الأناجيل التي يضمها إلى صدره في الكنائس والمقابر والمحاكم والأعراس وكرسي (الاعتراف) وفي كل المناسبات الدينية والاجتماعية، إنما هي (المصنوعة الموضوعة) مع تقديسنا لإنجيل لم نره ولم يره مارتيني: إنجيل عيسى - عليه السلام -.

- لو كان هذا المجدِّفُ منصفًا حقًا لاشتغل بالبحث عن إنجيله السماوي، أما إذا كان لا يريده فليشتغل بالبحث في واضعي الأناجيل، ولا بأس عليه بعد ذلك عند قومه أن يضع واحدًا خاصًا به، يحمل اسمه ويضاف إلى العشرات التي أُلِّفَتْ، والتي ما جُمعت في أربعة أو خمسة إلا بعد هياط ومياط وشفاعة من الكنيسة (والكنيس) (الكتاب المقدس).

- وأخيرًا لماذا تطاول ذلك الأفاك على كتاب الله العزيز، وأغفل ما يضمُّه إلى صدره من هذْر وأباطيلَ وغدر وخيانة، ولا أريد أن أزيد (أعني العهد القديم - التوراة المزورة).

أيكون موظفًا عند الصهيونية كواحد من أشنع المجدفين على الإسلام في تيارات الغزو الثقافي؟

وأرجو أن تتذكروا - بمناسبة الحديث عن الغزو الثقافي الصهيوني - أو أن يتذكر البعض، كم بذلت الصهيونية من جهود في عامي 1964 - 1965م على الخصوص من أجل تبرئة اليهود من دم المسيح - عليه السلام - .

2- وأما إذا كان الرجل عابثًا - وهو يعارض القرآن الكريم - فما أظنه كان محتقرًا غير نفسه، أو حاطًا من غير قدره ووقاره، وهو، فيما يزعم، رجل دين.

3- وأما إذا كان واهمًا وعابثًا معًا فما أظنه نال غير مسبَّة الدنيا وعذاب الآخرة، فلينقلب بهما إلى يوم يُبعثون.

وأرجو أن أكون قد وفقت في كشف شيء من أسرار الغزو الثقافي محليًا وأجنبيًا، وأن أكون قد عرَّيت خطورة دوائره ومؤسساته على تراثنا الخالد، وحقدها على العرب والمسلمين. ولنا ولكم - بإذن الله - بعض الثواب.

توثيق المراجع:

وثقت المراجع من كتاب «وجهًا لوجه أمام التاريخ» لمؤلفه الأديب والباحث حامد حسن، طبع في دمشق، مطبعة عكرمة 1992م (بالتداخل مع مراجع أخرى):

1-9- المرجع المذكور ص47، 47، 47، 47، 16، 16، 16، 16، 56.

10- المرجع المذكور ص 56. آخذًا عن كتاب «المتنبي» للأستاذ محمود محمد شاكر.

11- وجهًا لوجه (المرجع المذكور) ص 59.

12- المرجع المذكور ص 59، آخذًا عن «موسوعة المستشرقين» لعبد الرحمن بدوي.

13- وجهًا لوجه ص 62.

14- وجهًا لوجه ص 62، آخذًا عن «شخصيات قلقة في الإسلام» لعبدالرحمن بدوي.

متى نجتاز المسافة

بين أعمالنا وآمالنا؟!



عبدالعزيز بن عبدالله السالم

نحن بحاجة إلى توازن يضبط تصرفاتنا في كل حالاتنا: في الرضا والسخط، والحلم والغضب، والفرح والحزن، والحب والكره، وأن يسود هذا التوازن المطلوب كُلَّ فعل صادرٍ منّا وكلَّ ردٍّ فعلٍ صادرٍ عنا، فنضبط إيقاعنا في جميع تصرفاتنا بحيث يتم انضباط إيقاع الذات فلا تخرج عن مدارها وإيقاع حركة الحياة فلا يضطرب مسارها.

توازن يتمثل في كل أعمالنا، ويعم كل توجهاتنا، ويؤكد كل منطلقاتنا، ويستوفي طاقة أفعالنا وتحركاتنا؛ فيشمل الضوء والظل والحركة والسكون والحيوية والهدوء وكل أنواع التوجهات وألوان الاتجاهات، فنحاول أن تكون نظرتنا صادقة وخطواتنا واثقة وأفعالنا صائبة. حتى لا تختلط بين أيدينا الأمور وتضل بنا السبل أو تزل بنا الأقدام، أو تضطرب في موازيننا المقاييس، أو تتصادم بيننا الرغبات، أو تتباعد بنا الاتجاهات؛ لتكون أعمالُنا ترجمةً أمينة لأقوالنا فلا نقول ما لا نفعل، ولا نفعلُ ما لا نؤمنُ به، أو يدخلُ في معيار حساباتنا ما لا نطبقه في واقعنا. فكل خطواتنا محسوبة علينا، وأوقاتنا محسوبة من أعمارنا فلا نضيعها فيما يضر أو فيما لا ينفع، فالحياة تتطلب منا مواجهة صادقة وعملاً منتجا، فلا يضرُّنا مثلُ التسويف في اتخاذ القرارات والتهاون في أداء الأعمال..

التفوق وليد استثمار الوقت

والأمم التي تتطلع إلى التقدم، وتهتفُ في أعماقها رموزُ التفوق تهتم باستثمار أوقاتها، وتتنافس في أداء واجباتها ليتسنى لها من خلال ذلك إثبات أهمية وجودها على صعيد الأداء المتميز، وتحقيق إنتاجها على مستوى المنافسة، فتتجاوز تقرير الواقع إلى تأييد الموقف. ومن الخطأ ـ كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود ـ: «أن نقيس الأمور بمعيار الماضي أو نقيسها بمعيار المستقبل الذي سيكون: غاضين النظرَ عن الحاضر الذي هو كائن. حاضر الانتقال والتحول»، ذلك أن: «عصر التحول هو عصرنا، فالسفينة تتحرك به بين شطين، ولو غفلنا عن هذه الحقيقة الأولية لزاغت أبصارنا إلى ماضٍ تركناه، أو شطح بنا الخيال إلى مستقبل مأمول لا نملك بَعْدُ وسائله».. ثم يمضي بنا هذا الأديب العربي الكبير فيضع بين أيدينا هذه الصورة الواضحة: «وَلَكَمْ شهد التاريخ فترات وفترات تمور بالحياة وتفور، وأخرى يصيبها من الجمود ما يشبه الموت، ففي الحالة الأولى يكثر الخلق والإبداع، ويكثر الأفراد الأعلام الذين لا يغني منهم أحد عن أحد، وفي الحالة الثانية تتشابه الفلاة فكلها من حبات الرمل أو حصباء المدر، وإن شئت فانظر في التاريخ العربي القريب إلى الثلاثة القرون التي امتدت به بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر والتي هي عصرنا المظلم الذي توسط بين قديم خصب وحاضر يحاول أن يكون خصبًا».

تشكل النظرة إلى الحياة

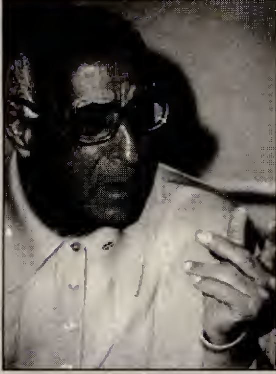
وكثيرا ما تختلف التوجهات والاتجاهات وتتعدد الاختصاصات بحسب الميول والمواهب والقدرات. كما تتنوع بتنوع المبادئ والنزعات والمصالح، فكل فرد في بداية حياته يتجه إلى لون من الدراسة أو التدريب أو العمل بما يتماشى مع نزعته النفسية، ويلتقي مع قدراته الذاتية. ويتحقق إنتاجه إذا كان العمل المُسنَد إليه يتناسب مع تخصصه وتأهيله وخبرته واستعداده.. ومما هو واضح أن الفرد ينشأ على أسلوب يتكيف معه، ونمط من التفكير يمهِّد له طريق حياته ويوجّه مسيرته ويرسم مستقبله في إطار من الآمال الفسيحة والأحلام الواسعة. والناس مختلفون في نظرتهم إلى الواقع وتطلعاتهم نحو المستقبل، وقد يشتد هذا الاختلاف حتى يتحول من الضد إلى الضد، وفي ظل هذا المفهوم تتشكل النظرة إلى الحياة بحسب هوية الفرد ونشأته وأساليب تربيته ومدى تأثير بيئته فيه وتأثره بمجتمعه، فكل هذه

العوامل لها تأثيرها في توجيه الفرد وفي أسلوب حياته ونمط تفكيره، وهي التي تقوده إلى النجاح أو تؤدي به إلى الفشل، وعليه أن يوازن بين متطلبات النجاح وتكاليف الفشل، وما يتحقق نتيجة الأول من فرحة غامرة وسعادة دائمة، وما يكون نتيجة الثاني من إحباط وشقاء. فالأول يؤدي إلى معارج الرقي، والثاني ينتهي إلى مدارك الإخفاق.

التطلع إلى صحوة جديدة

والذي يحز في نفس كل عربي مسلم ما نشهده من تخلف ملموس عن المسيرة العالمية المتطورة، مما يدفعنا - في غمرة آفاق الآمال - إلى أن نتطلع لصحوة جديدة توقظ النائمين وتنبه الغافلين وتدعو إلى وعي يحفز إلى النشاط المكثف والحيوية الدافعة والعمل الجاد. وهذه اليقظة المؤملة هي التي ننشدها لأمتنا العربية والإسلامية. فإذا استطاعت أن تتحرر من عقدة التخلف، وتتخطى مركّب النقص، وحاولت الانطلاق نحو البناء وتحقيق معنى وجودها، فإنها بذلك ستحيي الآمال الشاحبة، وتطلق الأفكار الحبيسة، وتنعش التطلعات الراكدة، وتبعث في جوانحنا الآمال الواعدة، وتبشر بغد مشرق ومستقبل باسم، وبحضور للذات تتمكن من خلاله من مزاحمة الأمم المعاصرة في معترك الحياة وشق طريقها بين الصفوف المتقدمة والمواكب السائرة. ولا ريب أنّ أهم العوامل التي تؤهل لخوض غمار المعركة الحياتية تتجسد في الإرادة البانية والعقل المتزن والعزيمة القوية والتفكير السديد، فإذا تكاتفت هذه العوامل وتضافرت الجهود من حولها أمكن إزاحة العقبات المزروعة في طريق نهضتنا، والتغلب على التيارات المواجهة لانطلاقاتنا، وتفادي الإحباطات المحيطة بنا من كل النواحي. إلى جانب التصميم المؤكد على التسامي بمواقفنا فوق الخلافات الطافية على سطح العلاقات الأخوية، والارتفاع فوق التصورات الخاطئة التي تسد أبواب التفاهم فيما بيننا، والتصدي للأصوات النشاز المثبطة للعزائم والداعية للخذلان، واقتلاع جميع المعوّقات التي تسد منافذ الطرق المؤدية للعمل المطلوب والموقف المنشود، وإزالة الضباب الذي يحجب الرؤية المتطلعة نحو الغايات التي تمهد للنهضة المرجوّة والتطوّر المأمول..

فكيف تقودنا خطواتنا في خضمّ الأمواج المتلاطمة والتيارات المتدافعة ونحن في مجتمع يمور بأحداث صاخبة تثقل كاهله وترهق حيويته، وتوجهات تعوق انطلاقته وتعرقل مسيرته؟ ومع أننا نحاول الانفكاك من كل المعوقات والتحليق في أفق النجاح، فإن إرادتنا يعلوها الصدأ لكثرة الإهمال فتشدنا - عند الحاجة إليها - إلى الأرض، وتقعد بنا عن السير، وكأنما كُتب علينا أن نعيش بهذا المستوى الذي وجدنا أنفسنا داخل إطاره مقيدين باستمراريته.. فيتحتم علينا أن نغير من هذا الركود الذي يخيم على أوضاعنا، وأن نتحرر من القيود التي تقعد بنا دون التفوق، ويصبح من المتحتم علينا أن نتأسى بإشراقة ماضينا المجيد، ونأسى لأفول حاضرنا المتبلد، ونعمل على تلافي كل نقص في منهجنا وكل ثغرة تؤدي إلى خلل في مسيرتنا، حتى نستطيع أن نستجلي في واقعنا ملامح الماضي وطموحات الحاضر.


د. زكي نجيب محمود

كيف نواكب تطورات الحياة ؟

والإرادة هي أهم مقومات الإنسان، وبها ومن خلالها يمكنه الانطلاق في هذه الحياة وتحديد مساره فيها، وتحقيق آماله وتطلعاته نحوها، وهو من جانب آخر باستطاعته أن يجدد نشاطه وأن يطور ملكته ويستثمر حيويته ويكيّف أسلوبه في الحياة؛ فيتفادى الخمول والكسل، ويحاول تحقيق طموحاته بالأساليب المتميزة وبالطرق المناسبة، فيجدد في ذاته الطموح والارتقاء بحياته على أسس واقعية ومن منطلقات ذات أهداف متألقة ليس فيها طفرة ولا جمود ولا شطط أو ركود، ومن خلال تحولات انتقالية تسودها الحكمة وتقودها الرؤية الصحيحة كما يحدد الدكتور زكي نجيب محمود هذا المسار بقوله: «التحول انتقال من حال إلى حال، وأول الخطأ أن نوجه أنظارنا إلى حال المبتدأ وأن نوجهها إلى حال المنتهى مع أن مرحلة التحول هي الواقعة بين الحالين: حال المبتدأ وحال المنتهى».. وعلى أساس هذه القاعدة لا بد أن نضع في حسباننا أهمية التحول من الأدنى إلى الأعلى ومن الأقل إلى الأفضل، وأن نمارس الحركة المنافية للجمود والنشاط المضاد للخمول، حتى نستطيع مواكبة تطورات الحياة من حولنا ومسايرة التقدم الذي سبقتنا إليه أمم كانت بعدنا، ولكنها تجاوزتنا في هذا العصر، وظللنا نركض خلفها حتى أتعبنا الجري وراءها والركض في أثرها، وتلك مأساتنا في مواقفنا وفي موقعنا من أحداث الحياة ومجرياتها ومن مدّها وجزرها ورياحها وتياراتها.

ما نشهده من تخلف ملموس عن المسيرة العالمية المتطورة يجعلنا نتطلع إلى صحوة توقظ النائمين وتنبه الغافلين وتدعو إلى الانطلاق

بين أعمالنا وآمالنا؟!

الإنسان ليس وحيدًا في الكون

وتركيبة الإنسان تتطلب منه الجدية في التعامل مع مقومات الحياة والتكيف مع خصائصها بما تفرضه طبيعتها، وما يدفع إليه الواقع الحتمي لوجود الإنسان الذي يشعر بأن له أهمية في هذا الوجود، وأنه مدعو للعمل المنتج، فهو لا يمكن بحكم تكوينه الاجتماعي أن يعتزل المجتمع ليعيش بمفرده من دون سند من التعاون الذي يفرضه الواقع الاجتماعي وتحتمه البيئة التي يحيا داخلها. وهذا الواقع لا ينفرد به الإنسان وحده، وإنما يتعايش من خلاله كل مخلوق، لا من بني البشر فحسب، وإنما من المخلوقات الأخرى كلها. فكل جنس يتحد مع جنسه، وكل فصيلة تنضم إلى فصيلتها، ويؤلف التعاون ما بين الأجناس والفصائل ما تحتمه طبيعة تركيبتها وتستدعيه واقعية تكتلها، لذلك وجدنا لكل أنواع المخلوقات خصائص تتمتع بها وسمات تدل عليها. نلمس تلك الخصائص والسمات في الطيور المحلقة في أجواء الفضاء، أو المدجّنة فوق الأرض، وأنواع الأحياء المائية السابحة في البحار والمحيطات، فكلّ نوع يتحد مع نوعه ويلتقي مع صنفه، وكل فصيل له قائد من جنسه، وهذا ملاحظ بين جميع الفصائل لكل الحيوانات، ولاسيما الوحشية بصورة خاصة، فإنها تحتمي بعضها ببعض عند شعورها بأي خطر، والتي تشذ عن ذلك التجمع تكون ضحية لوحش مفترس يتربص بها.

والمرء عندما يكون في الصحراء يشاهد مجموعات من القطيع تسير في ركب واحد ترد الماء وتصدر عنه في مجموعات متجانسة، وإذا اعتدى عليها من يهم بافتراسها حاولت مقاومته بقرونها إن كانت لها قرون، أو بالركل بأرجلها إذا كانت من ذوات الحوافر، أو بسرعتها للهرب إذا كانت لا تملك سوى سرعة الجري. وقد جعل الله - تبارك وتعالى - لكل مخلوق حاسة يدرك بها الخطر الذي يتهدده فيعمل من جانبه على دفعه أو تلافيه، والشعور بالخوف يولّد لديه طاقة تدفعه للتصدي للعدو البادئ بالاعتداء والوقوف في مواجهته، وإذا لم يكن بإمكانه ذلك فإنه يتحقق له بهذا الدافع تفوّق في سرعة الجري للتمكن بالهرب من الإفلات من قبضة المعتدي. وهذا التحول التلقائي الذي يولده الخوف لا يختص بالحيوان بل يتمثل حتى في الإنسان، فإنه يعجب حين ينتهي الخطر الذي كان يحيط به: كيف واتته القوة وأسعفته الجرأة لأن يصمد في الموقف العصيب، ويظل فترة في أعقاب ذلك الموقف يتأمل واقعه: كيف أمدته طاقته بالتصرف المفاجئ الذي أنقذه من الهلاك، أو قلّل من خطورة الاعتداء؟ وكيف استمد من الخطر الداهم ذلك المدد الهائل من القوة في المواجهة أو السرعة للتخلص منه بما لا تواتيه في أي لحظة من لحظات عمره إلا حينما يستشعر الخطر المحدق به؟..

وجوب استنفار الطاقات

وعندما نستبطن هذه الصورة في نفوسنا توحي لنا بوضع جديد: ذلك أننا نختزن في داخلنا طاقات معطلة لا نستغلها إلا في حالات آحادية محدودة، وفي ظل واقع فُرض علينا. مما يقتضينا الالتفات إلى واقعنا ومراجعة أوضاعنا وطرح تساؤل يعيدنا إلى دائرة التفتح ويبعث فينا روح الأمل. وإذا كانت المخاوف من الأخطار تمدنا بطاقة فاعلة، وقدرة غير منظورة كانت منسية في كياننا ومهملة بعدم استعمالنا لها لمْ نكتشفها إلا عند مواجهة خطر داهم أو في موقف صعب، فمعنى ذلك أن لدينا مخزونًا من الطاقات والقدرات، وأنها في حالة استنفارها ستمدنا بالقدرة على اجتياز الصعاب ومواجهة الأخطار - وذلك بعد عون الله تبارك وتعالى -.

> **علينا أن نواجه الحقيقة بشجاعة من يتصدى لعدو؛ فلا نهرب من مواجهة الواقع، بل يحفزنا التأخر إلى الإصرار على محاولة التقدم**

فحوافز الشعور بالتخلف أشبه بحوافز الخوف من الوحش المفترس، واستنفار الدوافع الذاتية وحشد القوى الفكرية والجسدية يمثل انتصارًا في معركة الحياة بين التقدم والتخلف، وكما يتم حضور التعبئة الذاتية في حالة الخطر تكون التعبئة النفسية في حالة تحقيق وجود الذات.. والتخلف هو عدونا المتربص بنا: إنه ذلك الوحش المفترس لطموحاتنا وآمالنا، فعلينا أن نواجه الحقيقة بشجاعة من ينازل عدوًا يتصدى له بكل مقومات التصدي؛ فلا نهرب من مواجهة الواقع وإنما يحفزنا التأخر إلى الإصرار على محاولة التقدم، وإذا تمثلنا ما نحن عليه من وضع نجد قاماتنا لا تطاول قامات الآخرين في عصر لا ينتظر الخاملين والحالمين، فبالهمم العالية والعزائم الصامدة استطاعوا تحقيق حضارة متقدمة، وظللنا على آثارهم نجترّ آلامنا وتُهدهدنا أحلامنا، فإذا شمس الحضارة تشرق في سمائهم وتغيب من سمائنا، ونتطلع إلى أضواء النهار فلا نجد سوى ظلام الليل. فلا بد من التسلح لمواجهة التخلف بسلاح جديد كما تفرضه متطلبات العصر، لتعلو في ظله راية التطور. والذي يضع أمامه غاية ويرسم المنهج الذي يقوده إلى النتائج يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه من طموح وما ينشده من نجاح، وبذلك نستطيع اجتياز المسافة بين أعمالنا وآمالنا.

الأبناء
بين شوقي وغازي القصيبي

د. محمد عبدالعزيز الموافي

هذا ميدان طريف من ميادين الشعر. فقد ندر التفات الشعراء إلى مثل هذه المضامين الشعرية الذاتية، بل الممعنة في الذاتية، حيث غلب على الشعر الاتجاه إلى الخارج، والاهتمام بـ «الغير». ويمكن للدارس أن يميز بين هذين اللونين من الشعر لدى الشاعر الواحد. وتذكر المصادر الأدبية ما يؤكد ولع بعض الشعراء بتلك الظاهرة؛ فقد دهش النقاد القدماء من أبيات بشار:

ربابةُ ربَّةُ البيتِ
تصبُّ الخلَّ في الزيت
لها عشرُ دجاجاتٍ
وديكٌ حَسَنُ الصوت

والتي لا تناصي «عيون» شعره، من مثل قوله:

إذا ما غضبنا غضبة، مُضريَّةً
هتكْنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دَمَا
إذا ما أعرْنَا سيداً من قبيلة
ذُرَا مجدنا، صَلَّى علينا وسلَّمَا

واتَّهموه بأنه يأتي «بالأمر المهجَّن!»، لكنه رد عليهم بألمعية: «كل شيء في موضعه! وربابة هذه جارية لي، وأنا لا آكل البيض من السوق، ولها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع هذا البيض، فكان قولي هذا لها أحب إليها وأحسن عندها من: قفَا نَبْك...»(1).

ولشوقي في هذا المجال أكثر من قصيدة، منها(2):

«صاحب عهده»:

رُزقت صاحب عهدي
وتم لي النسل بعدي

«ياليلة!» :

ياليلة سميتها ليلتي
لأنها بالناس ما مَرَّتِ
الموت عجلان إلى والدي
والوضع مستعصٍ على زوجتي
حتى بدا الصبحُ، فولَّى أبي
وأقبلت بعد العناء ابنتي

«أمينة»:

أمينتي في عامها ال
أول مثل الملَكِ
فإن مشت فخاطري
يسبقها كالمسكِ

«طفلة لاهية»:

أمينة، يا ابنتي الغاليه
أهنيك بالسنة الثانيه

ثم «أخت أمينة».

أما القصيبي فله قصيدتان: «يارا والشعرات البيض»:(3)

مالتْ على الشَّعَرات البيض تقطفها
يارا وتضحكَ: لا أرضى لك الكِبَرا

والأخرى «هيا خذاني»:

ها أنتما تضحكان
وتارة تبكيان
أما أنا فدموعي
حبيسةٌ في كياني!

ونلاحظ أن عاطفة شوقي في «صاحب عهدي»(4)، كانت هادئة إلى درجة جعلت المقطوعة أقرب إلى «النظم»:

رُزقت صاحب عهدي
وتمَّ لي النسلُ بعدِي
هم يحسدوني عليه
ويغبطوني بسعدي
ولا أراني ونَجلي
سنلتقي عند مجد

إنه يبدو كأنه يؤدي واجبًا تنقصه حرارة التجربة. ولعله كان ينظر - حينذاك - إلى النسل نظرة قد تختلف عن نظرة غالبية البشر. فالإنسان يوقن بحتمية الموت ويرى أنه الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذه الحياة، وهو - في الوقت نفسه - يهرب من معايشة هذه الحقيقة، ويحاول أن يتناساها! بل قد يتجاوز ذلك، ويتوهم أنه يستطيع التغلب عليها بالخلود! حتى وإن كان جزئيًا ممثلاً في الذرية التي تحمل اسم الإنسان بعد موته وتحيي ذكره.

شوقي الذي كان يضنيه الفناء وتؤرقه النهاية المحتومة، لم تُسله تلك النظرة إلى الذرية. ورأى أن شعره فيه العزاء:

وسوف يعلمُ بيتي
أني أنا النسلُ وحدي

فهو ليس عقبًا عاديًا لمن سبقه من آبائه، وإنما هو شاعر، والشعر هو الذي سما بالنسب وخلَّد الأسماء. ولذلك تمنى أن يضيف ابنه

شيئًا إلى «البنوة» كما أضاف هـو:

فإن أساءك قولي

كَذِّب أباك بوعد!(5).

لشوقي أربع قصائد عن ابنته: يا ليلة، «أمينة، طفلة لاهية، أخت أمينة». ولم يكن الكم وحده هو الذي فاقت فيه أخاها. ولكن الكيف أيضًا؛ حيث جاءت هذه المقطوعات قريبة من «الشعر»! محققة درجات عالية من الإجادة.

والمقطوعة الأولى «يا ليلة!»، قد يكون الأنسب لها أن تُسمَّى «يا ليلتي!»، كما نَصَّ هو نفسه في مفتتحها:

يا ليلة سميتها ليلتي

لأنها بالناس ما مَرَّت

هنا تكسبها الإضافة لياء المتكلم خصوصيةً نعدمها في تنكيرها «ليلة» مهما ادَّعينا للتنكير من تهويل وتفخيم!

وقد أدت المصادفة دورها في تلك الخصوصية لهذه الليلة التي «بالناس ما مرت!»، حيث كانت ولادة بنته، ووفاة أبيه في ساعة واحدة منها!

ويلاحظ أن المقطوعة التي تتكون من عشرة أبيات قد استنزف منها الشاعر - بعد استهلاله الرائع - ثلاثة أبيات، جعلها تمهيدًا طويلاً لا يضيف كثيرًا إلى الرؤية الشعرية على الرغم من توالي الاستفهامات، وشحن المعجم بالموت والقدر والعبرة والغفلة:

أذكرها، والموتُ في ذكرها

على سبيل البثِّ والعبرةِ

ليعلمَ الغافلُ ما أمسُهُ؟

ما يومُهُ؟ ما منتهى العيشةِ

نبهني المقدور في جُنحها

وكنت بين النوم واليَقْظةِ

وقريب من ذلك البيت السابع الذي جاء تكرارًا وشرحًا للبيت السابق له، فحدَّ من إيحائه.

وعلى ذلك يبقى من المقطوعة، أبيات ستة لو قرأناها متوالية شعرنا أنها يأخذ بعضها بحُجَز بعض:

يا ليلةً سمَّيتُها ليلتي

لأنها بالناسِ ما مَرَّتِ

الموت عجلانٌ إلى والدي

والوضع مستعصٍ على زوجتي

هذا فتى يُبكى على مثله

وهذه في أول النشأة

والقلبُ ما بينهما حائرٌ

من بلدة يسري إلى بلدةِ(6)

حتى بدا الصبح فولَّى أبي

وأقبلت بعد العناء ابنتي

فقلت: أحكامكَ حِرنا لها

يا مخرجَ الحيِّ من الميت

والأبيات على هذه الصورة تمثل قصة شعرية قصيرة تتوالى فيها الأحداث، وتشد القارئ إليها، وتزيد من توتره، حتى يصل إلى «لحظة التنوير» في الحكاية. ولكن بصمات شوقي الغنائية واضحة في هذا البناء المتوازن للعبارة الشعرية، وفي تلك المقابلات التي تبرز «المفارقة» في المواقف:

الموتُ عجلانٌ إلى والدي

والوضع مستعصٍ على زوجتي

هذا فتى يُبكى على مثله

وهذه في أول النشأة

كذلك لم ينس شوقي أن «يصفِّي» الموقف، ويستخلص العبرة في ختام المقطوعة:

فقلت: أحكامك حِرنا لها

يا مخرج الحيِّ من الميّت

وتظل «أمينة» تستحوذ على اهتمام أبيها، وتزداد رعايته لها وولهه بها، من خلال صور شعرية طريفة وموحية تحولها إلى «مثال» يجمع بين القداسة والطهر والبراءة. فهي «صالحة للحبّ.. وللتبرُّك!»، و«القلب يخفق لها عند البكاء والضحك!»، و«العين ترعاها في السكون والتحرك»، لقد صارت لديه محورًا ترتكز عليه حياته وأمانيه فيها. وانعكس ذلك في تلك الصور التي تُجسِّد مشاعره تجسيدًا موفقًا:

فإن مشت فخاطري

يسبقها كالمسك

ألحظها كأنها

من بصري في شَركِ

فمشاعر الخوف عليها، ونظره الذي لا يجاوزها؛ نكاد نحسُّهما في شح الممسك الكزوز، وفي الشباك التي تُنصب للفريسة، ولا غرو! فهي «جبين السعد!»، و«عيون الفلك!»، ثم هي ابنته وهو يعيش في قصر الحاكم، وقد يرى نفسه - وهو كذلك - أفضل وأبقى منه! فالأيام إذن لم تعطه حقّه، كما ضنت عليها بما تستحقه:

لو أنصفتْك طفلةً

لكنت بنتَ المَلك!

ثم يشتد تعلقه بها ويصور ذلك في «طفلة لاهية» عند بلوغها العام الثاني، مستفتحًا المقطوعة بدعاء الرب - سبحانه - وسؤاله إياه بكل ما يحبه لها. ثم يتأمل «الإنسان» من خلال سؤاله لها: «أتدرين ما مرَّ من حادث؟».

وكم سهرتْ في رضاك الجفونُ

وأنتِ على غضب غافيهْ

وكم قد خلتْ من أبيك الجيوبُ

وليست جيوبكِ بالخاليهْ

وكم قد شكا المرَّ من عيشة

وأنت وحَلْواكِ في ناحيهْ

فلو حسدتْ مهجةٌ وُلْدها

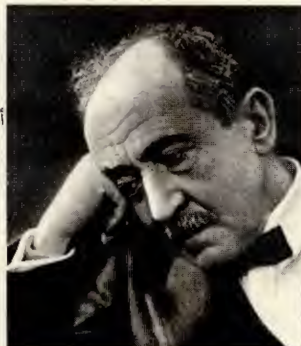
حسدتكِ من طفلة لاهيهْ!

أكثر من هذا، أبدع شوقي مقطوعةَ «أخت أمينة» عندما رأى في الفلك - في أثناء عودته إلى مصر - طفلة تشبه كريمته «هذه لؤلؤة عندي لها مثلٌ ثمينه»:

لستُ بالنفس ضنينًا

وبه نفسي ضنينه

وربما كان من المناسب أن نسأل: هل كان موقف شوقي هذا من «البنت» رد فعل لموقف المجتمع منها؟! وقد نتمادى في التساؤل: أليس من المعقول الظن بأن شوقي كان يشرئب بعنقه نحو



أحمد شوقي



د. غازي القصيبي

بين شوقي وغازي القصيبي

غد أفضل للمرأة العربية المسلمة؟ وذلك من خلال تلك الخطرات التي يبده بها العباقرة مجتمعاتهم، مستشرفين هذا «الغد» الذي ظل يتبلور شيئًا فشيئًا من خلال دعوات الإصلاح التي شملت كل مناحي الحياة المصرية في أوائل القرن العشرين.

أما غازي القصيبي فقد كان في هذا الشعر الأسْري أو «البيتي» منطلقًا من اتجاهه الوجداني أو الابتداعي، المولع بالحلم «الرومانسي» في أحضان الطبيعة، وبين كثافة «الغاب»؛ هروبًا من جهامة الواقع وقسوة البشر!

إنه ينطلق من موقف «بيتي» عابر إلى إشباع رغبته في النظرة غير العادية للأمر العاديّ، وفي ذلك الحزن النبيل الذي يعدّه تطهيرًا من آثام الحياة وأثقالها؛ شيء من ذلك نجده في «يارا.. والشعرات البيض»:

مالت على الشَّعَرات البيض تقطفُها

يارا وتضحك: لا أرضى لك الكِبَرا!

حيث اتخذ من هذا الموقف «مثيرًا» لتفريغ الشحنة الضخمة التي تضطرب في أعماقه بالحزن، والتي تنظر إلى «الشيب الذي استترا»، و«الروح التي تعبت»، و«القلب الذي انفطرا» نظرة وجدانية تحول ذلك كله إلى معركة يلذّ له - وللابتداعيين - خوضها مع الزمن/ الدهر: العنيف الذي يتخذه غرضًا يصوب إليه سهامه المردية! فالسنون صارت «مُدى مجنونة»، و«حرابًا أدمت العمرا!»، وعقب تلك الهزيمة القاسية المتوقعة يعود إلى ملاذه المفضل: الهروب إلى البراءة!

يعاود الهروب إلى البراءة والطهر والعذوبة، ممثلة في الطفولة، بما تسرح فيه من أحلام عذبة وردية:

فمن يردُّ ليَ الدنيا التي انقشعت؟

ومن يعيد لي الحلمَ الذي عبَرا؟

ولا ندري من الذي وضع تلك العلامة الفاصلة بعد البيت السابق وقبل «الحاشية»، أو «التتمة» التي خُتمت بها القصيدة؟ ونظن أنه الشاعر. وربما كان السبب في وضعها أنه أحس أنها «تذييل» للقصيدة لا يضيف كثيرًا إليها، بل لقد خرج بها إلى مجال التعريفات و«الماصدقات»، والنفي والإثبات:

ما الشيب أن تفقد الألوانُ نُضرتها

الشيب أن يسقط الإنسان مندحرا

إن القصيبي مولع بالبكاء على الماضي الذي يبدو عند الابتداعيين مغلّفًا بالطهر، محوطًا بالجلال. فتزداد المفارقة بينه وبين الواقع الكئيب الذي يجثم فوق صدره.

على أن هذا الملمح «الرومانسي» لدى الوجدانيين قد يمتد ليشمل اللحظات السعيدة القليلة في حياتهم:

أتيتُ أمرحُ فوق الرمل، أنبشه

عن ذكرياتي القدامى عن هوى صغري

ركبت سبعين بحرًا، جبت أوديةً

طارت بي الريح من أمنٍ إلى خطرِ(7).

فالقصيبي لم يتريث، فيستمتع بتلك اللحظة السعيدة، بل تجاوزها سريعًا، بإكثاره من الحركات القصيرة. ثم يسرع إلى النبش/ الحزن، ويطيل تلك الحركات. ويصور نفسه ريشة تتقاذفها الأقدار وتلقي بها وسط اللهيب. كما أبرز ذلك القطع المتوالي بين الجمل بعضها مع بعض!

ونأتي إلى قصيدة القصيبي الأخرى «هيّا خذاني»، فنجدها أشبه بالآهة الممتدة، أو الصرخة المستمرة، على امتداد القصيدة. وهو هنا يختلف عن شوقي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إذ يبني قصيدته على مفارقة كبيرة بين الطفولة والشيخوخة، بين الربيع والخريف:

ها أنتما تضحكان

وتارة تبكيان

أما أنا فدموعي

حبيسة في كياني

وحين أضحك تندى

في ضحكتي غصَّتان

وخلال تلك المفارقة تتجسد الملامح الابتداعية في هذه الأحزان الرصينة التي تسيطر على العاطفة، وفي ذاك الشجا الشفيف الذي توحي به الصور الفنية، والذي يظل يتدرج في طريق الانفراد والانزواء، والمعاناة من وحشة الوحدة القاتلة التي تكاد تصبح عدمًا خالصًا:

فمات قلبي.. وماتت

روحي.. ومات لساني

وتزيد علامات الترقيم، بما تشير إليه من حذف، هذا الانفعال حدة ووحشة، تجعل الشاعر يصرخ هاربًا إلى الحلم الرومانسي الذي يشارف معالم الرمزية بعالمها الذي تذوب فيه الحدود بين الأشياء، والذي يكون فيه المرء في حالة بين اليقظة والمنام. ومن ثم تشاهد خلال هذا الحلم الحنان يبني عوالمه السحرية متساميًا على الواقع الذي تسوده الكراهية والبغضاء. كما نرى الغيوم أبوابًا لتلك العوالم، والأغاني سقوفًا، كل ذلك في صياغة شعرية رصينة تلائم وتمزج بين الأسلوب العربي المشرق والصياغة العصرية الموحية:

هيا خذاني خذاني

إلى شباب الزمان

إلى عوالم سحر

مصنوعة من حنان

أبوابها من غيوم

وسقفها من أغانِ(8).

وقد وفق القصيبي في توظيف الموسيقى توظيفًا جيدًا، يساعد على ارتياد هذه العوالم الغامضة، والإصاخة إلى ما توحي به، مما تعجز الألفاظ عن حمله.

وهكذا مثلت أطياف الذكرى لديه عوالم رومانسية متصلة بتلك الرموز الدائمة للشجن أو الانطلاق، أو الأحلام، أو الجمال. باعثة في نفسه حنينًا ينطلق من لحظة «حذر» دافئة، من شأنها أن تثير كوامن الأشواق والذكريات(9).

الهوامش:

1- الأغاني، دار الكتب، 3/162 - 163، والموشح للمرزباني، نهضة مصر، القاهرة 1965، ص 387 - 388.

2- الشوقيات 1/96 - 103.

3- العودة إلى الأماكن القديمة، دار الصقر، البحرين 1415هـ، ص 19.

4- جاء العنوان في الشوقيات «صاحب عهده»، وكذلك جاء البيت الأول. ولعل الصواب ما ذكرناه: صاحب عهدي.

5- قد يكون من المناسب هنا التذكير بقول شوقي:

صار شوقي أبا علي

في الزمان الترللي!

6- في الشوقيات «أسرى»، ولعل الرواية التي اخترناها: «يسرى» أفضل. انظر الشوقيات المجهولة 1/118 - 119، وفيها رأي للأستاذ الجديلي حول عدد أبيات المقطوعة، وهو الذي آثرناه على المذكور في الشوقيات.

7- ديوان معركة بلا راية، بيروت 1971م، ص 330.

8- يلاحظ، مثلاً، براعته في صوغ القافية، بحيث تجسد تلك الصرخة الحزينة الممتدة الهائمة، من خلال إشباع حركة الروي ليأتي «الوصل»، إضافة إلى وجود «الردف» قبلها.

9- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث: د. عبدالقادر القط، مكتبة الشباب، القاهرة 1987م.

قصة قصيدة

تلك آثارنا تدل علينا

قصر الحمراء

د. محمود جبر الربداوي

قال شوقي من قصيدة طويلة قالها في منفاه في الأندلس يعارض فيها سينيّة البحتري المشهورة في إيوان كسرى:

اختلاف النهار والليل يُنسي ... اذكُرا لي الصِّبا وأيّامَ أُنْسي
وسَلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها ... أو أسا جرحَه الزمانُ المُؤسّي
كلما مرت الليالي عليه ... رقَّ والعهدُ في الليالي تُقَسّي
أحرامٌ على بلابله الدَّوْ ... حُ حَلالٌ للطير من كلِّ جنسِ؟
وطني لو شُغلتُ بالخُلد عنه ... نازعتني إليه في الخُلد نفسي
شَهِدَ اللّهُ لم يغِب عن جفوني ... شخصُه ساعةً ولم يَخْلُ حِسّي
أين (مروان) في المشارق عرشٌ ... أمويٌّ وفي المغارب كرسي
وعظ (البحتريَّ) إيوان (كسرى) ... وشفتني القصورُ من (عبد شمس)
لم يَرُعني سوى ثرًى قُرطُبيٍ ... لَمَسَتْ فيه عِبرةَ الدهر خمسي
قريةٌ لا تُعَدُّ في الأرض كانت ... تُمسك الأرض أن تميد وترسي
قُدُسًا في البلاد شرقًا وغربًا ... حَجَّهُ القومُ من فقيهٍ وقُسٍّ
أثَرٌ من (محمدٍ) وتراثٌ ... صار (للروح) ذي الولاء الأمَسِّ
وكأنَّ الآياتِ في جانبيه ... يَتَنَزَّلنَ من معارجِ قُدسِ
مشت الحادثاتُ في غُرف (الحمـ ... ـراء) مَشْيَ النَّعيِّ في دارِ عُرسِ
وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ ... وَهْيُ خُلقٍ فإنه وَهْيُ أُسٍّ
يا ديارًا نزلتُ كالخُلد ظلاًّ ... وجنًى دانيًا وسلسال أُنس
لا تَحسّ العيونُ فوق رُباها ... غيرَ حُورٍ حُرِّ المراشفِ لُعْسِ
وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما ... ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسّي

على الرغم من اعتزازي بالآثار التي خلّفها ملوكنا وخلفاؤنا وأمراؤنا، وبالانتصارات التي حقّقها أجدادنا القدماء، وعلى الرغم من افتخاري بالمنجزات الحضارية التي صنعها آباؤنا الأولون. كل هذه الآثار والانتصارات والمنجزات الحضارية التي صنعها العرب في حقبة ازدهار ما قدّموه للإنسانية من ثقافة وحضارة وعمران شواهد تدل على عظمة الرجال الذين صنعوا هذه المنجزات، أقول: على الرغم من اعترافي بكل هذا واعتزازي به وإجلالي له، لا أريد لأجيالنا المعاصرة أن تكتفي بالتغني بتلك الأمجاد الغابرة، وأن تكتفي بالوقوف أمامها وقفة الإنسان المنبهر، وترنو إليها رنو الرجل المندهش، وتمضي مردّدة: إنا صنعنا هذا في سالفات الأيام؛ أريد جيلاً عصاميًا لا عظاميًا، جيلاً شعاره:

لسنا، وإن أحسابنا كَرُمَتْ ... يومًا على الآباء نتّكلُ
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني، ونفعل مثلما فعلوا

شعار كل واحد قول الآخر:

إن الفتى من يقول: هأنذا ... ليس الفتى من يقول: كان أبي

أريد جيلاً يقف أمام الأوابد التاريخية والأطلال الحضارية ليستلهم منها مصدر دفع لمحاكاتها والإضافة إليها، وليستكنه سر العظمة فيها، فيقلدها ويتجاوز التقليد إلى التجديد، لا أن يقف أمام هذه الأوابد الرائعة وقفة الضعيف الذليل الذي لا حولَ له ولا طَوْل، يذرف الدموع على ذوي العزائم القعساء الذين خلّفوا هذه الآثار، وعلى قبور الشهداء الذين دفعوا أرواحهم ثمنًا لهذه المنجزات التي دخلتْ في عداد الآثار الإنسانية.

ليت شعري متى ردّت الدموع السخينة راحلاً رحل؟ ومتى ردّت الدموع السخيّة بطلاً غادر الحياة؟ ومع كل طموحاتي هذه وأمنياتي أن يُخلق جيل في القرن الحادي العشرين يتفاعل مع المستقبل ويفعل فيه، ويطوّره ويُغيّره، مع كل هذا يظل أملي في الشعراء والأدباء والمؤمنين بعبقرية هذه الأمة ألا يكفّوا عن التغنّي بالأمجاد القديمة وإبراز الصور المشرقة منها لكيلا تنسى الأجيال القادمة هذه الصور فيطويها النسيان والضياع، وتخبو في الشباب جذوة الإبداع، وهذه الخاصة واحدة من وظائف الشعر، ورسالة الشاعر الحق يؤديها لأمته وقومه ووطنه؛ وشيء من هذا أحَسَّ به وفعَلَهُ أمير الشعراء أحمد شوقي الذي جاء على رأس الشعراء في العصر الحديث.

وُلد الشاعر شوقي وترعرع وعاش أحداث العصر، وتفاعل معها بصفته شاعرًا ومفكرًا، وشعره وفكره وضعاه في موضع سياسي معين، وكل هذا دفعه إلى أن يجني مغانم، كما جعله بالمقابل يدفع مغارم، لعل من بينها ما هو مشهور في كتب تاريخ الأدب من النفي الذي تعرض له عدة سنوات خارج وطنه، ونعني بذلك نفيه إلى الأندلس في إبّان الحرب العالمية الأولى، ومكث فيها حتى حطت الحرب أوزارها سنة 1919م، وهذا الحدث الكبير في حياته وضعه أمام تجربة شعرية جديدة اجتمعت فيها مشاعر الاغتراب والحنين ونوازع الشباب الناضج، ومعطيات الطبيعة الأندلسية الفاتنة، فلوّنت شعره في هذه الحقبة بألوان أندلسية وإسبانية وأوربية، تختلف عن ألوان شعْره الذي عهدناه في مصر قبل النفي وبعده.

ويسلّم الدارسون بأن شوقيًا يمتلك موهبة شعرية فذّة، هي التي أحلته باستحقاق إمارة الشعر في عصره، وقد شعر بهذه الموهبة في مرحلة مبكرة من حياته، فلذلك سوّلت له نفسه أن يتصدى لكبار الشعراء القدامى باستعراض هذه الموهبة، فوظّفها في الفن المعروف باسم «المعارضات الشعرية»، فعارض البحتري في السينيّة(1) وابن زيدون في النونية، والبوصيري في الهمزية والميمية المسماة «نهج البردة»، والحصري في الدالية. يقول خليل مطران: «يكلف أحيانًا بمعارضة المتقدمين، ولا يندر عليه أن يبزهم». ولو تصفح المرء ديوانه وما سُمي بالمجهول من قصائده لألفى ظلالاً كثيرة من صور السابقين ومعانيهم مبثوثة في شعره، ولكننا لا نريد أن نقوّم شاعرية شوقي في نزعته للمعارضات، فهذا بحث تعرّض له الدارسون وفرغوا منه(2). ولكنْ حسبنا اليوم أن نتناول معارضة واحدة من أشهر معارضاته هي السينية التي أثبتنا لك بعض أبياتها قبل قليل، ولكونها قصيدة ذات قصة أحببنا أن نقف عندها، وهي نتاج قصة نفيه إلى الأندلس عندما عمد الإنجليز الذين يحكمون مصر - آنذاك - إلى إقصائه عن مصر لكونه مقربًا من البلاط محفزًا لمشاعر الشعب بقصائده الحماسية ضد المستعمر، فكان اختياره للأندلس التي استوطنها العرب ردحًا من الزمن في حقبة زهو حضارتهم، وكانت قد عاشت في ذاكرته - كما هي في ذاكرة كل عربي - سنين طويلة، فسكن برشلونة، وتجول في ربوع هذا الفردوس المفقود، ووقف على معالم الحضارة فيه، فاستثارت هذه المعالم شاعريته، والشاعر الحق أشد ما تكون مشاعره إرهافًا عندما يعاني من القهر والاغتراب والنفي القسري، فنظم هناك الكثير من القصائد(3)؛ متغنيًا بهذه المعالم، متذكرًا تلك الأمجاد الغابرة، مقلّبًا صفحات تاريخ مُشرق لم يبق منه إلا تلك الشواهد الماثلة الدالة على عظَمة البُناة، ملتزمًا رسالته بصفته شاعرًا مؤمنًا برسالة الشعر في التوعية والتنبيه والنضال الفكري.

ولعل من أبرز الآثار الكثيرة المبثوثة على ربى الأندلس ذلك الأثر العملاق الناطق بمعجزة فن العمارة العربية: قصر الحمراء في غرناطة، هذا القصر الذي تستوقف روعةُ عمارته كلَّ زائر وعابر، والذي غدا مرتادًا للأوربيين الآن يتزاحمون على زيارته في أشهر الصيف اللطيفة في إسبانيا. وقف شوقي أمام هذا الهيكل الخالد متسائلاً:

مَن لحَمراءَ جُلِّلتْ بغبار الدّ	هر كالجرح بين بُرءٍ ونُكسِ(4)
حصنُ غرناطةَ ودار بني الأحـ	ـمر من غافلٍ ويقظان ندسِ
مشت الحادثات في غرف الحمـ	ـراء مشْيَ النعيِّ في دار عُرسِ
لا ترى غير وافدين على التا	ريخ ساعينَ في خشوعٍ ونَكسِ
نقّلوا الطرف في نضارة آسٍ	من نقوشٍ، وفي عُصارة ورسِ(5)
وقباب من لازَوَرْدٍ وتِبْرٍ(6)	كالربا الشُم بين ظلٍّ وشمس
وخطوطٍ تكفّلتْ للمعاني	ولألفاظها بأزيَن لُبسِ
وترى مجلس السباع خلاءً	مُقفرَ القاع من ظِباءٍ وخُنّسِ(7)
لا الثريا ولا جواري الثريا	يتنزّلْنَ فيه أقمار أُنسِ
مرمر قامت الأسود عليه	كَلّةَ الظُّفْر لَيّنات المَجَسّ(8)
تنثر الماءَ في الحياض جُمانا	يتنزّى على ترائب مُلسِ
يا ديارًا نزلتُ كالخُلد ظِلاً	وجنًى دانيًا وسلسال أُنسِ
وإذا فاتكَ التفاتٌ إلى الما	ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

لم يكن شوقي الشاعر الوحيد الذي وقف متفكرًا معتبرًا أمام هذا القصر العظيم، وإنما سبقه الشاعر الإنجليزي لورد بايرون في قصيدته «الحمراء»، كما فجّر هذا القصر شاعرية الشاعر الفرنسي فيكتور هوغو صاحب «القصائد المشرقيات» الذي وقف أمام هذا القصر وخاطبه قائلاً: «أيتها الحمراء، أيها القصر الذي زينتك الملائكة كما شاء الخيال، وجعلتك آية الانسجام... حينما تنعكس أشعة القمر الفضية على جدرانك من خلال قناطرك العربية يُسمع لك في الليل صوتٌ يَسحر الألباب»(9). وكذلك ألهم قصر الحمراء الكاتب الأمريكي واشنطن إيرفنج كتابيه المشهورين: «تاريخ فتح غرناطة» و«حكايات الحمراء» الذي ألفه في قصر الحمراء، وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في الأدب الرومانتيكي كله. أما الشاعر فرناندو فإننا لا نعرف شاعرًا إسبانيًا أكثر ولعًا بالموضوعات العربية، وأكثر اعتزازًا بأصله العربي منه، يقول في قصيدة «غُوطَة شريش»: «هاهي الشمس تميل إلى الغروب... إلى أن يقول: حفيدات أولئك اللواتي أحضرهن طارق بن زياد إلى إسبانيا، وهنا خلال سبعة قرون ما فتئنَ يلدن، لن تقوى قشتالة على أن تجتث عرقكنّ أيّتها العربيات». ولا يستطيع الباحث أن يتحدث عن قصر الحمراء وعن الشعراء الإسبان الذين تفوح أشعارهم بالنفحة العربية دون أن يذكر الشاعر غارسيا لوركا، كان لوركا يتردد إلى قصر الحمراء وهو مرتد الأزياء العربية، فيجلس جلسة القرفصاء في باحة السباع، كما يصفه الصحفي الإسباني رخيل بن أمية، الذي أجرى مقابلة مع لوركا سنة 1931م، يقول فيها: «ها هو غارسيا لوركا من أوائل الصبح ما زال قابعًا في ذاتيته، وهو رجل من رجال البحر الأبيض المتوسط... الإفريقي المدثر في بردته... إلخ». ويقول صحفي آخر: «إن لوركا يؤمن بالعروبة، إن لوركا لهو عربي أكثر من أندلسي». وقد عثرت المستعربة الشابة ماريا روبيرا على قصيدة شبيهة بقصيدة شاعر الحمراء ابن زَمْرك، وهذه ترجمة القصيدة عن الأصل الإسباني، يقول لوركا: «ثلاث عربيات تَيّمنني.. في جيان.. عائشة وفاطمة ومريم، ثلاث عربيات ظريفات.. من أنتن يا سيداتي، يا سالباتي حياتي؟ نحن مسيحيات، كنّ مسلمات.. في جيان.. عائشة وفاطمة ومريم». إن هذه الروح العربية التي تتدفق في شعر لوركا جعلت أحد النقاد يقول: إن لوركا شاعر عربي كان يكتب باللغة الإسبانية.

ألست معي أن أجدادنا صنعوا أشياء فرضتْ احترامها على العالم، فماذا عسى أن يصنع من بعدهم؟!

الهوامش:

1- وعلى ذكر معارضة شوقي لسينيّة البحتري التي مطلعها:
صنتُ نفسي عما يدنّس نفسي
وترفعتُ عن جدا كل جِبْسِ
نذكر أن الشاعر محمد الهراوي عارض أيضًا سينية البحتري هذه بسينية وصف فيها «أبا الهول»، يقول فيها:
نبِّئ الناس يا أبا الهول أنّا
أمّة كالحديد صلب المجسّ
لم يعبنا أنا ابتلتنا شعوب
وبلونا الشعوب من كل جنسِ
فَنِيَتْ كلُّها، ونحن بقينا
من حمى الله في حظيرة قُدْسِ

2- انظر الموازنة بين الشعراء للدكتور زكي مبارك، والدكتورين محمد بن حسين وعبدالرحمن السماعيل.

3- حتى لقد جمع هذه القصائد بعض الدارسين وسماها «أندلسيات شوقي»، فضلاً عن استيحائه مؤلَّفه «أميرة الأندلس».

4- النكس: الانتكاس من الشفاء، والنكس: تنكيس الرأس خشوعًا.

5- عصارة الورس: عصارة نبات صفراء.

6- اللازورد من الحجارة الكريمة، والتبر: فلزات الذهب.

7- الخنس: المها الوحشية.

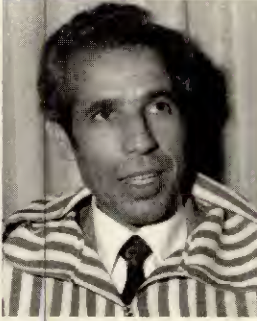
8- الظفر الكليل: الذي لا يقطع، والمجس مكان الجس.

9- الحضارة العربية للدكتور غوستاف لوبون ص293.



بادرة حضارية لم تتم:

فكرة الإحصاء الاجتماعي بالأندلس



د. عبدالسلام الهراس

وردت كلمة الإحصاء في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وجاءت بصيغة الفعل الماضي سبع مرات، والمضارع ثلاث مرات، والأمر مرة واحدة. والإحصاء في اللغة: العدُّ والحفظ. ومن أسماء الله - تعالى - «المحصي»: وهو الذي أحصى كل شيء بعلمه، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل. وأحصى الشيء أحاط به، وفي التنزيل العزيز: *وَأَحْصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَدًا*. **الجن**: 28. أي أحاط علمه - سبحانه - باستيفاء عدد كل شيء.

ويبدو أن هناك فرقًا بين الإحصاء والعدّ.. فالإحصاء يدل على الإحاطة والتتبع للدقيق والجليل وللجزئيات كلها حسب الإمكان. ويظهر الفرق بين الكلمتين في قوله تعالى: *وإن تَعُدُّوا نعمةَ اللّه لا تُحْصُوها*. **إبراهيم**: 34. فالعد وسيلة الإحصاء، وقد يكون العدّ ولا يكون الإحصاء. وقد أصبح الإحصاء علمًا ضروريًا لازمًا في مجالات عدة كالسياسة، والاقتصاد، والتخطيطات التربوية والاجتماعية وغيرها من شؤون الدولة وعلاقاتها الداخلية والخارجية، وشؤون العمران الحضاري المعاصر، ووسائل الإحصاء وأجهزته وإدارته وعلومه ومجالاته لا تزداد إلا ازدهارًا وتشعبًا.

اهتمام المسلمين بالإحصاء

وقد اهتم المسلمون الأوائل بالإحصاء اهتمامًا كبيرًا، لأن العلم بالشيء يقتضي الاستقراء والاستقصاء والإحصاء، حتى يكون الحكم أو القرار مبنيًا على علم لا على هوى أو جهل. ومن أهم ما تعلقت به همّة المسلمين لإحصائه: القرآن الكريم واللغة والنحو.

فأما القرآن الكريم فأحصوا سوره وآياته وكلماته وحروفه ومكيّه ومدنيّه، وناسخه ومنسوخه وعلومه، وقراءاته، وما يتصل بمميزات وصفات كلّ قراءة، ثم مواطن الاتفاق، ومواطن الاختلاف، ورسم القرآن الكريم. وقد استعانوا على حفظ ذلك بالمنظومات الكثيرة. ومما يشيع عن المغاربة ما نسميه «بالإنصاص»، أي نظم القاعدة أو الحكم والقضية.

ومن آخر ما أبدعه الفكر الإسلامي في الإحصاء المتصل بالقرآن الكريم دونما استعانة بالحاسوب، كتاب: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» للشيخ محمد عبدالخالق عضيمة - رحمه الله -، وقد كشفت دراساته هذه عن حقائق علمية مهمة فيها تصويبات كثيرة لآراء النحاة الذين خطّؤوا بعض القُرّاء، لأنهم لم يتوصلوا إلى بناء آرائهم تلك، على الإحصاء.

أنواع من الإحصاءات

أما اللغويون والنحويون فقد التجؤوا إلى الإحصاء. ويكفي أن نشير إلى أن المعجم العربي والقواعد العربية نتاج الإحصاء والتتبع منذ القرون الأولى إلى الآن. ويرى الشيخ عبدالخالق عضيمة - رحمه الله - أن للنحاة قوانين كثيرة لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن الكريم، فمنعوا أساليب كثيرة، جاء نظيرها في القرآن الكريم (3/1).

لكن الاهتمام بالإحصاء في المجال الاجتماعي قليل في حياتنا الحضارية الماضية. لقد كان الإحصاء في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمعرفة عدد المسلمين في المدينة، وإحصاء المنافقين وساداتهم من اليهود، كما كان يقع التوصل إلى معرفة عدد الخصم من طريق معرفة عدد ذبائحهم. كما وقع إحصاء للمنافقين، عرّف النبي - صلى الله عليه وسلم - ببعضهم دون بعض، كما وقعت إحصاءات عند العطاء، فدُوّنت الدواوين، كما وقعت بعض الإحصاءات الجزئية.

ومن أغرب الإحصاءات التي وقعت، في عالمنا العربي على الأقل، عدد الزلازل التي وقعت، في بلاد المسلمين كما نرى ذلك، في كتاب «الصلصلة» للسيوطي (ت: 911هـ).

لكن فكرة الإحصاء الاجتماعي والسياسي ظهرت بشكل واضح في الأندلس، إبان الحكم العامري، وهذا لا يعني أنه لم يكن قبل ذلك. وقد درج الحكم الأموي على معرفة أنساب العرب بالأندلس وقبائلها وفروعها وأصولها، كما اهتم الحَكَم بن عبدالرحمن المستنصر (ت: 366هـ) بالطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب، فألف كتابًا في ذلك، كما ألف ابن الشبانية كتاب «التاج السنيّ في نسب آل عليّ» برسم الخزانة الحكمية، ويبدو أن الأمر يتعلق بحصر الطالبيين الموجودين بالمغرب والأندلس، حتى يكون الحكم على بيّنة من خصومة، كما يقول الدكتور محمود مكي في بحثه «التشيّع بالأندلس».

ومن المعلوم أن الأندلسيين كانوا على بينة وعلم بالعناصر العربية المنتشرة بالأندلس، وكان الجميع حريصين على المحافظة على الأصول العربية، ذلك الحرص الذي لم يتجل فقط في تتبع ما يتصل بذلك وتسجيله وإحصائه، بل ظل كثير من الأندلسيين ينصون في أنسابهم على الأصل العربي؛ كاللخمي والقضاعي واليحصبي، والفهري، والأنصاري، والكلاعي، والكلبي، والخزرجي، والغافقي، «وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ إلى

أن قطع ذلك المنصور بن أبي عـامر». (انظر: نفح الطيب 1/ 198، 290، والأنساب العربية في غرناطة في: الإحاطة 1/135ـ 136).

وممن كان له باع طويل في تتبع ديار العرب بالأندلس: ابن حزم (ت: 456هـ) في «جمهرة أنساب العرب»، وهذا الرجل امتاز بعقلية إحصائية نادرة كما نرى ذلك من خلال كتابه «نقط التروس» الذي كان حظ الأندلسي فيه غير يسير، وقد تتبع أحوال كثير من الخلفاء وبعض الوزراء والولاة والقضاة تتبعًا عجيبًا، فأحصى بعض تلك الأحوال إحصاءً دقيقًا، يسعف الباحث بمادة مهمة، كمقتل الملوك، وأنواع مقتلهم وتنوع قاتليهم (102)، ومن قتل أباه من الخلفاء والمتغلبين (87)، ومن قتل أخاه (89)، ومن قتل عمه أو خلعه (90)، ومن قتل عبيده (92).

من الإحصاءات العمرانية

وقد اهتم الإحصائيون بقرطبة اهتمامًا فريدًا لا نجد ـ فيما اطلعنا عليه من نصوص ـ مثله في المدن الأخرى بالأندلس، وكان اهتمام الإحصاء متعلقًا بالمسجد إبّان الإنشاء والزيادة، وعند الانتهاء، وهذا أمر مبسوط في بعض المصادر الأندلسية، لكن الذي يهمنا بعض الإحصاءات، العمرانية الأخرى مثل دور قرطبة، ودور أرباضها، فقد بلغت على عهد المنصور محمد بن أبي عامر (ت: 392هـ): 213077، هذه دور الرعية، أما دور الأكابر من الوزراء والرؤساء والقواد والكتّاب والأجناد وخاصة الملك فتصل إلى 60300، وعدد أرباض قرطبة المحيطة بها 21 ربضًا (ذكر بلاد الأندلس ص 32، النفح 1/458 ـ 465، وانظر أيضًا: النفح 1/540)، وقيل 28 في كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات، ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره، وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منبر وفقيه مُقلّس ـ أي لابس قلنسوة ـ تكون له الفتيا في الأحكام والشرائع (النفح 1/465).

أما عدد ذلك إبان حكم المرابطين والموحدين، فبلغ 113000، وديار أهل الدولة 6300 (النفح 1/540، وأزهار الرياض 2/272). وكانت قرطبة قد تقلصت مكانتها وخمد ازدهارها منذ نشوب الفتن بها وسقوط الخلافة وظهور عواصم الطوائف، وتفرّق سكانها والرغبة عن قصدها لغياب أسباب ذلك (ذكر بلاد الأندلس ص 33).

وكان بها من المساجد (حسب ذكر بلاد الأندلس ص 33) 13877 تقريبًا، وكان بربض شقندة خاصة 800 مسجد. أما عدد المساجد عند ابن حيان على عهد ابن أبي عامر فألف وستمائة مسجد (النفح 1/340).

وينقل المقري عن ابن سعيد عن مصدر قديم قد يكون ابن حيان أنه كان بقرطبة في الزمن السالف 3877 مسجدًا منها بشقندة 18 مسجدًا. وهذا الإحصاء يبدو أقرب إلى الصواب من الذي في ذكر بلاد الأندلس، فقد تكون العشرة آلاف الزائدة على هذا العدد غلطًا في الرواية أو من النسخ، والدليل على ذلك، ورود الأرقام الأربعة بدقة، أي: 3877. كما أننا نستبعد أن يكون بشقندة 800 مسجد، فالأقرب أن تكون 18 هي الصواب. وقد فطن إلى ذلك المقّري الذي أورد هذه الإحصاءات المختلفة. وقال في آخر الإحصائية الأخيرة هذه: هكذا نقله في «المغرب»، وهو أعلم بما يأتي ويذر ـ رحمه الله تعالى ـ (1/540 ـ 541)، ويقصد كما هو مفهوم ابن سعيد (انظر النفح 1/456 ـ 459).

وكان لقرطبة أبواب (بلاد الأندلس 32، والنفح نقلاً عن ابن بشكوال 1/465). وكان بها من الفنادق والخانات 1600 لسكنى التجار والمسافرين والعزاب والغرباء وغيرهم (ذكر بلاد الأندلس 33). وعدد حماماتها 3911 (ذكر بلاد الأندلس 33، وفي الأزهار أيضًا) وعدد الحمامات المبرزة للناس 700 حمام (أزهار الرياض 2/272). وعدد الحوانيت 80455 (النفح 1/541. وفي ذكر بلاد الأندلس: 80452. وأما دور قصرها الكبير الذي ينزله الخلفاء والملوك، فأربعمئة وثلاثون ونيف كلها للملك وحرمه وفتيانه (ذكر بلاد الأندلس 34).

وقد اهتم الإحصاء بعدد الصقالبة الذين يخدمون القصر، وكذا النساء والجواري والخدام والطباخات أيام الناصر، فقد كان عدد الصقالبة الذين يقومون بالقصر خدمة وحراسة في الداخل والأبواب 6786. وعدد الصقالبة الخصيان بالزهراء 3950. ويبدو أن هذا العدد ضمن العدد الكلي السالف. وكان يخصص لهم من اللحم كل يوم دون سائر القصر 6800 رطل من اللحم دون الصيد وأصناف الطير والحوت، أما النساء والجواري إلى غير ذلك: 6814. أما عدد الفتيان جميعًا في الزهراء فقد بلغ 13750 (أزهار الرياض 2/268).

وكان بقصر الزهراء بحيرة عظيمة بها حيتان يخصص لها في كل يوم 12000 خبزة، وينقع لها مع الخبز ستة أقفزة من الحمص للأكل (ص34). (وانظر الإحصاء نفسه مع اختلاف مع هذا أو ذاك، في البيان المغرب 2/229 ـ 232).

واهتم الإحصاء بجباية قرطبة وأحوازها فقط في أيام الناصر إلى هشام المؤيد الذي كانت خلافته في ظل الحاجب ابن أبي عامر، فقد بلغت هذه الجباية ثلاثة ملايين دينار، أي ثلاثة بيوت أموال، وكان بيت المال يسع ألف ألف دينار (34). ويقول ابن بشكوال إن جبايتها آنذاك، بلغت 5480000 دينار من الوَرِق، والمستخلص 765000 دينار (النفح 1/24).

أما المسجد الأعظم فقد حاطه الإحصاء بشرًا ومواد وتمويلاً ووقتًا مع تفصيلات دقيقة وأوصاف مستفيضة. كما اهتم الإحصاء بمعمارية الزهراء.

أسباب عدم نقل المتقدمين عن المتأخرين

ولم ينقل المتأخرون إلا نتفًا قليلة عن المتقدمين، ولعل السبب في عدم النقل الكامل الشامل الدقيق هو:

أولاً: النزعة إلى الاختصار لكثرة المواد التاريخية والأدبية التي بأيديهم، وهذا الجانب الذي بين أيدينا لا يمثل إلا نسبة صغيرة من الكتاب المقصود بالتأليف، كالنفح والأزهار وذكر بلاد الأندلس والبيان المغرب.

ثانيًا: وفرة المادة، وشيوع العلم بها مما يجعل نقلها بالنسبة لعصرهم ضربًا من التكرار، كما رأينا ذلك عند ابن الخطيب عندما تحدث عن فتح الأندلس، حيث يقول: «وحديث الفتح وما فتح الله على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من خير على موسى بن نصير، وكتب من جهاد لطارق بن زياد، مملوء قصاص وأوراق، وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش وآلة معلّقة في حانوت قشاش» (إعلام الأعلام ص 65).

ثالثًا: اهتم الإحصاء الذي عندنا بقرطبة جامعها وقصرها الزهراء وما يتصل بها من سكانها وحوانيتها وفنادقها وأبوابها وأرباضها وقُراها، وما يدخلها من بعض المواد الغذائية، وما يتصل بالحطب، ولم يشر إلى الخراج إلا لعلاقته بالناصر، كما وردت بعض الإحصاءات مرتبطة بابن أبي عامر.

رابعًا: أهم مصدر لهذه الإحصاءات ابن حيان وابن سعيد الذي ربما اعتمد في ذلك عليه، لذلك نجد تشابهًا فيما ورد في تلك الإحصاءات.

خامسًا: أن المصادر الأصلية وحتى تلك التي نقلت عنها ضاعت ولم تبق سوى النقول الواردة في البيان المغرب والنفح وأزهار الرياض وذكر بلاد الأندلس، وإشارات متفرقة هنا وهناك، فمثلاً كتاب التاريخ الكبير لابن حيان الذي ينقل عنه المقري وابن بسام وغيرهما ضاع، كما أن مصادر أخرى قد ضاعت أيضًا.

ولا نستبعد أن تكون تلك المصادر قد أكثرت من الإحصاءات في مجالات أخرى كما يبدو من بعض النتف الباقية، كإحصاء القتلى في المعارك الخارجية أو الداخلية، وما يتصل بالجيش وبالأسعار والإنتاج الفلاحي.

كما لا نستبعد أن تكون المدن الأخرى قد حظيت ببعض الاهتمام من هذا النوع، ولكن ذلك ضاع بضياع تراثها.

سادسًا: أن الإحصاء الوارد وغير الوارد لم يقع، في حسباننا، للتفاخر فقط، وإنما كان مرتبطًا بسياسة الناصر ومحمد بن أبي عامر، وأظن أن الأمويين قاموا بإحصاء الجوانب الاجتماعية من أجل أغراض عسكرية وأمنية وسياسية وإدارية، وإن كان الهاجس العسكري والأمني بالخصوص بارزًا، ولاسيما في عصر ابن أبي عامر.

وبعد؛ فإن عقلية الإحصاء بالأندلس هي مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية اقتضتها الضرورة والحاجة، لكنها، كغيرها من بعض البوادر الحضارية التي نبتت في البيئة الإسلامية، لم تنمُ ولم تتطور ولم ترتبط بالحياة ارتباطًا عضويًا، مما جعل الاهتمام بها يتهمش شيئًا فشيئًا حتى تلاشى تمامًا.

ومن السمات الصحية للحضارة أن تتحول الخواطر الخيرة والنافعة سواء كانت اجتماعية أو علمية إلى أفكار، والأفكار إلى عزائم، والعزائم إلى أفعال، والأفعال إلى حقائق ومشاريع مستمرة متطورة نامية، ولا يتأتى ذلك كله إلا إذا توافرت لها الشروط المطلوبة، وأهمها المناخ والبيئة والوسط والترابط مع العناصر الحيوية الأخرى، وصيرورتها من صميم البناء الحضاري المحض.



قراءة نقدية

أمية بن أبي الصلت

نظرات في حياته وشعره 1

المختار حسني

كثيرُ هُمُ الشعراء العرب القدامى الذين أهملتهم الدراسات وأُهملت معهم كثير من معالم تلك الحياة، والتي لا شك أنها مفيدة للأمة في كل زمان ومكان. ومن هؤلاء الشعراء أمية بن أبي الصلت الذي سأحاول أن أقدم أهم المعالم المحيطة بشخصيته وشعره، عسى أن يكون ذلك تنبيهًا على مكانته المتفردة في تاريخ الأدب العربي؛ لتشكيله اتجاهًا خاصًا أهمله الدارسون إهمالاً يكاد يكون مطلقًا، وربما لما في شعره من تدين، في وقت كان الشك ينسحب على كل أو جل الشعر القديم (الجاهلي والمخضرم).

إن البحث في الأدب القديم اليوم، وفي النماذج المهملة والمغمورة منه عملٌ ضروري حتى نعدل من نظرتنا تجاه أدبنا، ونشارك في الحفاظ على لغتنا، ونطعّم بشكل مكثف تجاربنا الشعرية المعاصرة لنحد من انحرافها ونقوّم اعوجاجها.

نسب أمية وأسرته وقبيلته

جاء في الأغاني «واسم أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قَسيٍّ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن، هكذا يقول من نسبهم إلى قيس.. وأم أميّة.. رقيَّةُ بنت عبد شمس بن عبد مناف»(1).

وفي موضع آخر «أبو الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عمرو بن عقدة بن عمرة بن عوف بن قيس وهو ثقيف»(2)، وقبل صاحب الأغاني ساق ابن قتيبة نسب أمية بشكل مختلف(3). فالأمر كما هو بيِّن لا يخلو من تحريف وتصحيف وزيادة ونقصان في سلسلة نسب أمية في المصدر الواحد بَلْهَ المصادر المتعددة. أما كُنية أمية فقد عدَّ له محقق ديوانه د. عبدالحفيظ السطلي أربع كُنى: أبا عثمان، وأبا الحكم، وأبا القاسم، وأبا الصلت، مع التنبيه على أن أمية لم يُكْنَ من أبنائه سوى بالقاسم. ولاحظ المحقق أن «في كنية (أبو الصلت) ما يرشدنا إلى احتمال خلط الرواة، فيما بعد، بين أمية وأبيه في رواية بعض ما ينسب إلى أمية من شعر، ولاسيما تلك القصيدة اللامية في مدح سيف بن ذي يَزَن»(4) التي يقول فيها(5) [من البسيط]:

لاَ يَطْلُبُ الثَّأْرَ إلاَّ كَابْنِ ذي يَزَنٍ
في البَحْرِ خَيَّمَ للأَعْدَاءِ أحْوَالا
أتَى هِرَقْلَ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الذي سَالاَ
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ
مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالمَالاَ
حَتَّى أتَى بِبَنِي الأحْرارِ يَقْدُمُهُمْ
تَخَالُهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ أجْبَالاَ
للّه دَرُّهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ صُبُرٍ
مَا إنْ رَأَيْتَ لَهُمْ في النَّاسِ أمْثَالاَ

وذكر صاحب الأغاني لأمية أربعة أبناء(6) هم: القاسم، ووهب، وربيعة، وعمرو، وقال إن القاسم وربيعة كانا شاعرين. ونسب إلى القاسم شعرًا، يُنسب لأبيه أيضًا وأوله(7) [من الكامل]:

قَوْمِي ثَقِيفٌ إنْ سَأَلْتَ وأُسْرَتِي
وبِهِمْ أُدَافِعُ رُكْنَ مَنْ عَادَانِي

وروى لربيعة:(8) [من الطويل]:

وَإنْ تَكُ حَيًا مِنْ إيَادٍ فَإنَّنا
وَقَيْسًا سَوَاءٌ مَا بَقِينَا وَمَا بَقُوا
وَنَحْنُ خِيَارُ النَّاسِ طُرًّا بِطَانَةً
لِقَيْسٍ وَهُمْ خَيْرٌ لَنَا إنْ هُمُ بَقُوا

أبي الصلت

وذكر ابن حزم أبناء أمية ثم قال:(9) «ولي ربيعة بعض الولايات في الإسلام، وكان القاسم شاعرًا». قال محقق الديوان في المقدمة(10): «فالقاسم بن أمية(11)، وربيعة بن أمية كانا شاعرين، أما وهب بن أمية فكان من الصحابة، وأما عمرو بن أمية فلم نقف على إشارة إليه غير ما نقله صاحب الأغاني.

ومن أحفاد أمية: القاسمُ بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت، وقد ولاه عثمان رضي الله عنه الطائف في خلافته». ويذكر أن جد أمية أبازَمْعَةَ كان شاعرًا هو الآخر، وعزا إليه المسعودي اللامية التي في مدح سيف بن ذي يزن السابقة(12). ولأمية أختان، هما: الفارعة وعاتكة»(13).

وفي قول الأصفهاني السابق: «هكذا يقول من نسبهم إلى قيس»، إشارةٌ إلى الاختلاف الذي بين النسابين في أمر ثقيف. قال السهيلي(14): «وأما ثقيف وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم، فبعضهم ينسبهم إلى إياد، وبعضهم ينسبهم إلى قيس،وقد نُسبوا إلى ثمود أيضًا».

وقد سها د. عبدالحفيظ السطلي، وهو يورد مثالاً عن هذا الاختلاف، لَمَّا نص على أن ابن هشام هو القائل في نسب ثقيف: «واسم ثقيف: قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان»(15)، لأن الكلام هنا إنما هو لابن إسحاق(16)، وبعده بستة أسطر فقط نجد(17): «قال ابن هشام: ثقيف: قَسي بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان».

فابن إسحاق هو الذي جعل ثقيفًا من إياد، لا ابن هشام. والقصص الكثيرة المختلفة الأوجه لربط ثقيف بإياد وبثمود، مثيرة للشكوك بتضاربها، واختلافها، والغاية التي كانت تسعى لتحقيقها. وقد أورد صاحب الأغاني في خبر طريح(18) جملة من هذه القصص، معتمدًا، أساسًا، على ابن الكلبي(19)، كلها تسعى للإساءة إلى ثقيف والنيل من عراقة نسبها وخاصة في الربط بينها وبين ثمود بشتى الطرق. وقصةُ أبي رغال في ذلك مشهورة. فيقال إن ثقيفًا كان عبدًا لأبي رغال، ويقال إن أبا رغال هو أبو ثقيف كلها وإنه من بقية ثمود. ويروي صاحب السيرة(20) والمسعودي في مروج الذهب(21) أن أبا رغال هو الذي دل أبرهة على الطريق السهل إلى مكة، فهلك أبو رغال بالمُغَمِّس(22) بين الطائف ومكة فَرُجِمَ قبره. ويذكر المسعودي قصة أخرى مخالفة للقصص المألوفة، وكأنها من نسج ثقيف، حتى تدفع عنها ما يحيكه المغرضون عليها.

وهذه القصة هي أن «أبا رغال وجهه صالح النبي - صلى الله عليه وسلم - على صدقات الأموال، فخالف أمره وأساء السيرة، فوثب عليه ثقيف فقتله قتلةً شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم، فقال غيلان بن سلمة(23)، وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال [رجز]:

نحن قسي وقسا أبونا

وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت:(24) [الوافر]:

نَفَوْا عَنْ أَرْضِهِمْ عَدْنَانَ طُرًّا
وكَانُوا لِلْقَبائل قاهِرينا
وَهُمْ قَتَلُوا الرئيسَ أَبَا رِغَالٍ
بِمَكَّةَ إِذْ يَسُوقُ بِهَا الوَضِينَا

ويذكر السهيلي أن معمر بن راشد(25) روى في جامعه(26): «أن أبا رغال من ثمود، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه، فدفن هناك، ودفن معه غصنان من ذهب (وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ بالقبر، وأمر باستخراج الغصنين منه، واستُخرجا)». قال الأستاذ محمود محمد شاكر بعد أن نقل نص الحديث عن سنن أبي داود(27): «وقد كثرت فيه الروايات، والحديث أثبت، وإن تُكُلِّم فيه»...

ولا شك أن هنالك عوامل كثيرة وراء هذه الحملة القصصية على ثقيف، لعل أهمها ما اتصفت به ثقيف من عزة ومنعة وصمود في وجه الأطماع الخارجية التي عجزت عن غزوها في الواقع، فراحت تهدمها بما تنسج من قصص. والمعروف أن الطائف - سكنى ثقيف - كانت بلاد شجر وثمر تسحر من رآها على صغرها. فهذا، مثلاً، سليمان بن عبدالملك «لما حج مر بالطائف فرأى بيادر الزبيب فقال: ما هذه الحِرار(28)؟ فقالوا ليست حِرارًا ولكنها بيادر الزبيب. فقال: لله در قَسي، بأي أرض وضع سهامه، وأي أرض مهد عش فروخه!»(29). هذا «ثم حسدهم طوائف العرب وقصدوهم فصمدوا لهم، وجَدُّوا في حربهم، فلما لم

المؤرخون الذين زعموا أن أبا رغال من بقية ثمود، قصدوا إلى النيل من ثقيف، ومما اتصفت به من عزة ومنعة وصمود

يظفـروا منهم بطائل، ولا طمعوا منهم بغره، تركوهم على حالهم أغبط العرب عيشًا إلى أن جاء الإسلام فغزاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فافتتحها في سنة تسع من الهجرة صلحًا، وكتب لهم كتابًا. نزل عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شوال سنة ثمان عند منصرفه من حنين، وتحصنوا منه، واحتاطوا لأنفسهم غاية الاحتياط، فلم يكن إليهم سبيل. ونصب رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منجنيقًا ودبابة فأحرقها أهل الطائف، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: لم نؤذن في فتح الطائف، ثم انصرف عنها إلى الجعرانة(30) ليقسم سبي أهل حنين وغنائمهم، فخافت ثقيف أن يعـود إليهـم فبعثـوا إليه وفدهم وتصالحوا...»(31). ومما ذُكر في كتاب ثقيف(32) أن وجًا «حرام عضاهه وشجره»، يعني حرامًا على غير أهله كتحريم المدينة ومكة، ووَجّ هي أرض الطائف وهي التي جاء فيها الحديث: إن آخر وطأة وطئها الربّ بوَجّ. ومعناها عند بعضهم: آخر غزوة ووقعة كانت بأرض العرب بوَجّ؛ لأنها آخر غزواته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى العرب»(33).

فقومٌ هذه أرضهم وهذه عزتهم ومنعتهم لا بدّ أن يثيروا الانتباه، فإذا أضفنا إلى ذلك تأخر إسلامهم اتضح لنا مدى أنفتهم وثقتهم بأنفسهم. وربما زاد ذلك في إلقاء الضوء على سبب تألب الناس عليهم(34). وربما كانت ثقيف ذاتها قد أحست بشيء من الندم على تأخرها في إسلامها. يفسر ذلك ما تصرف به حكماؤها أيام الردة، فكأنهم وجدوها الفرصة المواتية لتدارك الخطأ ومعالجة النقص الذي كانوا يستشعرونه. جاء في العقد الفريد(35): «ولما هَمَّت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشاروا عثمان بن أبي العاص، وكان مُطاعًا فيهم، فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلامًا وأولهم ارتدادًا. فنفعهم برأيه». بل إن الأمر تعدى النصح إلى ما هو أشد، قال الزِّرِكْلي: (36) «وقرأت في رسالة «بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووَجّ ـ خ» لأحمد بن علي العبدري: لما توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وارتدت العرب ثبتت ثقيف وأنذرت من يرتد منها بالقتل، وقال وجوهها: ما دخلنا آخر الناس إلاّ لِمَا تبيَّن لنا من الحق، فمن ارتدَّ قتلناه».

نشأة أمية وعقيدته

الأخبار عن ولادة أمية ونموه، ومرحلة شبابه مفقودة، وسنة وفاته غير معروفة على وجه التحديد(37)، وإنما كان اشتهار أمر أمية لمّا اكتهل لِمَا بدا في حياته من تغير وانصراف عن الجو السائد في مجتمعه بالطائف. وكأن الناس استغربوا واستطرفوا أمره فراحوا ينسجون حوله القصص والأساطير مما يشكل حاجزًا في سبيل معرفة كل جوانب حياته، في هذه المرحلة التي وصلت إلينا عنها أخباره. ويظهر، كما ذهب إلى ذلك محقق ديوانه، أن شباب شاعرنا لم يكن ذا طابع مميز كما كانت كهولته في مجال الشعر، فما كان يشيع فيه هو الغزل والمَرَحُ والاندفاع والفخر «إلا أنه لم يكن صاحب مجون كامرئ القيس أو طرفة بن العبد، إذ لا يعقل أن يكون التأله والحكمة أمورًا طارئة عليه، ولا بد أن تمتد جذورها إلى أعماق نفسه الأولى»(38)، وهو في هذ المرحلة لا يخرج عما كان مألوفًا في الشعر العربي من مواضيع، فنراه يتغزل، ويقف على الأطلال، ويمدح ويفتخر، بخلاف المرحلة الثانية التي خص فيها جل شعره للدين وما يتصل به، فقد كان «نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبّدًا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحَرَّم الخمر، وشَكَّ في الأوثان، وكان محققًا، والتمس الدين وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيًا يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. فلما بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيل له: هذا الذي كنت تَستريث وتقول فيه. فحسده عدو الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه، فأنزل الله فيه عز وجل(39): واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناهُ آياتنا فانسلخ منها»(40).

وفي الشعر والشعراء(41) يروي ابن قتيبة القصة ذاتها مع اختلاف طفيف. وفي الخزانة نقلاً عن الإصابة تفسير آخر لإعراض أمية عن الإسلام، فقد «كان أمية آمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقدمَ الحجاز ليأخذ ما له من الطائف، ويهاجر، فلما نزل بدرًا قيل له: هل تدري ما في هذا القليب؟ قال: لا، قال: فيه شيبة، وربيعة، وفلان وفلان. فجدع أنف ناقته وشَقَّ ثوبه وبكى، وذهب إلى الطائف فمات بها... ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافرًا»(42).

التمس أمية بن أبي الصلت الدين وطمع في النبوة، وحين علم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة حسده ومات كافراً

وكأن المسعودي جمع بين الروايتين في قوله(43): «ولما بلغه ظهور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اغتاظ لذلك وتأسف، وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد، فرجع إلى الطائف..». يقول محقق الديوان(44): «فأمية لبس المسوح وتعبد، وصدف عما كان في الجاهلية من عادات دخيلة كالأوثان والخمرة، وطلب الدين ودارس أهل الكتاب وطمع في النبوة وبُشِّرَ بنبي يخرج من العرب، وكان يؤمل أن يكونه، فلما خرج النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسده وحقد عليه، إذ أخطأته النبوة، وتخلت عن الطائف وثقيف، ومضت إلى مكة وقريش».

ورَدَّ الدكتور عبدالحفيظ السطلي على أولئك الذين يجعلون أمية نصرانيًا، أو يهوديًا، أو متنويًا للإسلام(45)، مؤكدًا، في مقابل ذلك، حنيفيته معتمدًا على شعر أمية وما يشيع فيه من معاني التوحيد الخالص وذكر الحنيفية على أنها الدين الحق وذكر الحج وما رافق ذلك من معان(46). كما أن الحنيفية لم تكن أمرًا قاصرًا

على أميـة، وإنما شمل كـثيرًا من الحـكماء، الذين رأوا في عبادة الأصنام عبثًا وجهالة. والقصة التي يرويها ابن إسـحاق عن ورقـة بن نوفل وعبيدالله بن جحش وعثمـان بن الحويرث وزيد بن عـمرو بن نفيل؛ ذات دلالة في هذا البـاب(47). وقـد ذكر الـدكتور أحـمد جـمال العـمري طائفـة من الشـعـراء الحنفـاء تبين أن الحنـيـفـيـة كـان لهـا أتباع(48). أما أن يُنصِّر الجميع كما هو الحال عند لويس شيخو، فذاك التعميد بالجبر حسب تعبير الأستاذ مارون عبود(49).

ويسـوق أبو الفرج الأصـفهـاني قصـة أخرى تبين طمع أميـة في النبوة، وتصف حـاله لَمّا علم بأنها قد أخطأته. فـإن أمية كان في مجـموعة من العرب خارجين إلى الشام فعـاج على كنيسة بعد أن طلب من رفـقـائه الانتظار، ودخل فـأبطأ، «ثم خرج إليـهم كاسـفًا متـغير اللون، فرمى بنفسه، وأقـامـوا حتى سـري عنه»، ولما عـادوا من الشـام فعل الشيء نفسه، فكانت حاله أسوأ من الأولى، ولما سـئل أجاب بأن راهبًـا أخبـره في المرة الأولى بأنه «تكون بعـد عـيـسـى ـ عليـه السـلام ـ ست رجـعـات، وقـد مـضت منـهـا خـمس، وبقـيت واحـــدة، وأنا أطمـع في النبـــوة، وأخـــاف أن تخطئني، فـأصابني مـا رأيت، فلما رجعـت ثانية أتيته، فقال: قد كانت الرجعة، وقد بُعثَ نبي من العرب، فيئست من النبوة، فأصابني ما رأيت، إذ فاتني ما كنت أطمع فيه»(50).

فالروايات كلها تؤكد التـماسه الدين وطمعه في النبـــوة وضـــربه في الأرض من أجـل ذلك. ومهما كان في هذه الروايات من مبالغة، فإنها لا تخلو من هذه الحـقيـقة، وخـاصة أن أشـعار أميـة تقـــوم سندًا قـــويًا لذلك. قـــد تكون بـعض هذه الأشـــعـــار وُضـــعـت من قـــبل بعـض الرواة أو القصـاص، ولكن ذلك لا ينسحب على مـجمل شعـره. ويُروى أن النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ قال في أمية: «آمن شعره وكفر قلبه»، وأنه صدقه في قوله [من الكامل](52):

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِـه
وَالنَّسْـرُ لِلأُخْـرَى وَلَيْثٌ مُرْصَـدُ

وإنه لما أُنشـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول أمية [من البسيط]:

الحمدُ للّه مُمْسانَا وَمُصْبَحنَا
بالخَيْرِ صَبَّحَنا رَبِّي وَمَسَّانَا

قال: «إنّ كادَ أميـةُ لَيُسلم».

قال البغدادي في خزانته(53): «ورأيت في ديوانه(54) قصـيدة مدح بهـا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولها(55) [من المتقارب]:

لكَ الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا
دِ أنْتَ المليك وأنْتَ الحَكَـمْ

إلى أن قال:

وَدِنْ دينَ رَبِّكَ حتَّى التُّقى
وَاجْتَنِبَنَّ الْهَوَى والضَّجَـمْ(56)
مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ بالْهُدَى
فَعَاشَ غَنِيًّا وَلَـمْ يُهْتَـضَمْ
عَطَاءٌ مِنَ اللَّـهِ أُعْطِيَـهُ
وخصَّ به الله أهْلَ الحَرَمْ
وَقَدْ علموا أنَّـهُ خيرُهُـمْ
وفي بَيْتِهِـمْ ذي الندى والكَرَمْ
يَعِيبُونَ مَا قَالَ لَمَّا دَعَا
وَقَدْ فَرَّجَ اللـهُ إحْدَى الْبُهَـمْ(57)
به وَهْوَ يَدْعُو بصِدْقِ الْحَديث
إلى اللّه من قبل زيغ القَدَم
أطيعُوا الرَّسُولَ عِبَادَ الإلـ
ـهِ تَنْجُـونَ مِنْ شَـرِّ يَوْمٍ أَلَـمْ...»

القصيدة.

فإن صحت له (58) فيعنـي ذلك أن أمية، فعلا، كاد أن يسلم. مع العلم أن أشعاره، وهذا مـا يزيد في تقوية الأمـر، كان يقـولها، حـسب تعبـير المسعـودي «على آراء أهل الديانة يصف فيها السـماوات والأرض والشمس والملائكـة، وذكـر الأنبيـاء والبـعث والنشـور والجنة والنار، ويعظـم الله ـ عـزّ وجلّ ـ ويـوحـــده، من ذلك قوله(59) [من المنسرح]:

الحَمْدُ للّه لاَ شَرِيكَ لَـهُ
مَنْ لَـمْ يقُلْها فَنَفْسَـهُ ظَلَمَا

ووصف أهل الجنة في بعض كلماته، فقال [من الوافر]:

فَلاَ لَغْوٌ وَلاَ تَأْثِيمَ فِيهَا
وَمَا فَاهُوا بِـهِ لَهُمُ مُقِيمُ

الهوامش:

1-3- الأغاني 4: 123، 17: 225، 1: 367.
4- الديوان: المقدمة 35.
5- الأغاني 17: 231 - 232 والديوان 453.
6- في خبر لأبي الفرج أن لأمـية بنتين لـمّا بعث النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ هرب إلى أقـصى اليـمن وأودعهما هناك. الأغاني 4: 132.
7،8- الأغاني 4: 123 - 124، 4: 124.
9- جمهرة أنساب العرب 269.
10- الديوان: المقدمة 38.
11- توفي بعد 35هـ، قال الزركلي: «يُعَد من الصحابة، عاش إلى ما بعد عثمان بن عفان ورثاه، وله شعر في مجالس ثعلب والحماسة الصغرى وسمط اللآلئ»، الأعلام: 5: 173.
12- مروج الذهب 2: 84 - 85.
13- الديوان: المقدمة 36 - 37.
14- الروض الأنف 1: 66 - 67.
15- الديوان: المقدمة 33 - 34.
16،17- السيرة 1: 46، 1: 47، 1: 14.
18- طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، يُكنى أبا الصلت، وهو شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله. خبره في الأغاني 4: 304 - 409.
19- هو هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه، كثير التصانيف، من أهل الكوفة ووفاته فيها سنة 204هـ. الأعلام: 8: 87 - 88، ومعجم الأدباء: الترجمة 1016، 5: 595، دار الكتب العلمية.
20- السيرة 1: 47 - 48.
21- المروج 2: 78 - 79.
22- هو الموضع الذي ربض فيه فيل أبرهة: البكري 1248.
23- أسلم بعد فتح الطائف، خبره في الأغاني 13: 201.
24- المروج 2: 78 - 79.
25- معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحُدّاني بالولاء ت: 2هـ، فقيه حافظ للحديث، ثقة. من أهل البصرة، جامعه المشهور في السنن من الكتب القديمة في اليمن، أقدم من الموطأ. الأعلام 7: 272.
26- الروض 4: 67.
27- طبقات ابن سلام، الهامش ص 270.
28- الحرار: الأرض فيها حجارة أمثال الإبل البُروك، سودٌ كأنما شُيِّطت بالنار. اللسان: حرر.
29- معجم البلدان: طائف.
30- بكسر الجيم والعين وتشديد الراء المهملة، هكذا يقوله العراقيون. والحجازيون يخففون فيقولون: الجِعْرانة بتسكين العين وتخفيف الراء. وهي ماء بين الطائف ومكة وهو إلى مكة أدنى: البكري 384.
31- معجم البلدان: طائف.
32- بعض هذا في العقد 2: 36.
33- الروض 4: 200.
34- لا ننسى إغراء ثقيف سفهاءها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قصدهم يطلب النصرة. السيرة 1: 419.
35- العقد 1: 61.
36- الأعلام 2: 100.
37- يرجح د. عبد الحفيظ السطلي محقق ديوانه أن تكون وفاة أمية في السنة الثانية للهجرة على أعقاب غزوة بدر. الديوان: المقدمة 41.
38- الديوان: المقدمة 44.
39- الأعراف 175، وتمامها: فَأَتْبَعَهُ الشيطانُ فكان من الغاوين. وفي تفسير الجلالين أن المقصود بـ «عليهم» اليهود، وأن المقصود بـ «الذي آتيناه» هو بلعم بن باعوراء، من علماء بني إسرائيل. سُئل أن يدعو على موسى وأُهدي إليه شيء، فدعا فانقلب عليه». ص 182.
40- الأغاني 4: 126.
41- الشعر والشعراء 369.
42- الخزانة 1: 251 - 252.
43- المروج 1: 7.
44- الديوان: المقدمة 46، وهذا الكلام بلفظه تقريبًا في الشعراء الحنفاء ص 91 دون إشارة إلى المصدر ولعله سهو.
45- اجتهد المحقق فشك في القصة السالفة القائلة إن الشاعر كان ينوي لقاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
46- الديوان: المقدمة 52 - 69.
47- السيرة 1 : 222 - 223.
48 - الشعراء الحنفاء ص 92 وما بعدها.
49- شعراء النصرانية: المقدمة ظ.
50- الأغاني 4: 127.
51،52- الأغاني 4 : 133 - 134، 4: 133.
53- الخزانة 1 : 252.
54- بشرح محمد بن حبيب كما ذكر البغدادي في الخزانة 1: 248.
55- الديوان 494 - 498.
56- الضجم: عوج في الأنف وفي الفم، يريد اجتناب الانحراف.
57- البُهم: مشكلات الأمور واحدتها بُهمة. عن الديوان.
58- قال المحقق ص 122: «وهي قصيدة متحولة حتمًا على أمية»، قلت: والحقيقة أن هذا الجزم مخاطرة، وقد ترتبت عنه أحكام من الصعب جدًا تقبلها في قوله: «والغريب أن هذا الشعر المصنوع قد خدع [كذا] علماء القرن الثاني والثالث والرابع أمثال ابن هشام وابن سلام والأصفهاني، ومن إليهم ممن تنبه على ظاهرة الانتحال في الشعر القديم»، فليتأمل القارئ هذه المصادرة.
59- المروج 1: 70.

الملك الإنسان

شعر: حسان الصاري



الملك عبد العزيز آل سعود



الملك فيصل بن عبد العزيز

لا هنت.. شمسك شمس الحق لم تغب   يا ابن الذي عطَّر الأمجادَ بالغَلَبِ
يا ابن الذي كان جمعَ الشمل دَيْدَنُهُ   لم يُلهِهِ المُلكُ عمّا رَامَ مِن أَرَبِ
عبدالعزيز وتاريخ يحدّثنا   أنّ الذي سطَّر الأمجادَ لم يغبِ
وأنّ مَنْ ضمَّ قاصيها لدانيها   مخلَّد الذكر في أبنائه النّجبِ
صقر الجزيرة ما كلّت قوادمه   رغم الصِّعابِ ولم يأبه لمنقلبِ
في فتية كالنجوم الزُّهر ما طلعوا   إلاّ ولوّح حادي النّصر بالقُضُبِ
لَمّوا القلوب فحنّت بعد قسوتها   لا تعجبنّ فما في الأمر مِنْ عَجَبِ
فرسانُ صدق تنادَوْا حول والدهم   يا مَنْ رأى فتيةً عزّت بعزْمِ أبِ
هل فيصل الحقّ إلاّ نبعة شَرُفَتْ   ميراثُهَا من كتاب اللّه والعربِ
نَماه للمجد تاريخ ومُعتَقَدٌ   ووالدٌ شامَ فيه الخيرَ عن كَثَبِ
ما قلتُ: طفلٌ وحاشا أن يكون كذا   لكنّه الحلمُ مسكونًا بجسم صبي
نراه في «لندن» سيفًا بطول فتى   وهمّة شدّها الإقدام للشُهبِ
لم يترك السيف إجلالاً لسيّدها   يا مَلْكَ لندنَ قد أسرفْتَ في الطَّلَبِ
هيهات يرضي خدين السيف فرقته   كذا الرجالُ تصون السّيف بالهُدُبِ

* * *

وعاد لَلوِرْد يروي فيه غلّته   من جدّه الشيخ(1) أو مِنْ والدٍ حَدِبِ
فالجدّ يزرع خوف الله في رجلٍ   والجدّة الأمّ كانت خير منتسبِ
ودعوة لليتيم الطفل ما برحت   تنير درب الهدى في حالك الحجبِ
وشبّ فيصلُ في أحضان مدرسة   أستاذُها لم يَهُنْ يومًا ولم يَهَبِ
أتاه أنّ «عسيرًا» فار مرجلها   وأمرها صار للعصيان والشّغبِ
وآل «عايض» لم يوفوا ببيعتهم   من بعد ما وثّقوا الأيمان بالكتبِ
والريح تعوي على «أبها» وربوتها   والويل يزحف في الوديان والهضبِ
يا فيصل الرأي جاء الأمر وانتبهت   خيل الفتوح على أنّات منتحبِ
أسرجْ خيولك لاتَ اليوم مصطَبرٌ   وامدد يمينك واستوثق من الرِّيَبِ

هذا امتحانك فارسلها مسوّمةً واجعل إمامَك خوفَ اللّه واحتسب
كانت مقادير ربّ العرش مرحمة ثابَ العصاةُ وعادوا دونما حَرَبَ
بحكمة منك كان الحلمُ رائدها ما طاشَ سهمُك في المسعى ولم يَخبَ
وعادَ يا نجدُ سيفُ الحقّ منتصرًا كذا البهاليلُ صبّار على النُّوَبَ
ولم تطل برياض المجد وقفته إلاّ و«جدّة» في أشراك مغتصب
والفيصلُ النّدبُ كشّافٌ لغمّتها لا بحرَ يُنجي عصاةَ اليوم منْ غَضَبَ
في كلّ يومٍ تجوب البيد مرتحلاً حتى كأنك مولود على القَتَبَ
مهمة اليوم أن تنهد إلى «يَمَن» فاجعل يمينك شطّ البحر واغترب
خُذ الجنوبَ ف«ميدي» اليوم عاصيةٌ والدّرب موحشة والناس في رُعُب
فيم الوقوف؟! وقد أرسلتها فرقًا وقُدْتَ أصعبها في الخانق اللّهب
هل تخش حربًا؟! وأنت السيف منجردًا لكنْ خشيت على «ميدي» من السّلَب
في كلّ يوم تُرينا ما يحيّرنا منْ حُسن رأيك أو من صدرك الرّحب
يأوي لقلبك همّ الناس تحضنه وتمسح الدمعة الحرّى عن التّعب
وهمُك السرّ لا يدري به أحدٌ حتى كأنك حلفُ السرّ والنَّصَب
سجيّةٌ فيك لا «أيوب» ورّثها فالصّبرُ عندك مخلوقٌ مع العَصَب

* * *

نام الحجاز بعيني فيصلٍ أمنًا لا طير في «البيت» يشكو اليوم من رَهَب
وفي المدينة قبرُ المصطفى خضلٌ يسرّح النُّور بين الأرض والسُّحب
وفي البطاح ضيوفُ اللّه مهطعةٌ سارت مواكبها الجذلى على الدُّرُب
هيهات يفجؤها من مكمنٍ خطرٌ الوحشُ في مأمن والنّاس في طَرَب
يا نائب المَلْك دان الناس وائتلفت هذي القلوب وآوى كلّ مغترب
فالخيرُ مدّ إلى العافين أذرعه والرمل أورق بعد الجدب بالذّهب

* * *

واختارك الدهر ملكًا يا ابن بجدتها فزين المُلْكُ هامَ المجد والحقب
ما زاده المُلْكُ إلا حكمة وتُقى وخشية من جليل الأمر واللّقب
مدّ الجسور إلى الدنيا وفتّحها على العلوم فهلّت غيث منسكب
لم يترك الحبل ممدودًا لغاربه لكنّه اختار أصفى الورد للشّرب
حتى استقام له علمٌ ومنفعةٌ ورفرف الأمن مختالاً على الكُثُب
وحرّر الرِّق من قيْد يقيّده فأينع العمر بعد الجدب بالرُّطَب
يجمع العربَ في الخرطوم مقتدرًا من بعد ما عصفت هُوجٌ من النُّوَب
يسخّر النفط للتحرير فانطلقت كتائب الفتح في رمضان كاللّهَب

* * *

سيذكر الدّهرُ قولاً خالدًا أبدًا أقوى من الجيش من هدّارة الخُطَب
«أنوي الصلاة بقدس الله محتسبًا فالعمر ولّى وحادي الموت يهتف بي»
أمنية لم تدع شكًّا لسامعها فالشيخ قرّر لا رجعى عن الطّلَب
فليحزمِ الأمر وليرحل لبارئه ولتدخل القدس في تيه من الرّيب
ويدفن الحلْمُ في قبر تُلمُّ به طهر السحائب تروي طاهر التّرب
قضى الشّهيد وحلم القدس منتظر يقتات من صبرنا المجبول بالكذب
نكوي الجراح بنار الذلّ لا سلمت كفٌّ تجنّت على الإسلام والعرب
كذا تمنيت والدنيا بها بَخِلَت لا هنت.. شمسك شمس الحقّ لم تغب

الهوامش :

1ـ هو جده لوالدته وأستاذه: الشيخ عبدالله بن عبداللطيف حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمهم الله جميعًا.

المعنى

من اللغة إلى الاصطلاح الأدبي



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

دلالة الحرف حقيقة أو مجازًا هي معناه كقولنا: معنى الباء الإلصاق.

ودلالة المفردة على جميع ما تُستعمل له حقيقة ومجازًا هي معناها كقولنا: معنى العين الحاسة التي تبصر، والتي ينبع منها الماء، والذهب.. إلخ..

ودلالة الصيغة على جميع ما تُستعمل له حقيقة ومجازًا هي معناها كقولنا: كل مفردة جاءت على وزن فاعل - بفتح العين - فمعناها متابعة الفعل من طرفين فأكثر كضارب، ومتابعة الفعل من طرف واحد كسافر.

ودلالة الجملة (المتألفة من معنى الحرف والمفردة والصيغة وقانون النحو والبلاغة) على مراد المتكلم هي معناها كقولنا: توضأ زيد من العين.. فكان المعنى أنه غَسَل أعضاء مخصوصة غُسْل عبادة من ماء يجري.

ودلالة الكلام المركب من جمل على مراد المتكلم هي معناه كقول الشاعر:

إن التي زعمت فؤادك مَلَّها
خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هوى لها

فالمعنى: لا صحة لزعم المحبوبة أن فؤاديَ مَلَّها، لأنني جُبِلْتُ على حبها، وهي جُبِلَتْ على حبي، ولا مجال للملل مع الجبلة في الحب.

وهاَ هنا اقتضى بيان المعنى زيادة كلام ليس موجوداً في النص.. وهذا الاقتضاء هو معقول الكلام وضرورته.

إذن المعنى دلالة نقلية عن أهل اللغة حقيقة ومجازًا مأخوذة من دلالة الحرف والمفردة والصيغة والنحو والبلاغة ومعقول الكلام.. ومعقول الكلام بَحَثَهُ أرباب أصول اللغة وأصول الفقه في علم الدلالة.

هذه هي المعاني الاصطلاحية لكلمة «معنى».. وهذه الكلمة لم توضع لهذه المعاني حقيقة، بل وضعت للخضوع بعد مقاساة، ثم تجوز بها للقصد إلى الشيء.. ووجه المجاز أن القصد في العادة لشيء مطلوب يحرص عليه، فيبذل له العناء - الذي هو مشقة ومقاساة، وذلك بعض المعنى الوضعي الذي هو خضوع ومقاساة -.

والكلام يحرص الناس على دلالته، ويقصدون البحث عنها، وربما حصل لهم عناء.. إذن دلالة الكلام معنية.. أي مقصودة.

وسميت معنى مجازًا، ووجه ذلك أن المعنى الكلام ذاته لأنه مكان القصد، ثم جعلت دلالته المقصودة معنى.. وذلك مجاز مرسل.

قال أبو عبدالرحمن: والأصول الثلاثة التي ذكرها ابن فارس لمادة «المعنى» في كتابه مقاييس اللغة تعود إلى معنى واحد من مادتين هما الواوي واليائي.. وتفرَّع عن المادتين الفرع الرباعي «عانى» بمعنى قاسى.

فالمعنى الأولي الوضعي الأصلي الحقيقي المطابق هو الخضوع بعد مقاساة، أو المقاساة بعد خضوع.. ودليل ذلك أن العناء مشقة.. وفعله: عنا، وهو فعل واوي: عنا يعنو بمعنى خضع وذلّ.

ويؤيد أن المراد الخضوع بعد مقاساة أن ذلك هو المعتاد.

ويؤيد أن المراد المقاساة بعد الخضوع قولهم: أَعْنِ هذا الأسير.. أي دعه حتى ييبس القدّ عليه.. والأول أرجح.

وكان الأول أرجح لأن المراد في أعنه أخضعه بعد المعاناة.

وجاء الفعل اليائي لازمًا كالواوي ومتعديًا.. تقول: عَنِيته، وعُنيت به.. وكل ذلك بالمعنى الذي ذكره ابن فارس، وهو القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه.

ووجه أخذه من الواوي أنه نفيس يُحرص عليه، ومثل هذا يبذل له العناء.. إذن القصد في عنيت روعي فيه ابتداء القصد عن مشقة، ثم تُوسِّع به لمجرد القصد.

وأصل التصرف اللفظي أن الفعل الواوي بمعنى عنا هو، ثم تقول: عناني.. أي قصدته بمشقة حصلت لي لا له، فهو الذي شق بي.

وقيل: عناني فعنيته وعنيت به.. ولم يقل: فعنوته ليحصل معنى القصد؛ ولأنك لو قلت: عنوته كان المعنى أنك ألحقت المشقة به، وإنما المشقة حصلت لك.

والمعنيُّ بالياء: المقصود، والمعنى بالألف: المكان الذي يُقصد ما فيه، ثم تُوسِّع به في المقصود ذاته.

وعنوان الكتاب ليس أصلاً مستقلاً كما ذكر ابن فارس، بل هو من اليائي، ووجهه أن يُلاحظ الدلالة العامة بالعنوان، فالعنوان إذن هو المعنى الأعم.

وكل دلالة للحرف، وكل دلالة للمفردة، وكل دلالة للجملة، وكل دلالة للكلام المركب من جمل فهي معناه، إلا أن المعنى يتنوع إلى معنى لغوي وفكري ونحوي وبلاغي.

والغالب إطلاق المعنى على مدلول الحروف والكلمات والكلام بمقتضى لغة العرب مفردة وصيغة ونحواً وبلاغة.

ومعاني اللغة صور في الذهن مُسترجَعة وهي كما هي في الواقع، أو مُتخيَّلة. قال الجرجاني: «المعاني هي الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل.. فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث أنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً، ومن حيث أنها مقول في جواب ما هو سميت ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار سميت هوية».

قال أبو عبدالرحمن: هذا كلام جميل إلا زعمه ثبوت المعنى في الخارج بحيث يكون حقيقة، وهذا ليس بصحيح فبعض المعاني مُتوهَّمة حسب معتقدات العرب وقصور علمهم وأغلاطهم، فهي دالة على مرادهم لا على حقيقة في الواقع بإطلاق.

وتسامح الإمام ثعلب رحمه الله في قوله: المعنى والتفسير واحد.

قال أبو عبدالرحمن: بل المعنى ما يراد به اللفظ في اللغة.. وكل مراد في اللغة له صورة في الذهن حقيقية أو مُتخيَّلة أجزاؤها من الحس الخارجي والمشاعر الداخلية.

والتفسير زيادة شرح للمعنى يجمعه ويمنع من غيره بحصر أو تقريب أو استقراء غير حاصر.

والتأويل مآل المعنى أو معنى المعنى.. قال ابن الرومي:

ويلاه إن هي أقبلت أو أدبرت

وقع السهام ونزعهن أليم

فالمعنى دلالة كل مفردة أرادها الشاعر من معاني اللغة.

والتأويل أن جمال الفتاة مؤلم في إقبالها وإدبارها على تشبيه الإقبال بوقع السهام، وتشبيه الإدبار بنزعها.

إلا أن التأويل يكون مرادفًا للمعنى الكلي، وذلك أن المعنى أدبيًا يكون كليًا يتعلق بعموم النص، ويكون جزئيًا.

والمعنى الكلي لمحة يدل عليها عنوان النص إما لكونه جامعًا للمعاني الجزئية، وإما لكونه أبرز المعاني.. ولهذا فهو يرادف موضوع النص.

فمعنى قصيدة «كن جميلاً» لأبي ماضي أن في الوجود جمالاً يكسو النفس، وأن في النفس جمالاً يفيض على الوجود.. ثم يبقى لكل بيت معناه الجزئي.

قال الأستاذ مجاهد عن الاصطلاح الأدبي: «المعنى وسيط يتحقق عن طريقه تنظيم الصورة الفنية.. والعمل الفني يكون أكثر غنى إذا قبل العمل الفني عدة تفسيرات وعدة معان.. والعمل الفني من دون معنى لا معنى له، لأنه سيكون مجرد تسجيل للطبيعة تسجيلاً جامداً دون حركة.. في مسرحية «الخرتيت» لأيوجين يونيسكو الخرتيت هو الكابوس الذي يخيم على مدينة بكاملها.. أما ما هو هذا الكابوس فيمكن أن يكون الرأسمالية أو النازية أو البلطجي أو العدو أو الحقد.. إلى آخر هذه التفسيرات، أو قد يكون جماع هذه المعاني.. فالمعنى أغنى من الفكرة التي يحتوي عليها العمل الفني، ولكي يتحقق غنى المعنى لا بد من أن يكون العمل الفني مشبعًا بالصور الموحية والرمز لإكساب المعنى خصوبته.. كما أن العمل الفني يجب ألا يكون المعنى فيه مباشراً»(1).

قال أبو عبدالرحمن: من المضلل إطلاق كلمة المعنى في قوله: «المعنى وسيط».. بل الوسيط مقيد، وهو المعاني الجزئية للروابط والمفردات والصيغ والجمل.. فهذه المعاني الجزئية وسيطة في تكوين العمل الأدبي الأعم الذي يريده الأديب، وهو تنظيم الصور الفنية والمعاني اللغوية لتدل على مراد الأديب جزئيًا وكليًا.

ومن المضلل أيضا إطلاق الأستاذ مجاهد الحكم في قوله: «والعمل الفني يكون أكثر غنى إذا قبل عدة تفسيرات».

قال أبو عبدالرحمن: يقبل العمل عدة تفسيرات بأدلة تصحيح، وذلك هو احتمالات النص، ولكن لا بد من دلالة ترجيح تحدد المراد.

وفرق بين احتمال النص عدة تفسيرات، واحتماله أكثر من معنى.

فإذا احتمل عدة تفسيرات فمعنى ذلك أن دلالته لم تتحدد، فلا بد من دلالة ترجيح تحدد المراد من الاحتمالات الواردة بدلالة التصحيح.. فإذا عدمت دلالة الترجيح كان ذلك عيبًا في النص، ولا يكون ظاهرة كمال.

أما احتماله أكثر من معنى فحقيقته أن دلالة الترجيح قد تحدد مراد النص بأنه أكثر من معنى يكون مقصوداً للنص مراداً كله.

أما احتماله عدة تفسيرات ـ مع غياب دلالة الترجيح ـ فلا يحدد التفسير مراداً واحداً أو أكثر، بل يقول المفسر: يحتمل أن يكون المراد كذا، ويحتمل أن يكون المراد كذا، ومحتمل أن يكون المراد مجموع كذا وكذا.

وقبول النص بدلالة الترجيح لأكثر من معنى لا يعني أنه قبل عدة تفسيرات، وإنما يعني أنه قبل تفسيراً واحداً.. وهذا التفسير الواحد هو أن للنص معنيين ثابتين مثلا كما في ألفاظ العموم التي لم يقم دليل على تخصيصها.

ولا يكون النص غنيًا بقبوله عدة تفسيرات مادام دليل الترجيح يقتضي تخصيص المراد من عموم الاستعمال.

والقيمة الفنية إنما هي متعة الاحتمال مع خفاء في دليل الترجيح، لأن من قيم الفن الإيحاء.

وكلمة الأستاذ مجاهد: «والعمل الفني من دون معنى لا معنى له» كلمة غامضة بسبب إطلاقه المعنى.. ويزول الغموض بالتقييد بأن يقال: والعمل الفني من دون معنى فني مراد للأديب، أو معان مرادة: لا قيمة له؛ لأن المعاني اللغوية الجزئية ستكون مجرد .. إلخ...

قال أبو عبدالرحمن: والمفقود في مسرحية الخرتيت ليس هو المعنى.. بل معنى المعنى.. أي مآل المعنى.

وقال الدكتور محمد التونجي: «المعنى هو المضمون الذي يُعبِّر به الأديب، ويبسطه في أحد أعماله الأدبية، والفكرة التي تطرأ على ذهنه ويسعى إلى بسطها بالشكل الذي هو المبنى.

والمعنى والمبنى متلازمان لا يبدو الواحد منهما دون الآخر».

ويقول مندور: التحدث عن المعنى والمبنى كالتحدث عن شفرتي المقص، والتساؤل عن جودة أحدهما كالتساؤل عن أي الشفرتين أقطع»(2).

قال أبو عبدالرحمن: المضمون لا يُعبَّر به، وإنما يُعبر عنه بالكلام.

الهوامش:

1ـ دراسات في علم الجمال ص 36.
2ـ المعجم المفصل 2/ 810.

الحنين إلى الماضي

د. نوره صالح الشملان

الحنين إلى الماضي أمر فُطر عليه الإنسان؛ فهو دائم التذكر لأيامه الخالية، التي تتحول إلى شريط مصوَّر يهرع إليه كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

والتعلق بالماضي يتضح عند الشعراء أكثر من غيرهم لرقة إحساسهم وشفافية مشاعرهم، والشاعر يهرع إلى الماضي مستعيداً ذكرياته الحلوة حين يمر على ديار قضى فيها مع أحبته أوقاتًا ممتعة، وقد علل ابن الرومي ولع الإنسان بمسكنه القديم حين قال:

ولي وَطَن آليت ألا أبيعَه
وألاّ أرى غيري له الدَّهرَ مالكا
فقد ألفتهُ النفسُ حتى كأنهُ
لها جَسدٌ إنْ بانَ غُودرِ هالكا
وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم
مآرب قَضَّاها الشبابُ هنالكا
إذ ذكروا أوطانهم ذَكَّرَتْهُمُ
عهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلكا

وها هو قيس يدور على ديار ليلى يقبل الجدران، ويفسر سلوكه هذا بالقول:

أمرُّ على الديارِ ديار ليلى
أُقَبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حبُّ الديارِ شغفنَ قلبي
ولكن حبُّ من سكَنَ الديارا

من هنا نجد أن الشعراء وقفوا على الأطلال وجعلوها فاتحة لقصائدهم في المديح، وكأن الشاعر يستكثر على ممدوحه أن تكون القصيدة خالصة له فيخص نفسه بجزء منها، وكثيراً ما أفسد الشعراء قصائدهم حين يدركون أنهم في موقف المدح، فيبترون غزلهم مشمرين سواعدهم للقيام بمهمة المدح أو الانتقال من الذات إلى الآخر؛ وقد وقف النقاد عند كثير من القصائد التي أفسدها هذا القطع وجنت عليها رغبة الشاعر في العطاء.

إن الحنين إلى الماضي يمكن أن يُفَسَّر على أنه رغبة في العودة إلى أيام الشباب، وبما أن المرأة هي المركز الذي يحتل الصدارة في وجدان العربي فإن الوقوف على ديارها هو نوع من محاولة العودة إلى ماضٍ ليس إليه سبيل.

ومن صور الحنين إلى الماضي عند بعض الشعراء خاصة، أنهم عندما يتحدثون عن علاقاتهم لا يتحدثون عن علاقاتهم الحاضرة، وإنما يستدعون صور الماضي سواء أكان الشاعر في موقف الغزل والحديث عن مغامراته مع النساء أم كان في موقف الفخر، وكأنهم يحاولون مواجهة الحاضر الضعيف بالماضي القوي. ومن صور الحنين إلى الماضي ما نجده في شعر الغزل من قيم جمالية ما زال الناس يعيشون بها على تغير البيئة والزمن، فهذا بشارة الخوري في القرن العشرين يقول واصفًا حبيبته.

المها أهدت إليها المقلتين
والظِّبا أهدَتْ إليها العُنُقَا

لقد استخدم الشاعر القديم الديار والبكاء على أطلالها رمزاً لتجربة الفراق، وتمسُّكه بالطلل يدل على تمسكه بالحياة الغابرة. وقد وجد بعض الشعراء في هذا الموقف تخلفًا من الشاعر عن حياته الحاضرة والهرب إلى حياة لم يحْيها، فهو يعيش نمطًا من الحياة يختلف عن النمط الذي يتحدث عنه في شعره، أي إنه لم يجعل الشعر مرآة لحياته وإنما جعله مرآة لحياة أجداده، ولعل أشهر من حمل لواء هذا الهجوم هو الشاعر العباسي أبو نواس الحسن بن هانئ (ت نحو: 198هـ) الذي ملأ ديوانه سخرية بهؤلاء المتخلفين عن ركب الحضارة، يقول ساخرًا:

قل لمن يبكي على رسمٍ دَرَسْ
واقفًا ما ضرَّ لو كانَ جَلَسْ

وكأنه يعني امرأ القيس الذي نادى بالوقوف على الأطلال في بيته المشهور:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسقطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ

والذي حدد فيه مكان الطلل تحديداً ينم عن شغف وحب ووقوف طويل وذكريات جميلة. إن تحديده الدقيق لمكان الطلل جعل الباقلانيّ في «إعجاز القرآن» يقول: كأني بامرئ القيس يريد أن يبيع مكان الطلل لا أن يصفه.

وأبو نواس يربأ بنفسه أن يقف على أطلال أو بقايا ديار، فهو ابن الحضارة العباسية المترعة بالترف ورهافة العيش... هو ابن القصور لا البيداء، إنه يترجم ثورته على الشعراء الذين هربوا من الحاضر إلى الماضي ومن رقة الحضارة إلى جفاء البداوة بهذه الأبيات:

مالي بدارٍ خَلَتْ من أهلها شُغُلُ
ولا شجاني لها رَسْمٌ ولا طَلَلُ
بيداءُ مقفرةٌ يومًا فأنعتُها
ولا سرى بي فأحكيه بها جَمَلُ
ولا شَتَوْتُ بها عامًا فأدركني
فيها المصيف فلي عن ذاك مرتَحَلُ
لا أنعت الروض إلاّ إن رأيتُ به
قصرًا منيفًا عليه النخل مشتملُ

إن وقوف الشعراء على الأطلال في عصر الحضارة العباسية أمر كثر تعليله، فمن قائل: إن الشاعر يبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال الذي يكون في الغالب ممزوجًا بالغزل وغرضه من ذلك استدعاء الاصغاء؛ لأن الغزل محبب إلى النفوس؛ وأول من نادى بهذا التفسير ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء».

وقد أيَّد ابن رشيق (ت: على الأرجح 463) هذا الرأي حين ذهب - في «العمدة» ج1، ص225 - إلى أن هذا النسب هو استدراج إلى ما بعده.

إن قراءة تلك المقدمات وما احتوته من مشاعر صادقة وألم للفراق وذكريات يستعيدها الشاعر ويلتذ بها يؤكد أن تلك المقدمات لم تكن وسيلة، وإنما كانت غاية، وهي عمل يصدر عن الطبع ليصور أهواء الشاعر وصباباته، إنه ينطلق فيها بدافع نفسي وليست تقليداً فنيًا يلتزمه الشاعر تمهيداً لما بعده.



المفكر الجزائري
الدكتور أحمد الإبراهيمي

نجحنا في التعريب والعربية هي لغة الثقافة

أجراه: عبدالكريم يعقوب

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، أحد القيادات الفكرية والرموز الثقافية في عالمنا العربي والإسلامي، وليس في بلده الجزائر فحسب، الذي عمل فيها طبيبًا وأستاذًا للحضارة الإسلامية، ووزيرًا للتربية والتعليم والثقافة، فمستشارًا لرئيس الجمهورية، ثم وزيرًا للخارجية.

كان الإبراهيمي من الذين تحمسوا لحركة التعريب في الجزائر وقادوها، وعمل مع إخوان له على أن يتحرر الفكر الجزائري والثقافة الجزائرية واللسان الجزائري من هيمنة الاستعمار، وأن يكون انتماء الجزائر دومًا لأمتها العربية والإسلامية عقيدة ولغة وثقافة وفكرًا. وكيف لا؟ وقد عايش كفاح والده في سبيل أن يترسخ الفكر الإسلامي واللغة العربية في الجزائر؛ فهو ابن الإمام محمد البشير طالب الإبراهيمي (1889- 1965م) علامة الجزائر وأحد مؤسسي جمعية العلماء، ذات الأثر الكبير في القضاء على الاستعمار الفرنسي وبلورة الهوية الفكرية والثقافية للشعب الجزائري.

وقد شارك الدكتور أحمد الإبراهيمي في البرنامج الثقافي لاحتفالات مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة مرور عشرين عامًا على تأسيسها (لقراءة تعليق الإبراهيمي على محاضرة جميل الحجيلان، راجع ملحق العدد 237)، وقد التقت به مجلة «الفيصل» خلال هذه الزيارة، وأجرت معه حوارًا اقتصر على عدد يسير من الأسئلة، نظرًا لكثرة ارتباطاته الرسمية ومشاركاته الاجتماعية، ولقاءاته الإعلامية التي لازمته طوال مدة وجوده في الرياض.

ـ سألته عن الوضع الثقافي في الجزائر، وهي البلد التي تتوسط المغرب العربي

وتحمل ثقافتها المعاصرة مزيجًا من الأصالة الإسلامية العربية والنزعة المحلية الأمازيغية والتوجه الفرانكفوني، فأجاب:

* لابد أن أشير أولاً إلى أن وضع الجزائر الثقافي وضع شاذ، لا يوجد في أي بلد عربي آخر، حتى بالنسبة للجيران تونس والمغرب، لأن السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس والمغرب ركزت على السياسة والاقتصاد ونحّت الثقافة جانبًا، بحيث تركت حصونًا أدت دورًا أساسيًا في الحفاظ على القيم العربية الإسلامية، وهي جامعة الزيتونة في تونس وجامعة القرويين في فاس، بينما في الجزائر في القرن التاسع عشر كانت سياسة فرنسا الاستعمارية طمس الشخصية الوطنية ومحو جميع مقوماتها، وبخاصة الإسلام واللغة العربية. وبالفعل هدمت فرنسا كل الزوايا التي قاومت الاحتلال الفرنسي وكل المدارس، كانت تريد «فرنسة» الجزائر. وفي مرحلة تالية ربما «تمسيح» الجزائر.

تمسُّك الشعب الجزائري بعروبته وإسلامه أفشل هذه المحاولة بالطبع، ولكن النتيجة أنه بعد قرن من الاحتلال الفرنسي لم يعد يوجد في الجزائر أي حصن للحفاظ على الإسلام والعربية، فهذا وضع شاذ وغريب مما جعل الحركة الوطنية تركز على الإسلام والعربية.

ومن الغريب أنه في 18 آيار/ مايو 1930م احتفلت فرنسا بمرور مئة سنة على احتلالها الجزائر، كان حفلاً عظيمًا في الجزائر، كان بمنزلة حفل لتأبين العربية والإسلام في الجزائر، وكان تحديًا للشعور الإسلامي واستفزازًا للشعور الوطني للشعب الجزائري، وشاءت قدرة الله - سبحانه وتعالى - أن أُنشئت بعد سنة من هذا الاحتلال جمعية العلماء في 19 مايو/ آيار 1931م، وكان إنشاء هذه الجمعية رد فعل على هذه المحاولة.

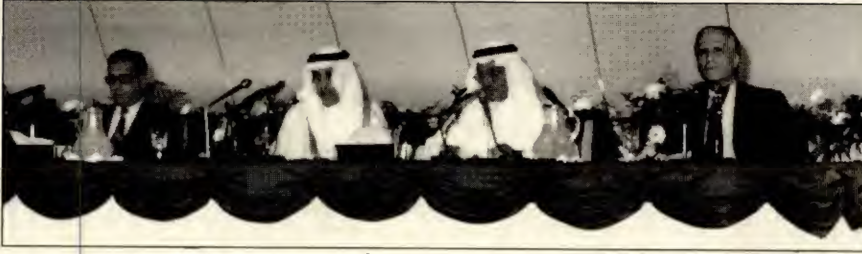
ولقد قامت جمعية العلماء بعمل عظيم لترسيخ العروبة والإسلام في الجزائر، ولمحاربة البدع والضلالات والخرافات التي كانت تنشرها الطرق الدينية التي كانت تسير في ركاب الاستعمار، ووجدت في بناء المدارس والمساجد والنوادي محاربة كبيرة من الاستعمار الفرنسي.

تركت فرنسا حصونًا ثقافية وفكرية إسلامية في تونس والمغرب، بينما كانت سياستها في الجزائر طمس الشخصية الوطنية ومحو جميع مقوماتها

يكفيك - وهذا لا يعرفه الإخوان في المشرق - أن المعلّم الذي كان يعلّم قواعد اللغة العربية يُسجن، وجريمته الوحيدة أنه يعلّم العربية.

إذن، وضعنا في الجزائر وضع غريب، وهذا الذي جعل سياسة التعريب بعد الاستقلال من أسس السياسة الجزائرية، والحمد لله نجحنا في التعريب في الجزائر، في التعليم والإدارة والمناخ العام.

- إلى جانب التعريب كانت هناك جهود أخرى نبيلة وأصيلة، ومن أهمها ملتقى الفكر الإسلامي الذي انعقد بانتظام سنوات عدة، فماذا عن هذا الملتقى؟



سمو الأمير تركي الفيصل يقدم الدكتور الإبراهيمي، وإلى يمينه جلس الأستاذ جميل الحجيلان والدكتور عبدالحليم عويس

* وزارة الشؤون الدينية قامت بهذا الجهد، وملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنعقد سنويًا أدت دورًا كذلك في استمرار حركة جمعية العلماء، ولكن كانت لها فائدة أخرى، هي الاتصال بعلماء الإسلام في العالم، كانت فرصة لإخواننا في المشرق أن يطّلعوا على الوضع الحقيقي في الجزائر، وكانت فرصة للجزائريين أن يستمعوا إلى علماء أفذاذ من أمثال الشيخ محمد الغزالي - يرحمه الله - الذي أقام عندنا في الجزائر وشارك في إنشاء جامعة قسنطينة الإسلامية.

- ولكن ماذا عن امتداد هذا التأثير إلى الواقع الثقافي اليوم في الجزائر؟

* الجانب الإسلامي موجود في التعليم الرسمي، ووزارة التربية عندما توليتها سنة 1965م ركزنا على هذا الجانب وأدخلنا حصصًا إسلامية في التعليم الابتدائي. إذن هناك ارتباط وثيق بين وزارة الشؤون الدينية ووزارة التربية في الجزائر.

طبعًا الآن هناك ردَّة، وقانون تعميم اللغة العربية الذي صوّت عليه البرلمان في الثمانينيات أُلغي في بداية التسعينيات، هناك ردَّة في هذا الجانب، لا بد أن أعترف بهذا.

- ما تسميه بالرِّدة يدفعني إلى التعقيب بأن هناك الآن اتجاهًا رافضًا للأصالة والعودة إلى التراث الأصيل في بعض المجتمعات، ومنها العربية، بينما نعلم جميعًا أن جهود التحرر والاستقلال في معظم - إن لم يكن كل - البلاد العربية التي وقعت تحت الاستعمار قامت أساسًا

على الأصالة واستعادة الهوية. فما تعليقكم على هذه المفارقة؟

* لا يمكن أن أتحدث عن بقية العالم العربي؛ لأنني أجهل الأوضاع الحقيقية فيه، ولكن بالنسبة لبلدي الجزائر، فإن الصراع بين أنصار العروبة والإسلام، أو أنصار الأصالة وأنصار التغريب قائم منذ بداية استعمار الجزائر، ولكن أغلبية الشعب الجزائري هي التي تؤمن بالعروبة والإسلام، وكانت هي دائمًا الموجهة للاتجاهات الرسمية في الجزائر.

فجأة، نشعر اليوم أن أنصار التغريب وجدوا «مكانًا قويًا»، وكأن البذور التي غرسها الاستعمار والتبشير والاستشراق ترعرعت، ولها تأييد من الخارج طبعًا. فكل العراقيل التي تقف في طريق الأصالة وفي طريق العروبة والإسلام في الجزائر مُؤَيَّدة من طرف قوى خارجية، وحتى النزعة البربرية أو الأمازيغية. الحقيقة أنه لا يمكن أن يكون هناك صراع بين الأمازيغية والعربية، أربعة عشر قرنًا وأجدادنا كانوا يتكلمون الأمازيغية في حياتهم اليومية، ولكنهم عندما يكتبون في الحقل الثقافي أو يشاركون في الحضارة الإنسانية يكتبون بالعربية، لأنها هي لغة الثقافة. لم تُوجَدْ كتابة في تاريخ الجزائر عن صراع بين العروبة والأمازيغية، فجأة تطلع في القرن العشرين هذه الدعوة إلى الأمازيغية والتنكر للعربية.

أعتقد أن من وراء الأمازيغية يقف أنصار الفرانكوفونية، والصراع الحقيقي هو بين الفرنسية والعربية، فيغطيه هذا الصراع بالأمازيغية. أما بين الأمازيغية والعربية، فليس هناك أي صراع أو تناقض.

ـ قلت له: قرأت لكم من قبل رأيًا مفاده أن هناك تزاوجًا في الأساس بين الأمازيغية والعربية في الجزائر، فقال:

* أعتقد أن الذي عَرَّبنا الإسلام، فحتى إذا كانت أصولنا أمازيغية، فالإسلام عرّبنا، ولم تعد هذه المشكلة مطروحة، فلغة الثقافة هي العربية.

ـ وكان لا بد أن نختم هذا الحوار بمشاركته في النشاط الثقافي الأخير لمؤسسة الملك فيصل «الخيرية» ومرئياته حيال دورها الحضاري، وهو الرجل الذي عايش الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ عن قرب، فقال:

* المؤسسة أنشئت وفاءً للملك فيصل ـ يرحمه الله ـ، وكل نشاطها فيه وفاء لأفكار الملك فيصل. وأعتقد أن إنشاء مركز للبحوث والدراسات الإسلامية كان من اهتمامات الملك فيصل، وإنشاء جائزة في خدمة الإسلام كذلك، لأن الملك فيصل كانت عقيدته متينة جدًا، وكان مهتمًا بالتراث؛ وإنشاء جائزة للأدب العربي والدراسات الإسلامية فيه وفاءٌ للفيصل، وحتى جائزتا الطب والعلوم ومنحهما لعلماء أوروبيين وأمريكيين ينطبق عليهما الشيء نفسه، لأنه كان إنساني النزعة. ونحن المسلمين، أُمرنا أن نطلب العلم في كل مظانه، كذلك نُجلُّ العلماء حتى لو كانوا غير مسلمين، إذن هناك تسامح في الإسلام.

رجاؤنا فقط أن هذا الجانب العلمي يُركَّز عليه في المؤسسة، حتى نرى في يوم من الأيام ـ قبل أن نموت ـ أن جائزتي الطب والعلوم قد مُنحتا إلى أطباء وعلماء مسلمين ذوي مستوى عالمي.

الدكتور أحمد الإبراهيمي في سطور:

- **دكتوراه في الطب عام 1963م.**
- **عمل مدرسًا مساعدًا بكلية الطب 1963- 1965م، ووزيرًا للتربية الوطنية 1965- 1970م، وعضوًا بالمجلس التنفيذي لليونسكو بباريس 1968- 1974م، وأستاذًا للحضارة الإسلامية بالمدرسة الوطنية للإدارة 1976- 1982م، ووزيرًا للإعلام والثقافة 1970- 1977م، ومستشارًا لرئيس الجمهورية 1977- 1982م، فوزيرًا للشؤون الخارجية 1982- 1988م.**
- **عضو معهد تاريخ العلوم الإسلامية بفرانكفورت منذ عام 1982م، ورئيس مجلس أمانته منذ عام 1995م، وعضو في منتدى الفكر العربي بعمّان منذ عام 1995م، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق منذ عام 1972م، وبالقاهرة منذ عام 1976م، وعضو مؤسس في مجلة «الثقافة» 1971- 1982م، و«المجلة الجزائرية للعلاقات الدولية» 1986-1989م.**
- **عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بعَمّان منذ عام 1985م، وعضو في عدد من الهيئات والمجالس القانونية والعلمية واللجان ومجامع البحث واللغة العربية، كما شارك في العديد من المؤتمرات والحلقات الثقافية العربية والدولية، وله العديد من المشاركات والمقالات والبحوث في الطب والثقافة والفكر.**
- من مؤلفاته:

«مساهمة في دراسة الطب العربي بالمغرب الكبير» باللغة الفرنسية، «رسائل من السجن» بالفرنسية، وقد تُرجم إلى خمس لغات منها العربية، «من التحرر إلى الثورة الثقافية» باللغتين العربية والفرنسية، «الأزمة والحل» باللغتين العربية والفرنسية.

- من مقالاته ومحاضراته:

الشباب عنصر البقاء والخلود، في طريق نهضة عربية جديدة، التجربة الجزائرية في الثورة الثقافية، دور الشباب في حياة الأمة، مفهوم وأبعاد الثورة الثقافية في الجزائر، الإسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة. وقد نُشرت في مجلات «الأصالة»، و«الثقافة» الجزائريتين، و«الآداب»، و«قضايا عربية» وغيرها من المطبوعات.

أبو هلال العسكري

بين القول بالترادف ونفيه

د. علي حسين البوّاب

يُعرّف علماء العربية التّرادف أنه: ألفاظ متعدّدة تدلّ على معنى واحد، كالعسل والشّهد، وبَعُدَ ونأى. ويرى كثير من المتقدّمين والمحدثين أن ذلك من مميّزات العربية، وأنّ له فوائد كثيرة في النّثر والنظم. ويردُّ آخرون هذه الظّاهرة، ويزعمون أنّ في كلّ لفظة معنى ليس في الأخرى، وأنّها تُطلق على الشيء الواحد باعتبارات متعدّدة، فهي تتفق في الدّلالة على مسمّى واحد، لكنّها لا تستوي في ذلك تمامًا ولا تتطابق(1).

ولا يُهمّنا في حديثنا هذا تناول حجج كلّ فريق وأقوالهم، ولا بحث هذه المسألة، ولكنّني أتحدث عن واحد من علماء العربية له موقف خاصٌّ فيها، وهو أبو هلال العسكري (نسبة إلى عَسْكر مُكرَم في الأهواز).

وأبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل، واحدٌ من أئمة العربية وأعلامها في القرن الرابع الهجريّ، وله مؤلفات كثيرة في الأدب والنقد واللغة وغيرها، وقد توفّي في أواخر القرن الرابع [بعد 395هـ](2).

ألّف أبو هلال كتابين لهما صلة بمبحث التّرادف، أحدُهما «الفُروق في اللغة»، والآخر «التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء»، وظاهر الكتابين يوحي بتناقض الغرض فيهما، واختلاف موقف العالم وتردّده، وهذا ما سنتناوله في حديثنا:

كتاب «الفروق» ومنهجه

فكتاب «الفروق» واحد من الكتب الفريدة في موضوعها في العربيّة، وقد ذكر ذلك المؤلّف في مقدّمته فقال: «ثم إني ما رأيت نوعًا من العلوم وفنًا من الآداب إلاّ وقد صُنّف فيه كُتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه، إلاّ الكلام في الفرق بين معان تقاربت، حتى أشكل الفرق بينها..»(3)، ثم ذكر أنّه جعل كتابه في ثلاثين بابًا.

وقد جعل أبو هلال الباب الأوّل من الكتاب «للإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبًا لاختلاف المعاني»، وذكر أن الشّاهد على ذلك: «أن الاسم كلمةٌ تدلُّ على معنى دلالة الإشارة، وإذا أُشير إلى الشيء مرّة واحدة فعُرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللّغة حكيم، لا يأتي فيها بما لا يُفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أُشير إليه في الأول كان ذلك صوابًا»(4).

ولمّا كان من حُجج القائلين بالتّرادف التعبير عن لفظة بأخرى، نبّه عليه أبو هلال بقوله: «ولعلّ قائلاً يقول: إنّ امتناعك من أن يكون للّفظين المختلفين معنى واحد ردٌّ على جميع أهل اللُّغة، لأنّهم إذا أرادوا أن يفسّروا اللُّبّ قالوا: هو العقل، أو الجَرْح قالوا: هو الكسب، أو السّكب قالوا: هو الصَّبّ، وهذا يدل على أن اللُّبّ والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكَسب، والسّكب والصّب، وما أشبه ذلك. قُلنا: ونحن أيضًا كذلك نقول، إلاّ أنّا نذهب إلى أن قولنا اللّبّ وإن كان هو العقل، فإنّه يُفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل»(5).

ثم شرع أبو هلال يرسم المنهاج الذي سيسلكه في التّفرقة بين المعاني، من اعتماده على اختلاف ما يُستعمل عليه اللفظان، أو اعتبار ما يؤول إليه المعنيان، أو اعتبار الحروف التي تعدّى بها الأفعال، ومنها اعتبار النقيض، ومنها اعتبار الاشتقاق، وأخذ يمثّل لكلّ واحد منها(6).

ثم كان عملُ أبي هلال التطبيقيّ في الكتاب، وهو اختيار ألفاظ يُظنّ أنها بمعنى واحد، وإيراد الفروق بينها. ويبدو ممّا اختار أبو هلال أن هناك ألفاظًا لا توحي بالتّرادف التّام، وأن التفرقة بينها بيّنة، وأنّ هناك كلمات قد تُحسب بمعنى واحد، فحاول ردّ هذا التصوّر والحسبان.

الترادف موجود في بعض الألفاظ

ولكنّ أبا هلال لم يخفَ عليه أن في اللغة ألفاظًا يصعب عليه التفرقة بين دلالاتها على الشيء الواحد، ومن ثمّ أقرّ بأن الترادف قد يكون موجودًا في بعض الألفاظ لاختلاف مصادر جمع اللغة، أو اختلاف اللهجات، فقال: «فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبيّن لك الفرقُ بين معنييها، فاعلم أنهما من لغتين، مثل القدر بالبصرية، والبُرمة بالمكّيّة»(7). كما أدرك أبو هلال بحسّه اللغويّ أن الكلمة قد يصيبها تغيّر في دلالتها فتلتقي مع كلمة أُخرى في الدلالة على شيء واحد، قال: «أصل المنحة الشّاة أو البعير يمنحها الرجل أخاه فيحتلبها زمانًا ثم

يردُها..، ثم صار كلّ عطيّة منحة لكثرة الاستعمال»(8).

فإذا تجاوزنا كتاب «الفروق» إلى كتاب «التلخيص في معرفة الأشياء» قلنا: إن هذا الثاني ممّا يعرف بالكُتب اللغوية التي تجمع مفردات اللغة وتصنّفها تصنيفًا موضوعيًا، ويُطلق عليها معجمات المعاني أو الموضوعات، ففي هذه المؤلفات نجد مجموعة من الألفاظ تندرج تحت حقل دلاليّ واحد، أو نوع تعبيري متقارب. وهذا النوع من التصانيف كثير في العربية، فقد سبق أبا هلال إليه أبو عُبيد في «الغريب المصنّف»، وتبع أبا هلال ابنُ سيده في كتابه الموسوعي «المخصّص»، وغيرهم من العلماء.

وفي كتاب «التلخيص» أربعون بابًا: باب في أسماء أعضاء الإنسان، وآخر في أخلاقه وأفعاله وتصرّف أحواله، وآخر في ذكر الرِّيح، وغيره في السّلاح... وهكذا. وفي كلّ باب تقسيمات ومباحث: فباب الخيل فيه حديث عن تنقّل الفرس في سنه، وخَلْقه، وصفاته، وشياته، وألوانه.. وأسماء خيل الرّهان، واللّجام، والسّرج، وهكذا. وتحت كلّ مبحث منها ألفاظ يوردها المؤلف.

ولا تعني هذه الكتب أنّ كلّ ما يرد في الحقل أو المبحث الواحد أنّها مترادفة، فقد يذكر المؤلف كلمات تدلّ على شيء باعتبارات وأحوال وأوصاف مختلفة، لا مجال للقول فيها بالتّرادف، لكنه في الوقت نفسه يُوردُ ألفاظًا لا يُشكّ في أنّها بمعنى واحد.

الفروق بين الأسماء

وإذا استعرضنا بعض أمثلة الكتاب وجدْنا أبا هلال يذكر في صفة الأذن: «وأذن حشرة: صغيرة محدّدة الطّرف، وكذلك مؤلّلة، ومؤسّلة، ومؤنّفة». فهذه ألفاظ لا فرق بينها، ثم يُتبعها بقوله: «والقفعاء: المتقفّعة، والقفع انزواء في أعاليها. والقصواء: المقطوع من أعاليها شيء، والزّعلاء: المشقوقة شقًا واسعًا. والعَضْباء: المقطوعة من أعاليها أيضًا. والشّرماء: التي قُطعَ من طرفها شيء يسير. والصّلماء: التي اقْتُطعَت من أصلها...»(9). وهكذا يتّضح لنا وجود فوارق بين هذه الأسماء التي يُعبّر بها عن الأذن.

وفي الحديث عن البئر يقول: يُقال بئر، وهي الرّكيّة. والسّدام: البئر المتروكة حتى يأجُنَ ماؤها. والجُبُّ: البئر الكثيرة الماء. والجُدُّ: الرّكيّة الجيّدة الموضع من الكلأ. والطّوي: البئر المطويّة بالحجارة، ومثله القليب. والشّطون: التي فيها عوَج. والمعروشة: المطويّة بالخشب. والمزبورة: المطويّة بالحجارة، وكذلك المضروسة(10).

وهكذا يفرّق أبو هلال فيما يستطيع التفرقة بينه، ويقول بالاتّفاق بين ما لا يظهر ذلك فيه، كجعله الرّكية والبئر واحدًا، والمزبورة والمضروسة كذلك.

ولكنّ الطريف فيما بين أيدينا من الكتابين أن نجد كلمات فَرّق بينها أبو هلال في «الفروق» وأوردها بمعنى واحد في التلخيص، وسأذكر أمثلة لذلك.

فقد فرّق أبو هلال بين النأي والبُعد بقوله: «النأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك يقال له نأي. والبعد: تحقيق التروّح والذّهاب إلى الموضع السّحيق». وقال في «التلخيص» في ذكر البُعد: «بَعُدَت دارُ فلان، ونأت، وشطّت... كل ذلك البعيد»(11).

وفرّق بين السّخاء والجُود في «الفروق»، وقال عنهما في «التلخيص»: رجلٌ سخيٌّ، وجواد، وفيّاض...(12).

وجعل الشُحَّ غير البخل في «الفروق»، ولكنّا نراه في «التلخيص» يقول في أسماء البخلاء من الناس: «رجلٌ بخيل و... شحيح»(13).

وقال في «الفروق»: «والفرق بين الفقر والإعدام أنّ الإعدام أبلغ من الفقر..»، وقال: «والفرق بين الفقر والحاجة أن الحاجة هي النقصان.. والفقر خلاف الغنى». ولكنه في «التلخيص» عدّ من أسماء الفقراء: الفقير، والمُعْدِم، والمُحْوِج(14).

وفرّق بين الكِبْر والتِّيه في الفروق، ولكنه جعلهما في ذكر الكِبْر في «التلخيص» شيئًا واحدًا(15).

وفرّق بين القبح والسّماجة، وقال في التلخيص: «رجل قبيح وسمجٌ وشقيحٌ..»(16).

وفرّق بين الفرح والسُّرور، لكنه قال في «التلخيص»: «هو الفرح والسّرور...»(17).

وجعل في «الفروق» الأهل من جهة النسب والاختصاص، والآل خاصّة الرجل من جهة القرابة أو الصُّحبة. وقال في «التلخيص»: «وأهل الرجل أقرب أقاربه، المختلطون به، وهم آله، وقال بعض أهل العربية: الهمزة في الآل هاء»(18).

وهكذا نجد كثيرًا من الألفاظ التي فرّق بينها المؤلف في «الفروق» وعليها أقام الكتاب، ثم نجدها قد ذُكرت تحت باب واحد في «التلخيص» وكأنه لا فرق بينها.

وليس بين أيدينا ما يوضّح لنا أيّ الكتابين أسبق لنبني عليه حُكمًا في سرّ ما جاء في الكتابين ممّا ظاهره التناقض، وهل هو تغيّر في موقف أبي هلال؟ والذي أميل إليه عدم القول بالاضطراب أو التناقض بين الكتابين، بل أرى أن يكون أبو هلال في «التلخيص» يسير على مذهب ابن الأعرابيّ في إنكار التّرادف، وزعمه أنّنا لا نستطيع التفرقة بين كلّ الألفاظ، فيقول عن الفروق بين الألفاظ: «ربما عَرفْناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»(19). فالفرق موجود وإن لم يتبين لنا. كما أنه يتوافق مع ما قاله في «الفروق» وهو ما نقلناه آنفًا من أنّ تفسير كلمة بكلمة، وإيرادهما في التعبير عن شيء واحد لا يعني أنهما متطابقان تمامًا في المعنى.

الحواشي:

1- ينظر المزهر للسيوطي 402/1 وما بعدها.
2- أخبار أبي هلال في معجم الأدباء لياقوت 258/8.
3-8- الفروق اللغوية، بيروت: دار الآفاق 1977م، ص9، 13، 16، 19، 162.
9- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص 21، تحقيق د. عزة حسن، دمشق: مجمع اللغة العربية 1389هـ.
10- التلخيص 440 - 441.
11- الفروق 14، والتلخيص 123.
12- الفروق 167، والتلخيص 92.
13- الفروق 170، والتلخيص 94.
14- الفروق 171، 172، والتلخيص 95.
15- الفروق 241، والتلخيص 110.
16، 17- الفروق 260، والتلخيص 99.
18- الفروق 275، والتلخيص 181.
19- الأضداد لابن الأنباري 7.

قراءة نقدية

جماليات القص

في "عسل الشمس" لفؤاد قنديل

د. حسين علي محمد

فؤاد قنديل واحد من أبرز أدباء جيلنا ـ جيل السبعينيات ـ في القصة القصيرة والرواية. وهو ينشر نتاجه الأدبي من القصة والمقالة في معظم الصحف والمجلات العربية بدءًا من عام1966م(1)، لكنه لم ينشر كتابًا مطبوعًا إلا في عام1977م. وهو كاتب خصب الموهبة يمارس كتابة أكثر من لون أدبي.

فله من المجموعات القصصية: عقدة النساء (1978م)، وكلام الليل (1979م)، والعجز (1983م)، وشدْو البلابل والكبرياء (1989م) وعسل الشمس (1990م).

وله في الرواية: السقف (1979م)، وأشجان (1980م)، والناب الأزرق (1981م)، وعشق الأخرس (1986م)، وشفيقة وسرها الباتع (1986م) وموسم العنف الجميل (1987م).

وله ثلاث دراسات تكشف عن اهتماماته الأدبية، هي: محمد مندور (1986م)، نجيب محفوظ كاتب العربية الأول (1988م)، إحسان عبد القدوس عاشق الحرية (1990م).

وله ثلاثة كتب تحت الطبع تتوزع بين القصة القصيرة والرواية والدراسة الأدبية، هي:

- النقر على زجاج القلب، مجموعة قصصية (وتصدر عن قطاع الآداب).
- واوا، رواية(وتصدر عن روايات الهلال).
- الرواية الإفريقية ـ دراسة مطوّلة.

وقد ظفر إبداعه القصصي والروائي بدراسات للدكاترة والأساتذة: علي الراعي، ومحمد السيد عيد، ويوسف نوفل، وحامد أبو أحمد، وأحمد زكي عبد الحليم، وكمال نشأت، وإبراهيم فتحي، ويسرى العزب، ومصطفى كامل سعد، وسمير درويش... وغيرهم.

في مجموعة «عسل الشمس» تسع قصص قصيرة كتبت على امتداد تسع سنوات (1979ـ1987م) أي بمتوسط قصة واحدة لكل عام. وتاريخ كتابة القصص يحافظ على هذه القسمة العادلة تقريبًا؛ فكل قصة تحمل تاريخ عام، ماعدا 1984م الذي نجد فيه قصتين، هما «أمنيات بهانة» و«فرح بالتراب». ولا نجد لعام 1986م نتاجًا من القصة القصيرة في هذه المجموعة.

خروج عن النموذج التقليدي

ينتمي صاحب هذه الدراسة ـ في أطروحاته النقدية المتعددة ـ إلى المدرسة النقدية التي ترى أن «الأدب تعبير بالكلمة عن رؤية الأديب لواقعه، وأن الأديب بعمله الأدبي يعيد تشكيل الواقع ويختار منه مايتلاءم مع رغبته في الكشف عن هذه الرؤية، وأن هذه الرؤية تكشف عن إدراك الأديب لعلاقات الواقع، كما تتضمّن تخيله للصورة التي ينبغي أن تسود هذه العلاقات في المستقبل، وأن رؤية الأديب، كلما كانت أكثر عمقًا وحساسية وذكاءً، كانت أقدر على كشف القوى التي تعوق حركة الواقع وتقهر إنسانية الإنسان، كما أنها تصبح أقدر على تخيّل طبيعة المستقبل الذي يحقق للإنسان إنسانيته»(2). وإذا كنا سننطلق لرؤية الأدب من خلال هذه النظرة، فإننا لن نقصر تعاملنا على المحتوى الذي تطرحه هذه المجموعة، لأنه من الصعب بمكان الفصل بين الرؤية والتشكيل.

وإنما سنرى جماليات القصة القصيرة عند فؤاد قنديل، وسنتوقف عندها لسببين:

الأول: أن المظهر الذي تشترك فيه قصص المجموعة هو خروجها عن نموذج القصة التقليدية (الكلاسيكية) المستندة إلى حبكة وشخصيات وزمان ومكان (تدور جميعًا في إطار الحكاية، أو الحدث، أو الحدوتة) وتقسيم للأجزاء الفاصلة بين البداية والنهاية.

الثاني: أن قصص المجموعة تندرج فيما يعرف بـ «القصة التجريبية»، وهي تلك التي تستغني عن الحدث والحبكة وجدليتهما، لتعوّضهما بالأبعاد الدرامية والنفسية، وبالتفاصيل التي تشحن

اللحظة المنتقاة، وتملؤها بالتفاصيل واللقطات الموحية، وإن كان لم يغفل الحدث والحبكة نهائيًا في قصصه، لأنه كما يقول في الغلاف الخلفي للمجموعة «مغرم بالتجريب الهادئ» أي التجريب الذي لا ينسلخ مرة واحدة عن الأشكال والأطر التي تعوّدها القارئ العادي، ومن ثم فإن تجريبه متمهّل، وجسور في آن واحد. وسنختبر الآن في هذه المقاربة بعض جماليات فن القص عنده:

تنتمي قصص هذه المجموعة إلى ما يمكن أن نسميه «الواقعية المصرية التصويرية الشفيفة». واقعية تنطلق من واقعه المعيش في إحدى القرى القريبة من مدينة«بنها» حيث تنتسب معظم شخصيات أبطاله إلى قرية «كفر سندنهور» كاشفة خصائص هذه القرية المصرية/ النموذج، وآمال ناسها الصغار؛ وحب هؤلاء الناس للحياة واحتفالهم بها.

وهذه الواقعية «تصويرية شفيفة» لأن صاحبها يضع بين نصّه وواقعه مسافة ما، فيحوّل هذا الواقع بزخمه وحيويته وناسه ومواشيه إلى واقع تصويري شفيف، يتوسل بالفن ويقدّم رؤيته من خلالها.

ومن الأدوات الفنية التي يستخدمها للإيحاء برمزه في واقعيته التصويرية الشفيفة مايلي:

أ ـ التجسيم:

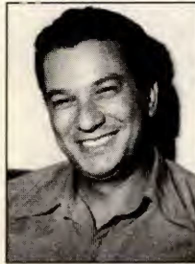
فـؤاد قنديل، مبدعًا، يعي إنجازات الفن المصري الحديث في التصوير والنحت، ولعله ـ في خلال نصّه المنجز ـ يتمثل مصر التي أنجبت النحت وسبقت العالم كلّه متفوقة فيه عندما تميّز تراثها القديم من الفنون النحتية التي ماتزال شاهدة على براعة المصريين وقدرتهم. وإذا قرأنا هذه المجموعة بتمهل فسنراه يرسم على الورق تخطيطات لصور وتماثيل تذكّرنا بما نراه في حياتنا الممتلئة بالحركة والثراء، مثل «نحو ماء النيل» لمحمود مختار (1927م)، و«زوجة شيخ البلد» لمحمود مختار (1928م). كما تذكّرنا بلوحات التصوير البارعة مثل «بنات بحري» لمحمود سعيد (1948م) أول مصور في تاريخ مصر الحديثة.

ومن ثم، فنحن نراه ينحت شخصياته في وجدان المتلقي، حتى ليقيم في نفسه تمثالاً لهذه الشخصية أو تلك.

إن فؤاد قنديل ينحت تمثالاً لبهانة ـ هذه القروية الكادحة من بنات كفر سندنهور ـ وهي في طريقها إلى بنها لبيع محصولها اليومي من الخضر في السوق حتى تستطيع أن تواصل رحلة الحياة:

«القُفَّة المحشوّة بحزم البقدونس والجرجير والكرّاث ثقيلة. الرقبة المشدودة تعين الرأس على حملها، وذراعها اليمنى تحرسها من الوقوع بينما تحتضن رضيعها بالذراع اليسرى، تضمّه إلى الصدر المجهد والقلب، الرضيع بفمه وقبضته وعدد من الأظافر الناعمة يتشبث بالثدي الذي يشبه بالونة فرغت من الهواء»(3). هذه هي الملامح العامة للتمثال الذي يريده القاص/ النحّات.

وفي الفقرات التالية بعض الإضافات:


د. يوسف نوفل

«تشق الحجب في ردائها الأسود كشبح مهيب يجتاز فضاءً لا نهائيًا... القدمان الحافيتان أصبحتا من طول الحفاء قطعتين عنيدتين من العظم والجلد المشقق... بثوب الأم كانت طفلة صغيرة تتعلّق وتندفع في خطو متعثر دون أن تقع»(4).

هذه هي بهانة ـ أو فلاحة فؤاد قنديل ـ التي رسمها كما كان محمود سعيد يرسم «بنات بحري» بتأن وروّية حتى لكأنّك تراها. وما أظن أن صورتها هذه ستفارق القارىء وهو يقرأ القصص الثلاث الأولى في هذه المجموعة «أمنيات بهانة» و«عصر بهانة» و«ابن بهانة»(5).

وفي آخر قصص المجموعة وأطولها «ليلة يهودية» يصف الراوي الفتاة اليهودية التي حاولت أن توقعه في شباكها: «شعر يتدلى على جانبي وجهها أسلاكًا من الذهب، وجه مرمريّ يتفجر منه الدم... ملامح دقيقة ومنسجمة، عينان خضراوان واسعتان. ترتدى بلوزة بيضاء فضفاضة تتجمع عند الخصر الرهيف. على جانب الصدر وردة صغيرة حمراء يحملها غصن أخضر يمتد إلى نهاية البلوزة وتنتشر حول الوردة أوراق نضرة»(6).

تشكّل بعض الجمل ـ قبل هذا المقطع وبعده ـ بعض الإضافات لهذه الحسناء اليهودية التي تريد أن توقع البطل المنتمي في شباكها:

«أشرقت على المقهى فتاة... آية في الجمال... سحر.. فتنة.. غواية.. لو حكمت شعبًا لعبدها أكثر مما تعبد الشعوب المتخلفة حكامها. سبحان الخلاق العظيم الذي أبدع الجمال من الرأس إلى القدم... جلست بالطريقة التي تجلس بها الملكات على العروش.. تبعث الأمل في قلب كل من يرنو إليها»(7). فكأنه يقيم تمثالاً لشيطانة عصرية من شياطين الغواية من بنات يهود.

ب ـ التضخيم:

ومن الأساليب الفنية التي يلجأ إليها فؤاد قنديل في هذه المجموعة أسلوب الجروتسك Gro-tesque الذي «يعني تضخيم المشهد وتكبيره


فؤاد قنديل


د. حامد أبو أحمد

حتى يكون أكثر دلالة وأبعد تأثيرًا في التعبير عن الواقع»(8). وقد يكون لقطة في إحدى القصص، ويتسع أحيانًا ليشمل القصة كلها.

فلكي يعرّفنا أن «العسكري» يتحدث كثيرًا في قصة «عصر بهانة» يقول: «قال العسكري أبو لسانين»(9). وواضح مافي هذه الصورة من التضخيم المشوب بالسخرية.

ولكي يبيّن لنا ضيق الزوجة الصغيرة بالحماة، وعدم قدرة الزوج على مجابهة الزوجة، وعدم رضا الأم عن الجميع يقدّم لنا هذا في «عسل الشمس» التي حمل اسمها عنوانُ المجموعة:

«زوجة أصغر أبنائها ـ التي تعبث بوجهها طيلة النهار ـ قالت له:

ـ إن أمك تضع خرزات المسبحة المقطوعة للبط.

لم تدافع العجوز عن نفسها حين قال لها:

ـ أرجوك يا أمي لا تفعلي شيئًا.

وكأنها فقدت الإحساس بالظلم، لم تهتم بأن تقول له إنما وضعت للبط حبات الفول.

كانت متأكدة أن دفاعها غير ذي جدوى،

فابنها المنبهر بجمال زوجته لن يستمع إلاَّ لقولها. هي متأكدة أنها ألقت للبط حبات الفول.

جيل مجنون، هل يُعقل أن ألقي للبط خرزات المسبحة.

صحيح أن رؤيتها بالعين مضطربة، أو ربما معدومة، لكنها تستطيع أن تتعرّف الأشياء، وتحدّدها باللمس إذا أمسكتها.

يدها تستطيع أن تفرّق بين رغيف صُنع بقمح خالص ورغيف أضيف إليه قليل جدًا من الذرة»(10).

ويمتد التكبير ليشمل قصة «وقائع المشهد المثير»: حيث تُختار بنها - المتاخمة لقرية الراوي - مكانًا لعقد مؤتمر عالمي يبحث مستقبل مصر سنة 2000م، ويصادف أن يُعقد المؤتمر يوم الاثنين (يوم سوق بنها)، ويصف الكاتب هذا المشهد بواقعيته الشعرية الشفيفة - من طريق «الجروتسك» أو التكبير - على النحو التالي:

«نزلنا مع الضيوف، كان علينا فقط أن نعبر الطريق العريض مشيًا على الأقدام لنصل إلى مبنى مجلس المدينة حيث قاعة المؤتمر. مسافة لا تزيد على مئة متر. تقدم العلماء والباحثون والخبراء ورجال الإعلام. وما إن حاولوا بضع خطوات حتى فوجئوا بعدد هائل من الحمير يطلع عليهم. ولما حاولوا أن يتعرفوا على آخر هذا الزحف ولم يجدوا له آخرًا أُسقط في أيديهم واضطرب موكبهم والحَمير تتدافع مضطرة نحوهم.

التف رجال المرور حولها، يبسطون أيديهم ليحولوا بينها وبين اجتياح الضيوف، وخشية الاندفاع نحو أرتال السيارات القادمة من الإسكندرية في نزيف لا يتوقف.

لكن المسألة أفلتت إذ وجدت الحمير المدفوعة بتزايد الأعداد، وبسبب الضرب النازل عليها من رجال السوق ثغرة بين رجال المرور، فنفذت منها، فـإذا هي تقطع الطريق على شلاّل السيارات»(11).

إن الحمير تحتل واجهة الفندق، والعلماء يتراجعون في مشهد مثير:

«تراجع العلماء وقد بدت على ملامحهم علامات التقزّز والحيرة، والحمير تتقدم بجوانبها نحوهم. خطا الضيوف إلى الخلف خطوات ثم تمهّلوا يبحثون عن طريق، لم يكن ثمة طريق.

تندرج «عسل الشمس» فيما يعرف بالقصة التجريبية التي تستغنى عن الحدث والحبكة وجدليتهما لتعوضهما بالأبعاد الدرامية والنفسية، وبالتفاصيل التي تشحن اللحظة المنتقاة

كانت الحمير محتشدة في غير نظام تتدافع وتتكدّس. بيضاء، وقليل منها الأشهب والقاتم، غلب اللون الناصع على المكان وألهب ضوء النهار. وقع بعض الضيوف المسنّين، وتعثّر البعض وثار البعض. أغمضت عيني لحظات لأهرب من مشهد المصيبة، إننا على حافة الفاجعة... بدت الحمير متداخلة وملتحمة وممتزجة.. كائن واحد يتدحرج وتتلاطم أجزاؤه... زحفت علينا الحمير... كان الحل الأنسب فعلاً... أن يتراجع العلماء مؤقتًا إلى الفندق، ويحل محلّهم الحمير»(12).

والغرض من التكبير في هذه اللوحة الماتعة واضح في الجملة الأخيرة. ويمتزج التكبير بالسخرية في قصة «ابن بهانة»، الذي ركب القطار المزدحم إلى بنها وفوق رأسه الحذاء الضخم للجندي. يطلب ابن بهانة من الجندي أن يبعد حذاءه عن رأسه، ولأن الجندي لا يجد مكانًا لرجله يقترح على ابن بهانة أن يخلع حذاءه. ثم يمضي النص على هذا النحو:

«قلع الجندي الفَردتين ووضعهما على فخذيه... اندلعت فجأة في أنفه رائحة كريهة بشكل قاتل.. لم يتصور إلا أنها رائحة تصدر من جثث ألف كلب ماتت منذ أيام وتعفنت.. كم هي بشعة رائحة اللحم الحي بعد أن تخرج منه الروح وينفجر فيه الموت. لم تكتف الرائحة بالوقوف أو النفاذ في أنف جلال، لكنها تسلّلت إلى عينيه فلم يعد يبصر، وإلى شفتيه فكاد يبصق، وإلى معدته فأوشك على التقيّؤ.. شرع جسده كله ينتفض من التقزّز. حبس أنفاسه أطول مدّة حتى كاد يختنق، وتساءل عن سرّ الرائحة رغم أن القطار يجرى بين المزارع.. ماالذي سيحدث في الكون.. هل يوشك على نهاية مبتكرة وبشعة؟. فكّر في النهوض والهرب.. لكن لا سبيل.. اكتشف أن الرائحة التي كهربت الجو كلّه وسمّمته هي رائحة جوارب الجندي.. تنفّس بصعوبة وألم، فقد تذكر أنه هو الذي طلب إليه أن يخلع الحذاء... لم يستطع أن يرفع رأسه إلى الجوارب المشعة التي يمكن أن تستخدم كوسيلة من وسائل الحرب الكيماوية:

... يخرب بيتك يابعيد.

أحس أنه في مفترق طريقين لا ثالث لهما.. الجنون أو الموت. يجب أن يفعل شيئًا وبسرعة. عيون الناس وملامحهم لا تدل على أن شيئًا ما قد حدث ومازال يحدث. أحس أنه وحيد في بئر عفنة، لا بد من وسيلة ولو كانت الانتحار، بديلاً عن الموت البطيء»(13).

فهو هنا يكبّر الرائحة، وضيق «ابن بهانة» بها. مازجًا التكبير بالسخرية.

ج - المفارقة التصويرية:

المفارقة التصويرية إحدى الوسائل الفنية التي يلجأ إليها القاص فؤاد قنديل لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين، ليوضح حدثًا أو يرسم شخصية، وقد يتسع التناقض (أو المفارقة التصويرية) ليبني قصة بأكملها. وتُبنى المفارقة عند فؤاد قنديل من خلال نص محكم، ثم يتولّى السرد أو الهوامش التي يستخدمها بذكاء ومهارة في إبراز المفارقة التي يريد أن يُحدثها.

وتقوم هذه المفارقة التصويرية بدور فاعل في كل قصص المجموعة بلا استثناء، وقد تكون المفارقة جزئية، أو كلية. لكنها في الحالتين لها دورها الفاعل في بناء القصة.

1- المفارقة الجزئية:

وهي التي تقوم بدور بنائي داخل القصة، كالحدث، والحوار، والسرد، ومنها هذا الجزء من قصة «عصر بهانة».

في النص: «حطت [أي بهانة] الرضيع في ركن، ومن نفسها أسرعت أخته تجلس إلى جواره، تهش عنه الذباب، وتدس في فمه البزّازة المعلقة في صدره بدبوس»(14).

وفي الهامش: «الأهالي في كفرنا يسمّون

البزّازة لهّاية. لكن معظم أطفال بلدنا لا تخدعهم هذه اللهاية»(15).

إن المقابلة هنا تُبيّن أن (البزّازة/ اللهّاية) لم تنطل على الطفل. فكأنه أفسد على الكبار لعبتهم. ومن ثم نقرأ في النص مرة أخرى: «وتعود[(أي أخته] تدسها في فمه لأن العفريت يلفظها بلسانه مصرًا على الأصل»(16).

والمقابلة الجزئية - في النص - مرة ثانية تبرز هنا إصرار الولد (العفريت) - الذي عرف اللعبة وحدودها وتمرّس بها - على التمسك بشدي أمه، وأمه مضطرة إلى تركه مع أخته، و«البزّازة المعلقة على صدره بدبوس» - رغم يقينها أن أخته والبزّازة غير كافيتين لإلهائه عن أمه، التي تنهمك في الانشغال عن ابنها في دوّار العمدة حتى لا تفقد الأسرة جميعًا «عشاء دسمًا»(17).

ومن هذه المفارقات الجزئية - في القصة نفسها -:
قال العسكري، أبو لسانين:
- الطلبة من النجمة بيهتفوا
أسرع محفوظ، يقول:
- ضدي»(18).

إنهم لا يهتفون ضد العسكري محفوظ بالطبع، وإنما لأنه «نال شهرة كبيرة في تفريق المظاهرات، أي مظاهرة مهما بلغ حجمها ودرجة هياجها كان قادرًا على صدّها والسيطرة عليها وإصابة عدد كبير من رجالها وأسر عدد أكبر»(19) ومن ثم فهو يتصوّر كل هتاف في مظاهرة ضده شخصيًا.

وفي هذه المفارقات الجزئية يريد الكاتب أن ينبه ذهن المتلقي على ظواهر خاطئة من خلال الهوامش - التي تبوح ولا تبوح - وبتعريتها للنص، والكشف عن الجانب الخفي المستور من الحدث أو الظاهرة.

يقول عن محفوظ:

في النص: «هو واثق تمامًا أن المتظاهرين في كل أنحاء العالم، وخاصة في مصر، قبضوا مبالغ لقاء هتافاتهم التي لا يفهمون معناها ولا يقصدونها، وأن وراءهم فئة كل مرادها زعزعة النظام وتعويق الإنتاج».

وفي الهامش: «الله يجازي الذي كان السبب في غرس هذه الفكرة اللعينة في رأس محفوظ، وللأسف لا هو ولا أنا نعرف من الذي حفر عميقًا في مخّه وزرع هذا الاعتقاد. الله يسامحه مطرح ماراح. هو في دار الحق ونحن في دار الباطل. مؤكد من زرعها مات من آلاف السنين»(20).

وهذا النص يحمل مجموعة من المفارقات التي تومئ، وتصرّح. وتفشي وتُراوغ، وتقول ولا تبوح. فبينما النص صريح نجد الهوامش مراوغة و«الله يجازي الذي كان السبب»، ستوحي لك أنه يقصد رؤساءه: سيادة الوزير، أو السيد المحافظ، أو سعادة الباشا اللواء مدير الأمن... أو غيرهم من الذين أشار إليهم النص فيما بعد(21). لكن فؤاد قنديل - في دهاء الفلاح المصري (الحويط) الذي يحمل ميراثًا من الخوف عمقه آلاف السنين من السلطة والمتسلطين - يتراجع «وللأسف لا هو ولا أنا نعرف من الذي حفر عميقًا جدًا في مخه وزرع هذا الاعتقاد». وقد توحي لك «الله يسامحه مطرح ماراح» أن صاحب هذا الرأى في المظاهرات والمتظاهرين أحد المعاصرين، فإذا بالهامش يراوغ مرة أخرى: «مؤكد من زرعها مات من آلاف السنين». ولا ندري هل كان في مصر من آلاف السنين مظاهرات مناهضة للحكومة وجنود أمن مركزي؟

وأحيانًا تتآزر المفارقة مع التكبير Gro-tesque من خلال جدل النص مع إرجاعات الهامش وتعليقاته، لإبراز التناقض الموجود، ولوضع اليد على الجرح، أو على موطن الخلل والداء.

«.. باستطاعة محفوظ أن يقتحم أية مظاهرة وأية معركة مدنية ويسيطر عليها ويبهر رؤساءه بقيادته للجنود ورفضه استعمال القنابل المسيلة للدموع إلا في المظاهرة الضخمة التي لا تستطيع سوى الدبابات السيطرة عليها.. ساعتها يمكن أن يستخدم القنابل المسيلة، وهو لا يرفضها رحمة بالشباب الغض والمضلّل، لكن التعجل باستخدامها إقرار بعجزه...

ضرب محفوظ طلبة جامعة القاهرة في عدة مناسبات، وطلبة عين شمس والإسكندرية وعمال شبرا الخيمة وحلوان والمحلة، وعموم الشعب الخارج في مظاهرات من الجامع الأزهر وميدان التحرير والحسين والسيدة وحوش آدم.

ومحفوظ لا يعتبر نفسه موظفًا، ولا يتعامل مع المهام التي تطلب منه بوصفه عاملاً رسميًا يتقاضى لقاءها راتبًا، ويجب أن يحلّله، ولكنه يتعامل معها من منطلق الهواية والمزاج الشخصي، فهو يجد في فض المظاهرات والإمساك بالمجرمين والعبث بالمتمردين من أي صنف ولون لذة شخصية، وغالبًا لا يجد مثيلها عند بهانة ولا في حضن أولاده.

ولم يتعوّد محفوظ على العمل البوليسي الذي يقوم على مجرّد الملاحظة أو الحوار، وهو غير مقتنع أبدًا بالعمل في السكك الحديدية حارسًا في القطارات أو عسكريًا في ميدان ينظم المرور أو حتى صول في قسم يكتب المحاضر»(22).

وبالتأمل في هذا النص نجد عددًا من المفارقات الجزئية، نذكر منها:

- جندي الأمن المركزي، الذي يحب تفريق المظاهرات، ويجد فيها مزاجًا شخصيًا ولا يرضى بوظيفة أخرى سهلة، ولا يعتبرها (أكل عيش) وإنما رسالة.

- الطلبات التي تقدمت بها بعض الحكومات - كما جاء في الهامش - لاستعارة محفوظ، وكأنها لا تستطيع أن تكوّن فريقًا مثل محفوظ. إلى غير ذلك من مفارقات.

2- المفارقة الكلية:

وهي التي يحدثها السرد والأحداث. من خلال الإيقاع العام للقصة. ويتضح ذلك في قصص كثيرة في المجموعة، منها «عصر بهانة» حيث يترقى زوجها ويفوز بشريط جديد، ولكنه يصاب لأول مرة في مظاهرة من المظاهرات التي ألفها. ومنها قصة «ابن بهانة» الذي يفوز بثلاثين جنيهًا - راتبًا شهريًا من جمعية خيرية - ويعود ليحمل لأسرته النبأ السعيد، فيطارده حذاء الجندي ورائحة رجله الكريهة.

الحدث في قصص فؤاد قنديل يفرز الانتماء من خلال جدلية المكان / البطل / الزمان، والبطل عنده مطارد من الداخل والخارج

جماليات القص
في «عسل الشمس» لفؤاد قنديل

3- الرمز:

يميل بعض كتابنا المعاصرين إلى استعمال الرمز في أعمالهم الفنية، ويتفاوت استخدام الأديب الواحد للرمز من عمل إلى آخر ضمن منظومة إنتاجه. وكل فن حقيقي رامز. «واحتمال الرمز في الفن آت من طبيعته الخاصة من حيث كونه تعبيرًا عما في ذات الفنان، فهو غوص في الأعماق النائية عن التحديد والتسطيح»(23).

ولا يمكن فصل الرمز عن نسيج العمل الفني أو النظر إليه بوصفه الهدف الذي يريد الكاتب أن يقدّمه لقارئه، إنما هو وعي الفنان بعصره ووسيلته الفنية المتخفية القادرة على الإشارة والإيحاء، المتفقة مع وسائل التقنية في الجنس الأدبي الذي يكتبه الأديب في إحداث هدف آخر متخفّ يريد أن يحققه الفنان المهتم بمجتمعه، الحامل لهمومه تحت جلده حياةً وإبداعًا في عمله الفني.. وهذا الاهتمام ليس معناه التعمّد.. فالتعمّد عملية آلية بينما الاهتمام نابع من التفاعل حين تتركّز رؤية المبدع في أمر محاولاً معالجته بوسائله الفنية. ويأتي الناقد بعد ذلك ليعيد الاكتشاف مسلطًا الضوء على ذلك الموجود الخافي»(24).

ولأن الأدب ظاهرة اجتماعية تتمثل في تلقي الواقع وإعادة تشكيله من خلال الصور المبدعة، فمعيار العمل الفني الأول هو صدقه في مدى عكسه الواقع المتخيَّل بجميع مكوّناته(24). ومن ثم، فإننا نرى أن مدى وعي الفنان بمجتمعه الذي ينطلق منه ويحيط به يحدّد مستوى رمزه، كما أن مستويات الرمز تختلف حسب الاتجاه الفني، أو المدرسة الفنية التي ينتمي لها الأديب، وكلما اقترب الأديب من الواقعية بدرجاتها المختلفة، كان فنه أكثر رمزًا للواقع وإشارة له والتحامًا به؛ فأدبه، في هذه الحالة، أدب حقيقي «مؤسس للوعي التاريخي والاجتماعي بقدر ماهو نتيجة له»(26).

ولأن الرمز - من خلال التصور السابق - ليس عملية آلية أو حسابية بسيطة تعني أن نقول إن الرمز كذا، والمرموز إليه كذا. فإننا يمكن أن نشير إلى أن الرمز العام لهذه المجموعة هو: الانتماء وهو لا يصل بعفوية إلى هذا الرمز: ولا يشير إليه بعبارات مباشرة، وإنما يصل إليه من خلال جدلية الحدث/ المكان/ البطل/ الزمان. ففي هذه المجموعة تجد الحدث يتصل بالمكان. بمعنى أن المكان لو تغيّر ما وُجِد الحدث. فمشهد الوقائع المثيرة مرتبط ببنها. وعمل بهانة في بيع الخضر وأزمتها مرتبط بسوق الخضر وما حوله من تاجر الجملة والعسكري البشع الذي لا يُشبه زوجها الطيب - العسكري أيضًا -. ومحفوظ زوج بهانة - جندي الأمن المركزي - نشاطه ووجوده بل كينونته ذاتها مرتبطة بأرض المظاهرات، وتفريقها والقضاء على مرتكبيها. وحَدَث الغواية في «ليلة يهودية» مرتبط بروما. بمعنى أنه كان مستحيلاً أن يحدث على أرض ليبيا التي كان يعمل بها البطل، أو أرض مصر التي هو عائد إليها.

وعلاقة البطل بالزمان، علاقة فيها تمرّد وثورة. فالبطل في «ليلة يهودية»، حريص على أن يذكر التاريخ «اليوم هو الخامس من يونيو 1975م»(27). إنه اليوم الذي افتتح فيه السادات قناة السويس بعد حرب 73 الظافرة. ويمثل تاريخ 5 يونيو الانكسار العسكري المصري أمام اليهود.

والحدث في قصص فؤاد قنديل من خلال جدلية المكان/ البطل/ الزمان. أو (صراع البطل الزمكاني) يفرز لنا رمز الانتماء من خلال أبطاله المنتمين/ المطاردين.

فالبطل في «ليلة يهودية» شاب مصري عمل في ليبيا فترة في عزلة تشبه السجن، وها هو ذا ينزل روما لأول مرة فَيُبْهَر بنسائها الجميلات وخاصة تلك الفتاة الرائعة التي تريد - بمساعدة الرجل ذي الرأس الأصلع الضخم، والصدر العريض والعين الزجاجية - الإيقاع به وتجنيده. وهذا البطل المنتمي وملامحه يمثل نموذج البطل المنتمي في قصص السبعينيات.

لكن الوجه الآخر للانتماء هو المطاردة. (وكأنها قدر المنتمين داخليًا وخارجيًا). ففي الخارج نرى بطل «ليلة يهودية» مُطارد من الفتاة الجميلة ومن الرجل الضخم ذي العين الزجاجية.

و«بهانة» في «أمنيات بهانة» تريد أن تبيع الخضر في سوق بنها، ولكنها مطاردة من التاجر الكبير للخضروات والعسكري أبي شرايط.

و«الأم» في قصة «عسل الشمس» - وهي نموذج لن يتكرر كثيرًا في الأدب المصري، ولدت يوم شنق زهران الذي قاوم المستعمر وشُنق في دنشواي مع مَنْ شُنق في الحادثة المعروفة -. هذه الأم مطاردة من زوجة ابنها الجميلة «التي تعبث بوجهها طيلة النهار، وتلوك في شدقها في خلاعة فص اللادن»(28) ومطاردة أيضًا من ابنها «المركوب»(29) من زوجته، والذي هو بلا حول ولا قوة تجاهها.

وهكذا يكون رمز الانتماء «الإنسان المصري البسيط. ابن قرية سندنهور الصغيرة المتاخمة لبنها» هو البطل لهذه المجموعة.

ولكنه في حقبة الثمانينيات - التي أفرزت هذه المجموعة المتفوّقة - بطل مطارد في خارج بلاده من الآخر/ العدوّ الذي يريد أن يسلبه انتماءه. ومطارد في الداخل من القوى الأكبر منه، مع أنه باحث عن الحياة ومحبٌ لها ومشاركٌ فيها. ومطاردٌ - في آخر الأمر، وياللفجيعة - من داخل أسرته قلعته الصغيرة، كما رأينا الأم العجوز في «عسل الشمس» مطاردة من زوجة ابنها؛ وتابعها «الابن المركوب».

يبقى أن نشير في ختام هذه القراءة لجماليات القص عند فؤاد قنديل في مجموعته الأخيرة «عسل الشمس» إلى أن القصة القصيرة عنده تقدّم الإنسان المصري في الثمانينيات، مستفيدة من إنجازات فن القص العربي ومحاولات التجديد فيه، مضيفة بصمتها الخاصة المتمثلة في واقعيتها الشفيفة، التي توقّفنا في هذه الدراسة أمام بعض ملامحها. وفي لغتها الآسرة التي تختلف مستوياتها ووظائفها من قصة إلى أخرى، وفي داخل القصة الواحدة بأدواتها المختلفة المتباينة، والتي تحتاج إلى دراسة أخرى منفردة، لعلنا نقوم بها في المستقبل إن شاء الله.

الهوامش:

1- فؤاد قنديل: عسل الشمس، سلسلة قصص عربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
2- د. عبد المحسن طه بدر: نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ط1، دار الثقافة، القاهرة 1978م، ص20.
3، 4- فؤاد قنديل: عسل الشمس، ص7، 8.
5- المصدر السابق: أمنيات بهانة ص 7-15، عصر بهانة ص 19-34، ابن بهانة ص 37-46.
6، 7- المصدر السابق، ص104، 105.
8- د. حامد أبو أحمد: تنويعات في الواقعية، مجلة (إبداع)، عدد نوفمبر/ديسمبر 1990م، ص18.
9-22- فؤاد قنديل: عسل الشمس، انظر على التوالي صفحات: 24، 52، 53، 83، 84، 85، 44، 45، 20، 20، 20، 34، 24، 25، 31، 27.
23، 24- د. سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، ط1، المطبعة العصرية بالكويت، 1976م، ص7.
25، 26- د. حسين علي محمد: البطل في المسرح الشعري المعاصر، سلسلة «كتابات نقدية»، العدد 6، المؤسسة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1991م، ص20، 241.
26-29- فؤاد قنديل: عسل الشمس، ص100، 52، 53.

من فقه الواقع

الدين والحضارة

د. عباس محجوب

يعتقد كثير من الناس أن الدين شيء والحضارة شيء آخر، وهذا الاعتقاد نشأ عن فكر قاصر اهتدى بالحضارة المادية الوافدة من الغرب نتيجة ما حدث من فصل للدين عن الدولة، وقَصْر الدين على الكنائس بعيدا من حياة الناس وهمومهم.

وقد دأب دعاة الإلحاد على إشاعة مقولة تخلّف الدين عن طور الحياة الإنسانية والحضارة المعاصرة لأدائه لدوره في الماضي، وأنّ البشرية قد اكتفت بضوابط العقل ومعطيات العلم، ووسائل المعرفة والثقافة وتقدم المجتمع عن الحاجة إلى الدين، ولا شك في أنّ هذه المقولة تحمل كثيرًا من الأخطاء والمغالطات وقصور الفهم.

ومن خلال تحديد مفهومي الدين والحضارة يمكننا الوصول إلى حاجة الإنسانية إلى الدين في مراحل تطورها، بل اطّراد الحاجة إلى الدين كلما ارتقت الحضارة الإنسانية ونمت؛ لأنّ الدين هو الذي يحفظ للبشرية توازنها وتماسكها كلما أدّت تعقيدات الحضارة إلى الاضطراب والخلل في علاقات المجتمع والأفراد، وكلما زاد تعارض المصالح وتضاربها في المشكلات بين الأفراد بعضهم مع بعض.

فالدين يشمل كل معتقد يدين به الإنسان، ويلتزم ما فيه من سلوكيات وأخلاق وعادات وأحكام بصرف النظر عن صحة العقيدة أو فسادها. ودين الله الذي أرسل للبشرية هو الدين الحق، لأن دين الرسل جميعًا هو الإسلام، والله وحده هو المعبود الذي تخلص العبادة له وحده: *وَلَقَد بَعَثْنا في كلّ أمّة رسولاً أن اعبُدُوا اللّهَ واجتنِبوا الطاغوت*.النحل: 36. ودين الإسلام هو دين الحق الذي ارتضاه الله لعبادة وقبله منهم: *وَمَنْ يَبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فَلَنْ يُقْبَل منه وهُوَ في الآخرةِ من الخاسرين*. آل عمران:85.

أما الحضارة فهي كل إنتاج مصدره العقل الإنساني، أو كل نمط صنعه الإنسان لاستمرار وجوده على الأرض، فالحضارة شاملة لجميع أوجه النشاط البشري بوصفه نتاج عقل الإنسان ونتاج كفاحه وعمله، والعمل البشري دائمًا في حاجة إلى ضوابط وموجهات، ولا تتمثل هذه الضوابط والموجهات إلا فيما يعتقده الإنسان وهو الدين، فالدين لازم لبقاء الحضارة واستمرارها وتقدمها، ولم تقم حضارة نافعة للبشرية بمعزل عن الدين وقوانينه وحقائقه.

والدين في الوجود سابق للحضارة وعامل مهم في وجودها، فالإنسان قبل أن تكون له مجتمعات أو حضارات كان متدينًا، بل إن القرآن الكريم يحدثنا أنّ ضوابط التدين ومحددات السلوك كانت من أول ما طولب به سيدنا آدم - عليه السلام - في الجنة، وكان أول ما نزل معه إلى الأرض: *وَقُلْنا يا آدمُ اسكنْ أنتَ وزوجُكَ الجَنّةَ وكُلا منها رَغَدًا حيثُ شئتُما ولا تَقْرَبَا هذه الشجرةَ فتكونا منَ الظّالمين. فأزَلّهُمَا الشيطانُ عنها فأخْرَجهما ممّا كانا فيه وقُلنا اهبطُوا بعضُكُم لبعضٍ عَدُوٌ ولكم في الأرضِ مُستَقَرٌ ومتاعٌ إلى حين. فتلقى آدمُ من ربّه كلمات فتابَ عليه إنه هو التّوابُ الرحيمُ. قُلنا اهبطُوا منها جميعًا فإمّا يأتينّكُم مني هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون*. البقرة:35 - 38.

فالإنسان نزل بالعقيدة والدين إلى الأرض ولكنه كان بلا حضارة، قليل الخبرة، محدود التجارب، في حاجة إلى تدريب وتجريب واكتساب حتى يصنع حضارة ويقيم مجتمعًا يبلور فيه نشاطه ويستخدم فيه عقله لينتج حضارته.

والقصة التي أوردها القرآن الكريم عن ابني آدم: قابيل وهابيل تبيّن وجود العقيدة والتديّن والتقرب إلى الله بالقرابين، وتبيّن وجود السلوك الأخلاقي الذي يعصم العاقل المتدين عن أن يمد يده لارتكاب جريمة القتل، وتبين عجزه الحضاري وقلة خبرته وتجاربه في التعامل حضاريًا: *فَبَعَثَ اللهُ غُرابًا يبحثُ في الأرضِ ليُريَهُ كيف يُوَاري سوأةَ أخيه قالَ يا وَيْلَتَا أعَجَزْتُ أنْ أكونَ مثلَ هذا الغُراب فَأُوَاريَ سَوأةَ أخي*. المائدة:31.

ولكي يحافظ الإنسان على فطرته سليمة وإنسانيته سامية أرسل الله الرسل إلى الناس ليعبدوه حق عبادته، وليقيموا حضارة سليمة تحقق للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة. والدين الحق هو الذي يثمر الحضارة الحقة الراقية مادة وروحا، والإنسان الذي ينشئ الحضارة في حاجة ماسة إلى الدين الذي يثمر الحضارة لتستقيم أعماله في سبيل الخير وعلى طريق الشرع. والقرآن يعرض لنا نماذج من الحضارات التي سادت ثم بادت عندما انحرفت عن مسار الفطرة وحادت عن طريق الحق والعدل، وطغى ملوكها وحكامها واستغلوا دماء شعوبهم وأممهم؛ فتجبروا وطغوا، وظنوا أن القوة المادية بعيدا من ضوابط التديّن وكوابح الشرع يمكن أن تحفظ حضارتهم وتُبقي قوتهم، ومع ذلك زالت حضارتهم واندحرت قوتهم، فأصبحوا عبرة لغيرهم، وأصبحوا أثرا بعد عين.

وبعض السذّج من الناس يظنّ أنّ الحضارة المادية الحديثة لا صلة لها بالدين، وأنّ الأمم يمكن أن تتطور وتتحضر من دون الحاجة إلى الإيمان والعقيدة، وهذا وهم مخالف لطبيعة الأمور وحقائق الوجود المُشاهَد. فالعقيدة النصرانية، بصرف النظر عن ملابساتها، تشكل بعض القيم الأخلاقية التي تجعل حضارة الغرب موجودة، وإن كانت لا توفر لها ضمانات الاستمرار والبقاء، لأنّ الانحراف الأخلاقي في الاستفادة من معطيات الحضارة، بل إنتاجها يعجّل بفناء هذه الحضارة وانتقالها إلى جهة أخرى.

والحضارة المادية في عالمنا المعيش تحمل بذور فنائها في نتاجها، وفي تسابق الدول العظمى لإنتاج أدوات الدمار البشري، وإبادة الوجود الإنساني، وتحكيم الأهواء السياسية في مصير البشرية، وهذه الحضارة أكثر حاجة إلى الدين بضوابطه ومثله وأخلاقياته ومعاييره.

فالدين هو أساس الحضارة، فإذا كان الأساس سليمًا استقام ما يبنى عليه ويشاد، وإن كان فاسدًا كان ما يبنى عليه جميلاً زاهيا في صورته الظاهرة، ولكنه فاسدٌ وهشٌ في باطنه. والمسلمون الأوائل أقاموا حضارة عمت العالم وأفادت البشرية وأضافت إلى تراثها الكثير عندما كانوا على هدى من دينهم، وتمسك بشرعهم، واعتزاز بقيمهم وتعاليمهم، وعندما ضلّوا طريقهم وتخلوا عن مقومات وجودهم وأساسيات حضارتهم رجعوا إلى ما كانوا عليه في عصور الجاهلية والظلام.

وبما أن الإنسان هو منتج الحضارة؛ فإنّ الدين هو الذي يعدّ هذا الإنسان إعدادًا يجعله صالحًا لرسالته وجديرًا برقيّه، لأنّ الدين هو الذي يوجد في الإنسان التوازن بين قواه المادية والروحية، ويوجه سلوكه إلى الخير وإلى ما ينفع به نفسه وغيره، وهو الذي يجعل البشرية جميعا متساوين بلا فروق بينهم إلا بمقاييس التافس في الخير والتقرب إلى الله، وهو الذي يجعل المجتمعات تنعم بالأمن والسكينة والاستقرار وسيادة قيم الإخاء والمودة والرحمة والعدل.

إنّ الدين ضروري للحضارة وضروري للوجود الإنساني، لأنّ الإنسان مهما كان تقدمه الحضاري فإنّ الدين هو الذي يمنحه المتعة بتلك الحضارة. ولعلنا بذلك نستطيع أن نفسر الأسباب التي تجعل نسبة الانتحار عالية بصورة مذهلة في أكبر دولة تحققت لها مظاهر الحضارة، وتحقق للإنسان فيها أعلى نسبة دخل في العالم، وهي السويد، لأنّ التقدم الحضاري والمعطيات الحضارية توافرت للإنسان بعيدا من الدين، والدين الحق.

الإعلام التربوي في البلاد العربية

د. مصطفى رجب

لم يطفُ مصطلح «الإعلام التربوي» على سطح الكتابات العلمية التربوية إلا حديثًا، حين بدأت المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) تستخدمه في أواخر السبعينيات للدلالة على التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية وأساليب توثيقها وتصنيفها والإفادة منها.

وفي البداية لا بد أن نفرق بين مصطلحين قابلين للطرح حتى يتسنى لنا تحديد معنى الإعلام التربوي وهما:

1ـ الإعلام التربوي. 2 ـ الإعلام التعليمي.

ولا بد من الإشارة أولاً إلى أن التربويين لم يضعوا ـ بشكل قاطع ـ حدودًا فاصلة بين كلمتي التربية EDUCATION والتعليم INSTRUCTION؛ بل إن الكلمة الأولى كثيرًا ما تترجم إلى العربية بالتربية مرة وبالتعليم أخرى، كما أن الكلمة الثانية تُترجم أحيانًا بالتدريس. وعلى هدي من هذا الفهم يمكن التوصل إلى أن التعليم نمط مؤسسي من أنماط التربية يتم داخل مؤسسات رسمية تتخذ من هذه العملية رسالة أساسية لها، ويتخذ منها المجتمع وسائل ذات رسائل تكفل له إعداد النشء وفق ما يريد، بينما تتم التربية داخل تلك المؤسسات وخارجها، فالأسرة والأندية ووسائل الإعلام ودور العبادة وغيرها مؤسسات اجتماعية لها وظائفها الخاصة، ومنها يكتسب الفرد كثيراً من مكونات شخصيته وثقافته بوعي أو من دون وعي.

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن حصر «الإعلام التعليمي» في الصحف والمجلات التي تصدر متجهة إلى المعلمين والطلاب وغيرهم من عناصر العملية التعليمية، مضافا إلى ذلك البرامج التعليمية المسموعة والمرئية، ويبقى لنا مصطلح «الإعلام التربوي» ليشمل بقية وسائل الإعلام العامة.

إن الفهم التقليدي لمصطلح «الإعلام التربوي» على أنه تلك البيانات الخاصة بالعملية التربوية وطرائق تبويبها وفهرستها ونشرها، هذا الفهم يوصد الباب أمام محاولة اختراق الحاجز الذي تتستر وراءه وسائل الإعلام بدعوى الحرية فتقدم ـ بدعوى الترفيه ـ بعض الإسفاف والهبوط.

ولكن إطلاق مصطلح «الإعلام التربوي» ليشمل الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة يمكن أن يكون أقرب إلى الصواب وأكثر فائدة للعملية التربوية، وخاصة أن أجهزة الإعلام ـ وهي مؤسسة اجتماعية ـ لها من الحقوق ما لأية مؤسسة أخرى «تسعى للبقاء والقوة والتكيف من خلال اكتمال أدائها الوظيفي كوحدة في النظام الثقافي المتكامل في المجتمع»(1). من هنا فإن عليها أيضا واجبات ينبغي لها أن تقوم بها؛ غير أن تلك الواجبات ـ مهما تتسع ـ فلا ينبغي لها أن تحوّل وسائل الإعلام عن وظائفها التقليدية كالإعلام والترفيه والتثقيف، إلى رسالة جديدة هي التربية والتعليم. وعلى هذا فيجب عدم التطلع إلى استخدامها استخداما مباشراً. وحتى لو أمكن حدوث هذا فإن النتائج لن تكون طيبة بالنظر إلى الفروق الجوهرية بين المدرسة بوصفها نظامًا تربويًا مؤسسيًا ووسائل الإعلام بما فيها من كفايات متفاوتة القدرات، وما لها من أساليب وتقنيات خاصة بها.

فالتربية الإعلامية لا يمكن أن تتم بشكل مقصود مباشر، وإنما يمكن أن تتم من خلال بث القيم التربوية والأخلاقية في محتوى الرسالة الإعلامية؛ بحيث يكون تأثيرها في المتلقي متدرجًا وغير مباشر حتى يؤتي ثماره.

ومن المفترض أن وسائل الإعلام تبتعد من تقديم تربية وتعليم بشكل مقصود تاركة ذلك لوسائل الإعلام التربوية المتخصصة، وهذا الافتراض يقود إلى تحسس المحتوى العادي لوسائل الإعلام العامة، فإذا كان هذا المحتوى مقدما داخل إطار ملتزم أهدافَ التربية في المجتمع وقيمه الخلقية جاز عدّ هذا النوع من الإعلام «إعلاما تربويا». أما إذا كان المحتوى «الذي غالبا ما يهدف إلى الترويج والترفيه أو الإثارة لاعتبارات تتعلق بأهداف كل مؤسسة إعلامية على حدة» خلواً من أي التزام تربوي أو أخلاقي، أصبح ذلك النوع من الإعلام إعلاما غير تربوي أو إعلامًا غير مربٍّ، بل إنه قد يصبح بهذا الشكل خطراً على العملية التربوية ذاتها.

مشكلات الإعلام التربوي

1ـ مشكلات تتعلق بالتخطيط للإعلام التربوي وتمويله: تتصل المشكلات المتعلقة بالتخطيط للإعلام التربوي اتصالا منطقيًا بمشكلات التخطيط التربوي ومشكلات التخطيط الإعلامي، وتنبثق جميع هذه المشكلات من المفهوم الذي يتبناه المجتمع للتربية وللإعلام. ففيما يتعلق بالإعلام يختلف الأساس الذي يقوم عليه التخطيط الإعلامي باختلاف النظرية التي يتبناها المجتمع في نظامه الإعلامي، كما يختلف هذا الأساس أيضا باختلاف أهداف خطط المجتمع التنموية أو باختلاف نظام الحكم، وفيما يتعلق بالتربية يختلف الأساس الذي يقوم عليه التخطيط التربوي باختلاف مفهوم التربية وفلسفتها السائدة ـ أو المرجوة ـ في المجتمع، ففي ظل المفهوم القديم للتربية تأثر التخطيط التربوي. ويقع التخطيط للإعلام التربوي من التخطيط التربوي بمعناه الحالي موقعًا

تفرضه طبيعة النظرة الجديدة إلى التربية بوصفها أداة للتنمية، تنمية الفرد وقدراته واستعداداته، وتنمية المجتمع سياسيًا واقتصاديا واجتماعيا، فهنا يقوم التخطيط التربوي بدور المرشد بالنسبة لتحديد وظائف التربية، وفي تحديد أنماطها النظامية وغير النظامية.

وقد برزت مشكلة وضع الإعلام التربوي في التخطيط التربوي بشكل ملموس في المؤتمر الدولي للتخطيط التربوي الذي نظمته اليونسكو في باريس بين 6، 14آب/ أغسطس 1968م، واشتركت فيه خمس وتسعون دولة، فقد اتضح من هذا المؤتمر أن هناك فجوة بين التربية خارج المدرسة والتخطيط(2) وكان من العوامل التي تعوق التخطيط التربوي عن تأدية دوره بفعالية تعدُّد الجهات المسؤولة عنه.

وقد أشار تقرير المؤتمر إلى مصر بصفة خاصة حيث ذكر أن فيها مالا يقل عن 17 وزارة أو مؤسسة عامة تُعنى بالتربية إلى جانب وزارة التربية وجامعة الأزهر ووزارة التعليم العالي، وأكد التقرير ضرورة وجود تنسيق بين مختلف هذه الجهات(3).

ومن هنا يمكن استنتاج العلاقة بين الإعلام التربوي والتخطيط التربوي حيث يستبين أنها منتفية أو شكلية، هذا على الصعيد التربوي، أما على الصعيد الإعلامي فإن المؤتمر الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت اسم «اجتماع لخبراء التخطيط الإعلامي في الوطن العربي» خلال آذار/ مارس عام 1979م أسفر عن عدد كبير من التوصيات التي تكفل للإعلام التربوي مكانًا مرموقًا في التخطيط الإعلامي. فقد ركزت بحوث كثيرة من التي قُدِّمت إلى الاجتماع على ضرورة أن يكون التخطيط الإعلامي ذا مفهوم واسع يغطي فلسفة المجتمع ويخدمها ويدعمها بعد أن كان مقصورًا على مستوى المؤسسات الإعلامية في صورة خطط إجرائية صغيرة، أما فيما يتعلق بتمويل الإعلام التربوي فإن المشكلات الملحوظة تبدو أكثر تعقدًا في ظل غياب تنظيم مؤسس لأجهزة الإعلام ذات الاهتمام التربوي، فإدارة البرامج التعليمية التلفازية لها اعتماداتها الخاصة من وزارة التربية، أو من جهاز التلفاز، وجهاز التوثيق والإعلام التربوي له اعتماداته الخاصة من الاعتمادات المخصصة للمركز القومي للبحوث التربوية، وتمويل مجلات اليونسكو وغيرها من الجهات التي تصدر عنها كل مجلة. فغياب الإطار المؤسسي الذي يضم هذه الجهات المعنية بالإعلام التربوي يجعل عملية تمويل الإعلام التربوي عملية عشوائية خاضعة لعوامل شتّى قد ينجم عنها تكرار أداء الخدمة الإعلامية نفسها من أكثر من جهة من دون علم الجهات الأخرى.

من العرض السابق يمكن استخلاص المشكلات الآتية فيما يتصل بالتخطيط للإعلام التربوي وتمويله:

- يجب أن يكون للإعلام التربوي مكانة متميزة في المخططات التربوية، وهذا يكفل نجاحًا أكثر للمخططات التربوية.

- يفتقر التخطيط التربوي في الدول العربية لبعد مهم يتصل بمفهوم التربية الحديثة، ويرتبط بأهداف التربية السائدة أو المرجوة، وهذا ينعكس على الإعلام التربوي.

- يهتم التخطيط الإعلامي بالإعلام التربوي بمعنييه الواسع والضيق، ويجعل له حيزًا في المخططات الإعلامية كما يلوح في مؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، غير أن التطبيق العملي لا يشير إلى تحقيق هذا الاهتمام في كثير من البلدان العربية.

- يفتقر الإعلام التربوي العربي، فضلاً عن وجود خطة شاملة له، إلى نظام متكامل يجمع الأجهزة والجهات المعنية به كافة في مؤسسة واحدة تخطط له وتتابع تنفيذه.

- تغفل الخطط التنموية القومية جانب الإعلام التربوي مع أهميته في توعية الجماهير بأهداف تلك الخطط ودورها في تنفيذها.

2- مشكلات تتعلق بالواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة: نستطيع أن نستنبط بعض المشكلات التي تتعلق بالواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة، ومن أهم تلك المشكلات:

- عدم وضوح السياسة الإعلامية العربية بوجه عام.

- افتقار وسائل الإعلام العامة إلى الالتزام التربوي بمعناه الأخلاقي في أدائها لوظائفها العامة.

- توجد فجوة بين النصوص الدستورية والقانونية واللوائح المهنية التي تنظم أخلاقيات العمل الإعلامي من جهة، والتطبيق أو الواقع الفعلي لتلك الوسائل من جهة أخرى.

- من المحتمل أن تكون هناك مشكلات تتعلق بمصادر المعلومات التربوية التي تحصل منها وسائل الإعلام على مادتها الإعلامية مما يؤدي إلى الاضطراب والتناقض.

- تختلف أشكال الرقابة على وسائل الإعلام سواء أكانت رقابة مباشرة أم غير مباشرة، وقد تكون لها نتائج سلبية فيما يتصل بحرية العمل الإعلامي.

- يميل النمط العام للرقابة على وسائل الإعلام في معظم الدول العربية إلى الجانب السياسي المتمثل في التعبير عما يوافق نظام الحكم، بينما تتضاءل حتى الاختفاء أية جوانب رقابية أخرى كالجوانب الأخلاقية والموضوعية.

- من المتوقع أن يكون لبعض الأوضاع المهنية داخل المؤسسات الإعلامية أثر في محتوى وسائل الإعلام.

العلاقة بين الإعلام التربوي والتخطيط التربوي، إما منتفية أو شكلية. ويجب أن يكون التخطيط الإعلامي ذا مفهوم واسع يغطي فلسفة المجتمع ويخدمها ويدعمها

- أثبتت بعض الدراسات وجود محتوى علمي في وسائل الإعلام العامة يمكن استخدامه في التدريس داخل الفصل وخارجه، ومع ذلك فإن تلك الدراسات لم تلتفت إلى التأثيرات الجانبية التي قد تنجم عن استخدام ذلك المحتوى، مثل التأثيرات التي تحدث نتيجة الالتفات إلى بقية محتوى بعض الوسائل كالمجلات، وبعبارة أوضح هل يمكن أن تكون المجلات العامة مصدرا للتربية والتعليم في ناحية من محتواها مع ضمان عدم تعارض بقية النواحي مع هذه الناحية؟

3- مشكلات تتعلق بالتلفاز التربوي:

- عدم وجود تنسيق بين تجربة التلفاز التربوي في الدول العربية والتجارب العربية المماثلة.

- عدم وجود خطة متكاملة للبرامج التعليمية في الإذاعة والتلفاز ذات مراحل متتابعة وفقا لأهداف محددة.

- قلة البحوث والدراسات التي ترمي إلى تقويم تجربة البرامج التعليمية في مؤسسات التلفزة العربية بالموازنة بمثيلاتها في دول أخرى؛ مما يجعل عملية الاستمرار في تقديم هذه البرامج من دون قياس نتائجها أمرا خطيرًا.

- تحتاج البرامج التعليمية التلفازية إلى جهة موحدة لتمويلها بدلاً من وجود أكثر من جهة ممولة وبأكثر من أسلوب.

- البرامج التثقيفية التربوية للجماهير ضعيفة بالقياس إلى البرامج الترفيهية التجارية، كما قد يكون بينهما تضارب في الأهداف، وتنتصر في النهاية البرامج الترفيهية لاعتبارات كثيرة(4).

الهوامش:

1- منير المرسي سرحان، في اجتماعات التربية، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1973م.

2- لجنة خبراء اليونسكو، ترجمة منير عزام، منشورات اليونسكو، د. ت.

3- المرجع السابق.

4- د. مصطفى رجب، الإعلام التربوي في مصر، واقعه ومشكلاته، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.

سعدية البريطانية والتحرر من الظلمات

ولدت فيفيان وينجيت في منتصف القرن الميلادي الحالي لأسرة إنجليزية نصرانية، وكان الأب يعمل قسيسًا، ومن هنا كانت تربيتها الأولى نصرانية محافظة، حيث حرص الوالد على أن يربي أطفاله نصارى ملتزمين تعاليم النصرانية، من خلال إشراكه إياهم في الطقوس الكنسية كل يوم أحد، وإدخالهم في ألوان النشاط المختلفة التي تنظمها الكنيسة التي يتبعها.

في ظل هذا الجو النصراني الصارم نمت فيفيان وترعرعت، متمسكة بعقيدتها، ليس عن اقتناع بها، ولكن لأنها لا تعرف عقيدة سواها معرفة حقيقية، فكل ما تعرفه عن غيرها من العقائد مجرد كلام مرسل، أو كما يقال كلام مجالس، لا يحمل الطابع العلمي بقدر ما يحمل سمات الدردشة، وإيجاد موضوع للحديث عنه ليس غير.

الحق يقال إن والدها على كونه قسًا لم يسع يومًا إلى تغذية روحها بطابع الكراهية لغيرها من الأجناس والأعراق أو الديانات، مما أسهم في إضفاء سلام نفسي وصفاء نادر على روحها، فلم تعرف التعصب المقيت؛ بل تعاملت مع مخالفيها في العقيدة دونما حساسيات.

وقادتها هذه الروح السمحة إلى الاحتكاك - ضمن مَنْ احتكت بهم - بالمجتمعات الإسلامية في بريطانيا، حيث توجد جالية إسلامية كبيرة، يمكن القول معها إن الإسلام بات الديانة الثانية في البلاد.

الاختلاط بالجالية المسلمة

أتاح اختلاط فيفان بالجالية المسلمة أن بدأت تعرف - ربما للمرة الأولى - الكثير عن القيم الإسلامية، وشدتها تجربة الحياة الأسرية الإسلامية بما تحمل من ثراء قيمي، يتمثل في ترابط الأسرة، والتفافها حول الأب والأم، واتجاهها إلى بناء علاقات تآخ وتلاحم مع غيرها من الأسر، إذ تكاد الجالية المسلمة تنفرد بين أوساط المجتمع البريطاني بوجود علاقات قوية بين أسرها، وحرصها على إعانة الأسر غير القادرة في بادرة غير مسبوقة في ذلك المجتمع المادي، الذي يرفع من شأن المادة، ويحقر ما عداها من الجوانب الروحية.

لم يفت فيفان أن تلمح الفارق بين الشباب النصراني الذي لا يذهب إلى دور العبادة سوى يوم الأحد، فإذا خرج منها قطع صلته الروحية بها، وبين الشباب المسلم الذي لا تقتصر صلته بربه على مجرد شعائر في يوم معين، بل يظل مرتبطًا بهذه الصلة الروحية السامية في أي وقت وفي كل مكان.

مرحلة الشك

بدأت فيفان تفكر في حقيقة عقيدتها، ومدى صواب فكرة التثليث وأسرار الكنيسة السبعة، ومدى صلاحية النصرانية عقيدةً ومنهج حياة، وخاصة أنه لا يوجد فيها ما ينظم الحياة الدنيوية لأتباعها، ووجدت نفسها تفكر في عقيدة الإسلام، التي بدأت تمس شغاف قلبها، ولاسيما بعد أن التقت بمسلم بنغالي يدعى حسن شاه شدّها بأخلاقه الرفيعة وتساميه عن صغائر الأمور وتوافهها التي تشغل أمثاله من شباب بريطانيا وتستولي على تفكيرهم.

عندئذ أدركت فيفان سر كراهية بعض البريطانيين للمسلمين، ذلك أن المرء لا يكره إلا مَنْ يراه أفضل منه، والمسلمون بسلوكهم الراقي، وترابطهم الأسري، وتماسكهم الاجتماعي يثيرون غيرة البريطاني المتعصب وحسده، مما يدفعه إلى بث روح الكراهية نحو العقيدة التي تشكل القيم الحارسة للأسرة المسلمة من السقوط في مستنقعات المادة وبؤرها العفنة وانحرافاتها الأخلاقية الفاسدة.

وكان سعيها إلى الاطلاع على القرآن الكريم، كتاب المسلمين، محاولة منها لفهم أسرار هذا الدين الذي يجعل معتنقيه على هذه الدرجة العالية من السمو الخلقي، لكنها فوجئت حين قرأت كتاب الله مترجمًا بمعانيه، أنه لا يحتوي على أية أسرار، ولا توجد به طلاسم، بل حقائق ناصعة تبين للضال طريقه، وتأسر قلبه، حقائق تجعل الفاجر يثوب إلى رشده، وترجع بالظالم عن ظلمه، كما شدها في كتاب الله تلك الصورة المضيئة بالروحانية التي يقدمها القرآن الكريم عن عيسى - عليه السلام - وأمه البتول مريم، وهي صورة مغايرة تمامًا لما سمعته من قبل من أبناء جلدتها.

وأشرق نور الإيمان

ما إن انتهت فيفان من قراءة كتاب الله، حتى وجدت نفسها إنسانة أخرى، إذ أحست بطمأنينة في القلب، وإرادة وعزيمة على اتخاذ القرار الحاسم، فكانت نقطة العبور بين ظلمات الجاهلية، ونور الإيمان الساطع، وبلا تردد عبرت فيفان النقطة الفاصلة لتصل إلى نور الهداية، بعد أن زال الشك واطمأن قلبها إلى أن الدين عند الله الإسلام.

اختارت فيفان أن تتسمى - بعد أن منَّ الله عليها بنور الإيمان - باسم «سعدية»، وانطلقت مع زوجها حسن شاه في رحلتها الجديدة في الحياة بعدما تحررت من إثم الشرك، وأحست بلذة الإيمان وحلاوة اكتشاف الحقيقة، بعد طول بحث وعناء اختيار.

لكن، هل توقفت قصة سعدية عن هذا الحد؟! وكيف تقبلت أسرتها ومجتمعها مسيرتها تحت راية القرآن الكريم؟!

موقف الأسرة والمجتمع

الحقيقة أن أسرة سعدية ـ مثل كل أسرة نصرانية ـ رفضت في البداية أن تترك ابنتها العقيدة التي تظنها صحيحة، عقيدة آبائها وأجدادها، من أجل دين وافد لا يعلمون عنه إلا النذر اليسير، لذا كان غضب الأسرة ملحوظًا، لكنه ما لبث أن خمد أواره حين رأوا سعدية سعيدة بعقيدتها التي اختارتها، مقتنعة بها، فتراجعوا، وشجعهم على هذا التراجع ما لمسوه منها من محاولة إرضائهم، والسعي الحثيث إلى تواصل صلتها بهم تطبيقًا لروح الإسلام التي تأمر بصلة الرحم وتحث على وصلها، وما لبثت أسرتها أن رأت في إشهارها إسلامها خيرًا من أن تسير في ركاب شباب بريطانيا الرافض لكل القيم، فبدأت معارضتها تخمد حتى تلاشت تمامًا، حتى إن والداها سمحا لها باستخدام منزلهم مدة أسبوع ليكون مقرًا لمعسكر نظمته للشابات المسلمات، ولم يمانعا من تخصيص غرفة به لتكون مسجدًا طوال مدة المعسكر.

إلا أن موقف الأسرة المتسامح لم يواكبه تسامح المجتمع، فالبريطاني والأوروبي عامة ينظر بالشك والريبة إلى أي أوروبي يعتنق الإسلام، نتيجة لمحدودية الفهم لطبيعة الإسلام، حيث الفكرة السائدة عنه أنه دين إقليمي، لا يناسب الأوروبيين، بينما الحقيقة أنه رسالة عالمية تناسب كل زمان ومكان ولون وجنس.

وسعدية اليوم تعيش في طمأنينة وسعادة، يربطها بزوجها حسن شاه، جو أسري مستقر، زاد من دفئه أن رزقهما الله بولدين «داود» و«جاويد» تربيهما حاليًا مهتدية بقبس الشريعة الإسلامية ليشبا على دين الله، نموذجين طيبين لأشرف عقيدة، متمسكين بدينهم، مؤدين لفرائضهم، ملتزمين أخلاق الإسلام، ليكونا ـ إن شاء الله ـ ضمن الدعاة المتنورين الساعين إلى نشر دين الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة .

على الطريق



شعر: رياض العزه

حياةٌ فموتٌ فبعثٌ جديدْ ... فهل لي هنالك نُعمى الخلودْ؟!

وهل للبداية من مُنتهى ... وهل في النهاية بدءٌ سعيدْ؟!

لقد جئتُ من لُجة الليل أحبو ... لكي استضيء بشمس الوجودْ

فلم ألْقَ ما جئتُ أسعى إليه ... وألفيتُ نفسي رهينَ القيودْ!

وحوصرتُ ما بين عقلي وقلبي ... فهذا يَصُدُّ وذاك يُريدْ!

وفي النفس تنمو رغابٌ وتترى ... فيمنعها العقل كي لا تميدْ!

ويَكْبحُ فيها جماحَ الأماني ... فتسمو وتبدأ درب الصعودْ!

صعودًا صعودًا وتصفو رؤاها ... وتُصبح في عالم اللاحدودْ!

وتَرضعُ من ثدي أم رؤوم ... هي الحكمة المشتهاةُ الوَلودْ

وتَأبى الفطامَ ولا ترتوي ... إلى أن تنادي عليها اللحودْ

نداءً يُدوي بأسماعِنا ... ونحسب أنّا بحصنٍ عتيدْ

ونغرقُ في مغرياتِ الحياة ... ولا نستعدُّ ليوم شديدْ!

ليومٍ قريبٍ سريع الخطى ... وإن كان يبدو بأُفقٍ بعيدْ

هنالك يُنصبُ ميزانُ عَدْلٍ ... وكلٌّ وما قد أتى من رصيدْ!

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

إجابات عن أسئلة حول صحة بعض الأحاديث

«والمرأة كلها عورة إلا وجهها في الصلاة»:

لم أقف عليه، حسب علمي، أنه حديث بهذا اللفظ، لكن لعله من كلام الفقهاء. والمرأة كلها عورة: هذا محفوظ من نصوص أخرى، وحديث «إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه» لم يصح.

«إنما الأعمال بالنيات»:

هذا جزء من حديث صحيح، جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو عند البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة، والحديث أصل مهم من أصول الدين، لكنه غريب، إذ لم يروه من الصحابة سوى عمر، ومشهور من جهة يحيى بن سعيد الأنصاري، وقد تلقته الأمة بالقبول، وهو من أصح الأحاديث.

«إنما يَعرِفُ لذوي الفضل حقوقَهم ذَوُو الفضل»:

لم يصح، ولم أجده بسند صحيح.

«صلُّوا كما رأيتموني أصلي»:

صحيح، عن مالك بن الحويرث، والأمر يقتضي الوجوب.

«أول ما خلق اللّهُ العقلَ»:

لم يصح، ولم أجد في مثل هذا حديثًا صحيحًا، وسنده هالك.

الصفة الشرعية للمضاربة

تجارة المضاربة ما صفتها الشرعية؟

د. بكر عبدالله بن سلامة، العويد، مكة.

المضاربة أصلها من حيث اللفظ مأخوذ من الضرب في الأرض، والضرب نوع من أنواع السفر يخص به قصد التجارة، فمن سافر للتجارة يقال له سافر للضرب، أو يضرب. قال اللّه تعالى: *وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ*. **المزمل:** 20. وصورة المضاربة أن يدفع شخص مسلم، ذكرًا أو أنثى، لآخر مسلم مالاً معينًا للاتّجار به، ويكون له بعض ربحه على ما يتفقان عليه بينهما من الربح. والمضاربة نوع من أنواع الشركة، أي المشاركة في المال للاتجار به، وهي جائزة شرعًا. حكاه في: المغنى، والمبسوط، وابن عابدين، والمحلّى، والمجموع للنووي على اختلاف خفيف مع الاتفاق على الجواز أصلاً، وقد أجمل صاحب «الروض المربع بشرح زاد المستقنع» في الفقه الحنبلي كلامًا جيدًا حولها في باب الشركة، فلعلك تعود إليه.

الدين بالرأي

هل صح هذا الحديث: «لو كان الدينُ بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه»؟

ن.ل.م. الشويخ، الكويت.

هذا الحديث رواه أبو داود في السنن في «كيفية المسح» وسنده صحيح حسب علمي ولم ألحظ عليه شيئًا يخل به، وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الجيد: «جامع الأصول من أحاديث الرسول» ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وهو كتاب مفيد لطلاب العلم والعلماء لا يكاد يُستغنى عنه، ومقدمته مفيدة جدًا.

الأقربون أولى بالمعروف

هل ورد هذا الحديث في الصحيحين: «الأقربون أولى بالمعروف»؟

سليم بن دارة عدناني رجب، سورية.

ليس هذا بصحيح أصلاً، لكنه مَثَلٌ مشهور على ألسنة العوام، وسبب ذلك كونه مقبول المعنى وخفيفَ اللفظ، وقد سمعت أحد الطلاب يتفوه به، فقلت في نفسي بعد ذلك: هذه طامة كبرى؛ لأنه قد يُفهم منه أنه حديث، ولهذا يلزم طالب العلم ضرورة معرفة الحديث صحيحه وضعيفه لتسلم الأمة من الخلط وتفشّي التعالم.

زكاة الأرض

لي أرض لا أُريد بيعها الآن، هل عليها زكاة؟

عبدالرحمن م.م. الكندرة، جدة.

سؤالك ينم بوضوح على أنك لا تريد بيعها الآن، لكنك تريد بيعها بعد حين. هذا النوع أُسميه: البيع بنية التأجيل، وعليه زكاة؛ لأن كل ما عُرض للبيع من عروض التجارة، والعقار (مهم) للتكسب، فعليه الزكاة: ربع العشر، وليس تأجيل البيع بنية البيع ولو بعد حين بمزيل فرضية الزكاة عند تمام الحول. ولا أعلم خلافًا حسب نظري حول هذه المسألة، واللّه تعالى أعلم.

ردود خاصة:

الأخ حسن بن عبدالله بن زيد الدرعاني، الخرج:

«العجلة أم الندامة» من كلام العرب وليس حديثًا.

الأخ زيد بن بكر آل مسرور، الحفر:

يصلك جواب خاص عن «شركات التقسيط».

الأخ م. م. الكويت:

هذا يخص سفارة الدولة المعنية في خطابك فراجعها.

أنفاس ودموع

شعر: وحيد خيون



عيناكَ كانتْ وكنّا في ربى الأملِ   نمشي ونمشي ليالينا على عَجَلِ
طارتْ عواصفُ أحزاني لتحمِلَني   لَمّا وجدتُ الليالي وحدَها قبلي
وأنتَ بالأمسِ فينا يا لموعدنا   قد طال واندثَرتْ رؤياهُ في وَحَلِ
وهل تنادي أخا الأيام يا جبلاً   إذا ارتقى في أعالي قمةِ الجبَلِ
وكيف تجأرُ يا قلبي وتطلبُهُ   ولستَ تملكُ الاّ عبرةَ المقَلِ
أتحملُ البينَ يا قلبي وقد ضَرَبْت   أجراسهُ أم ستنسى لوعةَ الأجَلِ
ألستَ تعلم لَمّا أنتَ تذكرُهُ   أنَّ الدموعَ مكاتيبٌ، من المللِ
لم تبرحِ الأعينُ الخرساءُ شاخصةً   وفي انتظاركَ في الآفاقِ والسُّبُلِ
تركتني في انتظار لستُ اتركُهُ   إلاّ أنينًا على قيثارة المثلِ
وقعُ الصدودِ بقلبي يستحيلُ به   هجرُ الحبيبِ إلى وقعٍ من الأسَلِ
لَمّا اتيتُ لدارٍ كنتُ أقصدُها   شوقًا إليكَ بقلب فيكَ مشتعلِ
طرقتُها وانخفاضُ الصوتِ يفضَحُني   وفي الأناملِ هزّات من الكللِ
فردّت الدارُ يا هذا لقد رحلوا   فانظر إليَّ تجدْ طلاً على طلَلِ
فعدتُ استرجع الساعاتِ أندبُهُ   يا سارق القلبِ هاتِ القلبَ وارتحلِ
أعيشُ مثلَ فقيدِ الأهل مغتربًا   ولا أعيشُ على ذكراكَ في أمَلِ
قد طالَ منك غيابٌ شفَّ أفئدةً   تهواكَ واسْتَسلَمتْ للخوفِ والخجلِ
أبكي إليكَ وهذي الناسُ تمنعني   وكيف صَبْري وجسمي فاضَ بالعلَلِ
يا ساكنًا في بلادٍ لستُ مُدْرِكهَا   ولا إليها بهذا الوقتِ من سُبُلِ
إني إليك لمحتاجٌ وبتُّ هنا   إليك أشكو كثيرًا قلةَ الحيَلِ
لم أدْرِ مافي فؤادي حين أذكركم   يكي، فأبكي حزينًا شبهَ مُنْعَزِلِ
حالي ضعيفٌ وقلبي فيك منشغلٌ   وأنتَ عني بعيدًا بتَّ في شُغُلِ
أنعاكَ والدمعُ منهلٌ ومنْ أزلٍ   حتى أراكَ وإلا طيلةَ الأزَلِ
بلا وداعٍ تفارقنا ولا أمَلٍ   ولا عهودٍ ولا قولٍ ولا قُبَلِ
كيفَ التلاقي وهل ألقاك في زمنٍ   وأنت عني كبعد الأرضِ عن زُحَلِ
عندي اليكَ أحاديثٌ محمّلَةٌ   بالوجْد والدهرُ أخلانا من الرُسُلِ
متى تعودُ؟ وهل مازلت تذكرني   فكم ذكرتُكَ مشتاقًا ولم تَصلِ
يا مَنْ رحلتَ رحيلاً لا إياب لهُ   قد باتَ جسمي نحيلاً فيك في كَسَلِ
ما أبعدَ الدارَ عن داري وأقربَها   مني وما بيننا بعضٌ من الدُوَلِ
أشدو وأنتَ بعيدٌ كيفَ تعرفني   وبعد ما ماتَ حزنًا ها هنا جَذَلي
فيا مهادي الذي قد كنتَ تحملُني   عليكَ أغرقُ في خوفي وفي وَجَلي

دراسة في الأدب الإنجليزي:

مسرحية "ماكبث" وعلم النفس عند شكسبير

محمد وليد سابق

عندما يُذكر اسم شكسبير لدى المهتمين بالأدب العالمي، يقفز إلى الذهن هذا الاسم الذي يشير إلى أحد أعاظم الأدباء وأكثرهم براعة في تصوير النفس الإنسانية عبر كتاباته التي تنوعت ما بين الدراما المسرحية من مأساة وملهاة، وأشعاره الكثيرة الرائعة.

وعلى الرغم من أن شكسبير كان يتبع أسلوب المدرسة الكلاسيكية أو التقليدية في كتاباته، فقد استطاع أن يقدم لنا بعض المسرحيات والأشعار الرومانسية العاطفية التي أثارت إعجاب المتفرجين والقرّاء والنقاد على حد سواء.

ومما يميّز كتاباته أنك تجد ـ في كل مرة تقرأ فيها أشعاره أو تشاهد إحدى مسرحياته ـ شيئًا جديدًا لم تلاحظه من قبل، مما يزيد في المتعة الأدبية ويزيد الإعجاب بهذا الكاتب العظيم الذي كان يظهر في ما يكتب كافة فهمًا عميقًا للطبيعة الإنسانية وما يختلج في داخلها من نزعات وانفعالات وعواطف، متعاملاً مع الشخصيات التي يبدعها في مسرحياته من منطلق هذا الفهم، واعتمادًا على ما هو على دراية تامة به في هذا الإطار، مما يوحي بأن هذا الكاتب العظيم كان يعرف ما هو علم النفس قبل أن يظهر إلى الوجود علم بهذه التسمية، وأنه كان يدرك كنه النفس البشرية ويسبر أغوارها بسلاسة وحنكة يثيران الإعجاب.

حياته وبعض أعماله

عاش شكسبير في المدة ما بين 1564 و1616م، ولم يكن في طفولته ما يوحي بأنه سيكون في مستقبله ذلك الأديب العظيم، غير أنه أصبح بعد زواجه بمدة قصيرة ممثلاً مسرحيًا، وكاتبًا، وكان ظهوره في ذلك المظهر بشكل مفاجئ محيرًا للكثير من النقاد والدارسين الذين درسوا حياته بالتحليل والتمحيص.

ومن أشهر ما كتب شكسبير للمسرح مسرحياته المأساوية التراجيدية: «هاملت» و«ماكبث» و«الملك لير» و«عُطيل» وكذلك ملهاة «الليلة الثانية عشرة» و«حلم ليلة في منتصف الصيف». ويبلغ مجموع ما كتبه من مسرحيات 37 مسرحية.

ومأساة ماكبث من أعظم ما كتب شكسبير على الإطلاق، ومما يميزها من غيرها من مسرحياته سلاسة الأسلوب وعمق التعبير وجودة رسم الشخصيات وروعة تصوير النزعات والخلجات البشرية، وهي تتفق في ذلك مع مأساة هاملت وتماثلها إن لم تفقها في هذا الإطار.

وتروي مأساة ماكبث قصة القائد الكبير «ماكبث» الذي كان الملك قد أرسله في غزوة يحارب فيها أعداءً له فعاد له القائد بالنصر المظفر، ولم يبخل عليه الملك بأعظم درجات التكريم، ومنحه ألقاب الفخار والشرف، وفي بادرة لإظهار شكره العظيم وامتنانه وتقديره وعده بأن يمضي ليلة في قصره.

وكانت زوجة القائد ماكبث امرأة طموحًا أخذ بها جنون العظمة أيما مأخذ؛ فانبرت توغر صدر زوجها على الملك وتثير في نفسه كوامن الإحساس بالعظمة والطموح، وكانت تظن أنه بموت الملك فإنه ليس ثمة من يخلفه إلا زوجها، فراحت تضغط على هذا الأخير ليقتل الملك عندما يضيفه ليغدو هو ملكًا من بعده.

ولم يستجب القائد ماكبث لزوجته في بادئ الأمر، ووجد فيما تدعوه إليه جريمة كبرى وغدرًا قبيحًا لا يليق بقائد عظيم مثله أن يقترفه.. غير أن زوجته استطاعت بدهائها الأنثوي وبسلاحها كامرأة صلدة صلبة أن تقنع زوجها بارتكاب تلك الجريمة البشعة، وقامت بالتخطيط لها... وشرحت لزوجها خطة التنفيذ!

الخيانة ومصرع الملك

وجاءت تلك الليلة التي نزل فيها الملك ضيفًا على القائد ماكبث، وأقيمت الاحتفالات وسهر الناس في قصر القائد حتى ساعة متأخرة من الليل، وما لبث الجميع أن أخلدوا إلى نوم عميق بسبب ما بذلوه من جهد وما شربوه من خمر في تلك الليلة المشهودة، إلا القائد ماكبث وزوجته، اللذين كانا ساهرين يستعدان لتنفيذ الجريمة. وأمسكت الليدي ماكبث بالخنجر.. الذي هو أداة الجريمة المفترضة.. وأعطته لزوجها الذي بدا عليه شيء من التردد ولكنها كانت قد أعدت كل شيء.. حتى حراس الملك قد غطوا في نوم عميق بسبب ما تم تقديمه إليهم من مخدر في الشراب. وتسلم القائد ماكبث الخنجر من زوجته.. وتسلل نحو غرفة الملك.. وما لبث أن طعنه طعنة نجلاء وهو في سباته. وكانت الخطة تقضي بأن يقتل ماكبث الحراس أيضًا ليوهم الناس أنه اكتشف اغتيالهم للملك فقتلهم عقابًا لهم على ذلك. وتم تنفيذ الجريمة.. وعاد القائد إلى زوجته ويداه ملطختان بالدم وقد أدرك فجأة هول ما أقدم عليه، غير أن زوجته تبادره بالقول وهي في أشد حالات الصلابة والقسوة: إن قليلاً من الماء يذهب بآثار ذلك الدم!

وكاد ماكبث أن ينهار، لكن زوجته الصلبة القاسية حالت دون ذلك.. واستطاعت أن تجعله يتماسك ويظهر أمام الناس في اليوم التالي بمظهر القائد المخلص الذي قتل مرتكبي جريمة اغتيال الملك.

المكافأة والصراع النفسي

ويتم بعد ذلك تنصيب ماكبث ملكًا، إلا أن بعض القواد وابني الملك المغدور ساورهم الشك في الملك الجديد، وأحسوا أنه كان وراء الجريمة..

وتناهى ذلك إلى علم ماكبث فطاردهم وقتل بعض القواد على أيدي قتلة مأجورين، إلا أن ابني الملك القتيل لم تطالهما يداه ففرّا إلى مملكة مجاورة ليجهزا هنالك جيشًا ويعودا للانتقام من قاتل أبيهما.

واضطربت حياة ماكبث ولم يعد يعرف للراحة طعمًا... ومع ما كان يرده من أخبار هو وزوجته عما يُدبَّر له بغرض الانتقام منه بدأ ينهار رويداً رويدًا.. وكذلك زوجته.. التي يرينا شكسبير بمعرفته العميقة بعلم النفس البشري أن المرأة تظل امرأة دائمًا لا يمكن لأعصابها أن تتماسك إلى تلك الدرجة، فتنقلب في النهاية لتنهار أعصابها وتعود امرأة كباقي النساء.

وما يلبث ابنا الملك المغدور أن يأتيا بجيش كبير ويقاتلا جنود ماكبث وينتصرا عليهم، ويزحفا بجيشهما نحو قصره الذي لم يبق له فيه من أعوانه إلا القليل القليل.. وفي ذلك الوقت تكون زوجته التي انهارت تمامًا تتجول في أرجاء القصر حاملة شمعة لتبدد الظلام داخل نفسها قبل أن يكون خارجها، وتقوم بيديها بحركات كأنها تقوم بغسلهما وتقول: إن كل عطور العرب لن تستطيع أن تغسل رائحة الدم. وما تلبث زوجة ماكبث أن تموت ويصل خبر موتها إلى ماكبث الذي يضيع اتزانه ويفقد قدرته على ضبط نفسه.. ويضطر إلى مواجهة خصومه بنفسه، وينبري أحد القواد الذين فروا مع ابني الملك لمنازلة ماكبث فيصرعه.. وتنتهي قصة طموح زوجته بمقتله وموتها، ويسدل الستار.

شخصيات شتى.. وأحاسيس متباينة

وفي نظرة شاملة على موضوع المسرحية، نجد أن الكاتب قد رسم لنا شخصيات ذوات أُطر واضحة أسهم في إيضاحها وإيصالها إلى الجمهور سلاسة النص وبراعة المؤلف الفائقة في اختيار الألفاظ المعبرة عن خلجات النفس الإنسانية والمشاعر المختلفة المتضاربة التي هيمنت على الخط (الدرامي) لكلٍّ من هذه الشخصيات.

ولنأخذ بمزيد من التحليل الشخصيات الرئيسية في المسرحية، ونرى كيف كان شكسبير يتعامل معها نصًا وروحًا.. فالقائد الكبير ماكبث قد أتخمه الإحساس بالعظمة وبتفوقه على غيره من القواد نتيجة لما استطاع أن يحقق من نصر على أعداء الملك... وزاد في إحساسه ذاك، التكريم البالغ الذي أغدقه الملك عليه، ومن ثم ما لجأت إليه زوجته من تقوية ذلك الشعور وإيهامه بأنه الرجل القوي العظيم الذي لا يُغلب، والذي يجب أن تؤول إليه مقاليد الأمور في المملكة. ويرينا الكاتب هنا صراع النفس البشرية مع ذاتها ممثلاً في ذلك الإحساس الذي كان يتملك القائد العظيم ممتزجًا بطموحه وحبه للعظمة من جانب، وعدم رغبته في ارتكاب جرم لا يليق به بصفته قائدًا كبيرًا من جانب آخر. وتظهر براعة المؤلف هنا في الحوار الذاتي بين القائد ماكبث ونفسه مصوراً ذلك الصراع الهائل الذي أشرنا إليه.. كما تظهر البراعة ذاتها فيما نراه بعد من تأثير زوجته فيه، ذلك التأثير الذي استطاع أن يسيطر عليه فيحسم الصراع لمصلحة رغبة الزوجة الطامحة الصلبة القوية، فذابت عظمته بين يدي زوجته وراح ينفذ رغبتها مأخوذًا بما سكبته في أذنه من كلام، وبما أوحت إليه من تحريض.

نتيجة الصراع مع النفس

ويرينا المؤلف صراعًا من نوع آخر كان لابد أن يقع.. وهو صراع ماكبث مع نفسه مرة أخرى بعد ارتكابه الجريمة البشعة.. ومع اختلاف نوع هذا الصراع عما سبقه، فقد كان الكاتب - في الحالين - ملمًا أعظم الإلمام بخلجات النفس وبما تتأثر به ويؤثر فيها من عوامل. أما اختلاف نوعية الصراع فقد نشأ من تغير الظروف وتغير الدافع.. فعندما كان ماكبث قائدًا قتل مليكه.. وهو في النهاية ملك يقتل بيد أحد قواده.. والقتل موجود في الحالين.. غير أن شكسبير استطاع ببراعته أن يجعلنا نتعاطف مع المقتول في حال، ومع القاتل في حال آخر؛ وكأنه قد غاص في بحر النفس البشرية إلى الأعماق، وسبر أغوارها.. وقدم لنا بنتيجة ذلك قاعدة نفسية ثانية تُظهر إلى حد بعيد قدرته الكبيرة على التحدث عن النفس الإنسانية، ومعرفة عميقة بما يمكن لهذه النفس أن تحسَّ به أو تصل إليه.

أما الليدي ماكبث، زوجة القائد، فقد برع شكسبير في تصويرها أيما براعة، إذ هو يرسمها طموحًا صلبة متعطشة إلى المجد والجاه، قوية التأثير في زوجها، وهي ذات عقل وذهن واعيين.. يعرفان تمامًا كيف السبيل إلى الوصول إلى المأرب والهدف، باذلة في ذلك أسلحتها الأنثوية كافة وهي تقود زوجها إلى حيث أرادت له أن يصل، واضعة في ذلك خطة محبوكة.. بعد أن فكرت بكل شيء.. ووضعت في ظاهرها الحسابات كلها.. وتبقى الليدي ماكبث في هذا الإطار وعلى هذه الصورة.. ويخيّل إلينا أن أعصابها وتحكمها في نفسها هي أشد قوة منهما لدى أقوى الرجال. ولكن تبرز بعد ذلك معرفة شكسبير بالنفس الإنسانية، وفهمه لطبيعة هذه النفس، ولما يمكن أن يحدث في حالة كهذه، إذ لا نلبث أن نرى هذه المرأة القوية وقد بدأت تنهار عندما بدأت الشكوك تحوم حول زوجها القاتل، وبدأ هو ينهار تحت وطأة صراعه مع ضميره، فراح يتصور أشياء لا وجود لها، ويرى الأشخاص الذين قتلهم في صورة أشباح يتخيل وجودها أمامه (كما في مشهد شبح القائد بانكو)، وتلاحظ زوجته ذلك، وتدرك كنهه فيكون تأثير ذلك فيها أشد من تأثير زوجها.. ويرينا شكسبير ببراعة هائلة كيف بدأ الاثنان في الانهيار.. كل بحسب طبيعته.. وكيف وصلا إلى نهاية كان لا بد لكل منهما أن يصل إليها اعتمادًا على منطق الواقع وعلم النفس البشرية.

أما باقي شخصيات المسرحية فقد جعلها المؤلف تؤدي ما أراد لها بأسلوب مقنع خدمة لغرض المسرحية ولما رسمه المؤلف وأراد أن يقوله.

براعة في التقنية المسرحية

ولا يسع أي قارئ لمأساة ماكبث أو مشاهد لها على المسرح إلا أن يعجب بقدرة شكسبير على أن يأخذ القارئ أو المشاهد معه إلى حيث يريد، وكان بارعًا في فن التقنية المسرحية إلى درجة تفوق الوصف، يشهد على ذلك مشهد البواب، وهو المشهد الذي تلا مشهد جريمة قتل الملك... إذ أعطى المؤلف هنا نفحة صغيرة من الملهاة «الكوميديا» تريح الأعصاب قليلاً بعد التوتر الهائل الذي ساد الأجواء قبل ارتكاب الجريمة وفي أثنائها. وهو ما يسمى في علم المسرح الراحة الدرامية Dramatic relief. ولا ننسى أن نشير مرة أخرى إلى مشهد الوليمة Banquet scene الذي أراد المؤلف لنا فيه أن نتصور حجم الصراع الهائل الذي كان يدور في نفس القاتل، ويصل به إلى تصور أشياء غير موجودة، ورؤية أشباح لا وجود لها إلا في نفسه وضميره المعذب.

وخلاصة القول إن شكسبير قد استطاع أن يقدم لنا مسرحية تظهر طبيعة النفس البشرية وما يعتلج فيها من مشاعر تتفاوت بين الطموح وحب العظمة والشر والندم وتعذيب الضمير، وأكد أن الفطرة لابد أن تتغلب في النهاية، وأنه لا بد للخير والحق أن ينتصرا وللباطل أن يُغلب.

وعلى أية حال فإن مأساة ماكبث ليست إلا نموذجًا لما استطاع شكسبير بعبقريته الفذة أن يقدمه إلى الأدب الإنجليزي خاصة والأدب العالمي عامة.. ويبقى شكسبير مدرسة لكل مؤلفي المسرحيات في كل الآداب.

ثغر طرسوس

بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي

170- 354هـ = 786- 965م

1

د. أمينة البيطار

طَرَسوس مدينة من أهم مدن الثغور الشامية خاصة، والثغور البرية عامة. تقع خلف جبال طوروس بين آسية الصغرى وبلاد الشام في سهل خصيب. وتشكل هذه الجبال الحد الفاصل بين أراضي المسلمين والبيزنطيين. ذكر بعضهم أنها من الإقليم الرابع، وبُعدها من خط المغرب ثمانون درجة، وبُعدها من خط الاستواء ست وثلاثون درجة(1). على حين ذكر المهلبي أنها من الاقليم الخامس، وعرضها ست وثلاثون درجة(2).
تُسامِت طرسوس من جهة البر من أراضي البيزنطيين بلاد القباذق، وبعض الناطليق، ومن جهة البحر بلاد سلوقية(3).

اختلف في لفظ طرسوس فقيل هي بفتح الطاء والراء، وقيل بإسكانها (أي الراء)(4)، والفتح أشهر. كما سميت طرَيسوس(5). وعرفت بالرومية باسم تارسين، وبالتوراة أبسوس، وفي الإنجيل أرسوس(6).

موقع حصين

وطرسوس مدينة محصنة تقع على بعد ستة فراسخ من أذنه، يشقها نهر البردان(7). وهي لا تبعد كثيراً عن البحر، وتتصل به بوساطة هذا النهر الذي يصب في البحر، وتسير به السفن حتى تصل إلى طرسوس، مما جعلها مدينة بحرية(8). يحيط بالمدينة سوران عليهما ستة أبواب(9). وقد جعلها أبو عمرو الطرسوسي(10)، واليعقوبي(11) خمسة أبواب حديد. وقد يكون هذا الاختلاف في عدد الأبواب، بسبب وجود باب عُرف باسم الباب المسدود. وسبب سده أن جيشاً غازياً يزيد على عشرين ألف فارس وراجل، خرج من هذا الباب لغزو البيزنطيين، فأصيب الجيش عن آخره، فأجمع أهل طرسوس على سده تشاؤماً(12). وهذا الباب كائن مابين زاوية الحبالين، وباب الجهاد عند آخر شارع النجارين. وكانت أبواب السور الداخلي من حديد مُلَبَّس، وأبواب السور الخارجي من حديد مصمت. ويحيط بهذا السور خندق عميق(13). وتستخدم الأسوار للدفاع عن الثغر، ولهذا كانت تعلو السور الداخلي شرافات بلغ عددها ثماني آلاف شرافة، يرتب فيها الرماة، وتتسع إلى ستة عشر ألف قوس، تُرمى رمية رجل واحد. وفي هذا السور من الأبراج مئة برج، منها ثلاثة للمجانيق الحرري، وعشرون برجاً للمجانيق الكبار، وعشرون برجاً للعرّادات وباقيها لرمي القسيّ(14).

لم تكن الأبراج للقتال والأسلحة فقط، بل كانت مقراً ومساكن للمقاتلة المتأهلين منهم والعزاب. كما أن بعضها استخدم لصناعة بعض المواد الضرورية. وكان بعضها مرسوماً بعمل الورق والكاغد وهو البرج الذي يلي زاوية الحبالين(15).

ويبدو أن أبواب السور الخمسة بقيت حتى عهد أبي عمرو الطرسوسي الذي رآها رأي العين مفتوحة مسلوكة معروفة، وهي باب الشام، وباب الصفصاف، وباب الجهاد، وباب قلَمية، وباب البحر، إضافة إلى عشرين باباً آخر كانت مغلقة(16) أهمها الباب الذي عُرف باسم الباب المسدود.

تاريخها حتى سنة 354هـ

لم يعرف بالتحديد تاريخ بناء ثغر طرسوس، والمعروف أنها ذُكرت في التوراة والإنجيل. وكانت في العهد اليوناني المتأخر تزخر بحياة فكرية جيدة. وقد انتشرت فيها النصرانية في وقت مبكر. وورد ذكر أساقفة طرسوس، ورؤساء أساقفتها في قرارات المجالس الكنسية(17). وهي مسقط رأس بولس الرسول(18). ومما يشير إلى قدم هذه المدينة الحجر الذي وجد على باب قلمية. والذي يبدو أنه أصلاً

كان في دير في طرسوس. ويدل ما كتب عليه أن مدينة طرسوس كانت عامرة في عهد ذي القرنين. ومما كتب عليه «.. الحمد لله الوارث للخلق بعد فناء الدنيا... فإني ابن عم ذي القرنين، عشت أربعمئة سنة وكسراً، ودرت الشرق والغرب أطلب دواء للموت. من أراد أن يدخل الجنة، فليصلّ في هذا الدير عند العمود ركعتين...»(19).

كان دخول طرسوس تحت الحكم الإسلامي في السنة نفسها التي فُتحت فيها أنطاكية(20) وهي سنة 18هـ/ 639م(21). ذلك أنه بعد فتح أنطاكية، ورحيل هرقل إمبراطور البيزنطيين عنها، استصحب معه أهالي المناطق القريبة منها، وهي المناطق الواقعة بين إسكندرونة وطرسوس والتي كانت عبارة عن حصون ومسالح (جمع مسْلحة وهي الثغر والقوم ذوو سلاح) بعد أن شعث هذه البلاد، خشية عليهم من هجمات المسلمين(22). وجاء في رواية على لسان اليعقوبي(23)، أن طرسوس فتحت سنة 53/ 672م فتحها محمد بن مالك، وقيل جنادة بن أبي أمية. ومعنى هذا أن طرسوس خرجت من يد المسلمين في المدة الواقعة بين سنتي 18-53هـ/ 639-672م واستعادها المسلمون ثانية. وقد أكدت لنا الرواية التي وردت في البلاذري على لسان أبي الخطاب الأزدي، خلو ثغر طرسوس من السكان في مرحلة فتوح الشام، حين ذكر أن أبا عبيدة بن الجراح غزا الصائفة، فمر بالمصيصة وطرسوس، وكانت خالية لجلاء أهلها وأهل الحصون التي تليها(24). من أجل ذلك فإن المسلمين كانوا إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً، وربما كمن عندها جماعة من البيزنطيين، لمهاجمة مؤخرة عسكر المسلمين والمنقطعين. وقد أدى ذلك إلى قيام ولاة الصوائف والشواتي بترك جند كثيف في هذه الثغور للعمل على حماية مؤخرة الجيش لحين عودتهم(25). فقد فعل ذلك معاوية بن أبي سفيان، حين غزا عمورية سنة 25هـ/ 645-646م، ووجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية، فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين، حتى انصرف من غزاته، وفعل مثل ذلك ابن الحر العبسي حين غزا الصائفة، وأخذ الولاة يفعلون فعلهما(26).

ويبدو أن هذه الطريقة لم تكن مجدية، ذلك أنه نُسب إلى معاوية أنه حين غزا سنة 31هـ/651-652م من ناحية المصيصة «جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه»(27). وإذا كان هذا صحيحاً من فعل معاوية، فإن هذه الحصون أعيد إعمارها في المدة بين سنة 31هـ/ 651-652م، وخلافة عمر بن عبد العزيز 99-101هـ/717-720م، ذلك أن عمر لما نزل هري (الهُري: بيت كبير يوضع فيه طعام السلطان وجمعه: أهراء) المصيصة أراد هدمها، وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية، خشية أن يحاصرها البيزنطيون، فأعلمه الناس أنها إنما عمرت ليدفع من بها البيزنطيين عن أنطاكية، وأنه إن أخربها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكية، فأمسك(28).

وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر العربية والإسلامية تحصين الأمويين لمدينة طرسوس بالذات، فإن المعلومات الواردة عن تحصينهم للثغور بشكل عام، تشير إلى قيامهم بتحصين طرسوس، فقد كانت من أهم الثغور. ويبدو أن هذا التحصين لم يكن قوياً ولا متقناً، أو أن الثغر تعرض تحصينه لعوامل طبيعية خربته، أو حدث التخريب نتيجة لهجمات بيزنطية عليه - وكانت هجماتهم مستمرة - مما أدى إلى أن يكون هذا الثغر خراباً في مطلع العصر العباسي، وإلى أن يضطر الخليفة هارون الرشيد إلى تجديد عمارته(29).

وقد أكد عدد من المؤرخين بناء هارون الرشيد لثغر طوسوس(30). فقد نقل ابن العديم عن اليعقوبي قوله: «وطرسوس مدينة بناها أمير المؤمنين الرشيد في المرج الذي في سفح الجبل الذي يقطع منه إلى أرض الروم، وكان بناؤه لها سنة 170هـ على يد أبي سليم فرج التركي الخادم»(31).

وكان سبب اهتمام هارون الرشيد - والمهدي من قبله - بإعمار ثغر طرسوس أهمية موقعه على درب الأبواب القيليقية، إضافة إلى أن إعماره يؤدي إلى كبت العدو البيزنطي وقهره. وقد أوضح ذلك القائد العربي الحسن بن قحطبة الطائي للخليفة المهدي، بعد أن عاد من غزو البيزنطيين سنة 162هـ/ 778-779م. وكان قد غزاهم «في أهل خراسان والموصل والشام، وأمداد من اليمن، ومتطوعة العراق والحجاز، وخرج مما يلي طرسوس». إذ أوضح للمهدي مافي بناء طرسوس وتحصينها وشحنها بالمقاتلة من عظيم الغَنَاء للمسلمين، وقهر العدو وإفشال محاولاته في الكيد للمسلمين(32). كما أوضح له أنه كان يسكن هذا الثغر مئة ألف ساكن وهي خراب مما يعرّضهم للخطر. كما ذكر له مثل ذلك بالنسبة للحدث. وهذا مما دفع الخليفة المهدي إلى أن يأمر بالبدء ببناء الحدث، وأوصى ببناء طرسوس(33).

وعلى الرغم من أن المهدي أوصى ببناء طرسوس؛ إلا أن بناءها لم يتم في عهده بل في خلافة هارون الرشيد، وكان الذي دفع هارون إلى الإسراع ببنائها علمه بتآمر البيزنطيين على الخروج إلى طرسوس والاستيلاء عليها، وتحصينها وترتيب المقاتلة فيها، فأغزى الصائفة سنة 171هـ/787م هرثمة(34)، وأمره بعمارة طرسوس وتمصيرها، ففعل(35). وللإسراع في العمل، فإن هارون الرشيد أرسل مع رسله وعساكره المؤن - ليستعينوا بها، ولئلا يشغلهم تأمين الطعام عن العمل - فقد أرسل أربعة آلاف راحلة دقيقاً حطت بباب الجهاد، غربي حائط المصلّى، كتب على هذه الرواحل، بلخ، خوارزم، هراة، سمرقند، فرغانة، اسبيجاب، «وحمل كل ذلك مع أبي سليم وبشار وأبي معروف»(36).

وبُني في المدينة مسجدٌ جامع، ثم أُقطع أهل طرسوس الخطط ليعمروها ويستقروا بها، وحصنت، ودعمت بالمقاتلة في أثناء الإعمار. ولما مُسحت بعد بنائها بلغت أربعة آلاف خطة، كل خطة عشرون ذراعاً في مثلها(37). وإذا كان هذا التقدير صحيحاً، فإن مساحة طرسوس عند بناء الرشيد لها بلغت 1,600,000 ذراع مربع.

وقيل إن المسلمين فقدوا طرسوس بعد ذلك بقليل، وإذا كان هذا قد حدث فعلاً فقد يكون في مدة

مع كل ماكانت تتعرض له طرسوس من المخاطر بسبب موقعها التجاري والعسكري المهم، فإنها ظلت من أفضل مدن الشام

الخلاف بين الأمين والمأمون(38). ثم استعادها الخليفة المأمون سنة 215هـ/ 830م(39) حين غزا العواصم، فدانت له فيها طرسوس(40). ولما غزا أراضي البيزنطيين سنة 218هـ/ 833 مصممًا على الاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينية، توفي في البذندون، ودفن في طرسوس(41).

أما عن المقاتلة الذين أرسلهم هارون الرشيد إلى طرسوس بعد إعمارها، فقيل إنه أشخص إليها الندبة الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل، ثم الندبة الثانية وهم ألفا رجل، ألف من أهل المصيصة، وألف من أهل أنطاكية على زيادة عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه، فعسكروا على باب الجهاد في مستهل المحرم سنة 172هـ/ يونيو/حزيران 788م، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر من هذه السنة(42). ويجب أن يكون هناك ثلاثة آلاف رجل غير هؤلاء، أهمل المؤرخون ذكر أصلهم، أو المكان الذي ينتسبون إليه؛ وذلك لأن المسعودي أورد في كتابه «مروج الذهب»(43) أن حامية طرسوس قوامها أصلاً ثمانية آلاف رجل يخرجون من باب الجهاد.

توسعت طرسوس كثيرًا، حتى إنه قيل: إن الإحصاء الذي أجري سنة 290هـ/ 902-903م على سكك طرسوس ودورها، أظهر أن فيها ألفي سكة نافذة ومسدودة. وكان فيها من الدور أربعة وثلاثون ألف دار. اقتضى التقدير أن يكون ثلثاها للعزاب أهل البلدان، وثلثها للمتأهلين بها ملكًا لأربابها أو وقفًا عليهم. وكانت كل مجموعة من هذه الدور وقفًا للمجاهدين من أهل كل مدينة من مدن المسلمين بما فيهم المدن البعيدة مثل مدينة قم(44).

وهذا الإحصاء أجري في خلافة المكتفي بالله العباسي 289-295هـ/ 901-907م؛ أي بعد خروج مدينة طرسوس عن طاعة الطولونيين بأربع سنوات(45). وكانت هذه المدينة، مثلها مثل بقية مدن الثغور الشامية في العهد الطولوني وماتلاه، تعتمد في الدفاع أمام البيزنطيين على إمكاناتها المحلية الممثلة بالحاميات والمتطوعة بعد انشغال الخلفاء والأمراء بخلافاتهم الداخلية، والصراع على النفوذ. واستمرت كذلك في غالبية المرحلة الزمنية التي كانت فيها خاضعة لنفوذ الحمدانيين(46). ولما خضعت طرسوس سنة 354هـ/ 965م للإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس(47) عمد إلى حرق المصاحف وهدم المساجد، وخيّر المسلمين بين اعتناق النصرانية والهجرة، أو البقاء على دينهم مع أداء الجزية، ففضلوا الهجرة، على أن عددًا غير قليل منهم اعتنق النصرانية(48). ولأهمية طرسوس في نظر الإمبراطور البيزنطي، فإنه حين احتلها صعد على منبرها، وقال لمن حوله: أين أنا؟ فأجابوه إنه على منبر طرسوس، فأجاب إنه على منبر بيت المقدس، لأن طرسوس هي التي كانت تمنعه من الوصول إليها(49).

وطرسوس اليوم مدينة خربة صغيرة، ليس فيها مايُذكّر المرء بماضيها العظيم، ويتدفق نهر البردان على مسافة منها. وقد أحال فيضانه أرباضها إلى مستنقع(50).

أُلحق بطرسوس عدد من الحصون أشهرها:

1- حصن عُجَيف: وينسب إلى عجيف بن عنبسة أحد قادة الخليفة المأمون، وكان لهذا الحصن عدة أبراج، وبرسم هذا الحصن أمير وأربعة فرسان وثلاثة حراس، وثلاثة رجّالة، وخطيب. رزق الأمير عشرة دنانير، ورسم كل فارس ديناران، والرجالة والحرس دينار دينار، والخطيب ديناران. وفيه أربعة أبراج، برج الوصيفي وفيه ثمانية رجال، وبرج المنشا وفيه ستة رجال، وبرج المِقْطع وفيه خمسة عشر رجلاً، وبرج الجزيري وفيه سبعة، لكل برج رئيس من رجاله، له دينار وسدس الدينار، ولكل رجل دينار(51).

2- حصن شاكر: وينسب إلى شاكر بن عبد الله أبي الحسن المصيصي(52).

3- حصن الجوزات: على بعد ثمانية فراسخ من طرسوس. سمي بهذا الاسم لوجود مساحات كبيرة أمامه مزروعة بشجر الجوز. ورسم هذا الحصن أمير ونائبه وخطيب وقيّم للدار، وصاحب للحمام، وكاتب ومطرديان وبوقي وبواب(53). ولم يكن يسمح أن يسكن في هذا الحصن امرأة ولا غلام أمرد، إنما يختار له أهل القوة والبأس، ومن يعاني أعمال السلاح المختلفة كالثقاف بالسيف والرمح والرمي(54).

يخرج أهالي هذا الحصن في موسم قطاف الجوز لنفضه، ويبقى في الحصن بعض الثقات لضبطه. فيدفعون عُشْر المحصول للوالي فيجتمع له خمسمئة ألف جوزة وأكثر، وبذلك فإن أشجار الجوز في هذا الحصن تعطي خمس ملايين جوزة على الأقل، علمًا بأن هناك أشجارًا بعيدة الفروع، يتعذر الوصول إليها ونفضها(55).

4- ويُعدّ تل جبير من عوادل الثغور الشامية. وهو من طرسوس على أقل من عشرة أميال(56).

5- ويقع حصن الهارونية في بعض شعاب غربي جبل اللكام، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى هارون الرشيد الذي بناه وهو ولي للعهد، وشحنه بالمقاتلة والمطوعة(57).

كان سبب اهتمام هارون الرشيد - والمهدي من قبله - بإعمار ثغر طرسوس أهمية موقعه، إضافة إلى أن إعماره يؤدي إلى كبت العدو البيزنطي وقهره

الحياة الاقتصادية في طرسوس

تقع طرسوس في ملتقى الطرق التجارية المهمة، لذلك فإنها كانت مركزًا للتجارة منذ العصور القديمة، واستمرت تعد من المدن التجارية المهمة في العصور الإسلامية. وكثيرًا ماكانت المبادلات التجارية تجري من طريقها بين بيزنطة والبلاد الإسلامية، على الرغم من الحروب المستمرة بين الطرفين، ولغناها وموقعها التجاري والعسكري، فإنها كثيرًا ماكانت تتعرض لأخطار فادحة. فقد كانت الجيوش المغيرة تهاجم طرسوس وتنهبها، فإذا وقعت بأيدي المسلمين، فإن الإغارات تتوالى عليها من البيزنطيين، وإذا حدث العكس فإنها تتعرض لهجمات المسلمين عليها. وكثيرًا ما اضطر أهل المدينة إلى الهرب نجاة بأنفسهم من مخاطر الهجمات المتكررة عليها. مما جعل المنتصرين أحيانًا يلجؤون إلى استقدام سكان من النواحي الأخرى يعملون على إسكانهم فيها(58).

وهذا النشاط التجاري الذي تمتعت به طرسوس خاصة، وبقية الثغور الإسلامية عامة، جعل الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في مصر والشام تعمل

للسيطرة عليها، منافسة في ذلك الخلافة العباسية نفسها، مثل الدولة الطولونية(59).

ومع كل ماكانت تتعرض له طرسوس من المخاطر بسبب موقعها التجاري والعسكري المهم، فإنها ظلت من أفضل مدن الشام، حتى قيل فيها مقابلة بغيرها من مدن الشام الأخرى: «مدن الشام كالنسوة الجلوس، وطرسوس تلمع بينها بمنزلة العروس»(60).

ومما لاشك فيه أن طرسوس كانت تتاجر بالمواد الموجودة في أراضيها أو في البلاد الإسلامية القريبة، أو حتى في مواد الشرق الأقصى، وشرقي إفريقية.

كان البيزنطيون من أهم الشعوب التي تاجرت معها طرسوس، وكانت تجارتها مع بيزنطة رابحة إلى أقصى الحدود. فقد كانت طرسوس منفذًا تجاريًا ممتازًا للمنتجات الإسلامية والبيزنطية على السواء، ولأية بضاعة أخرى كانت تمر عبر أراضي الدولتين. ومما شجع على تنشيط التجارة، أن هذه المدينة ـ كغيرها من الثغور ـ كانت معفاة من الضرائب لصفتها الدفاعية، حتى إن الحاميات الأولى التي استقرت فيها والتي مُنحت الإقطاعات على أن تدفع العشور المقررة تمكنت في غالب الأحيان من التخلص من الدفع. وكان هؤلاء يعمدون في أوقات السلم إلى حراثة الأرض وزراعتها، ثم البحث عن أسواق خارجية لتصدير فائض الإنتاج المتراكم، فوجدوا في الأسواق البيزنطية الحل المناسب.

إضافة إلى ذلك؛ فإن الإنتاج كان يصرف كمؤونات للمسلمين حين اجتيازهم الثغر إلى آسية الصغرى، وهذه المؤونات مدفوعة الثمن. كذلك كانت الجيوش البيزنطية تتمون من الثغر كلما اجتازت جيوشهم آسية الصغرى للدخول إلى الأراضي الإسلامية(61).

ولأهمية طرسوس كمركز تجاري في الثغور، فإن كبار التجار في جميع مدن الخلافة الإسلامية، كانوا يرسلون إليها عملاءهم، مما أدى إلى زيادة النشاط التجاري. وحاول التجار الحفاظ على مركزهم التجاري، فوقفوا في وجه بيزنطة التي حاولت التجارة بشكل مباشر مع موانئ بلاد الشام من طريق قبرص(62).

حاول الخليفة العباسي المعتضد بالله 279-289هـ/ 892-902م، العمل على وقف نشاط أسطول طرسوس المعادي للبيزنطيين، وذلك من أجل استمرار الحركة التجارية، ولما عجز عن فعل هذا من طريق الإقناع، فإنه عمل على حرق أسطول هذه المدينة(63).

كانت ضياع طرسوس تعطي غلات كثيرة على رأسها الحنطة، التي كان يؤخذ منها من كل عشرة أحمال أو رواحل واحد، يوضع في برج قلمية من طرسوس، فإذا اجتمع أُطلق منه لأهل الشرف المقيمين بطرسوس من أبناء المهاجرين والأنصار. وقد جرى ذلك منذ خلافة المأمون الذي أقر ذلك. وأصبح هذا العمل يجري بينهم مجرى الميراث، يتوارثه خلفهم عن سلفهم، حتى الغريب الطارئ منهم يدفع إليه مقدار كفايته وكفاية جملته إذا كان ذا عيال، أو كان في مرتبة الشرفاء.

وكان جزء من هذا العُشر برسم الشيوخ المسجدية لا ينقطع عنهم في كل سنة، لكل شيخ منهم «ستة أمداء بالمُدْي الطغاني»(64). كما يُصرف جزء منه على «الأدلاء المؤلفة قلوبهم من البيزنطيين والأرمن وأولادهم بحسب مايراه السلطان بطرسوس من حسن النظر لهم، ولمن يتجدد منهم(65). وذلك أن هؤلاء كانوا مرشدين للجيوش الإسلامية في الأراضي البيزنطية، وعيونًا لهم».

أما مايتبقى من عُشر الحنطة، فيصنع منه خبز لقوت الأعلاج المحبوسين في سجن طرسوس. ومافضل يباع بسعر وقته، ويصرف منه في مهمات البلد(66).

أما الشعير الذي يؤخذ برسم العشر، فيطلق للأدلاء المؤلفة قلوبهم رسمًا على مقدار كُراعهم

كانت تجارة طرسوس مع بيزنطة رابحة إلى اقصى الحدود. فقد كانت منفذاً تجارياً ممتازاً للمنتجات الإسلامية والبيزنطية على السواء

قضيمًا في كل سنة، ثم يحمل سائره لقضيم بغال الساقة أولاً بأول(67).

وهناك غلات أخرى مثل العدس والباقلاء واللوبياء والحمص والأرز، والتي يصفها ابن العديم بالغلات القطاني(68). مع ماينضاف إليها من زيتون وكمون وبذر فجل وبذر كتان وسمسم وترمس وأرز. يباع كل صنف بسعره(69).

وكان حصن الجوزات يمد طرسوس بالجوز، ومن المرجح أن الفائض منه يصدر إلى الخارج(70). ويوجد في المنطقة منبت للأشنان الزبطري يستعمله أهل الحصن ويبيعون بعضه، ويهدون بعضه الآخر(71). وزُرع النارنج في طرسوس حتى كثر في دور الناس(72).

كما كان في جبل قريب أوكار للبزاة يعتادها قوم من أهل حصن الجوزات التابع لطرسوس فإذا فرّخ الباز في وكره، تعهده الطالب بالتفقد، وتردد إليه، حتى إذا صلح تلطف بحيلة في نقل الفراخ، ودبر تربيتها، وتكلف حملها إلى طرسوس، ويباع الواحد منها بمئة وخمسين درهمًا، فيعلم الصيد، فيصل سعره إلى خمسمئة درهم وأكثر(73).

كما يوجد في جبل طرسوس عقار يعرف بالفاريقون، وهو ترياق للسموم، صالح لمرض عرق النساء والمفاصل وغير ذلك(74). وفي ثغر طرسوس زبيب لاعجم فيه كالقشمش(75)، ووجود الزبيب هذا، دليل على زراعة العنب فيها بشكل واسع.

كما كانت بالقرب من طرسوس غابات تصلح أشجارها لصناعة السفن، تصدر أخشابها إلى مصر وغيرها من البلاد لتصنيع السفن(76).

كما كانت الجواميس والأبقار وغيرها من الحيوانات تربى فيها. وكان أولو الأمر يأخذون من عجولها العُشْر توضع في برج قلمية مع الحنطة وغيرها لتوزيعها على الأشراف والشيوخ المسجدية، والمؤلفة قلوبهم(77).

أقيمت في طرسوس بعض الصناعات، على رأسها صناعة الأسلحة، كما كان يُصنع فيها الورق والكاغد في البرج الذي يلي زاوية الحبالين(78). كما كان يعمل في طرسوس ثياب تسمى الشفايا مثل رفيع الديبقي، تحمل إلى كل بلد(79).

ومع هذه الموارد المتعددة التجارية والزراعية التي

ثغر طَرَسوس

بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي170 - 354= 786- 965م

تمتعت بها طرسوس، فإنها لم تكن تكفي للإنفاق، ذلك أنه كان عليها أن تنفق كغيرها من الثغور على المراقب والحرس والركاضة والموكلين بالدروب والمخاض وغير ذلك مما جانسه، إضافة إلى ماتحتاج إليه بعد ذلك لشحنها من الجند، ومايقوم للمماليك، ورواتب تعاريفها للصوائف والشواتي في البر والبحر(80)، والإنفاق على أسطولها. فقد كان لطرسوس أسطول خاص، كانت الخلافة العباسية وغيرها تستعين به في أيام الحروب(81)، وظلّ كذلك حتى أمر الخليفة المعتضد بتدميره كليًا؛ فاندلعت النيران في خمسين قطعة بحرية باهظة التكاليف. وقد يكون ذلك بسبب بعض المشاكل بين الطرفين(82). وكانت طرسوس تعوض العجز المالي بين الواردات والنفقات بما يأتيها من الغنائم والمقاسم(83)، ومايحبسه القادرون فيها من الأحباس للجهاد والخير من المدن الإسلامية كافة(84).

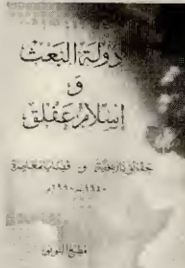
وبحسبان أنه ليس لدينا نص يوضح ارتفاع طرسوس بجميع جباياتها، ومقدار نفقاتها، فإننا سنستعين بنص عن ارتفاع الثغور عامة، فقد كان ارتفاعها بجميع جباياتها مئة ألف دينار على أوسط الارتفاع، وكانت نفقاتها على الاقتصاد مئة وخمسين ألف دينار، وعلى التوسعة ثلاثمئة ألف دينار(85). وبذلك، فإن الواردات الرسمية لا تكفي حاجة الإنفاق. وكانت حياة الثغور تعتمد على المساعدات الخارجية الممثلة في أعمال البر والإحسان والأوقاف(86).

الهوامش:

1- ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، طبعة دمشق 1988م، تحقيق وتقديم د. سهيل زكار، 178/1.
2- المهلبي: المسالك والممالك، تصدير ابن العديم: مصدر سابق 178/1.
3- المسعودي: التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال بيروت، 1981م، ص167. وابن العديم: مصدر سابق 178/1.
4- ابن العديم: مصدر سابق 175/1. وقد أورد في ص176 رواية على لسان جعفر بن أحمد بن صالح المعري كاتب أبي العلاء في فوائد عن ابن خالويه، أن العامة تخطئ فتحرك الراء في طرسوس، وهي بالتسكين. وهذا يدل على أن ابن خالويه يرى تسكين الراء في طرسوس.
5،6- ابن العديم: مصدر سابق 457/1، 200.
7- كان يعرف باسم نهر سيدنوس Cydnos. انظر دائرة المعارف (المترجمة) 15/ 154، مادة طرسوس. وذكر اليعقوبي في تاريخه، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1960م، 2/ 410 أن مدينة طرسوس يخترقها نهر دون أن يذكر اسمه، بل ذكر أنه نهر عظيم عليه القناطر المعقودة.
8،9- ابن العديم: مصدر سابق 289/1، 117.
10- أبو عمرو الطرسوسي: كتاب سير الثغور، تصدير ابن العديم: مصدر سابق182/1.
11- اليعقوبي: تاريخه 410/2.
12- أبو عمرو الطرسوسي: مصدر سابق، تصدير ابن العديم: المصدر السابق182/1.
13،14- ابن العديم: مصدر سابق 177/1، 178. على حين ذكر اليعقوبي، مصدر سابق 410/2 أن الرشيد جعل حولها سبعة وثمانين برجًا، وقد يكون الفارق في عدد الأبراج، استحداث بعضها بعد عصر هارون الرشيد.
15، 16- ابن العديم: مصدر سابق 410/1، 178. وقد تكون هذه الأبواب ثانوية، مما جعل غالبية المؤرخين لا يذكرونها حين يعددون أبواب المدينة.
17، 18- دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، 155، 154.
19- ابن العديم: مصدر سابق 454/1.
20- البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت 1983م، ص168.
21- انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، 4/50- 56.
22- البلاذري: مصدر سابق 168، وابن العديم: مصدر سابق 177/1.
23- اليعقوبي: مصدر سابق 240/2.
24، 25- البلاذري: مصدر سابق، 168-169، 168. وابن العديم: مصدر سابق 160/1.
26- البلاذري: مصدر سابق 169. وابن العديم: مصدر سابق 177/1. فقد ذكر أن المسلمين خربوها خشية أن يتخذها البيزنطيون ملجأ.
27، 28- البلاذري: مصدر سابق 169، 170.
29- دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، ص155.
30- البلاذري: مصدر سابق، ص173-174 . واليعقوبي: مصدر سابق 410/2. وابن العديم: مصدر سابق 177/1، 178، 186.
31- ابن العديم: مصدر سابق 177/1، 178. على حين وجدت بالعودة إلى اليعقوبي في تاريخه 410/2 أنه ذكر أن بناء طرسوس كان في سنة 171هـ، كما ذكر أن البناء تم على يد أبي سليمان مولاه. والملاحظ أن هناك اختلافًا حول تاريخ بناء طرسوس. فعلى حين أن ابن العديم ذكر في الرواية السابقة أن البناء في سنة 170هـ، ذكر في رواية أخرى186/1 أنه تم سنة 171هـ وقيل سنة 172هـ. فإن كلاً من البلاذري: المصدر السابق ص173، 174 واليعقوبي: مصدر سابق 410/2 ذكرا أن الإعمار تم سنة 171هـ. ويمكن تعليل هذا الاختلاف بأن البناء بدأ سنة 170هـ ولم يتم إلا في سنة 172هـ. وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: مادة طرسوس أن إعادة بنائها كان في سنة 172هـ.
32- البلاذري: مصدر سابق ص173، وابن العديم: مصدر سابق 185/1.
33- البلاذري: مصدر سابق ص173.
34- هو هرثمة بن أعين. ابن العديم: مصدر سابق 185/1.
35- انظر فيما سبق المتن والحاشية، وانظر البلاذري: مصدر سابق ص173، 174واليعقوبي: مصدر سابق 410/2 - ابن العديم: مصدر سابق 186/1.
36- ابن العديم: مصدر سابق 186/1.
37- البلاذري: مصدر سابق ص174. وابن العديم: مصدر سابق 186/1.
38- عن الصراع بين الأمين والمأمون، انظر: أمينة البيطار: العصر العباسي، ص100- 108، وانظر أيضًا الطبري: مصدر سابق 8/ 240- 389- 390- 407- 445- 457- 650 ومابعدها. وابن الاثير: الكامل في التاريخ، المطبعة المنيرية 6/ 136- 228- 234- 271- 272- 273 ومابعدها.
39- أمينة البيطار: العصر العباسي ص202 ومابعدها. وانظر أيضًا: الطبري: مصدر سابق 8/ 622 ومابعدها.
40- دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس ص155.
41- الطبري: مصدر سابق 8/ 646- 651 ، والمسعودي: مروج الذهب، 4/ 45، وابن العديم: مصدر سابق 457/1. وأمينة البيطار: تاريخ الخلافة العباسية، طبعة جامعة دمشق 1980م، ص206- 207. وأمينة البيطار: الحياة السياسية، وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام - 132- 358هـ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1980م، ص264- 265.
42- البلاذري: مصدر سابق ص174، وابن العديم: مصدر سابق 186/1.
43- دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، ص156 نقلاً عن المسعودي: مروج الذهب.
44- ابن العديم: مصدر سابق 184/1.
45- أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص273- 276.
46- أمينة البيطار: المرجع السابق، ص284- 285 وانظر أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت الطبعة الأولى 1956م، 31/2.
Canard: Sayf Al Dawla:, Alger 1934., P78.
47- عن خضوع طرسوس للبيزنطيين انظر: مسكويه: تجارب الأمم، مطبعة التمدن الصناعية، مصر1914م، 210/2- 211، والأنطاكي: صلة كتاب اوتيخا، المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، من سلسلة Patrologia Orientlis طبعة باريس 1932م، 797/1، وابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، طبعة المعهد الفرنسي 1951م، 143/1، وعمر كمال توفيق: الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المقدسة، طبعة الإسكندرية 1959م، ص30.
48- دائرة المعارف الإسلامية: مادة طرسوس، ص155- 156.
49- أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص295.
50- دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، ص156- 157.
51-55- ابن العديم: مصدر سابق 209/1، 211، 212، 215، 216، 212.
56،57- البلاذري: مصدر سابق، ص174، 175. وابن العديم: مصدر سابق 218/1، 219.
58- دائرة المعارف الإسلامية: مادة طرسوس، ص155.
59- محمد عبدالحي شعبان: الدولة العباسية - الفاطميون، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1981م، ص137- 138.
60- ابن العديم: مصدر سابق 187/1.
61- 63- محمد عبدالحي شعبان: المرجع السابق، ص45- 47، 149، 152، 153.وانظر فيما سبق.
64- يبلغ كل مُدي منه أربعة عشر مكّوكًا بالمكوك الطرسوسي، والمكوك الطرسوسي زيادة على المكوكين بالبغدادي المعدل. انظر ابن العديم: مصدر سابق 181/1.
65- 71- ابن العديم: مصدر سابق 181/1، 182، 181، 182، 182، 212، 213.
72- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة المحقق 1964م، 378/1.
73- 75- ابن العديم: مصدر سابق 212/1- 213، 215، 180..
76- أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص333- 334. والاصطخري: صور الأقاليم، طبعة ليدن 1967م، ص47. وابن حوقل: صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن 1938م، ص182.
77- 80- ابن العديم: مصدر سابق 181/1، 182، 178، 180، 178.
81- أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص274- 275.
82- محمد عبد الحي شعبان: المرجع السابق، ص153، وانظر فيما سبق.
83- 85- ابن العديم: مصدر سابق 179/1. وانظر الحلقة الثانية من هذا البحث.
86- عن هذه المساعدات وأعمال البر والإحسان والأوقاف، انظر: الحياة الاجتماعية والعسكرية في الحلقة الثانية من هذا البحث.

العنوان: دولة البعث.. وإسلام عفلق.
المؤلف: مطيع النونو.
الناشر: مطابع الأهرام بكورنيش النيل، ط 1، 1994م (585ص).


مطيع النونو



غلاف الكتاب

عاش مؤلف كتاب «دولة البعث وإسلام عفلق» مرحلة حاسمة من التاريخ الحديث في أطواره المختلفة، وهو يعتقد «أن التاريخ أمانة ثقيلة، تفرض بحتمية على كل إنسان عاصر الأحداث في وطنه أن يقول كلمة حق في مشاهداته، حتى ولو على نفسه»، كما يقول: «إن صراحة القول تؤدي خدمة جليلة للوطن، وعلى كل مثقف أن يقول كلمة حق للتاريخ».

ومن هنا استبشر القارئ خيرًا، وهو يتلمس، في تلك الكلمات منذ البداية، معاني الجرأة في قول الحق. استدرج المؤلف قارئه إلى أفكار هذا الكتاب وأحداثه التي تمحورت حول عنوانه الذي يدور في «دولة البعث، وإسلام عفلق»، وفتح له بابًا على تاريخ ذلك الحزب في المنطقة، ومؤسسه ميشيل عفلق الذي أشهر إسلامه، كما يقولون، ولم يرغب هو ولا رفاقه الحزبيون إعلان ذلك إلا بعد وفاته، ثم أعلنه صدام حسين في صيف 1989م. وكان مضمون هذا الإعلان، كما يقول المؤلف، هو حافزه المباشر لإعداد كتابه.

وهكذا ظل المؤلف يدور في فلك محورين: البعث وعفلق، وما يمكن أن يتفرع عنهما من قضايا وأفكار عديدة.

ولقد استغرقت الأحداث التي شهدها المؤلف نصف قرن، بدءًا بعام 1940م، وإن كان قد عاد بنا أحيانًا إلى ما قبل استقلال سورية، وخاصة وهو يسجل تطور الحركة السياسية فيها، كما أشاد المؤلف برجالاتها الوطنيين الذين صنعوا استقلالها. ووقف عند ظهور القومية العربية، ليصل في كلامه إلى ميشيل عفلق، وتاريخ حياته، ونسبه الذي لا يمت للعروبة بصلة.. لأن قومه وفدوا من اليونان في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى رأسهم «يوسف أفلق»، الذي أقام في محافظة حوران من سورية، ثم استقر في دمشق، وكان تاجرًا مرابيًا. أما يهوديته فلم يؤكدها المؤلف بجزم قاطع، لأنه استخدم كلمة (ربما) في ذلك، وإن عاد ليؤكدها أخيرًا على لسان أحد رجالات المخابرات. وليعتنق بعد ذلك النصرانية من أجل زواجه بواحدة من أسرة زيدان التي أنجبت له خمسة أولاد: بنتين وثلاثة ذكور، أوسطهم كان ميشيل، الذي عرّفنا المؤلف عنه أسرارًا كثيرة، وخصوصًا خلال دراسته في فرنسا، ومن كان معه، وعودته لدمشق مدرسًا لمادة التاريخ، مع صلاح البيطار، وشخصيات أخرى من حزبه (البعث). وقد تغلغلت مبادئه في صفوف الضباط، حتى امتد تأثيرها إلى العراق.

وقد أفاض المؤلف الصحفي مطيع النونو في الحديث عن القيادة العراقية المتمثلة بصدام حسين وخصائصها، منتقدًا إياها، ومبينًا رأيه فيها.

العنوان: المدينة العربية الإسلامية. أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية.
المؤلف: د. صالح بن علي الهذلول.
الناشر: نهال للتصميم والطباعة، الرياض، ط1، 1414هـ/1994م (296ص).



غلاف الكتاب

المؤلف يحمل بكالوريوس العمارة، وماجستير التصميم العمراني، ودكتوراه الفلسفة في العمارة والدراسات البيئية، ولهذا كانت دراساته كلها عن موضوع العمارة.

من هنا تركزت دراسته على مفهوم الواقع المعماري المعاصر، وأن القضية ليست قبول الماضي وشرعيته، وإنما تقدير مصداقيته وأصالته؛ لأن المدينة العربية الإسلامية خضعت لتغيرات مستمرة، كان نتيجتها أن جابهت عمارتها تحديات كثيرة.

ولهذا فإن الباحث الهذلول تناول تلك القضية في دراسته من خلال جزئين كبيرين، هما: البيئة المعمارية التقليدية والمعاصرة. أما ما يخص نشأة البيئة العمرانية التقليدية وتطورها، فبحثه في ضوء النموذج التقليدي للمدينة العربية الإسلامية، الذي جاء نتاجًا لأنماط عدة، لخصها في نموذجين: النموذج الهلّيني/ الروماني كما في مدينتي دمشق وحلب. والنموذج العربي المستند إلى القبيلة، وقد ظهر هذا النموذج وتطور في المدينة المنورة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثم في البصرة والكوفة والفسطاط، وبعدها في بغداد وسامراء. وقد شهدت المدينة العربية الإسلامية التقليدية تفرعًا في الأشكال والتكوينات العمرانية، كما ابتكرت أنماط جديدة بصفة مستمرة دون خروج على القواعد السلوكية المرعية.

أما الجزء الثاني المتعلق بنمو البيئة العمرانية المعاصرة وتطورها، فقد تناوله من خلال البيئة الحالية في المملكة العربية السعودية، حيث تم إدخال طابع عمراني معين، هو النظام الشبكي للشوارع، والفيلا للسكن. وقد بدأ هذا النظام في الدمام والخبر، ثم توطدّ من خلال مشروع إسكان موظفي الدولة في منطقة الملز بالرياض، في أواسط السبعينيات الهجرية.

وقد أوضح الباحث الاختلاف الأساسي في ضوابط توجيه التنمية في كل من البيئة التقليدية والمعاصرة. فالتقليدية اعتمدت على أعراف الاستعمال كي تتحكم في النمو والتغير، بينما المعاصرة اعتمدت على تصورات سابقة التحديد للأشكال والتكوينات العمرانية. ونجم عن ذلك الاختلاف بين النموذجين ازدواجية في المجتمع، عالجها المؤلف في ضوء رؤى معاصرة لقضايا العمارة والتحضر.

العنوان: أهميّة يوم الجمعة وخطب مختارة ليوم الجمعة.
المؤلف: محمد بن سليمان الأهدل.
الناشر: رابطة العالم الإسلامي، كتاب دعوة الحق: رمضان 1416هـ (206ص).



غلاف الكتاب

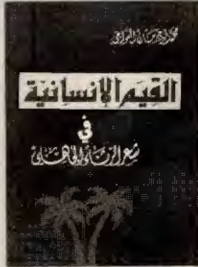
ساق المؤلف في كتابه هذا مقدمة وضح فيها دوافع اهتمامه بكتابة هذا الكتاب، وكيف استفاد من بعض الخطب القيّمة التي أُلقيت في المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف. ثم بيّن بعد هذه المقدمة أهمية يوم الجمعة وفائدة اجتماع المسلمين في هذا اليوم واستماعهم لإمام خطيب يُلقي فيهم خطبةً تناسب الحال وتعالج المشكلات التي تعرض لهم.

ونبّه على وجوب الإنصات والاستماع للخطبة ومتابعة الإمام، وأن على الخطيب أن يدعو إلى الله وإلى الحثّ على فعل الواجبات، وترك المحرّمات والمكروهات، وعليه أن يشيد بمحاسن الإسلام، وشُعب الإيمان، وحقوق المسلم على أخيه المسلم، وأن يُحذّر من المعاصي المتفشيّة بين الناس.

كما فصّل خصائص يوم الجمعة وفضلها، وأشار إلى ساعة الإجابة التي في يوم الجمعة وما ورد فيها من أقوال. ورجّح منها قولين تضمنتهما الأحاديث الثابتة. وأشار بعد ذلك إلى حكم صلاة الجمعة وفرضية صلاتها، والأذان يوم الجمعة ومن لا تجب عليهم الجمعة، وشروط الجمعة. ثم فصّل بعد ذلك شروط الخطبتين، وذكر مسائل تتعلق بالجمعة. ونبّه على أنه من المستحسن أن تكون الخطبة على منبر، لأن النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخطب على المنبر. ويُستحبّ رفع الصوت وتقصير الخطبة. ثم بعد ذلك دخل في موضوع كتابه، وهو الخطب المختارة ليوم الجمعة، حيث أورد ثلاثين خطبة عرض في كلّ خطبة منها الخطبتين الأولى والثانية، ومن الأغراض التي حوتها: يوم الجمعة، عمارة المسجد، مسؤولية الإنسان في الحياة، الاستئذان وآدابه، برّ الوالدين، الجار وحقوقه، حبّ الله تعالى، الأعمال الصالحة، المعاصي وأثرها، التحذير من الربا، صلة الرّحم وأهميتها للأسرة المسلمة، بناء الأسرة، الأخوة في الإسلام، التوبة، إن الحكم إلاّ للّه، صلاة الاستسقاء، صلاة الكسوف والخسوف، سيرة الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ، الإسراء والمعراج، الصوم وأسراره، ختام شهر رمضان، خطبة عيد الفطر المبارك، الترغيب في الحج، خطبة عيد الأضحى المبارك، الهجرة.

وقد اختار المؤلف موضوعات جيّدة شاملة للعديد من الأحكام والقضايا، وموضوعات تتناول الأسرة والمجتمع الإسلامي، وحثّ الناس على برّ الوالدين، ومراعاة حقوق الجار، وصلة الرحم، والتحذير من المعاصي. أما بناء الخطب وصيغها، فإنها تبدأ بالتحميد والتكبير والتهليل، ومخاطبة الناس بأسلوب سهل اللغة، متماسك الألفاظ والفقرات. والخطب حافلة بالآيات القرآنية والأحاديث التي تؤيد ما ذهب إليه الإمام في موضوعه. أمّا الخطبة الثانية، ففي الغالب قصيرة وشاملة للاستغفار والدّعاء الخالص لوجه اللّه تعالى.

العنوان: القيم الإنسانية في شعر الرِّثاء الجاهلي.
المؤلف: محمد بن جرمان العواجي.
الناشر: المؤلف نفسه، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٠م (١١٦ص).



غلاف الكتاب

يبدو موضوع الكتاب حول القيم الإنسانية في شعر الرِّثاء الجاهلي، ويقع الكتاب تمهيداً وأربعة فصول. أما التمهيد فقد تحدث فيه عن الرِّثاء وعرّفه، ثم بيّن أساليبه وعادة القدماء فيه. ووضّح أن الجاهلي كان متمسكًا بمكارم الأخلاق. ثم ذكر أنّ شعر الرِّثاء هو شعر الدّموع والقلب المصاب والعاطفة الصّادقة. قال أوس بن حجر في رثاء عمرو بن مسعود:

يا عين جودي على عمرو بن مسعود
أهل العفاف وأهل الحزم والجودِ

وقال أبو ذويب الهُذلي:

فالعين بعدهم كأنّ جفونها
سُملت لشوك فهي عورٌ تدمع

وفي فصله الأول نبّه على فضيلة الكَرم، وعيّن الذين يمكنُ إكرامهم، وكذلك ربط هذا الأمر بالمال وإنفاقه عند من يتحلّى بهذه الصفة الحميدة. يقول حاتم الطّائي:

أماويَّ إنّ المال غاد ورائحٌ
ويَبقى من المال الأحاديث والذِّكرُ

وفي الفصل الثاني تناول الشجاعة ومواطنها إنْ كانت شجاعةً في القتال أو في الدفاع عن الأهل والعشيرة، أو في نصرة المظلوم، أو في الدفاع عن الجار.

وفي فصله الثالث فصّل الخصال والسّمات الحميدة؛ نحو الوفاء والحلم والصّدق والعفّة والصّبر والعفو، وقد كان حريصًا على أن يبيّن لنا أن العرب في جاهليتهم كانوا متمسّكين بهذه الخصال الحميدة. قال عنترة:

وللحلم أوقاتٌ وللجهل مثلها
ولكنّ أوقاتي إلى الحلم أقربُ

وفي العفّة جاء قوله:

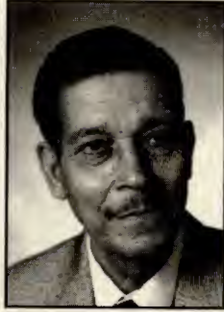
وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي
حتّى يُواري جارتي مثواهـا

وختم كتابه بفصله الرابع الذي وضّح فيه موقف الإسلام من هذه القيم التي تناولها في أبوابه السابقة، حيث وقف منها موقفًا طيّبًا، إذ عادى الأمراضَ والرذائل التي كانت سائدة في الجاهلية وعالجها معالجة حكيمة.

أمّا الفضائل فقد وجّهها الإسلام توجيهًا رشيدًا، إذ شجّع على الصدق في القول والعمل، وذم الكاذبين. وحثّ على مبدأ الوفاء، والتزامه، والحفاظ على العهود.

وهكذا في معالجته لقضايا هذا الفصل الرابع، كان حريصًا أن يدعم ما ذهب إليه بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كي تكون شاهدة على حديثه.

يوسف الشاروني



النقد عرم لا غُنم.. لماذا؟

حاوره في تجربته: رجب حسن

إذا كان العصر بأحداثه الظاهرة والمستترة يؤثّر في حركة الأدب والنقد، وهما من أهم أوجه الثقافة لدى أيّة أمة، فإنّ رواد هذه الحركة هم الجسر المتفاعل والموصّل بين العصر وتلك الأمة.. في اقتدار ووعي. إضافةً إلى أنهم يستطيعون بحكم ريادتهم واقتدارهم ووعيهم، أن يصنعوا التأثير العاكس في أحداث عصرهم. فكما أنهم «حملة مشاعل الهداية» إلى كلٍّ من الثقافة والعصر، فهم «فاعلون» في الثقافة والعصر.

والقاص والأديب والناقد العربي يوسف الشاروني، واحد من هؤلاء الرواد الذين أعدوا أنفسهم في أناة وصبر، وقسوة أيضًا، حتى أصبح جديرًا بحمل مشعل الهداية، فأضاء لتلاميذه وكل من تبعه درب الإبداع القصصي، والدراسة النقدية الجادة في مجالات القصة والرواية والتراث وعلم الاجتماع الأدبي ووسائل الاتصال الجماهيري المختلفة.

وفي الصفحات التالية، نطل على «قصة» يمكن تسميتها ب «يوسف الشاروني» الذي يمثل إطلالة على أحد أوجه واقعنا الثقافي العربي المعاصر، ذلك الوجه الذي يحمل من الملامح ما حدّد بعضها يوسف الشاروني نفسُه بقلمه، إنْ إبداعًا وإنْ نقدًا، على مدىً يقرب من نصف القرن، فكان جديرًا بهذه الإطلالة.. وغيرها.

- هل كان اتجاهك إلى الثقافة مريدًا فجنديًا ففارسًا مبرّزًا فقائدًا، نتيجة رغبة ذاتية، أم محض مصادفة.. باعتبارك من بيت برز أفراده في مجالات الثقافة والفن كما هو معروف؟

* الحقيقة أن البيئة لها تأثير في هذا. فلماذا مثلاً يكون في هذا البيت أدباء، وفي ذلك البيت فنانون، وفي ذاك البيت لا أحد؟ فوالدي كان يملك مكتبة دينية، لكنها كانت تحوي أيضًا بعض الكتب الأدبية. وقد وجدت في نفسي ميلاً مبكرًا لقراءة هذه الكتب الأدبية مثل كتاب «كليلة ودمنة»، وكتاب «مجاني الأدب في حدائق العرب» للأب شيخو اليسوعي، أو كتب مترجمة مثل «الجزيرة المرجانية» وغيرها.. وقد قرأت تلك الكتب الأدبية في مكتبة والدي، فوجدت في نفسي ميلاً إلى اللغة العربية وآدابها. وكنت أجيد كتابة الموضوعات الإنشائية المسجوعة، فقامت علاقة خاصة بيني وبين أستاذ اللغة العربية، فكان سعيدًا بي، ويمنحني دائمًا درجات عالية.. فشجعني هذا كله على الاتجاه إلى الثقافة. فأذكر مثلاً وأنا في الصف الأول الثانوي، أنني كتبت موضوعًا إنشائيًا مسجوعًا أذكر منه الآن قولي: «في ليلة اشتد حرها وعدم نورُها، سمعت أصوات استغاثة عالية، من منازل دانية، فخرجت وأنا مذعور، وليس معي نور، لأعرف ماالحادث وسبب الكارث، فإذا بشرارة نار، قد اشتعلت في (إحدى) الديار، جعلته والأرض سواء، بعد أن كان متصلاً بعنان السماء....».

وهكذا، بهذا الأسلوب كان اهتمامي بالأدب وقتئذ.

- علامات الموهبة المبكرة، أو الاستعداد المبكر.

* ربما... وأذكر أنني أثناء دراستي الجامعية، اتجهت إلى كتابة مذكرات يومية لي، وقلت.. إنّ هذه المذكرات هي مدرستي الأولى للتعبير، وأعبّر فيها عن أيّ شيء حدث لي بالنهار، من الناحية الانفعالية، أو من ناحية وقوفي على شيء ما جديد، أو أقوم بتلخيص كتاب جديد. كنت أكتب فيها كل شيء، كي أمرّن نفسي خلالها على الكتابة دون أن أقيد نفسي بشكل أدبي معيّن. ثم بعد ذلك بدأت

أكتب الشعر، ولم أكن أعرف قواعده. كان كل اهتمامي هو: «القافية». وأحيانًا كنت أستخرجها من القاموس. ولم أكن أعرف «الوزن»، كنت أحاول أن أجعل الأبيات متقاربة في الطول. ثم بدأت أكتب رواية. وكنت أقرأ سلسلة «روايات الجيب» التي كانت تصدر في القاهرة قديمًا، وكانت تحوي روايات عالمية لكبار الكتّاب من أمثال: تولستوي، وديستويفسكي، وديكنز... وروايات بوليسية...... وهذا كله كوّن عندي عادة القراءة. فلم تكن الإذاعة في صباي منتشرة كما هي الآن، ولم يكن التلفاز بالطبع موجودًا. فكنت في الإجازات الصيفية أقرأ أكبر كمّ من الكتب. وأذكر أنني قرأت في إحدى الإجازات ثمانين كتابًا. كنت أقرأ الكتاب الواحد وأكتب ملخصًا له. وعندي كراسة مازلت محتفظًا بها للآن أسميتها «مطالعات في الكتب». وكان التلخيص للكتاب الذي أقرؤه يمثل إفادة مزدوجة بالنسبة لي. وربما كانت هذه جذورًا للناحية النقدية في اهتماماتي واتجاهي بعد ذلك.

ولما كتبت، تزامنت وتزاملت لديّ ـ ربما تبعًا لذلك ـ الناحيتان: الإبداعية والنقدية.

ـ ننتقل إلى بدايات الكتابة

* أتذكر في هذا الخصوص شيئًا طريفًا. فحينما بدأت أكتب الرواية، كنت بلا خبرة في بناء الأحداث وإتقانها. فمثلاً: بطلي سُجن، فماذا أفعل؟ لا أدرى.. فأقوم بنقل فصل من رواية من روايات الجيب العالمية سجن بطلها لأتم بها الأحداث في روايتي.. كل هذا كان بمثابة «التمرين» لي على الكتابة. وقد قمت بتمزيق كل هذه الروايات «التجارب»، وبدأت أكتب. بعد أن جربت الشعر وجربت الرواية، وجدتني أتجه إلى «القصة القصيرة» التي تحددت لي سبيلاً وهدفًا في عالم الكتابة.. هذا إلى جانب الدراسة الأدبية أو النقد.

وفي الجامعة أيضًا، كنت واحدًا في مجموعة من الأصدقاء المهتمين. كنّا مجموعة متكاملة متعاونة. كلّ منّا يقرأ للآخرين مايكتبه، فيقوم الباقون بالتعليق على كتاباته ونقدها، أو الإعجاب بها. كانت تلك المجموعة بمثابة الجمهور الأوّل لي.

وهكذا، حتى بدأت أنشر إبداعات ونقدًا لاقت القبول في حينها.

ـ تنوعت في كتاباتك مجالات الإبداع الأدبي. وقد حظي الفن القصصي من بينها بنصيب الأسد كمًا وكيفًا. فما هي «الإضافة» التي قدمتها في مجال كتابة القصة القصيرة في تقديرك كناقد؟

* عدة أشياء في تقديري. أولها: الاهتمام بالشكل والمضمون على حدّ سواء. فقد كان التيار السائد في بداية الخمسينيات هو الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل.

ثانيًا: تحطيم الفواصل بين الشخصي والعام، بحيث وصف البعض قصصي بأنها قصص «كونية»؛ لأنها تضع الحدث الشخصي وسط مناخه المحلي والعالمي كما في قصة «مصرع عباس الحلو»، التي كتب المحقق تقريره في نهايتها بأن الفاعل مجهول، بينما اتضح من التحقيق الذي قام به راوي القصة لحسابه أن العالم كله كان مسؤولاً عن مصرع هذا الفرد في إحدى حارات القاهرة.

ثالثًا: تحطيم قواعد المنظور بالنسبة للأشياء والأماكن، وتحطيم قواعد المعقول بالنسبة للعلاقات، حيث إن ما يحدث في العالم اليوم يجانب كل تفكير معقول، ولا يعبأ بتنبؤاتنا بالمصير القبيح لهذه التصرفات، بالرغم من صدق تنبؤاتنا. ولذلك لم يعد من الممكن أن تبدو الأشياء والحركات والعلاقات في حجمها الطبيعي.

للأشياء كما هي في الخارج. وكنت أنا الذي بدأت، بكتاباتي الأدبية، ذلك الاتجاه التعبيري الذي نهجه الكثيرون وتبلور في أدبنا العربي تمامًا عقب هزيمة 1967م. فتجد في كتاباتي الأدبية التعبيرية منذ مطلع الخمسينيات نوعًا من التنبؤ، والنظر إلى الأمور من خلال العالم الداخلي للشخصيات، واستخدام أكثر من ضمير، وأكثر من زمن، واستخدام اللفظ وضده للوصول إلى تعبير جديد. لأنه لا يكون هناك أحيانًا لفظ واحد في اللغة يعبر عنه. فتجد عندي تعبيرات مثل: إذا خفت اطمأننت، وإذا اطمأننت خفت.. شعرت أنه اسمي وليس اسمي... يقلقني ألاّ أجد مايقلقني.

ومثلاً عدم استخدام حروف العطف وأسماء الوصل كما في قصتي «الزحام» المنشورة عام 1952م، فقد أسقطت حروف العطف وأسماء الوصل، ووضعت الجمل بعضها إلى جوار بعض كما في «الزحام» نفسه: لا فواصل بين الناس فلا فواصل بين الجمل...جعلت الموضوع والشكل

القصة انطباع لا تعبير عن شيء خارجي، فالكاتب التعبيري يقدم انطباعًا من خلال الشخصيات والأسلوب والأحداث

كذلك أعتقد أن من الملامح الرئيسية في بعض قصصي تصوير الجو غير الواقعي بطريقة تبدو واقعية للغاية، وذلك عن طريق إعطاء تفصيلات دقيقة.. وهو أشبه بما يحدث في الكابوس.

وأيضًا هناك الانتقال في حرية بين مختلف مستويات الشعور ابتداءً من اليقظة، فحلم اليقظة، فالحلم، فالكابوس، فالهذيان. والانتقال كذلك في حرية بين الماضي والحاضر، وبين الضمائر الثلاثة: المتكلم، والمخاطب، والغائب.

ـ لو طلب إليك أن تنظر بعين الناقد المحايد، لتقيّم جهدك الأدبي القصصي عامة، فماذا تقول؟

* أستطيع أن أقول لك، وكنت قد كتبت هذا وكتبه غيري أيضًا، إنه كان يوجد في الخمسينيات اتجاهان: الاتجاه التعبيري الذي ينظر أصحابه إلى الأشياء الخارجية لا طبقًا لقواعد المنظور، ولكن طبقًا للشعور الداخلي. فتجد ـ مثلاً ـ الأسقف منخفضة، والناس مقوسين وفيهم عاهة معيّنة تعبيرًا عن أزمة داخلية.

الاتجاه الثاني هو الاتجاه الواقعي الذي ينظر

متلاصقين معًا. اهتممت تمامًا بالشكل إلى جانب الاهتمام التام بالمضمون. فأنا أعتقد وبشدة أن القصة «انطباع» لا «تعبير» عن شيء خارجي. فالكاتب التعبيري يقدم انطباعًا من خلال الشخصيات والأسلوب والأحداث. كل عنصر من عناصر القصة مسخّر لإعطاء انطباع ما: زحام، قيظ، وباء، خوف، شجاعة.

ـ وأعتقد أن هذا الأسلوب الريادي قد أثّر في الأجيال اللاحقة التالية، فكتب العديد من الأدباء الشبان من بعدك على نفس المنوال، فكنت إرهاصًا لهم، أو بداية مبكرة لهم. فهل تراهم مجرد مقلدين لك، أم أنهم يصدرون عن صدق؟

* أعتقد أن المناخ العام هو الذي يسمح بإفراز مثل هذا الأسلوب. فقد كتبت بهذا الأسلوب قبل النكسة بعشرين سنة، لكنه لم يصبح ذائعًا إلا بعد عام 1967م. أعتقد أنه لولا أن وجد صدى في جيل مابعد النكسة، لما أصبح أسلوبًا مسيطرًا وشائعًا.

ـ هناك نشاط إبداعي آخر أصدرت فيه كتابًا منذ أكثر من ثلاثين عامًا لكنك لم تكرر المحاولة.

وهو ديوانك «المساء الأخير».. فما قصة اتجاهك إلى كتابة الشعر ثم انقطاعك عنه؟

* هذا الديوان، كما تسمّيه، كُتب منذ نصف قرن ونُشر تباعًا في مجلة «الأديب» البيروتية. لكنني لم أجمعه في كتاب إلا عام 1963م حين اعتقدت أن المناخ الأدبي مهيّأ لمثل هذا اللون من الإبداع. وقد حرصت على أن أصف هذه الكتابات ب «النثر الغنائي» وليس بالشعر الحر أو المرسل، لأنني أعتقد أنه ينتمي أساسًا إلى النثر، ولكنّ فيه خيطًا موسيقيًا سواء عن طريق تشابه طول الجمل والفقرات أو عن طريق تكرار بعض الألفاظ، بحيث يكون لكلّ منها معنى مختلف في كل فقرة. أو عن طريق الأخيلة والألفاظ المنتقاة.

وقد كنت متأثرًا في كتابة هذا الديوان، أو هذا الكتاب، بتجربة عاطفية من ناحية، وبما قرأته لطاغور من ترجمات من ناحية أخرى.. أو بالإنجليزية أو بالعربية لكتاب كانوا يكتبون هذا اللون نفسه في ذلك الحين مثل حسين عفيف المحامي وجبران خليل جبران.

وكما أنك لا تستطيع أن تفسّر أشياء كثيرة في الحياة، فإنني لا أستطيع أن أفسر لماذا انقطعت عن كتابة هذا اللون من الأدب، مع أنه لاقى ترحيبًا من النقاد وقتئذ. ويهمني أن أذكر هنا أنني كتبت هذا الشعر الرومانسي الذي كنت أكتب فيه مجموعتي التعبيرية «العشاق الخمسة». أي إنني كنت أعبر عن جانبيْن مختلفين مني في الوقت نفسه.

ـ أود أن أسجل إعجابي بتسميتك محتوى هذا الكتاب ب «النثر الغنائي». وأعتقد أنه لو أطلق أصحاب مايسمى بالشعر المنثور هذه التسمية على كتاباتهم لكفوا أنفسهم والنقاد والقراء ضجيج الاتهامات المتبادلة بالجهل «بحقيقة الشعر».

* هذا صحيح.

ـ كما حظيت الكتابة القصصية بنصيب الأسد من بين كتاباتك الأدبية، فإن كتاباتك النقدية حظيت بنصيب الأسد أيضًا من بين كتاباتك عامة.. فإلى أية مدرسة نقدية تعتقد أنك تنتمي كناقد له كل هذا الكم من كتب النقد المتنوعة الموضوعات والطوابع؟

* أعتقد أن العمل الفني هو الذي يملي عليّ المنهج النقدي وليس العكس، أي إنني لا أبدأ بمقياس في ذهني أطبقه على العمل. ومثال ذلك: رواية «السراب» لنجيب محفوظ تفرض منهجًا نفسيًا، بينما الثلاثية تفرض منهجًا تاريخيًا اجتماعيًا. ولاشك أنّ أفضل المناهج هو المنهج التكاملي إذا أمكن تطبيقه، وهو النظر إلى العمل الأدبي من نواحيه اللغوية والجمالية والاجتماعية والتاريخية والنفسية.

وأعتقد أن إضافتي إلى النقد كانت عن طريق منهجي الذي يقوم على أساس خطوات ثلاث: أولاً: بيان موضع العمل الفني من التاريخ الأدبي للمؤلف نفسه، هل هناك بذور للعمل الفني فيما سبقه من أعمال؟ بذور الأسلوب أو الموضوعات أو الشخصيات لمعرفة تطور الكاتب الفني.. وربما الروحي والفكري. ثانيًا: بيان مكان العمل الفني بالنسبة للأعمال المشابهة في أدبنا العربي لمعرفة ما إذا كانت لدينا مدارس أدبية. وأخيرًا: بيان مكانة العمل الأدبي بالنسبة للأعمال الفنية في الأدب العالمي لتوضيح مدى صلتنا بالأدب العالمي.

كذلك اكتشفت أنّ هناك سبيليْن للتذوق الأدبي: السبيل الأول يلجأ إليه الناقد بثقافته وذكائه وخبرته لتحليل العمل الأدبي موضوعيًا، والوصول إلى نتائج عقلية مرضية. أمّا السبيل الآخر فهو «صداقة» العمل الأدبي بالمداومة على قراءته وإعادة النظر فيه ومعايشة كل مايتعلق به على النحو الذي ذكرناه سابقًا: ماكُتب عنه، وماكُتب مثله ومايذكرنا به. بهذه الصداقة يكشف لنا العمل الأدبي عن أسرار لا يبوح بها إلاّ لمستحقها.

وأنا أفترض دائمًا أن قارىء العمل النقدي واحد من اثنين: إمّا أنه لم يسبق له أن قرأ العمل موضوع النقد، أو أنه قرأه.. لهذا فإنني أحاول أن أعيد صياغة العمل الأدبي وأضيف إليه وجهة نظري بحيث يصبح العمل النقدي قريبًا جدًا من العمل الإبداعي، لأنه يصبح أقرب إلى عملية إعادة الخلق.

ـ تميزتَ في الكتابتين الإبداعية والنقدية بصورة لافتة. ويحضرني سؤال واجبٌ وملحّ: لماذا الإبداع والنقد معًا؟ وأيهما في رأيك دائن للآخر: يوسف الشاروني الأديب؟ أم يوسف الشاروني الناقد؟

* أنا جربت عمليتي الإبداع والنقد في الكتابة. ويمكن أن أقول لك، إنّ ماهو مريح نفسيا وأدبيًا وماديًا هو الإبداع، أمّا النقد فهو غُرْم لا غُنْم فيه. وسأقول لك لماذا:

حينما أكتب قصة، فسوف يقرؤها القراء أوّلاً بإقبال يفوق مثيله عندما يقرؤون عملاً نقديًا. فالعمل النقدي لا يقبل عليه سوى صاحبه هو نفسه أو بعض الدارسين. وإذا كان النقد يحمل «إعجابًا» بالإبداع المتَناوَل فيه، فسوف يقال: هذه مجاملة. وإذا كان يحمل «انتقادًا» فسوف يجلب المتاعب التي قد تصل إلى حد الخصومة الشخصية بين الناقد والمبدع. نحن هنا لدينا حساسية شديدة.

وفي النهاية تُترجم القصة، فيقرؤها غير قارىء اللغة، وأحيانًا تتحوّل القصة إلى دراما إذاعية أو تلفازية، وأحيانًا تتحوّل إلى عمل (سينمائي). أما النقد فلا يتحوّل إلى شيء غيره. والعمل الإبداعي يقبل عليه شخص قد لا يعرف «القراءة».. فهو لا يُقدَّم مكتوبًا إلى جمهوره كافّة.. أمّا العمل النقدي فلا يقبل عليه سوى شخص يعرف «القراءة».. فهو لا يصل بطريقة أخرى. وبذلك فإن جمهور العمل الإبداعي أوسع كثيرًا من جمهور العمل النقدي. وهناك أيضًا الفارق في العائد المادي الذي «يفوق» في العمل الإبداعي. ثم أجد من يسأل من الأدباء: أين النقد؟ فلمَ النقد إذن؟ الأديب، أي أديب، فيه جانب نرجسي بالضرورة يحفزه إلى الرغبة في أن يتكلم الناس عنه. فأين الناقد من هذا؟ وماذا سيأخذ في النهاية؟

لقد جرّبت أنا نفسي وكتبت في الناحيتين، فوجدت أن المكافأة نظير الإبداع أكثر بكثير من المكافأة نظير النقد.. في النواحي كافّة.

ـ ترى هل هذا هو سبب أزمة النقد لدينا؟ أو على الأقل أحد أسبابها؟

* مضبوط. هذا هو سبب أزمة النقد في بلادنا.

ويمكن تلخيص رأيي في النقد بما صدّرت به كتابي «مع القصة القصيرة». قلت: «عذاب الناقد الفني إدراكه أنّ نقده عمر مضاف إلى عمر المبدع مخصوم من عمره. إنه تضحية مستمرة من جانبه تأكيدًا لنرجسية الفنان».

عذاب الناقد الفني إدراكه أن نقده عمر مضاف إلى عمر المبدع مخصوم من عمره، إنه تضحية مستمرة من جانبه تأكيدًا لنرجسية الفنان

ـ ربما كان هذا سبب قيامك بالتجربة الفريدة التي لا يعرفها عنك كثيرون. فقد كانت تلك التجربة جديدة من نوعها. وربما لم تكن حتى الآن منك، ولم تتكرر من غيرك. فقد تناولت بعض إبداعاتك بالنقد، فما تفسيرك لقيامك بهذا؟

* في الواقع أنا لم أفعل هذا سوى مرة واحدة، حيث كتبت نقداً لمجموعتي القصصية الثانية «رسالة إلى امرأة»، وحاولت أن أقدم خلال هذا النقد رؤيتي التي تقف وراء قصص تلك المجموعة، لكنني لم أكرر المحاولة فعلاً. وأود أن أوضح أن هذه الدراسة كانت عبارة عن ملخص لمحاضرة طويلة ألقيتها على مجموعة من طلبة الجامعة الأمريكية عن تلك المجموعة القصصية.

ـ نعود إلى السؤال، مَنْ دائن للآخر: يوسف الشاروني المبدع أم يوسف الشاروني الناقد؟

* كلاهما دائن للآخر. فبعدما أكتب قصة من القصص، أكون الناقد الأوّل لقصتي، فأقرؤها، ثم أجد جملاً أو كلمات أو تعبيرات تحتاج إلى تغيير، فأقوم بتغييرها.. أي أنظر إلى القصة، بعد أن أنتهي من كتابتها، بعين الناقد هذه المرة؛ فالنقد والإبداع عمليتان متلازمتان متكاملتان. وإن كانت عملية النقد تعطّل، أحياناً، عملية الإبداع. فربما لو لم أكن ناقداً لكان إنتاجي الإبداعي أكثر مما هو عليه بكثير. ولهذا اسمح لي بتعديل تعبير «دائن» إلى تعبير «أفضل» أو «أحسن».. فالمسألة مسألة ما الذي أستمتع به أكثر من الآخر.. الإبداع أم النقد.

ومع ذلك، فقد حاولت جهدي طوال مشواري الأدبي والنقدي أن أقرّب عملية الإبداع. فكثير من دراساتي النقدية عبارة عن إعادة صياغة للعمل الأدبي الذي أتعرض له. وأراعي في كتاباتي النقدية أنّ من لم يقرأ العمل الأدبي المتناول يستطيع أن يتتبع ماكتبت، والذي قرأ العمل يستطيع أن يجد شيئاً جديداً فيما أكتبه حول العمل. حقّاً حاولت جاهداً أن يكون العمل النقدي أقرب مايكون للعمل الإبداعي الذي ينبغي أن تكون له الأولوية في العملية ككل. وأستطيع أن أقول: إنني كمبدع أفدت مني كناقد في جانب «الكيف» المبدَع، وخسرت في الوقت نفسه جانب «الكم» المبدَع.

ـ تنوعت اهتماماتك الثقافية، وكان منها مالا يعرفه الكثيرون، اهتمامك بالتراث. فما سر ذلك؟

* في الواقع كنت قد دعيت إلى هولندا في 1982/81م من قبل مؤسسة تدعى Z. W. O. وذلك لقضاء سنة أتفرغ خلالها لإنجاز عمل علمي أو أدبي. فقمت بإنجاز كتابي «الحكاية في التراث العربي»، وقد ألقيته محاضرات أيضاً في جامعة لِيْدن. وفي هولندا حوالي ثماني جامعات كل منها فيها قسم للّغة العربية ومكتبة عربية. ومن أهم ما أفدته هناك هو حصولي على بعض الكتب غير المنشورة والمنتشرة هنا في العالم العربي، وهي من عيون كتب التراث، ككتاب «عجائب الهند»، وكتاب «أخبار الهند والصين»..... فهذان الكتابان التراثيان اهتم بهما الهولنديون والفرنسيون بالتعاون معاً بترجمتهما إلى اللغة الفرنسية وعمل حواش لهما وتعليقات وكشافات. وأنا شخصيّاً أفدت من هذه الجهود وقمت بإعادة طبع كتاب «عجائب الهند» هنا بعد تصويره في جامعة لِيْدن وإعداد الكشافات اللازمة له، مستعيناً بالطبع بما سبق من جهود، بحيث أصبح الآن في متناول القارئ العربي. وأرجو أن أفعل الشيء نفسه إن شاء الله مع كتاب «أخبار الهند والصين».

ـ يبقى سرّ اهتمامك بالتراث حتى إنك أعدت طبع كتاب «عجائب الهند» كما أشرت، وكوضعك للكتاب الرائد «دراسات في الحب والصداقة في الأدب العربي».

* أعتقد أن سرّ اهتمامي بالتراث، ببساطة، هو أن أكشف لنفسي ولغيري أن لغتنا العربية تستطيع أن تعبر عن أدق العواطف بأدق الألفاظ وأرقها. فقمت بسياحة بين الكتب التي درست ظاهرة الحب مثل «طوق الحمامة» لابن حزم، و «ذم الهوى» لابن قيّم الجوزية، و «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن الجوزي، وقدمتها للقارئ المعاصر بحيث يستطيع أن يتعرف بسهولة كنوز تراثه. ونسيت أن أقول لك إن كتاب «عجائب الهند» كتاب مدوّن في القرن الرابع الهجري لبزرك بن شهريار الرام هُرْمزي، وهو بحار كان يجمع مايتلقاه من حكايات التجار والمسافرين والبحّارة العرب في المحيط الهندي من ساحل إفريقيّة الشرقي حتى كانتون في الصين. وهو يجمع بين الحكاية والخبر. وقد انتهيت إلى أنه و «ألف ليلة وليلة» من مصدر واحد أو أنه أحد مصادر «ألف ليلة.....».

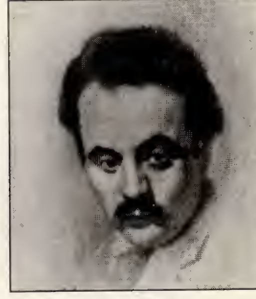
ـ فن القصة القصيرة والرواية وصل في عالمنا العربي إلى مكانة رفيعة الشأن كما تعرف، ومازال

غُرْمٌ لا غُنم.. لماذا؟

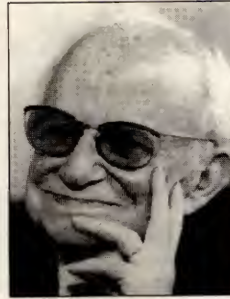
تتردد على ألسنة الكثيرين قضية: هل فن القصة والرواية أوروبي، نقله العرب عن الغرب؟

* مما لاشك فيه أن العرب عرفوا القصة كما عرفها الغرب في مراحلها المختلفة بدءاً من القصة الشفاهية، فالمدوّنة، فقصة المطبعة. ولاشك أن وسيلة نقل القصة كان لها تأثيرها في شكل القصة وموضوعاتها.

والقصة القصيرة بمعناها الحديث بنت المطبعة، وأسلافها في المرحلة الشفهية: النادرة، وقصص الأمثال، والحيوان أو مايُعرف بالخرافة، وقصص الحب العذري، وقصص (الفانتازيا) .. كما في «ألف ليلة وليلة». ولما كان الغرب قد عرف المطبعة قبلنا، فإنه ـ بالتالي ـ عرف القصة القصيرة بمعناها الحديث، قبلنا.



جبران خليل جبران



يحيى حقي



سهيل إدريس

وحين نقلنا المطبعة إلى شرقنا العربي، نقلنا معها ـ فيما نقلنا ـ الصحافة التي تبنت القصة القصيرة فالرواية. أمّا قبل عصر المطبعة، فلا الغرب ولا الشرق عرفا القصة القصيرة ولا الرواية بمعناهما الحديث.

وحين حاضرت في جامعة لِيْدن بهولندا حول موضوع «الحكاية في التراث العربي» كما أشرت سلفاً، أوضحت في محاضراتي أن العرب عرفوا القصة كما عرفتها الشعوب الأخرى، وأنها في تلك المرحلة المبكرة كانت شفهية.. شأنها في ذلك شأن القصة في أوروبا. وقمت بدراسة أنواعها المختلفة، مثل: القصة الخبر، أو قصص الحب العذري، والقصة الفانتازيا أو قصص «ألف ليلة وليلة»، وقصص النوادر، والأمثال، والخرافات أو الحيوان، والقصة الفلسفية والسير الشعبية.....إلخ. ولولا المطبعة لما عرفنا الرواية أو القصة القصيرة أو الشعر الحر..... بل حتى لما سمعنا عن بعض الأساليب من مثل «تيار الوعي» وغيره.

غُرْم لا غُنم.. لماذا؟

ـ أنت تتبّعت قضية المد الثقافي داخل مصر وخارجها في بعض الأقطار العربية، وذلك بحكم عملك في أكثر من دولة عربية لفترة طويلة، حتى إنك أصدرت ثمرةً لذلك عدة أعمال، منها كتابك «في الأدب العماني الحديث». فكيف كانت حركة تطور أو تغير الواقع الثقافي على المستوى العربي عامة في تقديرك، وما هي أهم المؤثرات في صنع هذا التطور أو التغير إنْ سلباً وإنْ إيجاباً؟

* أنا أمضيت مدة طويلة في بعض دول الخليج العربي. ورأيت أنّ النهضة الثقافية لتلك الدول كانت مرتبطة بالمسألة البترولية فيها. وللنهضة الثقافية في دول الخليج مظاهر، أهمها أنّ الشعر التقليدي كان سائداً قبل اكتشاف البترول. كانت معظم هذه الدول تعيش في القرون الوسطى. ثم قفزت إلى قلب القرن العشرين. وهذه القفزة أحدثت بغير شك مشكلات عديدة، بعضها سلبي وبعضها الآخر إيجابي. ومن الظواهر الإيجابية لهذه القفزة ظهور الصحافة، والتعليم، واشتراك المرأة في نهضة المجتمع. كل هذا أثر في تطور الأدب، فدخلت البلادَ أنواعٌ أدبية جديدة لم تكن معروفة. فبعد أن كان الإبداع السائد شعراً تقليديًا فقط، دخلت القصة القصيرة والرواية والشعر الحديث. ولم ينسحب هذا على فن المسرح غالبًا، فهو مايزال في البدايات الأولى في معظم تلك الدول.

وبلاشك نحن لا نستطيع موازنة الإنتاج الأدبي في تلك الفنون لدى تلك الدول بمثيلتها لدى مصر، لا كمًا ولا كيفًا بسبب فارق الزمن في البداية. ولكن مع ذلك توجد اجتهادات جيدة. فقد لاحظت تميّز الأدب، روايةً أو قصةً قصيرةً، بسمَات فرضها الموقع الجغرافي لهذه الدول. فقضيةَ «الصراع بين الشرق والغرب» التي تناولها الكثير من أدبائنا منذ رحلة علي مبارك، مروراً ب «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم، و «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، و «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، و «الحي اللاتيني» لسهيل إدريس.... إلى آخر تلك الأعمال، نجد أنّ أدباء الخليج عندما تناولوا هذا الموضوع أضافوا عنصراً ثالثًا في هذا الصراع، هو العنصر «الآسيوي» الوافد، والذي يعتبر في هذه الدول أخطر كثيراً من الوافد أو الغازي الأوروبي الذي قد يأتي ويذهب بعد فترة كما تذهب القشرة من فوق الأرض أو السطح. أمّا الوافد الآسيوي فيتغلغل في البنية التحتية، لأنهم يعملون في المهن المتواضعة جداً. وأحيانًا تحدث علاقات زواج ومصاهرة ويعملون مربين ومربيات. وكل هذا يؤثّر في البنية التحتية. عكس تأثير الغربي الذي كان يأتي ويمكث في منعزل كالقلعة، ثم يرحل دون أن يترك تأثيراً عميقًا في القاعدة كما يفعل الوافد الآسيوي. وقد انعكس ذلك على الأدب الخليجي في بعض رواياته وقصصه القصيرة.

هذا على الجانب العربي الخليجي، أمّا في بقية الأقطار العربية وبخاصة في مصر، فنجد أن الحركة الأدبية قد زاحمها انتشار وسائل الاتصال الجماهيري خاصة التلفاز أي إن العمل الأدبي الذي يُعرض عن طريق التلفاز هو الذي يصل إلى الجمهور العريض. وهذا ليس عيبًا، إنه تطور طبيعي للأمور، وهو أن ينتشر الأدب عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. والقراءة باتت لمن يفضلونها أو لمن يريدون الكتابة للتلفاز أو للإذاعة. وبات الأديب لا يُعرف جماهيريًا إلاّ عن طريق هاتين الوسيلتين فقط. وقل الإقبال على القراءة. فأولادك وأحفادي يقبلون على التلفاز أكثر من إقبالهم على القراءة إذا التفتوا إليها. وهناك عوامل أخرى كثيرة دفعت إلى التطور أو التغيير الذي نقصده، ولكن هذه أهمها. وأعتقد أنه ماتزال هناك «خميرة».. هذه الخميرة ماتزال تكتب وتنتج وتتفاعل مع المجتمع.

ـ معروف أن قلم يوسف الشاروني من الأقلام التي غزت الساحة الثقافية والأدبية العربية منذ ماقبل النصف الثاني من هذا القرن. فهل يؤثّر «الوقت» أو «الزمن» بأحداثه وتقلباته «المختلفة» في اتجاه أو قوة قلمك؟ هل حدث هذا مرة؟

* هذا شيء طبيعي جداً. فالكاتب غير منفصل عن مجتمعه، ولا عن أحداث مجتمعه. هو نفسه يستمد مادته الإبداعية من مجتمعه. وتجدني دائمًا أقوم بتشبيه العمل الفني بالعمل المعماري: البيت، المدرسة، الأوبرا... موادّها موجودة في الطبيعة: الإسمنت والطوب والملاط والحديد والخشب... لكن عملية البناء هي من تصميم المهندس المعماري. والحكاية نفسها بالنسبة لكاتب القصة أو قصيدة الشعر أو الرواية أو المسرحية.. فهو يستمد مادة عمله الأدبي من المجتمع.. مما يحدث حوله. وعملية البناء من تصميمه. وهذا الجزء الإبداعي الخاص به. فلاشك أن مايحدث بالمجتمع يؤثر في الكتابة الخاصة به. ويكون لهذا التأثير وجهان: أولاً من ناحية الموضوع: فبالطبع يستمد الأديب موضوعه من مجتمعه، فهو لا يكتب من فراغ. مثل قصص نجيب محفوظ، تجد أن موضوعاتها قبل عام 1952م مختلفة عن موضوعاتها بعد ذلك التاريخ، وفي الستينيات غيرها في السبعينيات.

أيضًا يؤثر المجتمع في أعمال الأديب من ناحية الإنتاج وقوته وكثرته وقلته: فهو أحيانًا يشعر بإحباط، حين يُحبط مجتمعُه، أو يتأزّم... حينئذ تقل رغبته، أو تنعدم، في الكتابة.

وكما قلت في مقابلة: إن جيلنا ربما نجح في التعبير، لكنه فشل في التغيير. فأنا حينما أنظر إلى نفسي أقول أحيانًا: لماذا كتبت؟ فأنا أكتب منذ أربعين سنة.. فإلى أين وصلت مجتمعاتنا بعد أربعين سنة كتابة.

وأحيانًا يشعر المرء أن بالمجتمع أوجه نقص قد تدفعه أكثر إلى الكتابة. وإذا زادت أوجه النقص تلك قد يحدث العكس: يصاب الأديب بالإحباط فلا يكتب. وهكذا يكون التأثير والتأثر بين المجتمع والكاتب من ناحية إنتاجه، ومن ناحية موضوع إنتاجه.

ـ هل يمكن الإجابة عن هذا السؤال، من واقع تجربتك الإبداعية النقدية: لماذا يبدع الأديب؟

* هناك بالطبع مؤثرات عديدة تدفع إلى الإبداع. وكلها تتحول في وقت واحد وفي لحظة واحدة داخل الأديب.. فيجد لديه الرغبة في أنْ يبدع. بينما في لحظات أخرى تجد لديك ميلاً إلى الإبداع، لكنك تفتقد القدرة اللازمة لتحقيق هذا الميل. عندك المادة، لكنك لا تملك الشحنة العاطفية التي تدفعك إلى عملية الكتابة وتقنعك بها، فتشعر بإحباط شديد. وأقول ربما تكون هذه هرمونات أو أنزيمات تفرز في الجسم وقت الرغبة والإحساس بالقدرة على الإبداع. وقد تكثر أنزيمات الإبداع هذه التي أتخيلها، فتزيد الرغبة في الإبداع والقدرة عليه. وأحيانًا تقل في الجسم فيقل الإبداع أو ينعدم. هذا مجرد ظن.

ـ من المعروف عن كل من بيرانديللو وبرناردشو، أنهما كانا يقدمان لأعمالهما بمقدمات تفسيرية. هل توافق على اعتراض بعض النقاد على هذا التصرف الذي يعتبرونه تدخلاً فيما لا يعني الأديبين، وقد انفصلت أعمالهما الأدبية عنهما بمجرد انتهائهما من كتابتها.

* أنا لا أستطيع أن أقيّد الأديب بأية قيود. فإذا أراد أنْ يكتب إبداعًا فليكتب، وإذا أراد أن يكتب عن إبداعه أيضًا فليكتب.. مادام لديه الإحساس والرغبة والمبرر فليكتب. هذا رأيي. وهذه الكتابات تفيد النقاد والعملية الإبداعية نفسها.

في الغرب لا يأخذون ماكتب الأدباء عن أعمالهم وحسب، بل يأخذون رسائلهم أيضًا، ويومياتهم، فيفيدون من كل هذا في تفسير الأعمال الإبداعية وفهمها.

الأنظمة المصغرة

تفتح عصر الآلات الذكية

عدنان عضيمة

من خلال الحزمة الضوئية الخافتة المائلة إلى الخضرة التي يصدرها مجهر المسح الإلكتروني، يبدو العنصر المركزي لمجسّ المحفظة الهوائية airbag sensor، التي تُستعمل لوقاية سائق السيارة من صدمات الحوادث، كأنه هرم صغير. ولكن هذا الهرم الذي يميز عصر السيليكون لا يتعدى حجمه حجم حبيبة واحدة من الرمل، ولا يزيد وزنه على ميلليجرام واحد (جزء الألف من الجرام)، وهو معلق بوساطة ثلاثة جسور صغيرة إلى الجسم السيليكوني للمجس. وأطول هذه الجسور الثلاثة ـ الذي هو أقل سمكًا من شعرة الإنسان بعشر مرات ـ يضم مقاومات القياس التي تسجل كل حركة للهرم عندما يهتز.

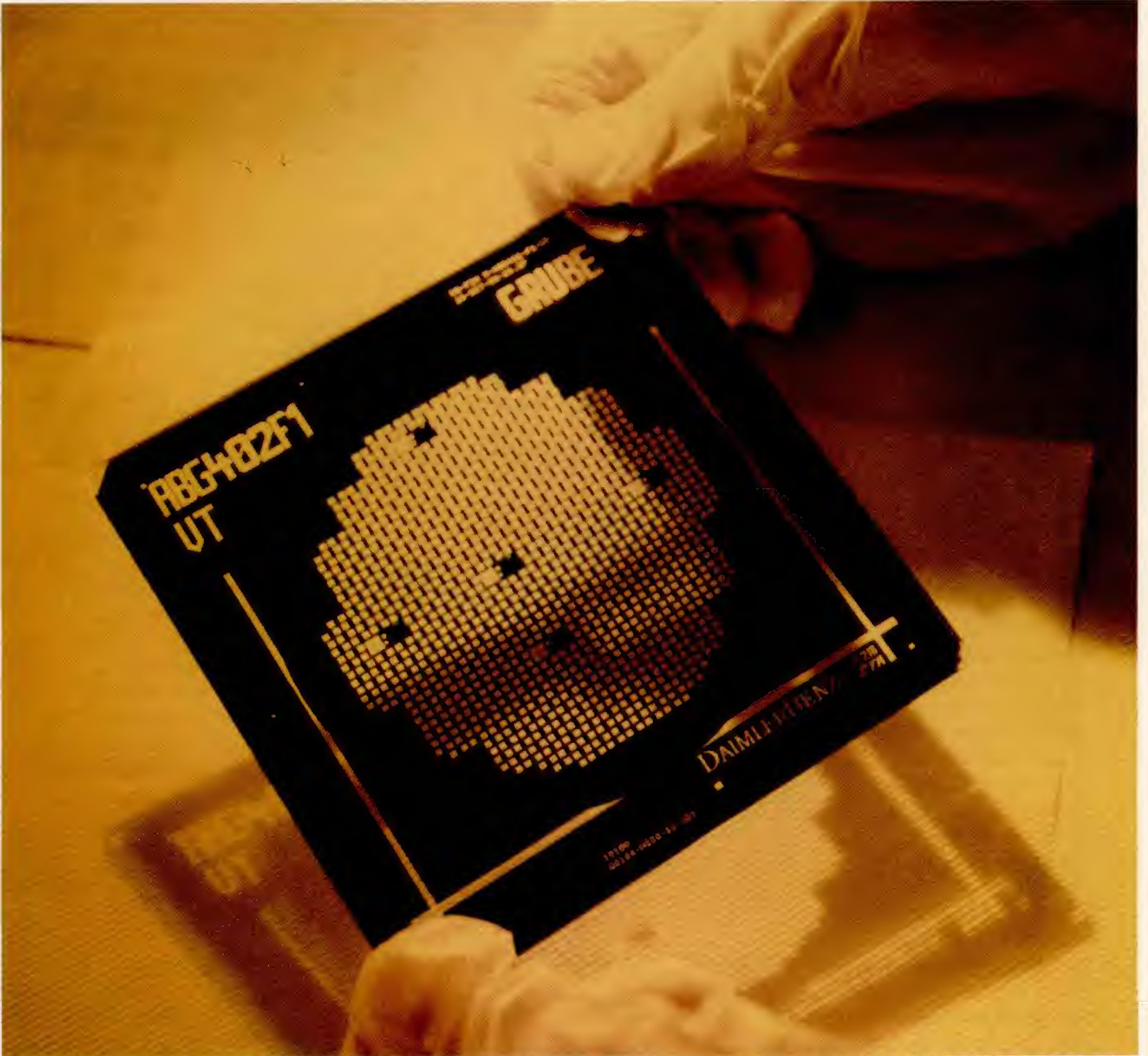


تتم صناعة مؤلفات الأجهزة المصغّرة في «الغرفة النظيفة» clear room لتجنب وصول الشوائب إلى الرقائق السيليكونية التي تصنع منها الأجزاء الذكية للمجسّات لأن من شأن هذه الشوائب أن تفسد الرقائق تمامًا

وهذا التركيب الدقيق المثبت بإحكام بين غطاءين من السيليكون ينتظر اللحظة التي يتجنبها سائقو السيارات كافة. إنها لحظة وقوع الاصطدام، فإذا ما حدث ذلك، فإن هذا الهرم يندفع إلى الأمام بتأثير قوة الصدم وبتسارع يفوق تسارع الجاذبية الأرضية بنحو خمسين مرة (نحو 490م/ث2). ومع أن طول الحيّز الذي يتحرك ضمنه لا يتعدى أجزاء قليلة من المليمتر، فإنه يكفي لخلق الاستجابة في الدارات الكهربائية. وتقوم هذه الدارات بشكل فوري بالتحري عما إذا كانت هذه الإشارات الآتية تميّز حادث اصطدام أم مجرد اهتزاز خفيف للسيارة. فإذا كان ناتجًا من اصطدام فإنها، وخلال مدة زمنية لا تتعدى جزء الأربعين من الثانية، تشعل شرارة كهربائية تؤدي إلى نفخ المحفظة. وبدلاً من اصطدام جسم السائق بالمقود الدائري الصلب، أو بالزجاج الأمامي للسيارة، فإن المحفظة تقي السائق من هذا الخطر وتمتص الصدمة كلها.

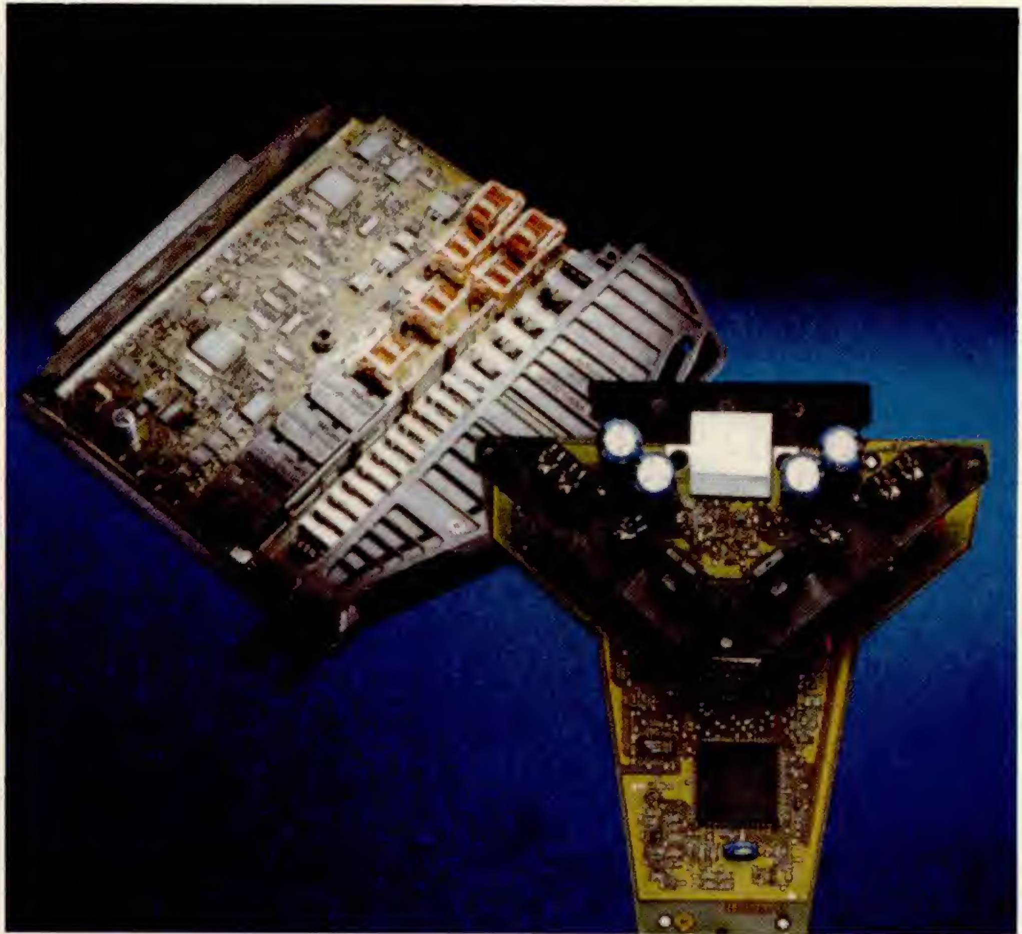
الاتجاه نحو تزويد الآلات بالذكاء

وربما يكون مجسّ المحفظة الهوائية، بهرمه السيليكوني المهتز،



تعد الرقائق الإلكترونية المصغرة الجزء الأساسي في العديد من مجسّات الأجهزة المصغرة. وتبدو هنا «رقاقة أم» wafer تتضمن مئات الرقائق المصغرة (بالأصفر). ولضمان النقاء التام لهذه الرقائق يتم فحصها بدقة بالغة ضمن «الغرفة النظيفة» بالمجهر الإلكتروني، وتُطلى الرقائق الفاسدة بلون مميز (بالأسود) قبل أن تُقطع بالمنشار لتستخدم كل واحدة منها في صناعة مجسّ. وتبدو في الصورة خمس مجموعات من الرقائق الفاسدة

واحداً من الشواهد الواقعية الملموسة لفوائد هندسة الأنظمة المصغرة mi-crosystems engneering، وهي تقانة حديثة ترمي في الأساس إلى تنمية الاتجاه نحو تصغير الأدوات والآلات أو تزويدها بعناصر الذكاء الذاتي. وتستند الفكرة إلى الربط الدقيق والمبرمج بين المؤلفات الإلكترونية والميكانيكية والضوئية الدقيقة لصنع آلة منها ذات وظائف معقدة من دون أن يتعدى حجمها حجم حبة فاصوليا أو قلم رصاص. وخلال السنوات العشر الماضية بدأت بوادر هذا الاتجاه بالظهور في المؤسسات العالمية المهتمة بتطوير التقانات الدقيقة، بعد أن تنبّه العلماء إلى الفوائد التطبيقية الكثيرة الكامنة في مثل هذه الأدمغة الإلكترونية الصغيرة من حيث إمكان استخدامها لتقوم مقام الأعين، أو الآذان، أو الأيادي في رؤية الأشياء، أو سماع الأصوات وكشف الأمواج الخافتة، أو تحريك الأشياء بالغة الصغر والتقاطها. ولقد بدأ الحديث الآن عن غواصة مجهرية تبحر ضمن نظام الدورة الدموية للإنسان وهي تجمع المعلومات عن حالته الصحية، كما اتضح لكثير من العلماء والباحثين أن



جملة من الأنظمة المصغرة في سيارة ألمانية تؤدي عددًا من الوظائف؛ كالتحكم في القيادة ونفخ المحافظ الهوائية وتكييف الجو الداخلي

التطور التقني الكبير الذي شهده العالم - مؤخرًا -، كان مصحوبًا بالكثير من التغافل عن الاهتمام بالتحكم بـ (العالم دون المليمتري) submillimetric world، وأصبحوا يحلمون الآن بالمناظير الإلكترونية الذكية والدقيقة التي يمكنها جمع البيانات الذرية وحفظها ومعالجتها بمجرد توجيهها نحو شرائح المواد المدروسة، وأيضًا بالروبوتات الدقيقة microrobots القادرة على التقاط الذرات.

وهناك الكثير من الابتكارات العلمية الجديدة التي كانت مدعاة لشعور مبتكريها بالفخر. فلقد توصل المهندسون العاملون في مختبرات البحوث الأمريكية والألمانية واليابانية إلى تركيب التوربينات التي لا يتعدى طول الواحد منها ميليمترًا واحدًا والمصنوعة من المعادن أو الخزف المُقَسّى، وأشعة الليزر الدقيقة المحثوثة بوساطة مجموعة من المرايا المجهرية.

ولعل (المحركات المصغرة) micromotors، التي يمكن تعليقها بشعرة إنسان دون أن تُعرف لها تطبيقات عملية حتى الآن، هي من أطرف هذه الابتكارات على الإطلاق. يقول المهندس الألماني ريتشارد مولر Richard Muller، الذي يُعدّ الرائد الأول لحقل تقانة الأجهزة المصغرة، بشأن هذه المحركات: «إن المحركات المصغرة تمثل الأداة الأساسية لتحقيق تقنية الميكانيكا المصغرة micromechanics عمليًا. وعندما قمنا بابتكارها، لم نكن نهتم بتطبيقاتها واستخداماتها، وتجدر الإشارة إلى أننا نواجه الآن مشكلات معقدة في أثناء سعينا لتحسين أدائها. فنظرًا لقوى الاحتكاك الكبيرة الناتجة من حركة أجزائها، فإنها لا تعيش إلا لبضع دقائق فقط. ومن أجل تجاوز هذه المشكلة، نحاول الآن البحث عن طريقة لتثبيت أجزائها المتحركة من طريق وسائد مغناطيسية أو هوائية. والفائدة الأولى التي جنيناها من وراء هذا الابتكار حتى الآن تكمن في اكتشافها للكثير من الخصائص المتعلقة بالقوى العاملة في عالم الميكانيكا المصغّرة».

جهاز واحد: عدة وظائف وتكاليف منخفضة!

ولقد أضحت البحوث الألمانية في حقل هندسة الأنظمة المصغّرة تحتل موقع الريادة على مستوى العالم كله بعد أن خُصِّصت لها العديد من المعاهد والبرامج التعليمية والتأهيلية ومراكز الخدمات. وتكفّلت الحكومة الفيدرالية الألمانية بتمويل هذه المعاهد بمبلغ مليار مارك ألماني (نحو 625 مليون دولار أمريكي) لدعم برامج البحوث المتعلقة بهذه التقنية الجديدة التي تنطوي على فوائد متعددة تتركز في النقاط التالية:

- أن الأنظمة المدمجة الصغيرة ذات الوزن الخفيف تشغل حيزًا صغيرًا ولا تتطلب إلا القليل من المواد الأولية اللازمة لصنعها وتصرف مقادير ضئيلة للغاية من الطاقة، ومن ثم، فإن لها تأثيرات أقل ضررًا في البيئة مع إمكان الوثوق بأدائها تمامًا.
- يمكن للأنظمة المصغرة أن تجمع عدة وظائف في جهاز واحد بما يمكن من إيجاد الحلول الناجعة للعديد من المشكلات التقنية. ويتوقع العلماء أن تسمح هذه الميزة بابتكار أنظمة جديدة لمحاكاة بعض الظواهر الطبيعية، أو تحقيق التكيف التلقائي مع الأوساط المتغيرة.
- يمكن توقع حدوث انخفاض تدريجي في تكاليف إنتاج الأنظمة المصغرة على المدى الطويل مع

تطور تقنيات صنعها، تمامًا مثلما حدث في سوق إنتاج الأجهزة الإلكترونية.

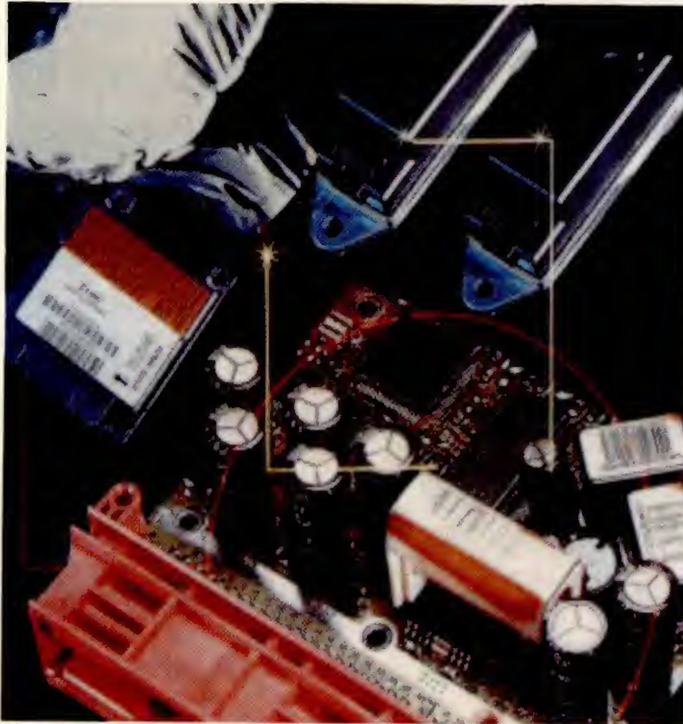
ولقد تكهنت دراسة أجراها - مؤخرًا - خبراء شركة تخطيط الأنظمة System Planning Corporation في مدينة أرلينغتون التابعة لولاية فرجينيا الأمريكية بأن تصل المبيعات العالمية من الأجهزة المندرجة ضمن حقل هندسة الأنظمة المصغرة إلى 14 مليار دولار في عام 2000م وحده. وأشارت نتائج الدراسة نفسها إلى أن المبيعات العالمية من الأجهزة المختلفة المبنية على مبدأ التصغير يمكن أن تصل إلى 100 مليار دولار في العام نفسه. كما تتوقع الدراسة أن تبلغ حصة الأنظمة في أسواق هندسة السيارات والاتصالات وتقانة المعلومات نسبة 40٪ من إجمالي مبيعات كل منها.

الأنظمة المصغرة تقتحم عالم السيارات!

وفي حقل بناء السيارات، سوف تزداد الحاجة باطراد للمجسّات وعناصر التحكم الآلية؛ نظرًا لتزايد اهتمام المهندسين في هذا الحقل بعناصر الأمان وإنقاص التلوث والراحة والوثوق بأجهزة الحركة. وعلى سبيل المثال، يتوقع الخبراء أن يزداد الاهتمام بمراقبة طريقة أداء المحرك باستعمال شبكة من المجسّات والصمّامات للاهتداء إلى سبل أفضل لتخفيض المصروف من الوقود والإقلال من درجة التلوث. ولقد ولّى اليوم الذي كان فيه المذياع يُعدّ عنصرًا أساسيًا في اهتمامات المشترين، وجاء اليوم الذي أصبحت فيه السيارة تعج بأدوات هندسة الأنظمة المصغّرة، بما فيها عناصر التحكم الإلكتروني في المقاعد ومكيّفات الهواء والهاتف الجوال ونظام التوجه الإلكتروني والخارطة العشرية للطرق والأماكن المهمة في المدن والبلدان، ومجموعة مجسّات للوقوف على حالة الجوّ كمجسّ المطر ومجسّ الشمس والحرارة ومجس التلوّث. وتؤدي هذه المجسّات مجتمعة دورًا مهمًا في خدمة السائق والركاب. فمجسّات حالة الجو متصلة بنظام التكييف الداخلي للسيارة الذي ينظم درجة الحرارة آليًا بما يحقق لراكبيها الراحة التامة. ومجسّات التوجه الإلكتروني توفر على السائق هدر الوقت للسؤال عن الأماكن المقصودة في المدن، أو الطرق التي لا يعرفها، وتُعَرِّفه الأماكن الشاغرة في المرآبات وأماكن التوقف، وتحذره من دخول الطرق ذات الاتجاهات الممنوعة. ومجسّات الضغط والحرارة الداخلية للمحرك تعرفه الحالة الميكانيكية لسيارته آنيًا.

وتمثل مجسّات المحافظ الهوائية التي تقي السائق من حوادث الاصطدام أفضل الأمثلة على التطور السريع الذي تشهده سوق الأجهزة المصغرة، حيث قُدِّرَ عدد ما يباع من المحافظ سنويًا عبر العالم بـ 50 مليونًا. وهذا الرقم قابل للارتفاع السريع؛ لأن سيارات المستقبل تحتوي على محافظ هوائية إضافية لحماية ركّاب السيارة كافة. فمثلما تُخَصَّص محفظة هوائية أمامية لكل من السائق والراكب الجالس إلى جواره، سوف تكون هناك محافظ هوائية جانبية لحمايتهما من الاصطدام بجانبي السيارة، وأخرى لحماية ركاب المقاعد الخلفية. وهناك أيضًا



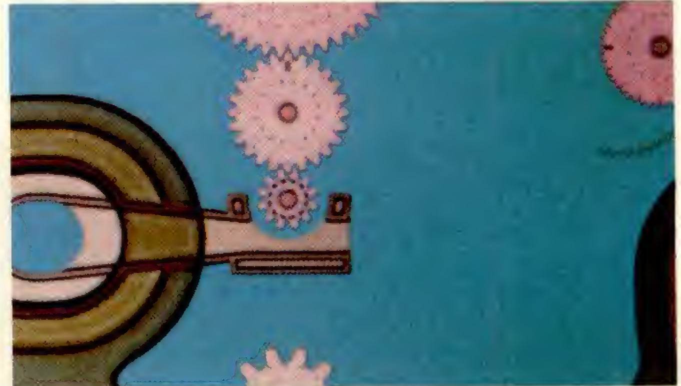


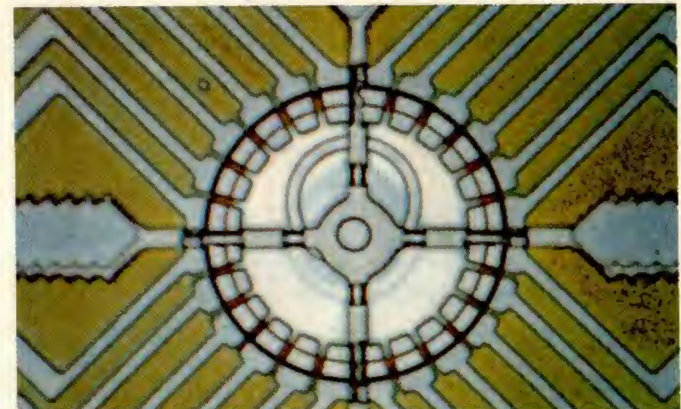
وحدة التحكم المركزية التي تدير مجسّ المحفظة الهوائية (إلى اليسار). وعند وقوع حادث اصطدام للسيارة يستغرق المجس سبعة أجزاء الألف من الثانية حتى يفتح المحفظة الهوائية الجانبية

مجسّ التسارع acceleration sensor الذي يُركّب في السيارة بغية تحقيق راحة الركاب. ويتولى هذا المجسّ إنجاز مهمة القياس التلقائي لتموّج الطريق وتعرّجه وتوجيه الأوامر إلى مجموعة النوابض لاتخاذ الوضع الذي يمنع السيارة من الاهتزاز. ولقد توصل المهندسون - مؤخراً - إلى ابتكار نوابض متكيفة تكون أقل قساوة في الطريق الرديئة ذات الحفر الكثيرة، وأكثر قساوة في الطرق السريعة، ومثل هذه المجسّات تُستعمل أيضاً في آلات التصوير (الكاميرات) لضبط العدسات آليًا ومنع التشتت الضوئي.

ويُقدَّر أن تؤدي مجسّات التسارع في المستقبل القريب دوراً بارزاً في ما يسمى بـ (الأنظمة العطالية المصغرة mi-systems croinertial)، وهي أجهزة توجيه للسيارات والعربات بدأ استخدامها الفعلي في بعض المدن الأوروبية. وتُعدّ الأنظمة العطالية المصغرة البديل العملي للبوصلات الجيروسكوبية gyrocompasses، حيث تتولى ثلاثة مجسّات للتسارع وسرعة الدوران مهمة الجمع التلقائي والمستمر للبيانات المتعلقة بحركة السيارة، أو الطائرة، أو السفينة في الاتجاهات كافة. وبمقابلة هذه البيانات بتلك التي تصل من الأقمار الصناعية من طريق أنظمة تحديد الموضع posi-tioning systems يتم توجيه هذه العربات إلى مقاصدها بدقة كبيرة، إن كانت على البر، أو في البحر، أو الهواء. ويقوم باحثون ألمان في الوقت الراهن بإجراء البحوث لدمج النظام العطالي في رقاقة سيليكونية واحدة، لا تتعدى من حيث مساحتها سطح حبة عدس، وذلك بعد أن تبيّنوا أن مجسّات قياس التسارع وسرعة الدوران يمكن صنعها من السيليكون. ولعل كثيرين من أصحاب السيارات الحديثة ليسوا على دراية بوجود العديد من الأجهزة المصغرة ذات الوظائف المختلفة في سياراتهم، ومنها: مجسّات قياس ضغط الزيت، ومجسّات قياس ضغط الهواء وسرعة تدفقه إلى غرف الاحتراق، ومجسّات قياس الحرارة الداخلية للمحرك.


ريتشارد مولر Richard Muller أحد روّاد تقانة الأنظمة المصغرة


لا يتعدى حجم المحرك المصغّر micromotor حجم حبة حمص، ويبدو في الصورة جزؤه الأساسي مع مسننات الحركة


محرك الكهربائية الساكنة Electrostatic motor أحد إنجازات مولر

.. وفي الطب أيضاً!

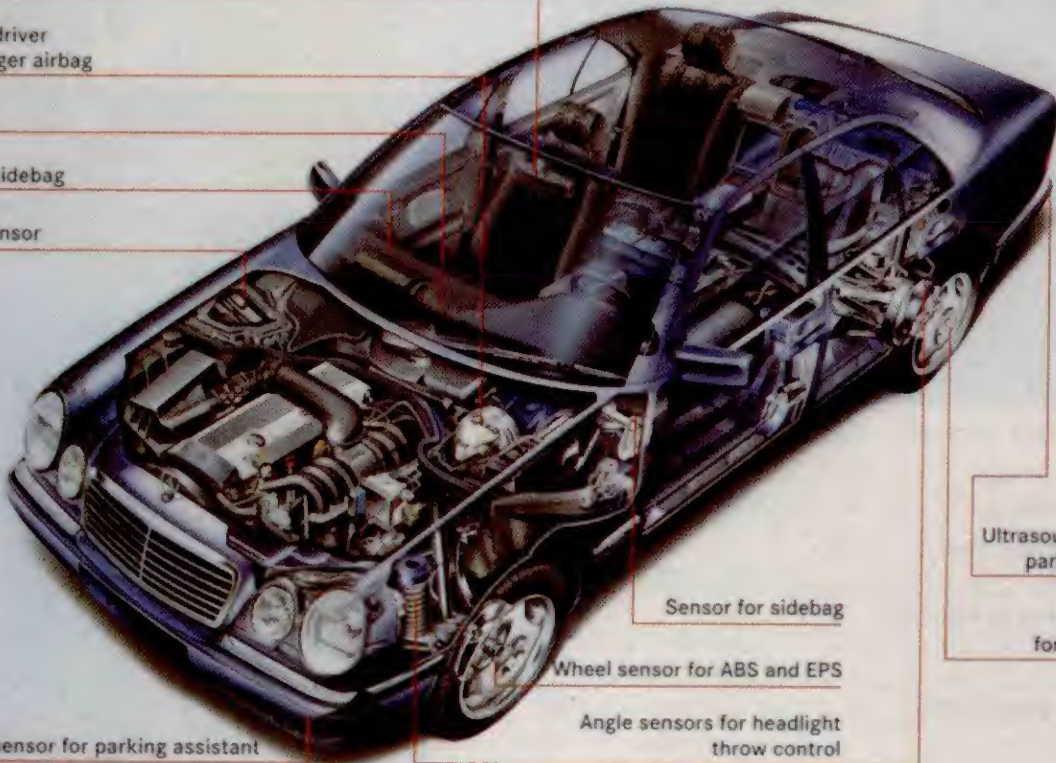
ولقد تعزز الطب الجراحي - مؤخراً - بابتكار المشارط اللمسية tactile forceps التي تُعدّ إحدى ثمرات ابتكار مجسّات

الضغط الميكانيكية المصغّرة التي صُمِّمت في ألمانيا - مؤخراً -. وهذه المشارط تُمكِّن الجراحين من الاستفادة من حاسة اللمس، حتى في أثناء إجراء العمليات التنظيرية، بعد أن كانوا في السابق عاجزين عن تحسس الأنسجة المصابة بالجوف (أداة التنظير endo-scope) لتحديد مواضع الكتل السرطانية. وتحتوي إحدى نهايتي المجواف على مجموعة مجسّات ضغط يبلغ طول الواحد منها ثمانية ميليمترات وهي مرتبة خطّيّا. وفي النهاية الأخرى، يستخدم الجراح كشتبانا خاصّا للتحكم في الجهاز توجد في داخله وسادة صغيرة تتألف من ثمانية ضوابط ميكانيكية صغيرة تعمل بزيت خاص تتغير لزوجته بتغيُّر شدة التيار الكهربائي. فعندما تصل الإشارة الكهربائية من مجسّات الضغط تصبح الوسادة أقسى أو أنعم بحسب شدة التيار لتعطي الجراح إحساسًا بالقوام اللمسي الحقيقي للنسيج الذي يريد قطعه بالمشرط مُجنّبًا المريض الصعوبات المترتبة على فتح جرح كبير عبر الجلد.

إلا أن المشكلة الأساسية التي ظل الجراحون يعانون منها في أثناء



بقياس شدة ضوء الشمس خارج السيارة يمكن للمجس أن ينظم التكييف الهوائي داخلها



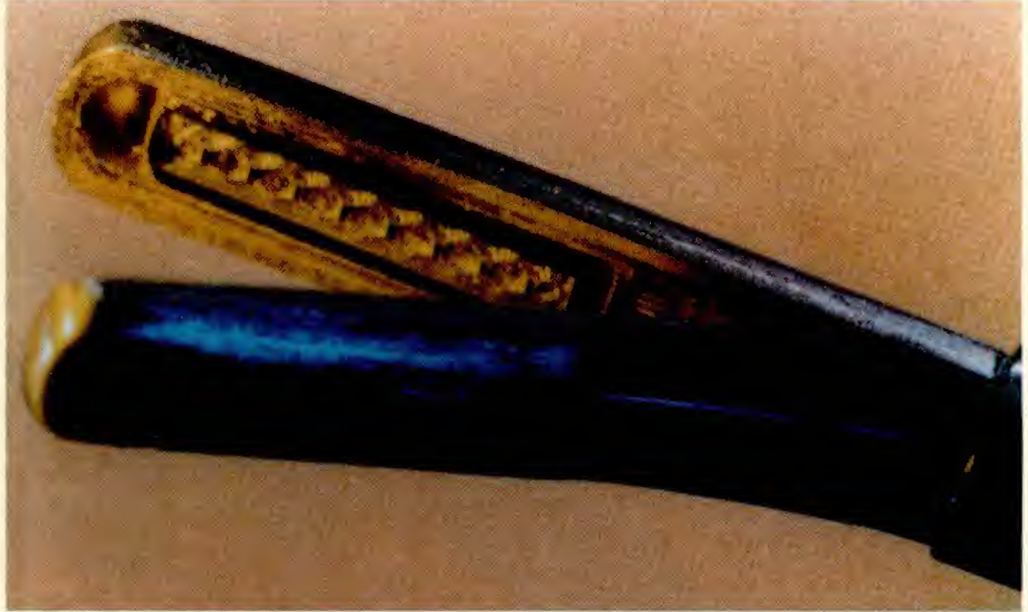
عدد من المجسات الإلكترونية التي تتحكم بالقيادة والتوجه وتكييف الهواء ومعرفة الحالة الميكانيكية للسيارة ونفخ المحافظ الهوائية



إجراء العمليات التنظيرية كانت تكمن في عدم القدرة على استخدام حاسة الإبصار المباشرة

تجهيز السيارات الأوربيين الذين تمكنوا من حل مشكلة مماثلة في أثناء سعيهم لابتكار نظام متكامل للقيادة الآلية ضمن ما يسمى

وقراءة إشارات المرور، وتجاوز السيارات الأخرى بطريقة آمنة. ولقد أضيفت كاميرات صغيرة مشابهة إلى مجوافات التنظير



المشرط اللمسي Tactile forcep سمح للأطباء بإجراء العمليات التنظيرية الدقيقة مع تجنب المريض آلام جرح كبير في جسمه نظرًا لاحتوائه على مجسّات الإحساس اللمسي والرؤية بكاميرا الفيديو.



أصبحت مجسّات الأجهزة المصغّرة عنصرًا أساسيًا لتعزيز مهارات الأطباء في أثناء إجراء عمليات الجراحة التنظيرية الدقيقة

لمتابعة العمل الجراحي بالدقة المطلوبة مثلما يحدث في أثناء العمليات المفتوحة. وكان من الطبيعي أن يلجأ خبراء الأنظمة المصغرة إلى حل هذه المشكلة بالاستفادة من خبرات مهندسي

بمشروع الإبصار الآلي Tech-nical Vision Project. وتمخض هذا المشروع عن ابتكار «كاميرا فيديو» تسمح للسيارة بتتبع انحناء الطريق آليًا وتجنب الاصطدام بالحواجز والسيارات،

سمحت بتحقيق دقة كبيرة في إجراء العمليات الجراحية.

لا انزلاق على الطريق بعد اليوم!

ولعل نظام منع الانزلاق anti-skid system، الذي يقي السيارات من التزلّج والانحراف على الطرق الثلجية أو الزلقة، يُعدّ أفضل مثال على مظاهر الذكاء الصناعي والمرونة الفائقة والتكيف التلقائي التي أصبحت من مميزات الآلات الحديثة بعد استحداث الأنظمة المصغّرة. وتُستخدم في هذا النظام الإلكتروني مجسّات الانحراف yaw sensors المعدلة عن نماذج مشابهة تُستخدم في تقنيات الطيران والفضاء. وتعمل هذه المجسّات كأنها بوصلة من

حيث قيامها بالتحديد المستمر لوضعية السيارة بدقة كبيرة. ويتضمن النظام أسطوانة فولاذية مجوفة تحمل أربعة عواتق حسّاسة للضغط الكهربائي. وعندما تتهيج الأسطوانة بالتيار الكهربائي، فإنها تهتز بتواتر قيمته 15000 هرتز (هزة في الثانية). وعندما تنزلق السيارة تتأثر الأسطوانة الخفيفة بقوة جديدة تغير من تواترها. وبالاستفادة من هذا التغير، تتولى وحدة معالجة مصغرة حساب سرعة دوران السيارة حول محورها. وبقرن هذه النتيجة بالقراءات الواصلة من المجسّات الأخرى التي تتولى قياس زاوية انحراف الدولابين الأماميين وسرعتهما، وضغط الكبح، والتسارع الناظمي للسيارة، يقوم الحاسوب (وحدة المعالجة المصغّرة) بتحديد الطريقة المثلى لضبط الحركة خلال جزء يسير من الثانية؛ كأن يعطي أوامره بكبح دولاب أو أكثر بما يضمن التلاشي الفوري للعزم الدوراني المؤثر في جسم السيارة. ونتيجة لذلك تُدرأ الحركة الانزلاقية عن السيارة وتُمنع من الجنوح عن الطريق آليًا.

وما هذه الأنظمة المصغرة الحديثة التي عرضنا لها هنا بشيء من الاختصار إلا شواهد قليلة على التحول الجذري الذي يطرأ في هذه الآونة على مفهوم الآلات والأجهزة برمتها. ويمكن القول إننا أصبحنا على أعتاب عصر جديد لن تكون فيه للآلة الجامدة، غير القادرة على التفكير الذاتي، أية فائدة. إنه عصر الأنظمة المصغّرة الذكية.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المحمدون من الشعراء وأشعارهم

تأليف: **علي بن يوسف القفطي المتوفي عام 646 هـ**

المؤلف

عالم عُرف بتتبع العلوم والمعارف، وجَمْع نفائس الكتب وكتابة بعضها بخطه. عاش بين عامي 568 - 646هـ= 1172 - 1248م. وكان ذا اهتمام خاص بالتاريخ، وله فيه مؤلفات كثيرة، غير أنه أقبل على دراسة الأدب والفلسفة والنحو وفقه اللغة، وتنقل في سبيل ذلك بين مصر وبلاد الشام، وكانت وفاته بحلب.

ترك القفطي سبعة وعشرين مؤلفًا ضاع أكثرها، ولم يصل إلينا منها إلا القليل الذي يدل على فضله وسعة علمه.

المحمدون من الشعراء

كتاب في تراجم الشعراء الذين يُسمَّون بـ «محمد»، وقد درسه وحققه الأستاذ محمد المعمّري بإشراف المستشرق الشهير: شارل بّلا، وطبعه العلامة حمد الجاسر في «دار اليمامة» وكانت له عليه ملاحظات قيمة تلخَّص بما يلي:

1ـ أن المحقق اعتمد النسخة الخطية المحفوظة في باريس، ولم يحرص على تتبع نسخ الكتاب كما يقضي بذلك مفهوم تحقيق التراث. وقد أشار العلامة الجاسر إلى أن للكتاب مخطوطة أخرى اعتمد عليها الدكتور محمد عبدالستار خان في طبعه للكتاب في الهند، وتبين من معارضة هذه النسخ أن نسخة باريس قد سقطت منها عشرات التراجم، فأضافها وصحح ما رآه جديرًا بالتصحيح.

2ـ يرى العلامة الجاسر أن الكتاب له قيمته التاريخية، أما القيمة العلمية أو الأدبية، ففي غيره من الكتب والموسوعات ما يغني عنه، ويستدل على ذلك بأن الكتاب يقف عند ترجمة محمد بن سعيد، ولو رأى مؤلفه فيه الفائدة المرجوة، وقد عاش بعد ذلك أربعة عشر عاما، لأتمه. ويستدرك أنه قد يعثر الباحثون على تتمة له.

تحقيق الكتاب

لخص الأستاذ حسن المعمري عمله في الكتاب بما يلي:

1ـ ترجمة موجزة للمؤلف نقلها عما كتبه الناسخ. ثم تعداد لكتب المؤلف التي فُقد أكثرها.

2 ـ المقابلة بين ما جاء في الكتاب والمصادر التي يأخذ عنها موجزًا أو مضيفًا، أو مبدلاً... وقد لا يشير إلى مصادره. وقد حرص المحقق ـ كما قال ـ على أشياء، منها ضبط ما يشكل، ومنها ذكر بحر الأشعار التي يوردها المؤلف. ومنها الإشارة إلى مواضع وجود ترجمة للشاعر في المراجع الأخرى. ومنها أنه حرص على وصف المخطوطة الباريسية التي كانت أصلاً وحيدًا له. ومنها الإشارة إلى ترتيب فهارس فنية متنوعة، وأنه لم يعتدّ فيها بكلمات: أب أو أم أو ابن.

وقد أفاد أن الشعراء جميعًا كانوا ممن يُسمَّون: محمدًا.. ولذا فإن الترتيب الهجائي روعي فيه الاسم الثاني.

وسوف نورد مثالاً أو مثالين يبينان طريقة المؤلف:

1ـ في الترجمة (271) يقول: محمد بن الخَضر بن الحسن... يعرف بابن أبي المهزوَل... أنبأنا محمد بن هبةالله قال: حدثنا أبو القاسم من كتابه، أنبأنا أبو محمد بن صابر، أنشدنا أبو اليُمن محمد بن الخضر بن الحسن التنوخي لنفسه (يورد بيتين). قال: وأنشدني له أيضا (بيتين). قال: وأنشدني له أيضًا:

وشادنٍ بتّ صارفًا هممي
عن المُنا فيه، والمنا فيه
كالبدر والشمس أو يفوقهما
فما تدانيه كافُ تشبيه .. (5 أبيات)

وقد علق المحقق على الأبيات الأخيرة بقوله (ص 311 ح:4) انفرد القفطي بذكر هذه الأبيات.

2 ـ في الترجمة (278) ذكر لمحمد بن ذؤيب النهشلي التميمي العماني الراجز المشهور، وأورد بعض أرجازه في المديح. ثم قال: ويقال إن أشعر الرجّاز الرشيدين أربعة: العُماني أوَّلهم. أنبأنا ابن طبرزد عمر قال: أخبرنا محمد بن عبدالملك بن خيرون المقري قال: حدثنا ابن ثابت قال: قرأت على الحسن بن علي الجوهري، عن أبي عبد الله المرزباني قال: أخبرنا محمد بن العباس، حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: دخل محمد بن ذؤيب العُمانيّ على الرشيد، فأنشده أرجوزة وصف فيها فرسًا شبّه أذنيه بقلم مُحرَّف فقال:

كأنّ أذنيه إذا تشوّفا
قادمةً أو قَلَمًا محرَّفا

فقال له الرشيد: دع «كأن» وقل «تخال» حتى يستوي الإعراب (ص:323).

فالمؤلف يتبع طريقة المُحَدِّثين في الإسناد غالبًا، وقد تقصر الترجمة حتى لا تتجاوز مع الاستشهاد ثلاثة أسطر، وقد تطول ويكثر الاستشهاد بعدها حتى تبلغ عشرين صفحة (انظر التراجم: 74، 83، 146، 11، 254).

ولا شك أن المحقق بذل جهده في تحقيق الكتاب، ولكن الخلل وقع في كل قواعد المنهج التي ارتضاها ونص عليها؛ وبعض الخطأ وهو أقله قد يُعتذر منه بالطباعة. وفي الكتاب اضطراب في أوزان بعض الأبيات، وفي الرسم الإملائي لكثير من الكلمات، وإهمال غير جائز لما أشار إليه العلامة الجاسر من وجود نسخة خطية أخرى، وطبعات أربع سبقت هذه الطبعة.

الإمام ولي الله الدهلوي

د. بهاء الدين سليم عايش

كنت أحلُّ بين مسلمي الهند ضيفًا وطالبًا للعلم والبحث، فوقفت على كنوز عربية لم أتوقع وجودها بهذه الكثرة والوفرة، وتيقنت أن ثمة عالمًا مجهولاً لأبناء العروبة يحتاج إلى من يجوس خلاله ويلج غياهبه من الباحثين والدارسين. إنه بحر خضمّ من الأسفار المخطوطة والكتب المسطورة بأقلام هندية، أتقنت العربية إتقانًا كبيرًا، وأخلصت لها إخلاصًا عميقًا، وراحت تتناول بها شتى المناحي الأدبية والفكرية والإسلامية عند العرب والمسلمين.

كنت مرة في زيارة لمنزل أستاذي الدكتور محمد اجتباء الندوي رئيس قسم اللغة العربية واللغة الفارسية بجامعة «أله أباد» في الهند، فوقع بصري على مكتبة ضخمة عامرة بالمؤلفات العربية تزين صدر حجرته، فأخذت أجيل البصر وأردد النظر، أنقل عيني من كتاب إلى كتاب؛ فبعضها أعرفه وألفت الرجوع إليه، وبعضها الآخر دفعني الفضول كي أمد يدي إليه وأقلب صفحاته. وكان من بينها كتاب من تأليف فضيلته بعنوان: «الإمام أحمد بن عبدالرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي»(1) فاستأذنته بقراءة هذا السِّفْر فأذن لي بذلك، فوقفت على حياة عطرة أنفقها الإمام الدهلوي في خدمة العلم والفكر والثقافة، مما جعلني أحرص كل الحرص على كتابة هذه العجالة عن حياته وآثاره وتقديمه لقرائنا العرب.

مولده وطلبه للعلم

ولد الإمام أحمد المعروف بولي الله الدهلوي في بيت جده لأمه بقرية «بهلت» في محافظة مظفر نكر عام 1114 هـ/ 1702م، ويقال إنه يرقى بنسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -؛ حيث نزح آباؤه من بلاد العرب من طريق إيران إلى الهند، ثم استوطن أحد أجداده - الشيخ شمس الدين - قرية قريبة من العاصمة الهندية، وتبوأ مكانة مرموقة بين أهلها وحكامها بفضل ما عُرف عنه من علم وتقوى واشتغال في مجال الدعوة الإسلامية.

وقد نهض الإمام الدهلوي بخدمة الحديث الشريف ووسَّع نطاق علومه، فقد كان يرى فيه خيرًا كثيرًا وبركة عظيمة، وتسلَّح - لأداء هذه المهمة - بسلاح العلم الذي أخذ نفسه به تحصيلاً وإحاطة على يد علماء الحديث في الحجاز التي أقام فيها زهاء ثلاث سنين.

والدهلوي - رحمه الله - لم يفته أن يسجل لنا انطباعاته الروحية والعلمية حول هذه الرحلة في كتابه «فيوض الحرمين»؛ فذكر أنه رأى منامًا في العاشر من صفر عام 1144هـ تضمن إشارات إلى سبيله في خدمة الإسلام والمسلمين، وتفصيل رؤياه - على حد تعبيره -:

«كان الحسين والحسن - رضي الله عنهما - نزلا في بيتي، وبيد الحسن - رضي الله عنه - قلم انكسر لسانه وبسط إليّ يده ليعطيني إياه وقال: هذا قلم جدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ثم قال: حتى يصلحه الحسين.. فأخذه الحسين فأصلحه ثم ناولنيه فسررت به، ثم جيء برداء مخطط فيه خط أخضر وخط أبيض فوُضع بين أيديهما، فرفعه الحسين وقال: هذا رداء جدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم ألبسنيه فوضعته على رأسي تعظيمًا وحمدت الله تعالى»، وقال: «فمن يومئذ انشرح صدري للتصنيف في العلوم الشرعية»(2).

وقال في كتابه القيم «حجة الله البالغة»: «إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها، ومبنى الفنون الدينية وأساسها: علم الحديث الذي يُذكر فيه ما صدر من أفضل المرسلين - صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين - من قول أو فعل أو تقرير، فهي مصابيح الدجى ومعالم الهدى وبمنزلة البدر المنير، من انقاد لها ووعى فقد رشد واهتدى وأوتي الخير الكثير، ومن أعرض وتولّى فقد هوى وغوى وما زاد نفسه إلا التخسير»(3).

مؤلفات الدهلوي

ومؤلفات الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في العلوم الدينية بلغت نحو تسعين ونيف في التفسير، وأصول الفقه، والكلام والحديث، نذكر من هذه الكتب: حجة الله البالغة، أسرار الفقه، المنصور، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، ترجمة معاني القرآن الكريم. كما ترك جملة من الرسائل التي تحتوي على الحقائق والمعارف مثل: ألطاف القدس، همعات فيوض الحرمين وأنفاس العارفين، وغيرها، وشرح كذلك موطأ الإمام مالك - رضي الله عنه - باللغتين العربية والفارسية.

وقد تحدث الأستاذ أبو الحسن الندوي(4) عن هذا الإمام الجليل فقال: «هو حكيم الإسلام، وفيلسوفه المجدد الديني والعلمي الكبير، قرأ العلم على والده. كان رحمه الله آية من آيات الله، عبقريًا نابغًا من نوابغ الإسلام، كان مفسرًا محدثًا فقيهًا أصوليًا متكلمًا فيلسوفًا سياسيًا، كان كاتبًا قديرًا بالعربية سيال القلم ومؤلفًا مجيدًا، وبعض كتبه لم يُنسج على منوالها خصوصًا «الفوز الكبير في أصول التفسير»، و«إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء»، و«رسالة الإنصاف في سبب الاختلاف». أما كتابه الشهير «حجة الله البالغة» فهو كتاب فريد في موضوعه، وهو بيان حقائق الدين وتطبيق العقل والنقل وشرع النظام الديني والسياسي»(5).

وقال الشاعر في فضله وعلمه:

العالم الفاضل النحرير أفضل مَنْ
بَثَّ العلومَ فأروى كلَّ ظمآن

كما ورث إمامنا الجليل مكارم الأخلاق وصفاء القلب وتزكية النفس وطهارة الفؤاد من الأدناس وزخارف الدنيا ومتعها عن أبيه الذي تولاه بالتربية الإسلامية القويمة، وكان له موقف من الصوفية وعامة الناس الذين تأثروا بالبراهمية والبوذية والبدع والخرافات التي لا تتصل بالإسلام ومبادئه، فَرَدَّ عليهم ردًا شديدًا، وبيّن انحرافهم ومفاسدهم، ودعاهم إلى التمسك بالكتاب والسنة النبوية، وأوضح أن الشريعة والطريقة أمران متلازمان لا يختلفان ولا ينفصلان خلاف ما زعمه بعض الصوفية المنحرفين عن الصراط السوي، وقال: إن الطريقة والشريعة ثمرتان حلوتان لشجرة واحدة(6).

لحق الإمام الدهلوي بالرفيق الأعلى عن عمر ناهز الاثنين والستين عامًا إثر مرض عضال ألمَّ به في التاسع والعشرين من محرم 1176هـ/ 1762م، ووسد بجوار قبر والده في مقبرة «مهذيان» بدلهي، وعاش عمره في ظل أحد عشر ملكًا من ملوك الدولة المغولية، هم:

1- أورنك زيب عالمكير 1658 - 1707م
2- بهادر شاه الأول 1707 - 1712م
3- معزالدين جهاندار شاه 1712 - 1713م
4- فرخ سير 1713 - 1719م
5- ينكو سير 1719م
6- رفيع الدرجات 1719م
7- رفيع الدولة 1719م
8- محمد شاه 1719 - 1748م
9- أحمد شاه 1748 - 1754م
10- عالمكير الثاني 1754 - 1759م
11- شاه عالم 1759 - 1803م

ملكات الدهلوي الأدبية

كان الإمام الدهلوي كاتبًا ممتازًا، وشاعرًا مفلقًا، خلف لنا كتاباته المشرقة التي تمثل عصره وهمومه ومشكلاته باللغتين الفارسية والعربية مستلهمًا روح مقامات الحريري ومقامات بديع الزمان الهمذاني فيما يسطر من كتابات، إذ كانت - على ما يبدو - النموذج المثالي الذي يحتذيه الكاتبون في ذلك العصر. وكتابه «حجة الله البالغة» نموذج رائع حي وقطعة أدبية جميلة للكتابة والإنشاء باللغة العربية، جاء أسلوبه رائقًا سلسًا ولغته أنيقة رشيقة.

وخلف لنا أيضًا ديوانًا من الشعر العربي مايزال مخطوطًا بمكتبة دار العلوم «ندوة العلماء» بمدينة لكنهو بالهند، وقد جمع هذا الديوان ابنه الشيخ عبدالعزيز المحدّث الدهلوي، ورتبه ابنه الثاني رفيع الدين، والمخطوط بخط الشيخ محمد إسحاق بن عرفان، وصفحاته مئة وسبع وسبعون صفحة، تحتوي كل صفحة بين 18- 21 بيتًا من الشعر، وله قصيدة شهيرة في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - باسم «أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم» نقتنص منها ما قاله في بيان رحلة إسراء النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعراجه:

يا أحمد المختار يا زين الورى
يا خاتمًا للرسل ما أعلاكا
هل كان غيرك في الأنام من استوى
فوق البُراق وجاوز الأفلاكا
واستمسك الروح الأمين ركابه
في سيره واستخدم الأملاكا
واخترت من لبنٍ وخمرٍ فطرةَ الـ
إسلام يا لَهُدًى إليه هداكا
قَصَدَتْ لك الرسل العظام ترقبًا
فعلوت مغبوطًا لهم مسراكا
وأمَمْتَهُمْ في القُدس بعد تجاوز
منهم بأمر الله إذ ولاّكا(7)

ولعل أشهر ما سطرت أنامل الإمام الدهلوي من مؤلفات باللغة العربية:

1- فتح الخبير (في تفسير القرآن الكريم).
2- المسوى شرح الموطا.
3- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد.
4- حجة الله البالغة (في أسرار الشريعة ونظام الإسلام).
5- الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد.
6- شرح تراجم أبواب البخاري.
7- تراجم البخاري (في علم الحديث).
8- مسلسلات (في علم الحديث).
9- الانتباه في أحاديث رسول الله.
10- فيوض الحرمين.
11- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين.
12- قصيدة: أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم.
13- سرور المحزون في سيرة الأمين والمأمون (في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام).
14- الانتباه في سلاسل أولياء الله.
15- التفهيمات الإلهية (في علوم الشريعة والأخلاق والسياسة والمدنية).

وبهذه الأعمال الجليلة، والإسهامات النبيلة التي خلفها الإمام ولي الله الدهلوي متوخيًا دار البقاء زاهدًا بدار الفناء ولسان حاله يقول كما قال نوح عليه السلام: *وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجري إلاّ على رب العالمين*. **الشعراء: 108.**

استحق قول الشاعر:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لضنين

الهوامش:

1- محمد اجتباء الندوي: الإمام أحمد بن عبدالرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي. ط1، مركز الدراسات العربية، جامعة نكر، دلهي الجديدة، الهند، 1396هـ/ 1976م
2-3- المرجع السابق: ص 22 وما بعدها، 45.
4- هو الداعية والعالم الهندي الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي، ولد بقرية «تكية» في مديرية «راي بريلي» بالهند في شهر المحرم من عام 1332هـ - 1913م. وقد التقيته في صيف 1413هـ - 1992م بدلهي فوجدت فيه أبا روحيًا لمسلمي الهند جميعًا. ولجهوده حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1400هـ. أدام الله بقاءه ونفع به الإسلام والمسلمين.
5-7- الإمام أحمد بن عبدالرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي: ص 37، 61، 64، 101.

تدريس الأدب

أنموذج وتحليل

يقدم الأنموذج والتحليل المترجمان هنا حالة نموذجية يمكن الاستفادة منها كثيراً في تدريس الأدب. إذ يكاد جل الاهتمام في مجال طرائق التدريس ينصب على مشكلات الدرس اللغوي، ولا يحظى الدرس الأدبي بالاهتمام الذي يستحقه. في هذا المقال، المترجم عن كتاب صدر عن دار لونغمان عام 1992م بعنوان: «تدريس الأدب»، محاولة جادة لاستقصاء كل الوسائل التعليمية التي يمكن استخدامها في تدريس نص أدبي (هو قصة قصيرة هنا) بغية توصيله أدبياً ولغوياً إلى الطلبة. وهي محاولة يمكن أن ينتفع بها أساتذة الأدب في معاهدنا التعليمية كثيراً.

Ronald Carte
&
Michael N. Long

Teaching Literature

Longman, 1992

تأليف:
رونالد كارتر ومايكل ن. لونغ
ترجمة :
فلاح رحيم

الأنموذج:

قلوب وأيد

قصة قصيرة

بقلم: أو. هنري

في دينفر صعد إلى عربات القطار المتجه إلى «بوسطن» و«مين» عدد كبير من المسافرين. في إحدى العربات كانت تجلس فتاة بارعة الحسن، ترتدي ملابس جميلة فاخرة. كان بين الصاعدين الجدد رجلان. الأصغر عمراً وسيم الطلعة يتسم وجهه وسلوكه بالجرأة والصدق. أما الآخر فقد كان شخصاً كبير الوجه وحزينه يرتدي ملابس خشنة. كان يكبل الرجلين الواحد إلى الآخر قيد مشترك.

اجتازا ممر العربة، وكان المقعد الشاغر الوحيد هو ذلك الذي يواجه المرأة الشابة، وفيه جلس الرجلان المكبلان. سرعان ما ألقت المرأة عليهما نظرة غير آبهة. بعدها رفعت يداً مغطاة بقفاز رمادي اللون، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة رائعة. عندما تكلمت نم صوتها على كونها معتادة الكلام، وأن يصغي إليها الآخرون.

ـ حسناً، سيد إيستون، إن كنت ستجبرني على أن أبدأ بالكلام فأعتقد أن عليّ أن أفعل ذلك. ألا تبادر أصدقاءك القدماء بالتحية أبداً حين تلتقي بهم في الغرب؟

استقام جسد الرجل الشاب بحركة حادة عند سماع صوتها. بدا أنه يصارع شيئاً من الارتباك، استطاع أن يلقي به جانباً على الفور. بعدها أمسك أصابعها بيده اليسرى وقال مبتسماً :

ـ إنها الآنسة فيرتشايلد. أرجو منك أن تعذري اليد الأخرى فأنا عاجز عن استخدامها في الوقت الحاضر.

وهنا رفع قليلاً يده اليمنى التي كانت مكبلة من الرسغ بسوار لامع إلى يد شريكه اليسرى. تحولت النظرة السعيدة في عيني المرأة تدريجياً إلى نظرة تنم

على الرعب المذهول. تلاشى الوهج المرتسم على وجنتيها. أوشك إيستون، وقد أطلق ضحكة صغيرة، كأنه مستمتع بما يحدث، أن يتكلم مرة أخرى عندما أوقفه الرجل الآخر. وكان الرجل الحزين الوجه قد بقي يرصد وجه المرأة الشابة بعينيه الحادتين المتقصيتين.

ـ أرجو المعذرة لاشتراكي في الكلام أيتها الآنسة. لكني أرى أنك تعرفين المارشال هنا. إن طلبت منه الإدلاء بكلمة لصالحي عندما نصل إلى السجن، فلا بد أنه سيفعل. إن من شأن ذلك تسهيل الأمور عليّ هناك، فهو يقودني إلى سجن ليفنورث. عقوبتي سبع سنوات لقيامي بالتزوير.

ـ أوه!..

قالت وهي تتنفس الصعداء وتسترد لونها. ثم أضافت:

ـ إذن هذا هو ما تفعله هنا. مارشال!

قال إيستون بهدوء:

ـ عزيزتي الآنسة فيرتشايلد، كان محتومًا عليّ أن أفعل شيئًا ما. للمال طريقته الخاصة في اكتساب الأجنحة. تعلمين أن تزجية الوقت مع الزمرة في واشنطن كان يتطلب الكثير من المال. ولقد وجدت هذا المنفذ في الغرب، ثم... حسنًا، لا يتمتع منصب المارشال بالرفعة التي تميز منصب السفير، لكن...

قالت بنبرة دافئة:

ـ لم يعد السفير يتصل قط. وكان عليه الكف عن ذلك من الأساس. يجب أن تعرف هذا. إذن فأنت الآن واحد من أبطال الغرب المندفعين إياهم. تركب الخيل وتطلق النار وتقتحم شتى أنواع المخاطر. إنها حياة تختلف عن حياة واشنطن. لقد افتقدك أفراد الزمرة القديمة.

عادت عينا المرأة في اهتمام وقد اتسعتا قليلاً لتستقرا على القيد اللامع. قال الرجل الآخر:

ـ لا تقلقي بشأنه أيتها الآنسة. كل المارشالات يشدّون أنفسهم بالقيود إلى سجنائهم لمنعهم من الهرب. السيد إيستون يعرف عمله جيدًا.

سألت الآنسة فيرتشايلد:

ـ هل سنراك مرة أخرى في واشنطن؟

قال إيستون:

ـ ليس في وقت قريب. لقد انتهت أيام اللهو في حياتي.

قالت:

ـ أحب الغرب.

كانت عيناها تشعان نعومة. جالت بنظرها بعيدًا خارج نافذة القطار. ثم بدأت تتكلم بصدق وبساطة، ناسية تنميق الأسلوب والتأنق في الحديث:

ـ لقد أمضيت الصيف مع أمي في دينفر، ثم عادت هي إلى البيت الآن. أبي كان مريضًا. أستطيع أن أحيا وأكون سعيدة في الغرب. أعتقد أن الهواء هنا يناسبني. ليس المال كل شيء. لكن الناس عادة ما يسيئون فهم الأشياء ويصرون على الغباء...

ـ عفوًا أيها السيد المارشال.

دمدم الرجل الحزين الوجه وأضاف:

ـ ليس هذا عدلاً. أنا بحاجة إلى شربة ماء. ألم تتكلم بما فيه الكفاية؟ هل تسمح بأخذي إلى عربة الطعام؟

وقف المسافران المقيدان الواحد إلى الآخر، كانت الابتسامة المتمهلة نفسها ما تزال مرتسمة على وجه إيستون. قال بتخفف:

ـ لا أستطيع أن أرفض تلبية حاجة إلى الماء. إنه الصديق الوحيد للتعساء. وداعًا آنسة فيرتشايلد. الواجب يدعوني، كما تعلمين.

ثم مد يده للتوديع.

ـ من السيئ جدًا أنك لا تتجه إلى الشرق.

قالت ذلك وقد تذكرت كياستها وأسلوبها، وأضافت:

ـ لكن عليك أن تذهب إلى ليفنورث كما أعتقد؟

قال إيستون:

ـ نعم، يجب أن أذهب إلى ليفنورث.

بعدها شق الرجلان طريقهما عبر الممر إلى عربة الطعام.

كان ثمة مسافران في مقعد مجاور وسمعا أغلب أطراف الحديث. قال أحدهما:

ـ ذلك المارشال رجل من النوع الطيب. بعض رجال الغرب هؤلاء حسنو الأخلاق.

سأل الآخر:

ـ ألا تعتقد أنه صغير على شَغْل منصب كهذا؟

ـ صغير؟!

هتف المتحدث الأول مندهشًا:

ـ ماذا ... أوه ...ألم تلاحظ؟ قل لي، هل عرفت قط ضابطًا قيّد سجينًا إلى يده اليمنى؟

التحليل

1ـ مقدمة:

سنقترح في هذا الفصل القصير خطة تدريسية أولية لقصة قصيرة كاملة. والقصة هي: «قلوب وأيد» للكاتب الأمريكي أو. هنري المنشورة أعلاه. في القسم الأول من هذا الفصل سنقدم قائمة من الاقتراحات التدريسية ينسجم تسلسلها إلى هذا الحد أو ذاك مع تسلسل تقديمه في قاعة الدرس. وتبدأ النقاط بأسئلة ترمي إلى استثارة فهم أساسي لبعض الموضوعات في القصة، ثم تنطلق بعدها لولوج مداخل أكثر اعتمادًا على الناحية اللغوية. الأقسام التالية توفر تعليقًا على خطة التدريس وتولي اهتمامًا خاصًا لتنظيم الأسئلة وفق تتابع معين، ولدمج المداخل المستخدمة. إن الغرض الرئيس من هذا الفصل هو استكشاف طرق يمكن من خلالها جمع المداخل التي تعتمد اللغة مع تلك الأكثر عمومية من خلال علاقتهما بنص واحد.

2ـ نقاط تدريسية:

1/2ـ فعاليات ما قبل القراءة:

أحد الاحتمالات الممكنة هنا ترتيب مناقشة هرمية تركز على المواقف المختلفة تجاه المال والثروة الشخصية. إن موضوع المال يتردد في عدة أماكن من القصة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. بل إن هناك عبارتين تتعلقان بالمال يمكن أن نستخدمها ضمن المقولات التي سنطرحها للمناقشة: «ليس المال كل

شيء، للمال طريقته في اكتساب الأجنحة». المطلوب من الطلبة هنا العمل كجماعات لتقرير مع أي العبارات يتفقون أكثر من سواها في كل نقطة. ويجب أن يكونوا قادرين بالطبع على إيضاح السبب الذي يجعلهم يستبعدون عبارات معينة.

لن تشتري الحب بالمال

ليس المال كل شيء

المال يتكلم

سرعان ما يقع الفراق بين الأحمق وماله

الأشجار لا تثمر مالاً

حبُّ المال جذر كل الشرور

للمال طريقته الخاصة في اكتساب الأجنحة

المال هو المحرك للعالم

لكل امرئ ثمنه

تشمل الاحتمالات الأخرى المتصلة بفعاليات ما قبل القراءة الرامية إلى تنمية الإحساس بالموضوع فعالية الترتيب حسب الأهمية التي يجب أن يتم خلالها وضع العبارات في تدرج حسب صدقها في التعبير عن التجربة المعيشة بالنسبة لمجموعة أو أشخاص يعملون منفردين، أو يمكن ابتكار تمرين في تحديد الصح والخطأ بالنسبة لمجموعة أو ثنائي أو فرد واحد أيضًا، يتم فيه تقديم خيارات أكثر صرامة. ومثال ذلك:

	صح	خطأ
المال هو المحرك للعالم		
حب المال جذر كل الشرور		

ضع علامة ✓

إن فعالية الصح والخطأ هذه مصممة بشكل متعمد لتفرض اتخاذ القرارات، على الرغم مما يمكن أن يتضح من أن صحة بعض العبارات أو خطأها سيكون معتمدًا على السياق. ومن المهم أيضًا الانتباه لخطر مصادرة ردود فعل القراء إزاء النص، ومن الضروري القول إن «المال» ليس بالضرورة الموضوع الرئيس أو الوحيد لهذه القصة.

2/2- التوقع:

تمتلك هذه القصة خطًا سرديًا قويًا نسبيًا، وتسلم نفسها على نحو حسن لممارسة تمارين التوقع. وأدناه قائمة ببعض النقاط يمكن لقراءة جماعية للقصة التوقف عندها للنظر في توقعات تتعلق بما سيأتي لاحقًا:

* «كان يكبل الرجلين الواحد إلى الآخر قيد مشترك».

- عم ستدور القصة؟
- ما الذي سيحدث «للمرأة الشابة الجذابة»؟
- من هو السجين: أهو الرجل الأصغر أم الرجل الكبير الذي «يرتدي ملابس خشنة»؟

* «وقف المسافران المقيدان الواحد إلى الآخر».

- هل تم الوفاق بين الآنسة فيرتشايلد والرجل الشاب؟
- هل الرجل الشاب هو فعلاً المارشال أم إنه السجين؟
- كيف ستنتهي القصة؟

3/2- القراءة بصوت عال:

بعدها يمكن قراءة القصة عال بصوت من قبل المدرس مع تأكيد العبارات المتعلقة بالمال بشكل خاص.

4/2- أسئلة:

النقطة التالية في هذا الدرس هي استثارة استجابات لدى الطلبة من خلال طرح الأسئلة. ونقدم هنا مجموعة من الأسئلة ترتبط أساسًا بالموضوع والشخصية مبتدئين بأسئلة أكثر انغلاقًا منطلقين منها إلى أسئلة أكثر انفتاحًا، وتتطلب من الطالب القيام بنشاط استنتاجي أعظم:

1- ما البلد الذي تعتقد أن أحداث هذه القصة تقع فيه؟

2- ما المرحلة التاريخية التي تعتقد أن الفعل يتم خلالها؟

3- كم شخصية توجد في القصة، ومن الشخصيات الثلاث الرئيسة؟

4- مَن من الشخصيات كانا صديقين قديمين وأين تعارفا في السابق؟

5- أي من الشخصيات تنطبق عليه هذه الصفات أكثر من غيره: ثري، واثق، متأنق؟

6 - أي من الشخصيات يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفات أكثر من غيره: جاد، حذر، شفوق؟

7- ضع قائمة من الصفات تصف بها الشخصية الرئيسة الثالثة.

8- لماذا، حسب اعتقادك، أسمَى الكاتب السيدة الشابة الآنسة «فيرتشايلد» (يعني الاسم «الطفلة الجميلة»)؟

9- هذه القصة حافلة بالمتضادات (مثلاً اليمين ضد اليسار، الشرق ضد الغرب). ضع قائمة من الكلمات أو العبارات أو الصور المتضادة.

10- ما أهمية هذه المتضادات للقصة حسب رأيك؟

11- ما الكلمات التي تكررت أكثر من غيرها في هذه القصة؟

12- ما أهمية هذه التكرارات؟

13- ما أهمية السطور التالية بالنسبة لبناء الحبكة: «أرجو المعذرة لاشتراكي في الكلام أيتها الآنسة. لكن أرى أنك تعرفين المارشال هنا. إن طلبت منه الإدلاء بكلمة لصالحي عندما نصل إلى السجن فلا بد أنه سيفعل»؟

14- عبر وجهة نظر أي الشخصيات يتم سرد القصة؟

15- أعط مثالاً واحدًا على التهكم في هذه القصة.

16- لأي شيء تشير «الأساور اللامعة» في القصة؟

17- ما المفاجأة في السطور الثلاثة الأخيرة من القصة؟

18- ما اسم المزوِّر؟

19- هل يوجد مفتاح في القصة يشير إلى السبب المحتمل لارتكاب هذه الجريمة؟ إن وجد فأين؟

20- أي العناوين التالية تراه أكثر ملاءَمةً للقصة، ولماذا؟

أ - الشرق والغرب.
ب - المزوِّر.
جـ - قلوب وأيد.
د - القيود.
هـ - ليس المال كل شيء.
و - لكل امرئ ثمنه.

(لاحظ أن المدرس سيحتاج في الأساس إلى تقديم القصة من دون عنوانها).

5/2- فعاليات ما بعد القراءة:

هنالك عدد من الاحتمالات لأسئلة وفعاليات ترمي إلى المتابعة يمكن أن تخدم في زيادة قوة العمل السابق وتنمية المزيد من التأويلات للقصة. نقدم هنا اثنين منها:

أ - الرسائل: المفكرة

يمكن أن يُطلب من الطلبة كتابة رسالة من الآنسة فيرتشايلد إلى صديقة حميمة تعيد فيها سرد وقائع لقائها مع السيد إيستون، أو رسالة من المارشال إلى صديق يشرح فيها ما فعله من سماحه للآنسة فيرتشايلد الافتراض بأنه هو السجين، أو فقرة

مخصصة لذلك اليوم في مفكرة السيد إيستون. إن الغاية من الرسالة إلى صديق حميم أو المفكرة هي أنهما سياق مناسب لكشف المشاعر الداخلية، وتوفير فرصة لوضع الفرضيات بخصوص وجهات النظر النسبية للشخصيات الرئيسة الثلاث واستكشافها. وستكون النتيجة في تناقض مع القصة نفسها التي تتميز بالتكتم والضمنية في مثل هذه المناطق. وهذا التناقض يمكن أن يساعد في تذوق الطريقة التي كُتبت بها القصة. وإذا شئنا المزيد من التمارين في إعادة الكتابة فإنها يمكن أن تتضمن تحويل وجهة النظر.

ب ـ سرد الأحداث (السيناريو) عبر وسيلة أخرى:

يمكن هنا أن تعمل المجموعات على إنتاج شريط مرئي أو فيلم قصير عن «قلوب وأيد». ويتم تقديم القائمة التالية من النقاط لتنظر فيها المجموعات أو تستفيد منها في اتخاذ القرار. والعديد من هذه النقاط يعتمد على الطريقة التي تم بها تأويل القصة والمعاني التي عُدّت رئيسة فيها:

1ـ هل يكون الفيلم بالألوان أم بالأسود والأبيض؟ هل يكون بعضه ملونًا والبعض الآخر بالأسود والأبيض؟

2ـ هل يصاحبه تسجيل صوتي؟ وإن كان كذلك فأي شكل سيتخذ؟

3ـ هل تستخدم تقنية الرجوع إلى الماضي (فلاش باك)؟

4ـ في أي نقاط من السرد ستكون هناك لقطات قريبة على مختلف الشخصيات.

5ـ كيف ستُقدَّم القيود سينمائيًا؟

6ـ كيف يمكن إبراز أهمية اليد اليسرى/ اليمنى تصويريًا؟

7ـ هل يمكن تقديم التمايز بين الشرق والغرب (الحرية واقتناص الفرصة اللذان يتخذان شكلاً تهكميًا في حالة إيستون ـ وهما السائدان في الغرب ـ، بالمقابلة مع الاهتمام أساسًا بالمال و«الأسلوب واللياقة» في الشرق)؟ إن كان ذلك ممكنًا، كيف؟

8ـ صف أو حاول أن تجد صورًا لممثلة تؤدي دور الآنسة فيرتشايلد. ما أسباب اختيارك لها؟

9ـ ما أهمية المكان (أي وقوع اللقاء في قطار)؟، ما الذي سيتم التركيز عليه في الفيلم؟

10ـ يمكن تصوير الأيدي سينمائيًا، ولكن كيف يمكن تقديم القلوب تصويريًا؟

3ـ وضع التتابع ودمج المداخل:

لقد جمعنا في هذا الفصل عددًا من الخطط والمداخل من أجل تشكيل مدخل متماسك تُدرس من خلاله قصة «قلوب وأيد». في هذا القسم سنحاول استخلاص بعض النتائج العامة المتعلقة بوضع تتابع للمداخل ودمجها معًا. بالنسبة لحالة «قلوب وأيد» نقدم هنا قائمة بالخطط حسب تعاقبها مع إيضاح سبب وضع كل فعالية في مكانها الخاص من التتابع:

1ـ المدخل الأول هو المناقشة الهرمية، وهي مصممة لتشجيع استجابة معينة للموضوع (وهو هنا المال)، وخلق ألفة شخصية مسبقة مع النقطة المطروحة في القصة. كما أن التجربة الشخصية تُستثار منذ البداية.

2ـ تمرين التوقع مصمم لتطوير الإحساس بتشكيل الحبكة والشخصية. والتمرين التام يؤسس إحساسًا بالقصة ككل ووعيًا أوليًا بالعلاقة بين موضوع المال والطريقة التي تتطور بها الحبكة وتُقدَّم بها الشخصيات.

3ـ القراءة بصوت عال تقوي الإحساس بالكل.

4ـ سلسلة الأسئلة تحث على المزيد من الألفة والتجاوب. والأسئلة بدورها خاضعة لتتابع معين، فهي تبدأ بأسئلة تعتمد على المعلومات يمكن التقاط الإجابات عنها بسهولة من النص نفسه. بعدها تتضمن الأسئلة تحويل كلمات مفردة إلى شخصيات معينة. ثم بعدها سؤال يمس ارتباطات أكثر رمزية. هذا السؤال يعقبه مزيد من الأسئلة اللغوية التي تنطوي على المزيد من التحليل النصي التفصيلي. وهذه تقود بدورها إلى أخذ وجهة النظر وتقديم بنية الأحداث بنظر الاعتبار، وهو ما يتطلب الانتباه إلى اللغة وإلى التوصيل الشكلاني للشخصية عبر اللغة، وإلى العلاقات المشتركة بين الشخصيات والموضوعات المتطورة للقصة. بعدها تنتقل الأسئلة من هذا الاستكشاف للشكل واللغة باتجاه استفسارات تتطلب استنتاجًا وتأويلاً خاصين. وتختتم الأسئلة بطلب استنتاجات مفتوحة بعد أن بدأت بتركيز أكبر على الأجوبة المغلقة والوقائعية.

5ـ يمكن وضع التعاقب العام لهذه القصة بالشكل التالي:

الأسئلة **1**ـ**4**: المضمون، اعتماد المعلومات.

الأسئلة **5**ـ**7**: الاهتمام الابتدائي باللغة.

السؤال **8**: الحث على التأويل.

الأسئلة **9**ـ**12**: أسئلة ذات توجه لغوي، مزيد من الحث على التأويل.

الأسئلة **13**ـ**17**: العلاقة بين الشكل والمعنى، الاهتمام ببناء القصة وأهميته.

الأسئلة **18**ـ**20**: المزيد من الحث على التأويل واستكشاف معاني القصة.

6ـ الفعاليات التي تعقب القراءة مصممة لتدمج:

أ ـ المداخل المستندة إلى اللغة: الطلاب يستخدمون اللغة لفعاليات تعبيرية هادفة.

مع ب ـ المزيد من استكشاف الموضوع والشخصية وتأويل متطور للنص.

مع ج ـ المزيد من الاستغراق الإبداعي مع النص عبر عملية مقارنة ومقابلة شكلية.

مع د ـ طرق تعليمية تتركز على المتعلم وتعتمد على القيام بفعاليات وتكون منتجة للغة، تستمد مادتها من تجارب الطلبة الخاصة.

4ـ استنتاجات:

من الخطير بالطبع الإقدام على تأسيس أية مبادئ مطلقة عندما تكون الاستنتاجات عامة بالضرورة ومؤقتة ومستمدة في أنموذج قصة قصيرة واحدة. النقاط التي طرحناها هنا لا تقصد إلا إلى الحث على المناقشة. فكل قصة ستتطلب مداخل مختلفة، ولا يمكن للخطط كلها أن تعمل بالقدر نفسه من الفعالية مع سائر النصوص. وبالمثل فإن تتابعات مختلفة ودرجات مختلفة في الدمج يمكن تطبيقها مع قصص أخرى ومع الأجناس الأدبية الأخرى من شعر ومسرحية. هنالك أيضًا قضايا يفضل الإبقاء على الصلة معها، هي:

- ـ وضع متتاليات اللغة.
- ـ وضع متتاليات المحتوى.
- ـ وضع متتاليات الفعاليات.
- ـ وضع متتاليات الغايات.

والتي ستكون نسبية حسب خصوصية المادة الدراسية أو الثقافية أو الحالة اللغوية للطلبة ومدى سعة تجاربهم... الخ. لكننا نأمل مع ذلك أن نكون قد نبهنا على أهمية مثل هذه القضايا وأسسنا إطارًا ابتدائيًا يمكن اختبارها ضمنه بطريقة نظامية. كما أن دراسة النموذج الذي قدمته هذه القصة يمكن أن يخدم كأداة وصل بين مناقشة المداخل التعليمية الأولية والفعاليات والمداخل المخصصة لطلبة الأدب الأكثر تقدمًا.

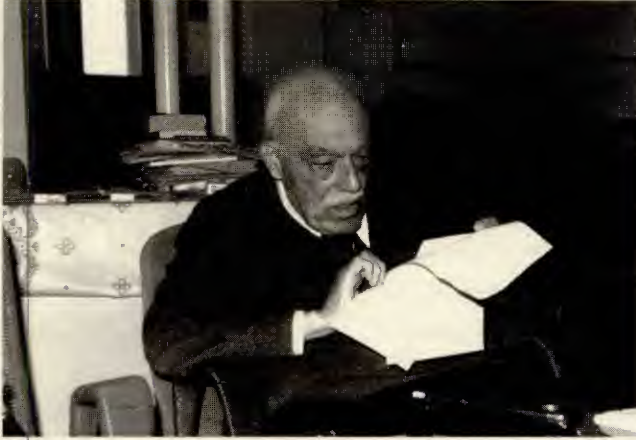
Ronald Carte
&
Michael N. Long
Teaching Literature
Longman, 1992

ظاظا في «منتدى الفيصل»

يسر مجلة «الفيصل» أن يكون الأستاذ الدكتور حسن ظاظا هو ضيف الباب الجديد «منتدى الفيصل» - نُوِّه به في الغلاف الأخير - في حلقته الأولى، التي ستُنشر في شهر شوال القادم؛ نظرًا لما لمسناه من إقبال القراء على سلسلة مقالاته التي تنشرها المجلة شهريًا، وكثرة الأسئلة التي ترد إليه منهم.

وهذه نبذة قصيرة عن الدكتور حسن محمد توفيق ظاظا وأفكاره الواردة في بعض مؤلفاته:

- من مواليد القاهرة 1919م.
- ليسانس اللغة العربية واللغات السامية، جامعة القاهرة، 1941م.
- ماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي 1946م، وعنوان الرسالة «أثر الفكر الإسلامي في الفكر العبري في إسبانيا الإسلامية».
- دبلوم الدولة العالي في الآثار وتاريخ الفن والحضارة، مدرسة اللوفر بباريس 1951م.
- دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس 1955م.
- دكتوراه الدولة في الآداب، جامعة السوربون، فرنسا 1958م، وعنوان الأطروحة «القَسَم عند اليهود الساميين القدماء».
- عمل معيدًا ومحاضرًا ومدرسًا إلى أن شغل كرسي الدراسات اللغوية بجامعة الإسكندرية في 1969م، حتى بلوغ سن المعاش عام 1979م.
- دَرّس في جامعات عين شمس، والقاهرة، والأزهر، ومعهد الدراسات السامية (مصر)، ومحمد الخامس (المغرب)، وبيروت (لبنان)، والموصل وبغداد والبصرة (العراق)، والخرطوم وأم درمان (السودان)، ومدير مؤسس لمعهد اللغات الشرقية والحضارة العربية الإسلامية في جامعة مالطة.
- أستاذ فقه اللغة والدراسات العبرية بجامعة الملك سعود مدة 12 عامًا.



أفكار من مؤلفاته:

«اللغة نشاط فكري وظاهرة اجتماعية تلازم البشر، وتحيا حياتهم، أي إنها تسير على سنة التطور الذي يعتري الناس».

اللسان والإنسان.. مدخل إلى معرفة اللغة
دار الفكر العربي، القاهرة 1971م

«اليهود يكادون يكونون الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها، ووضعته في إطاره الإنساني حسب هواها».

الصهيونية العالمية وإسرائيل
الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية، القاهرة 1971م

«إذا كان العالم الإسلامي، وكثير من مفكري المسيحية أيضًا، قد امتعضوا وتبرَّموا بالتسرب الفكري الإسرائيلي إلى تراثهم، فإن اليهود، من ناحيتهم، يباهون بذلك ويفخرون به».

الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه
معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1971م

«إدخال الألفاظ الأجنبية ليس بدعًا، ولا خطرًا يُخشى منه، إذا تناوله الكتاب والعلماء والمستعملون للغة بما ينبغي من الوعي والاحتياط».

كلام العرب.. من قضايا اللغة العربية
دار النهضة العربية، بيروت 1976م.

«إذا فكر واحد من «الجوييم» في اعتناق اليهودية، فإن الحاخام يبدأ بامتحانه وسؤاله والتشديد عليه، لعله يفلح في صرفه عن الدخول في شعب الله المختار».

أبحاث في الفكر اليهودي
دار القلم، دمشق، دارة العلوم، بيروت 1987م.

«في كل بلاد العالم المتقدمة والنامية، ترتفع الصيحات بإصلاح الإدارة، ثم يسفر ذلك عن مزيد من الورق والمكاتب ووسائد الجلد المستديرة، بينما الإصلاح الحق في التبسيط وحذف الزوائد التي تنمو مع الزمن».

«.. فكما أن الإنسان حيوان ناطق، وحيوان ضاحك، فهو حيوان ناقد، ولكن بهذا الشرط: أن يعبر عن ذوقه، استحسانًا واستهجانًا، دون أن يكون مطالبًا بتعليل ذلك».

الكشكول
مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض 1994.

نتائج انحراف الأحداث أشدّ خطرًا من نتائج الحروب

د. تماضر حسون

قد تكون ظاهرة انحراف الأحداث في الوطن العربي أكثر خطورة وأشد إفزاعًا من أخبار الحروب والكوارث، لأنها تتعلق بشيء أكثر عمقًا، وهو: كيف تتشكل القيّم، ويُبنى الوجدان، وكيف يتبلور الإدراك، وكيف تُغرس محبة الإنسان واحترامه لكونه إنسانًا بغض النظر عن عرقه وجنسه ولونه؟ إنه الموضوع الذي يتعلق بـ: كيف تتم تنشئة الطفل العربي ومن يقوم على هذه التنشئة، وما تأثير هذه التنشئة في أمن المجتمعات العربية واستقرارها؟

إن ظاهرة انحراف الأحداث في الوطن العربي، بدأت تشكل قضية كبرى ذات أبعاد إقليمية وقومية، ويمكن لأشكال معينة من الانحراف أن تعوّق عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومن ثم السياسية، وأن تهدد أمن الإنسان العربي وحقّه في الأمن والاستقرار، ولاسيما أن الوطن العربي من محيطه إلى خليجه يشهد منذ بداية الستينيات تحولات اقتصادية وثقافية سريعة، نتيجة لتغيرات داخلية وخارجية لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة من حيث شمولها لقطاعات الحياة المختلفة، ومن حيث معدلاتها في التسارع. وقد نجم عن هذه التغيرات تحديات جديدة تقتضي إعادة التفكير في أنواع المسؤوليات الملقاة على عاتق الفرد، وفي المطالب اللازمة لإعداده لمواجهة هذه التحديات تحقيقًا لأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحسين مستوى الإنسان العربي وأمنه.

ومع التأكيد بأن النمو الاقتصادي والانفتاح الاجتماعي والثقافي الذي شهدته المنطقة العربية، لا يشكلان بحد ذاتهما سببًا للانحراف، بل يسهمان في تحسين الظروف المعيشية والثقافية والاجتماعية للفرد، عندما تُوزّع ثماره بعدالة بين مختلف أقطار الوطن العربي، إلا أن النمو الاقتصادي والانفتاح الاجتماعي والثقافي، إذا لم يُخطَّط لهما تخطيطًا واعيًا وهادفًا على النطاقين الإقليمي والقومي، فقد يسهمان في إحداث زيادات في معدلات الجريمة والانحراف عند الراشدين والأحداث على حد سواء. لذا فإن الوضع يتطلب من المجتمع العربي الكبير اتخاذ إجراءات وخطط اقتصادية واجتماعية وثقافية متضافرة ومتماسكة لتقليص فرص ارتكاب الجريمة وممارسة الأفعال الانحرافية، بالتصدي للعوامل الاجتماعية والاقتصادية ذات العلاقة، مثل الفقر، والبطالة، والتشرد، وتحسين ظروف التعليم، وتحسين ظروف العمل، وخلق فرص للعمل، والاهتمام بشؤون الأسرة، وتحسين ظروف السكن، والاهتمام بتحسين المرافق الصحية والمرافق العامة في الأحياء الشعبية بشكل خاص، وتعميم العلاج المجاني، والإكثار من المؤسسات التي تهتم برعاية الأمومة والطفولة.

إن تيسير ظروف ملائمة ومريحة لتعزيز رفاهية الحدث، هي جزء لا يتجزأ من عملية التنمية الشاملة، ففي هذه المرحلة من العمر قد يكون الحدث أشدَّ عُرضةً للانسياق في الانحراف، وعملية تنمية شخصيته وتربيتها ضمن إطار اقتصادي واجتماعي وثقافي ملائم تكون عونًا لحماية الصغار والحفاظ على نظام اجتماعي سليم للمجتمع، فقد كشفت نتائج العديد من الدراسات والبحوث العلمية التي تمت في مجال الجريمة والانحراف عن علاقة إيجابية واضحة بين المجرم البالغ وماضيه حين كان حدثًا منحرفًا، أي إن عددًا كبيرًا من المجرمين اليوم، كانوا قد وقعوا في الانحراف عندما كانوا أحداثًا. وإذا كان القالب الأولي هو الأساس المنطقي والمنطلق، فإن توسع المعرفة والوعي ومجال التغيير كلها أمور عظيمة التأثير والأهمية ولا يمكن تحديدها.

وهكذا تبدو أهمية الوسط الذي ينشأ فيه الفرد ويتحكم في مستقبله بعد ذلك بدرجة ساحقة، أي إن البحث عن وسائل وسبل وقاية الأحداث من خطر الانحراف تتحدد في البيئات التربوية المختلفة التي تتناول الفرد وتؤثر في بناء شخصيته وتصنع ظروف حياته ولاسيما في السنوات الأولى.

إن تطور الأحداث المنحرفين وارتفاع نسبتهم خلال العقدين الأخيرين في المنطقة العربية بأكملها، موازنة بأعدادهم ونسبتهم قبل تلك المدة، يعني أن هناك خللاً في مؤسساتنا التربوية، ويقتضي من الحكومات العربية قاطبة توظيف المزيد من الجهود في ميدان الوقاية من انحراف الأحداث على مختلف المستويات.

القيم الجمالية

رؤية إسلامية

د. سعودي عبدالظاهر سيد

يُعدُّ الدين مصدر كل القيم، لأنه دستور المسلمين الجامع الشامل. ومن هذه القيم ما يعرف بالقيم الجمالية. «وتقوم الفلسفة الجمالية على دراسة القيم في عالم الجمال والفن. وهي تتناول الجوانب النظرية للجمال الفني بأوسع معنى له، مع عدم الخلط بينه وبين الأعمال الفنية الفعلية، أو بينه وبين اتجاهات الفن النقدية»(1).

وهناك عدة معايير للجمال الفني، منها «معيار الندرة». وبناء على هذا المعيار يُمتدح الشيء أو يُعدّ جميلاً لندرته. فالشَّعْرُ الأسود قد يكون معياراً للجمال في أوربا لندرته، وبالمثل يمكن أن يكون الشعر الأشقر في البلاد الشرقية جميلاً لندرته أيضا. والمعيار الثاني هو «التماثل» و«التجانس»؛ بمعنى أن الشيء يكون جميلاً إذا تجانست عناصره وألوانه، فرباط العنق مثلاً يجب أن يتجانس مع لون الحلة أو القميص. والمعيار الثالث هو معيار «التباين». وهذا يعني، عكس المعيار السابق، أن أساس الجمال في الشيء تباين ألوانه. وفي مثال الحلة ورباط العنق يجب أن يكون على عكس الأرضية أو الخلفية أو القميص والحلة(2).

مكانة القيم الجمالية

فالقيم الجمالية تحتل مكانة كبيرة في حياتنا، فالحياة من دون إحساس بالجمال تبعث على السأم والشعور بالملل. ذلك أن للجمال قيمة روحية كبيرة، ولو اقتصرت نظرتنا للحياة على جانبها النفعي فقط لأصبحت الحياة مادية آلية رتيبة. ولسادتها النفعية والفَرْضية وحدها، ولاستمر السباق المحموم إلى زيادة المنافع المادية على حساب الأبعاد الروحية والأخلاقية والجمالية للحياة(3).

وتشير الدراسات والبحوث إلى تدهور القيم الجمالية نسبيًا لقلة الميل إلى ما هو جميل من حيث الشكل والمضمون، والتناسق، والدقة، والتوازن والترابط، والتناسب والانسجام. بينما التربية في الإسلام تغرس في نفوس الأفراد المبادئ الجمالية التي تحميهم من الوقوع في القبح، ويتضح ذلك من الأمثلة التالية:

يوجه الله - عز وجل - الأفرادَ إلى الجمال في الكون كله؛ ففي السماء يقول: *وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِين*. **الحِجْر**: 16.

والتناسق في الخلق الذي يبدو جانب صغير منه في مجموعتنا الشمسية بتركيبها الدقيق، وفي توزيع الألوان والظلال والأضواء والكائنات في رقعة البسيطة بصورة تُمتع الحس وتستريح لها العين وتهش لها النفس وتهدأ لها الأعصاب(4).

يقول اللهُ تعالى: *أَلَم تَرَ أن الله أنزل مِنَ السَّمَاء مَاءً فأخرجنا به ثَمَرات مُختلفًا أَلْوَانُها ومِنَ الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ. ومن النَاسِ والدَّوَابِّ والأنعامِ مُختلفٌ أَلوانُهُ كَذَلكَ*. فاطر: 27- 28. *أَلَم تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَ ولو شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا*. **الفرقان**: 45.

دقة عجيبة مذهلة لا تختل قيد شعرة. فهذا الكون الذي يشتمل على بلايين البلايين من النجوم، كلها متحركة لا تفتر عن الحركة لحظة واحدة منذ الأزل السحيق الذي لا يدرك عقل البشرية مداه.. هذا الكون لا يصطدم فيه نجم واحد بنجم، ولا يحدث الخطأ في مدار واحد من مداراته التي تعد بالبلايين.. بالإضافة إلى أنها تبدو في كل شيء... في مطلع الصبح ومغرب الشمس بالنسبة للأرض في موعد مضبوط شديد الانضباط، كما تبدو في لون الزهرة الصغيرة المتعددة الألوان، وفي ريشة الطائر البديع، وفي الخلية التي لا تكاد تُرى، وهي جهاز حي متحرك يحمل كل مقومات وجوده، وفي عدد الصبغيات (الكروموسومات) التي تحملها بعدد مضبوط لا يخطئ .. إلخ(5). ويقول الله تعالى: *والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُستَقَرٍ لَهَا ذَلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العليم. والقَمَرَ قدَّرناهُ مَنَازِلَ حتى عاد كالعُرجُونِ القَدِيم. لا الشَّمسُ يَنبغي لهَا أَنْ تُدركَ القَمَرَ ولا اللَّيلُ سَابِقُ النهار وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*. **يس**: 38 - 40.

تلك دقة معجزة لا يقدر عليها إلا مبدع الكون الواحد الفرد الذي ليس له شريك، وهي دقة جميلة بلا شك... ترهف الحس وتهزه من الأعماق.

والتوازن.. الذي يبدو في اتّزان حركة الأرض وثباتها، وفي عدم طغيان ما عليها من الخلائق بعضها على بعض، كلٌّ له قدره الموزون الذي يكفيه لأداء دوره على الأرض، كما أراده خالقه. يقول الله تعالى: *والأرض مَدَدْنَاهَا وأَلْقَيْنا فيها رَوَاسِيَ وأَنْبَتْنا فيها من كُلِّ شَيءٍ مَّوْزُون*. **الحجر**: 19. والإشارة إلى التوازن هنا إشارة عجيبة، تثير في الحس اليقظة لهذه الصفة التي يتسم بها خلق الأرض كلها وما عليها، كما تصل الحس المتفتح بالله مباشرة.

والترابط.. الذي يبدو في اجتماع هذه الخلائق على أصل واحد، ومصير واحد، واشتراكها في نشاط واحد يربط بينها جميعا. يقول الله تعالى: *واللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّة مِّن مَاء فمنهم مَّن يَمشِي على بَطْنه ومِنْهُم مَّن يَمشي على رِجْلين ومِنْهُم مَّن يَمشِي على أَربَع يَخلُقُ الله ما يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ*. **النور**: 45.

فهناك ارتباط في المنشأ، وارتباط في صفة الحياة التي تجمعهم فيها كلمة «مَنْ» تربط بين العاقل وغير العاقل: من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع.

والحركة الحية، التي تبدو في كل شيء على سطح الأرض، وحركة الأحياء من نبات وحيوان

وطير وإنسان. وحركة البحر والنهر والمحيط، وحركة الحياة والموت، وما تنقصان من هنا وتزيدان من هناك، وحركة الأضواء والظلال والنهار والليل... إلخ(6). والقرآن يبرز هذا التنوع الحركي إبرازًا حتى يصل إلى دقة مبدعة في التصوير في مثل قوله: *وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ*. **الرعد**: 15. وقوله: *وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ*. **التكوير**: 17- 18.

وهذه الحركة جمال فائق فوق كل جمال.

تلك قيم الجمال في الأرض، فإذا انتقلنا إلى الإنسان وجدنا قيم الجمال فيه هي ذاتها. ومن ثم يتعين الجمال في الحياة الإنسانية بصفة عامة.. «إنه نظام مطلق من الضرورة، هذا النظام يقتضي موازنة الكيان البشري كله في داخل النفس وفي واقع الحياة، يقتضي في داخل النفس ألا يصبح الإنسان جسدا وحده أو عقلا وحده أو روحًا بمفردها، وإنما كيان واحد ينظم كل هؤلاء»(7).

تحقيق الشعور بالقيم الجمالية في المدركات الحسية

بناء على ما سبق يتضح أن لكل عنصر من المخلوقات الكونية شكلاً خاصًا قد جعله الله مُباينًا لغيره من العناصر الأخرى، فقد ترتب على ذلك الأمر تيسير سبل الحياة، فأينما يكن الإنسان يجد مجالاً قد تباينت مكوناته أو عناصره، ذلك التباين قد يكمن فيما بين تلك العناصر من اختلافات في الشكل أو اللون أو الحجم أو الملمس السطحي وغير ذلك. وهذه الاختلافات وغيرها تحقق للإنسان سهولة التمييز بين الأشياء وسرعة الاستدلال عليها في وقت قصير، وبذلك يمكن التعامل مع الأشياء المختلفة بيسر.

وإلى جانب ما يؤديه التباين من أهمية وظيفية للكائن الحي تساعده في تيسير سبل التكيف والتعامل مع متطلبات الحياة، «فإنه يحق للإنسان الشعور بما أودعه الله في المدركات الحسية من قيم جمالية مختلفة، ولكي يتحقق للإنسان ذلك الشعور، فإن التدبر في مخلوقات الله وإمعان النظر في كل ما يقع عليه بصره من مدركات ومحاولة كشف ما بينها من تباين، إنما هو بداية الطريق للوقوف على مواطن الجمال فيها(8). وبذلك فإنه يصبح قادرا على التذوق فتنمو أحاسيسه ويرقى وجدانه، ومن هنا يتحقق للإنسان أسمى هدف يمكن أن يسعى إليه، ألا وهو زيادة الإيمان بقدرة الخالق رب العرش العظيم.

القيم الجمالية والتربية في الإسلام

يرى «كانت» الفيلسوف المعروف «أن الذوق هو الذي يسمح لنا بأن ننقل للآخرين عواطفنا الخاصة فنشبع بذلك ميلنا الفطري للاتصال بغيرنا. ولو قُدِّر لإنسان ما أن يعيش منعزلاً عن الآخرين لما خطرت على باله أفكار الزينة والتجمل. فكثير من الناس لا يستشعرون الجمال حينما يكونون بمفردهم. ولكنهم بمجرد وجودهم في وسط الحياة يجدون لذة كبرى في أن ينقلوا للآخرين مشاعرهم وأن يستمتعوا بوصف مشاعر الآخرين»(9).

فالجمال وتذوقه وتربيته، ضروري لحياة الإنسان على هذه الأرض، وهو أساس من أسس الشخصية المتكاملة والمتوازنة؛ لأنه يسمو بالإنسان فوق حيوانيته، ويجعله يعيش وسط إنسانيته، وهذا هو السر في مناداة المسلمين وأصحاب الرسالات بضرورة التأمل والتذوق والكشف عن أسرار الكون والطبيعة، يقول الله تعالى: *قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ*. **آل عمران**: 137. ويقول تعالى: *وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ*. **الذاريات**:21. وعَمًّا في المخلوقات من كمال وجمال. فلا يعقل أن تكون الحياة خلواً من القيم الجمالية السامية التي تجعل من الإنسان إنسانًا؛ فنانا ذا حس جمالي رفيع. إلى جانب مهنته ووظيفته الأساسية، فيكون مرهف الحس رقيق الشعور، لا متبلدًا ولا جامدًا، بل حسن الذوق والتذوق، يمكن أن يضيف من لمسات الجمال الشيء الكثير، فتعطي لحياته معنى، ولمجتمعه كله ذوقًا رفيعًا(10).

ومن هنا يمكن القول إننا في حاجة ملحة إلى تنمية الإحساس بالجمال وتذوقه في وجدان النشء، مما يسهم في تقدم مجتمعاتنا التي غشيتها مسحة صناعية آلية نتيجة التقدم العلمي الهائل الذي كان من نتائجه في أمتنا ـ بكل أسف ـ إهمال تنمية التذوق الجمالي(11).

في حين نجد أن القرآن الكريم في هذا الجانب الجمالي من تربية الإنسان المسلم يقدم في عديد من آياته الصور الجمالية، ويحكم عليها بما يُشعر الإنسان بضرورة نظرته الجمالية حتى تتلاءم مع الحقيقة، فيترتب على ذلك صحة السلوك، وهذا من الوجهة التربوية توحيد للذات الإنسانية، وربط وثيق بين ملكاتها، وتهيئة حقيقية لأنسب الظروف للخلق والإبداع(12). يقول الله تعالى: *وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ*. **الحجر**: 16. وإذا كنا في عصر تلح فيه علينا الدعوة إلى الحضارة من أجل تحقيق سعادة الإنسان وتعظيم قدرته على إعمار الأرض؛ فإنه «ينبغي علينا الاهتمام بالقيم الجمالية، وبذر إشعاعاتها في كل محيط الفرد، حتى يتعود الإحساس بها والسعي في طلبها، والنظر إلى التذوق الجمالي على أنه وسيلة رئيسية تعطي مذاقا حلوًا، ومعنى بهيجًا»(13)، ذلك «أن الفرد إذا كان يحتاج إلى متطلبات الحياة الضرورية، فإنه يحتاج ـ كذلك ـ إلى الإشباع الوجداني وتعوُّد الإحساس بالجمال وتنمية المشاعر الرقيقة(14).

الجمال وتذوقه وتربيته ضروري لحياة الإنسان، وهو أساس الشخصية المتكاملة والمتوازنة؛ لأنه يسمو بالإنسان ويجعله يعيش وسط إنسانيته

الهوامش:

1، 2ـ جامعة المنيا: كلية التربية، قسم أصول التربية، محاضرات في الأصول الفلسفية للتربية، للفرقة الرابعة جميع الشعب، مطبعة أبو هلال، 1994م، ص92.

3ـ نادية يوسف كمال: التربية الجمالية: البعد الغائب في تربية الإنسان المصرية، مجلة دراسات تربوية، القاهرة، عالم الكتب، ج33، م6 ـ1991م، ص243.

4ـ7ـ محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ـ ط4 ـ بيروت ـ دار الشروق، 1400هـ ـ 1980هـ، ص78، 91، 92.

8ـ محيي الدين طرابية: التباين في الطبيعة والفن، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 3 العلوم التربوية 1، 1411هـ ، ص74- 75.

9ـ انظر: زكريا إبراهيم: عبقريات فلسفية: كانت.

10ـ إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية، ط3، القاهرة، دار المعارف 1983م، ص 39- 40.

11ـ نادية يوسف كمال، مرجع سابق، ص244.

12ـ محمد كمال إبراهيم جعفر: تأملات في الفكر الإسلامي، القاهرة، مكتبة دار العلوم، 1980، ص18.

13ـ نادية يوسف كمال، مرجع سابق، ص244.

14ـ سعيد إسماعيل علي: الأصول الإسلامية للتربية، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي 1992م، ص326.

دائرة المعارف

الجنائيّة

1

إعداد:

د. عبدالرحمن محمد العيسوي



أسـبـاب حـدوث الجـرائم Causes of Committing crimes

الجريمة ظاهرة اجتماعية وجدت منذ وجد الإنسان، والغالب أنها سوف تستمر ما دامت المجتمعات البشرية قائمة. ويقال إن الجريمة ظاهرة قانونية Lawfal Phenomemon بمعنى أنه لا جريمة بلا نص. فقانون العقوبات في مجتمع ما Ctimal law هو الذي يحدد الأفعال التي تشكل عملاً إجراميًا، وإذا أُلغي النص أُلغيت الظاهرة بحسبانها جريمة. ومنذ زمن بعيد والإنسان يبحث في الأسباب التي تدفع إلى حدوث الجريمة. ومن مجمل الدراسات التي أجريت في إطار علم النفس الجنائي Criminal Psychology -، وفي إطار علم الإجرام Criminology لا يمكن تفسير جميع أنواع الجرائم بإرجاعها إلى سبب واحد؛ سواء أكان هذا السبب عضويًا وراثيًا Hereditary، أو اجتماعيًا Social، متمثلاً في الفقر وغيره من الضغوط الاجتماعية Stresses social، أو كان هذا السبب نفسيًا Psychological كالإصابة بالمرض العقلي الذي يجنح بصاحبه إلى الجريمة والعدوان والعنف لذلك فالتفسير المقبول لحدوث الجريمة هو التفسير المتعدد العوامل Multiple Factors الذي يأخذ بتضافر العوامل العضوية (الفسيولوجية)، أو الجبلّيّة، أو العقلية، أو النفسية، أو الاجتماعية وتفاعلها In-teraction. فالجريمة لا ترجع، في عموميتها، إلى سبب واحد، وإنما إلى مجموعة من تلك العوامل.



البيئة Environment

يقصد بالبيئة كل ما يحيط بالكائن الحيّ من مؤثرات أو مثيرات تؤثر في سلوكه Bel-raviou، وفي نموه، وفي شخصيته، وفي قيَمه واتجاهاته وميوله وعقائده وأفكاره. وللبيئة شقان: شق مادي ـ طبيعي ـ أو جغرافي يتمثل في الموقع والمناخ والسطح ومظاهر الحضارة المادية. وشق اجتماعي يتمثل في الجماعات البشرية التي يتفاعل معها؛ كالأسرة والمدرسة والجامعة وأبناء الجيرة وزملاء العمل. وتتضمن البيئة كل عناصر الثقافة Culture السائدة في المجتمع، ومنها العادات والتقاليد والقيم والمثل والمعايير والأعراف والقواعد والنظام والقوانين والشرائع واللغة والدين والعلوم والفنون والآداب والمهن والحرف. والبيئة، بشقيها، تؤثر في الفرد وتدفعه إلى السلوك السويّ، أو السلوك الإجراميّ. ويميل علماء النفس إلى التركيز على العوامل البيئية في مقابل العوامل الوراثية Hereditary Factors؛ لأننا نستطيع أن نعدل بيئة الفرد ونحسنها، بحيث تقود إلى تكيّفه وإصلاحه. أمّا تأثيرنا في الوراثة فما يزال محدودًا، حتى في ضوء علم الهندسة الوراثية ومحاولة تحسين الجينات Genes.



تعويض Compensation

قد يلجأ المجرم، بصورة شعورية أو غير شعورية، للتعويض عما يشعر به من نقص، أو عدم مواءمة أو ضعف، إلى ارتكاب السلوك المضاد للمجتمع Anti-Social be-haviour، فيقع تحت طائلة العقاب Pun-ishment. ولكن ليس من الضروري أن يكون التعويض سلبيًا دائمًا، فقد يعوض الفقراء عن نواحي القصور لديهم بالجد والاجتهاد والكفاح والتفوّق في العلم، أو في التجارة والمال، أو في المناصب. كذلك فإن الطالب الذي يخفق في إحراز التفوق العلمي قد يلجأ إلى التفوق في المجال الرياضي، أو المجال الفني. وقد تعوض المرأة القليلة الحظ من الجمال النقصَ بالتفوق في الجمال العلمي. فعملية التعويض تتضمن معالجة الإنسان لنواحي النقص أو العجز في شخصيته أو في مكانته، بحيث تحقق له الرضا البديل، أو الإشباع البديل. ومن طريق التعويض ينمّي الإنسان في نفسه كثيرًا من القدرات والمهارات. ويحدثنا التاريخ اليوناني عن بعض خطبائه المشاهير الذين كانوا في الأصل يعانون من

اللجلجة Stuttering، وكم من المعاقين يستطيعون التعويض الإيجابي عن إعاقتهم ويحققون مزيداً من التكيف. كما فعل خطيب اليونان ديموستين Demosttenes.



ثنائية (أو ازدواجية) الشخصية Dual Personality

من غرائب الذات البشرية أنها قد تنقسم وتكون شخصيتين، أو أكثر للفرد الواحد، فيصبح الإنسان مصاباً بما يعرف باسم «ثنائية الشخصية»، أو تعدد الشخصية Multiple Personality، وهو من الاضطرابات التفككية، أو التحللية Dissociative dis-orders، وهو من بين أعراض عُصاب الهستيريا Symptoms. والهستيريا مرض نفسي وظيفي Functional يصاحبه العديد من الأعراض Symptoms كفقدان الذاكرة والمشي في أثناء النوم، والشلل الهستيري، والعمى الهستيري، والصمم الهستيري، وفقدان الحساسية الجلدية الهستيري، وبعض نوبات الصراخ والبكاء والثورة والتهيج. وفي حالة تعدد الشخصية يتقمص المريض شخصية معينة، وينسى كل ملامح الشخصية الأخرى وخبراتها. وتتناوب المريض هذه الشخصيات. وقد تكون هذه الشخصيات متناقضة بعضها مع بعض. ويحدثنا التراث السيكولوجي عن امرأة أمريكية كانت تتناوبها عدة شخصيات، منها شخصية امرأة جادة وصارمة وراهبة، وأخرى امرأة عابثة ماجنة، وثالثة شخصية طفلة، والغريب أن هذه الشخصيات يكره بعضها بعضاً. فالشخصية الصارمة كانت تكره الشخصية العابثة الماجنة. ففي هذا العرض تفقد الشخصية تكاملها، أو تنقسم على نفسها إلى شخصيات فرعية.



جرائم اقتصادية Economic Crimes

هي الجرائم التي تقترف ضد النظام الاقتصادي العام، ويضيق نطاق هذه الجرائم في النظام الفردي، ثم يأخذ في الاتساع في الدول التي تأخذ بالنظام الاشتراكي، وتدين بمذهب الملكية العامة لوسائل الإنتاج، والتي يخضع اقتصادها لتخطيط موجّه. فإلى جانب جرائم التموين والتسعيرة والنقد والضرائب والعمل والتزييف، وهي الجرائم التي يعرفها النظام الفردي، تستحدث الدول الاشتراكية جرائم أخرى مرتبطة بالنظام الاقتصادي والاجتماعي القائم على تملك الدولة لوسائل الإنتاج.

ومن جرائم الاعتداء على الملكية الاشتراكية خلال الشروع بتنفيذ الخطة الاقتصادية: تقديم المنشآت الاقتصادية بيانات خاطئة، وإضرار الموظف بالمصلحة العامة ليحصل على ربح لنفسه، واستخدام الموارد المالية والبشرية في غير الأغراض التي خُصِّصت لها بمقتضى الخطة الاقتصادية للدولة، وإنتاج أو تصدير سلع من نوع رديء أو غير مطابق للنماذج والشروط المقررة لها، وخطأ أو إهمال الموظف المكلف إدارة مال عام وما يترتب على ذلك من إلحاق ضرر جسيم بالمال العام.

وتشكل بعض البلاد محاكم اقتصادية للنظر في الجرائم الاقتصادية، وتضم إلى جانب القضاة القانونيين قضاة ذوي خبرة في الشؤون الاقتصادية.

ومن أبرز الجرام الاقتصادية: جريمة الرشوة أو الارتشاء Bribery، ويرتكبها الموظف العمومي، إذا طلب لنفسه، أو لغيره، أو قَبِل، أو أخذ وعداً، أو عطيةً لأداء عمل من أعمال وظيفته.

ومن الجرائم الاقتصادية كذلك جريمة الاختلاس Embezzlement ويرتكبها الموظف العمومي، إذا اختلس المال الذي اؤتُمِنَ عليه، أو سُلِّمَ إليه بحكم وظيفته مع توافر القصد الجنائي، وينطبق ذلك على المنقولات غير المال، ويعد مختلساً كل موظف عام اختلس أموالاً، أو أوراقاً، أو غيرها وجدت في حيازته بسبب وظيفته. وكذلك جريمة التربح، أي الكسب غير المشروع من خلال الوظيفة العمومية.



خَبَل Dementia

الخَبَل لفظ مرادف لكلمة العَتَهْ أو الجنون، وفيه يفقد المريض قواه العقلية من جراء وجود خلل عضوي جسمي Organic، أو خلل وظيفي يحدث في وظائف العقل Fanctions of the mind، وهي التفكير والتخيل والتصور والإدراك والتذكر والتعلم والاستدلال والاستنتاج والإبداع.

وهناك أنواع مختلفة من الخَبل، منها خبل الشباب، أو الخبل المبكر Dementia prae-cox، وهي عبارة عن وصف ذُهان الفُصَام في الماضي Schizophrenia والذي يصيب الفرد في سن الشباب، أي ما بين سن الخامسة عشرة والثلاثين، وفيه يصاب الشاب بتدهور في القوى والوظائف العقلية، وبالتفكك أو التحلل بين العمليات العقلية من ناحية، والحياة العاطفية للمريض من ناحية أخرى، بمعنى فُصام أو انفصال بين حياة المريض العقلية وحياته العاطفية. ويطلق على هذه الحالة العقلية في الوقت الحاضر مصطلح ذُهان فصام الشباب Hebephrenia، وهي فصام الشخصية، أو انقسامها في السن المبكرة. ومن أظهر أعراضه الهلوسة Hal-lucinations، والبعد من عالم الحقيقية والواقع، والبلادة العاطفية، الإهمال وعدم الترتيب وسوء الهندام. وهناك أيضاً خبل الشيخوخة Seniledementia وينتج في الغالب من ضيق شرايين الدماغ في سن الشيخوخة. ويؤثر ذلك في مستوى ذكاء الشيخ.



دراسة تاريخ الحالة Study of case history

تتعدد المناهج Methods التي يدرس من خلالها علماء النفس الظواهر النفسية الفردية والجماعية. ومن بين هذه المناهج منهج دراسة تاريخ الحالة؛ وطُبِّق هذا المنهج في الحقل الإجرامي Criminal field، حيث تتم

دراسة تاريخ حياة المجرم منذ ميلاده حتى اقتراف الجريمة، بل قد يرتد الدارس إلى معرفة ظروفه الوراثية والسلالة Race التي ينحدر منها، وعما إذا كان يوجد بها حالات إجرامية في أجداده، أو أسلافه. وتتضمن دراسة تاريخ حالة المجرم معرفة الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية والطبيعية (الفيزيقية) التي عاشها في طفولته ومراهقته، ونوعية الأمراض والاضطرابات التي أصيب بها ومبلغ الكوارث والضواغط والأزمات Crisis التي تعرض لها كالفشل، والحرمان، والطلاق، والانفصال، والطرد من الوظيفة، والإفلاس، أو التعرض للحوادث والإصابات، وخاصة إصابات الرأس Head injuries التي قد تؤدي إلى خلل في قواه الإدراكية، ومن ثم إلى اقترافه بعض الأعمال المؤثمة. وفي منهج دراسة تاريخ الحالة نتعرف مقدارَ معاناة المريض من الإخفاق الدراسي وما تعرض له من تأثير أقران السوء. ويمكن جمع المعلومات اللازمة لإعطاء صورة كاملة عن شخصية المجرم، من المجرم نفسه، ومن الآباء والأمّهات، والمعلمين، والأقارب، والأصدقاء، وزملاء العمل، وأبناء الجيران، والأزواج أو الزوجات، والملفات والسجلات، والتقارير الطبية، ومن الفحوص والتحاليل الطبية، ومن تطبيق الاختبارات النفسية.



ذكاء Intelligence

يشير ذكاء الفرد إلى مجموعة فرعية من قدراته العقلية أو الذهنية Mental abilities كالقدرة على التعلّم، والتذكّر، والتخيّل، والتصوّر والإدراك، والتجريد، والحكم، والمقارنة، والاستقراء والاستدلال والاستنباط، والإبداع، وإدراك العلاقات القائمة بين الأطراف، والقدرة على التكيف مع المواقف الجديدة، والقدرة على النقد والحل والتركيب، والتحليل والتعميم والتمييز Generalization and discrimination، والقدرة على الفهم والهضم والاستيعاب، وعلى اكتساب المعارف والمعلومات وعلى تطبيقها، والقدرة على الاستبصار Insight والقدرة على الحَدْس Intistion، وهو المعرفة الطفرية الفجائية الإلهامية، أو الإشراقية. ويميز العلماء بين أنواع مختلفة من الذكاء، منها:

الذكاء التجريدي Abstract Intelligence، وهو القدرة على التعامل مع المفاهيم المجردة أو الرموز.

الذكاء الحيوي (البيولوجي)، والذكاء المشخص Concrete intelligence، والذكاء العام والفطري Innate intelligence، والذكاء الفردي والاجتماعي والرياضي والآلي (الميكانيكي). كما تهتم الأمم بالذكاء القومي National intelligence والاجتماعي. والذكاء، في جوهره، قدرة فطرية موروثة عن الآباء والأجداد، ولكن هذا لا يمنع من أن البيئة تؤثر فيه تأثيراً قويّاً، فتؤدي إلى ازدهاره، أو اضمحلاله، كما تؤدي إلى ترشيده وحسن استثماره وسيره في طريق الخير، أو تنحرف إلى حيث الجريمة والشر والعدوان.



روح معنوية Morale

الروح المعنوية عبارة عن المزاج السائد عند الفرد أو الجماعة. وقد تكون هذه الروح المعنوية مرتفعة أو منخفضة. والروح المعنوية ترتفع عند جماعة من الناس عندما تشبع حاجاتهم النفسية Psychological needs، والاجتماعية والحياتية (البيولوجية)، أو بعبارة أخرى عندما تحقق الجماعة أهدافها الإيجابية Positive goals. ومن مظاهر الروح المعنوية المرتفعة الشعور بالرضا والسعادة، والشعور بالنجاح، وبالانتماء وبالمشاركة الوجدانية وبالاتحاد. وتختلف الحاجات باختلاف الجماعات البشرية. فحاجات جماعة من الجند تختلف عن أهداف جماعة من الطلاب، أو الموظفين، أو العمال، أو الفلاحين، وعلى ذلك تصبح هناك حاجات خاصة يتعين إشباعها لكي تشعر الجماعة بارتفاع روحها المعنوية. وترتفع الروح المعنوية للجماعة بصفة خاصة عندما تسود فيها روح المودة والشورى والديمقراطية والعدالة والإنصاف والإخاء والمساواة والتعاون وتكافؤ الفرص.

وعندما ترتفع الروح المعنوية يشعر الفرد بالثقة في نفسه، وفي المؤسسة التي يعمل بها، ويزداد عطاؤه وإنتاجه، ويبتعد من الشغب والتمرد والتمارض والعصيان. وتصمد الجماعة أمام التحديات والاعتداءات التي قد تتعرض لها، إذا كانت روحها المعنوية مرتفعة؛ لأن الروح المعنوية تدفع إلى مزيد من التماسك والتضحية من أجل الجماعة، والبذل والعطاء والإيمان بالجماعة وقضاياها. ومن الأهمية بمكان المحافظة على ارتفاع الروح المعنوية للناس، حتى لا يتورطوا في الجرائم والانحرافات.



سيكوباتية (اضطراب الشخصية) Psychopathy

نزعة مرضية، أو شاذة لا تضع المصاب بها في طائفة المصابين بالذُهان العقلي Psychosis، أي المرض العقلي المرادف للجنون، ولا تضعه في فئة المصابين بالعُصَاب النفسي Neurosisأي المرض النفسي؛ وإنما تضعه في فئة أصحاب الاضطرابات الأخلاقية والسلوكية Character and behaviout disorders وصاحبها شخصية مضادة للمجتمع وللقيم الأخلاقية والمثل العليا Antisocial Personalitly. ويمتاز صاحبها بعدم الشعور بالذنب، أو بلوم الذات، أو تأنيب الضمير، أو عقاب الذات، أو الشعور بالضيق والقلق Feal-ings of guilt or Anxiety.

والشخص السيكوباتي يميل بطبعه إلى الكذب والغش والخداع والنصب والاحتيال، وإلى استغلال الناس وابتزازهم، ولا يشعر بالذنب عندما يعتدي على أحد، ولا يستفيد من خبراته السابقة، ويصعب علاجه. ويقال في حقه إنه يعض اليد التي تتقدم لمساعدته. وهي شخصية لم ينمُ ضميرها الخلقي النمو الكافي، بحيث يمارس وظائفه في منع الإنسان من ارتكاب الجرائم

والمعاصي والآثام والخطايا، وبحيث ينزل به العقاب في شكل وخز الضمير، إذا ما ارتكب فعلاً غير أخلاقي. وتكثر هذه الظاهرة بين معتادي الإجرام ومحترفات الدعارة والأحداث الجانحين. ولا تؤثر هذه الإصابة في ذكاء الفرد، بل يبقى ذكاؤه كما هو، وإنما تصيبه بالتبلد العاطفي، فلا يشارك الناس مشاركة وجدانية.



شخصية إجرامية Criminal Personality

يشير هذا المصطلح إلى الشخصية التي يميل صاحبها إلى ارتكاب السلوك Conduct الذي يمثل خرقًا صارخًا للقوانين السائدة، أو المعمول بها في مجتمعه Conduct that represents a serious violation of the established laws. تلك الأفعال التي توقع مقترفها تحت طائلة العقاب.

ويشير هذا المصطلح أيضًا إلى الشخص الذي يمارس السلوك الإجرامي، بصرف النظر عن معاقبته أو عدمها. وصاحب هذه الشخصية يميل إلى ارتكاب الجرائم ميلاً يكاد يكون طبيعيًا. ويفتقر أصحاب هذه الشخصية إلى التكيّف الأخلاقي والاجتماعي والأسري، ويتورط في ارتكاب الجرائم، وهو سريع الاصطدام بالقانون أو الشرع. ويفتقر إلى الامتثال، أي التزام قيم المجتمع ونظمه ومعاييره ومثله وعاداته وتقاليده. وتتأثّر هذه الشخصية بأنماط التربية والتنشئة التي تتربى في ضوئها. وتعوزها في الغالب الرعاية الوالدية والإشراف والعطف والحب والحنان، وقبل كل شيء القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به. وتنشأ هذه الشخصية غالبًا في بيوت محطمة.



صدمة Trauma

خبرة قاسية أو شديدة، قد تكون جسمية أو عقلية، أو نفسيه، أو عاطفية. تؤثر تأثيرًا كبيرًا في شخصية الفرد، قد يصل إلى حد الاضطراب النفسي، أو العقلي، أو الجسمي.

وقد يكون هذا الاضطراب دائمًا، وقد يزول بعد مدة من الزمن. ومن أمثلة المواقف الصادمة الحوادث: كالقتل والسرقة بالإكراه وهتك العرض والاغتصاب، والضرب الذي يؤدي إلى عاهة لا تبرأ، وكذلك مواقف الحياة وخبراتها مملوءة بالصدمات، منها الطلاق والانفصال والهجر، وكذلك موت شريك الحياة، أو الأب، أو الأم، أو الدخول إلى السجن، أو الطرد من الوظيفة، أو الإفلاس المالي، أو اكتشاف الخيانة الزوجية. وهناك ما يعرف باسم صدمة الميلاد، إذا كان ميلاد الطفل متعثرًا، وقد تكون الصدمة جنسية متعلقة بنشاط جنسي معين. فالصدمة تسبب قلقًا شديدًا وتعبًا بالغًا لصاحبها Distress، ولذلك يفرد علم النفس المرضي للصدمة مرضًا نفسيًا خاصًا اسمه عُصاب الصدمة Traumatic Meurosis، أو بالأحرى اضطراب ما بعد الصدمة Post-Tfaamatic disorder. وعند تعرض الإنسان للصدمة، فإنه يعجز عن القيام بالسلوك الملائم، أو اتخاذ القرار الصائب من جراء تأثير الصدمة في قواه التفكيرية. ويتصف الموقف الصدمي بكونه أكبر من طاقة الإنسان على الاحتمال. وخبرات الإخفاق القوية قد تكون خبرات صادمة. وتشكل الحروب والمعارك وسقوط القنابل والانفجارات العنيفة مواقف صادمة.



ضرب (اعتداء) Assault

الضرب أو الاعتداء الجسمي، أو البدني على شخص ما بقصد إيذائه، أو إحداث عاهة مستديمة به لا تبرأ. وقد يقصد بذلك الإكراه البدني كما هو الحال في جرائم السرقة بالإكراه أو الاغتصاب بالعنف. وقد تكون جريمة الضرب محاطة بالظروف المشدَّدة، أو المغلِّظة للعقوبة Aggravated assault بمعنى الاعتداء على المجني عليه بقصد ارتكاب جريمة كالسرقة، أو إحاطة فعل الضرب بظروف خطرة، أو اتسامه بالوحشية والبشاعة، كاستعمال السلاح القاتل، أو وقوع الضرب أو الاعتداء على الأطفال الصغار، أو على الوالد أو الوالدة، أو الشيوخ وكبار السن. وقد يصاحب جريمة الضرب ممارسة لون من ألوان التعذيب على المجني عليه، أو السحل Assault and Battery. وقد تؤدي جريمة الضرب إلى جريمة أخرى هي جريمة القتل Assault with the intent to commit meanslaughter إذا أفضى الضرب إلى الموت. وقد يكون الضرب بقصد قتل المجني عليه، وفي هذه الحالة يحاكم المتهم بتهمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصّد Assault with intent to commit murder، وقد يكون الضرب مصحوبًا بنية اغتصاب الضحية Rape، أو بنية السرقة Robber.



الطب الشرعي العقلي Forensic Psychiatry

أحد فروع الطب العقلي Psychiatry، يهتم بنوع خاص بتحديد الوضع العقلي، أو القوى الإدراكية والعقلية للأشخاص المتهمين بارتكاب جرائم Accused of Crimes؛ بمعنى البتّ فيما إذا كان المتهم يصلح عقليًا للوقوف والمثول أمام المحكمة Trial، أم إنه بحكم القانون يعد مجنونًا Insane، وبذلك يُعفى من المسؤولية الجنائية Criminal responsibility.

والطب العقلي الشرعي يقترب في اختصاصاته من الطب الشرعيّ العام Forensic Medicine، حيث تتّجه جهود الأطباء لخدمة الأغراض القانونية ولخدمة العدالة والقضاء. وهناك دعوة تنادي باتساع آفاق نشاط الطب العقلي الشرعي، بحيث لا يتوقف عند تحديد المسؤولية الجنائية من عدمه بالنسبة للمتهم،

وإنما يدرس كل جوانب شخصية المتهم وظروف الجريمة ودوافعها وملابساتها وظروف التحقيق والمحاكمة. وفي عالمنا العربي هناك دعوة لتعيين مختصّ نفسي في كل دائرة من دوائر المحاكم لدراسة الظروف العقلية والنفسية المحيطة بأركان الدعوى القضائية وأطرافها وظروفها ، وتقديم التقارير المطلوبة لهيئة المحكمة.



ظاهرة إجرامية Criminal Phenomenon

الظاهرة الإجرامية نمط من الجرائم ينتشر بشكل ملحوظ في مرحلة زمنية معينة، حيث تزداد معدلات ارتكاب جريمة معينة لتتخذ شكل ظاهرة، وتتضمن الظاهرة الإجرامية أفعالاً تخالف القانون وتصطدم به، وتشمل التعدي على الحقوق والواجبات نحو المجتمع وأفراده وممتلكاته. ومن هذه الجرائم جريمة عقوبتها الإعدام Capital Crime، ومنها الجرائم المستمرة، Continuous Crimes، حيث يستمر وقوعها وأضرارها، من ذلك حمل السلاح من دون ترخيص. وهناك الجرائم الكبرى High crimes. وتشترك كثير من العلوم في دراسة الظاهرة الإجرامية ومنعها؛ من ذلك القانون وعلوم الشرطة والطب، والطب العقلي، وعلم النفس، والاجتماع، وعلم الإنسان، والدين، وعلم الإجرام Criminology ويدرس الجريمة والمجرمين ودوافع الجريمة، وكذلك هناك علم النفس الجنائي Criminal Psychology، ويدرس الجوانب النفسية والعقلية في السلوك الإجرامي، ويسعى لتفسير الجريمة، وتعرف أسبابها، من ذلك النزعة إلى الإجرام في الفرد Criminality، وتوجد في الشخص الميال لارتكاب الجرائم. وفي دراسة الجريمة وفرض العقوبات عليها تقسم الجرائم إلى مخالفات، وهي أبسط أنواع الجرائم Contravenetions، والجُنَح Misdemeanours، ثم الجنايات Felonies وهي أخطرها جميعًا. وقد تتخذ الظاهرة الإجرامية أشكالاً عدة في حقب التاريخ المختلفة كالسرقة والنهب والسلب، أو العنف، والتطرف والإرهاب، أو القتل والاغتصاب وهتك العرض، وقد تجتمع كلها في بعض المجتمعات كما نقرأ عنها، أو نسمع عنها، أو نراها في دول الحضارة والتقدّم.



عنف Violence

يشير هذا المصطلح إلى العنف، أو الشدة، أو القسوة، أو الحدة، أو الإكراه. بمعنى استخدام الضغط، أو القسوة استخدامًا غير مشروع، أو غير مطابق للقانون. ومن شأن هذا العنف أن يؤثر في حرية إرادة الفرد الذي يمارَسُ ضدّه. والإكراه إذا وقع على عقد ما يؤدي إلى بطلان العقد، وإذا مورس العنف، أو الإكراه في استنطاق المتهم بالاعتراف، كان الاعتراف باطلاً ولا تأخذ به المحكمة. والعنف إذا صاحب جريمة أخرى كالسرقة، كان ظرفًا مشدِّدًا للعقوبة، كما هو الحال في السرقة بالإكراه أو الاغتصاب. وهناك نظرية في تفسير العنف تعرف باسم نظرية استهداف العنف Violence Proneness، وصاحبها ينظر إلى الآخرين كما لو كانوا مجرد آلات Tools أو دُمًى خشبية لا تحس ولا تشعر، وضعت خصيصًا كي تخدم حاجاته وأغراضه؛ فالناس لا تتألم ولا تفرح ولا تحزن وليس لها مثل ما له من الحقوق، ولذلك فإنه يعتدي عليها كيفما يشاء من دون شعور بالذنب. ويحتاج الشخص الميال للعنف إلى إعادة التربية وإعادة التأهيل وإعادة تطبيعه اجتماعيًا. ومهما قيل عن وجود أسباب وراثية في شخصية الفرد العنيف، فإن العنف، في جوهره، سلوك، متعلَّم من البيئة، لذلك يمكن منعه ومكافحته، وحث الناس وتربيتهم على الرفق والهدوء والانضباط والتزام القانون والقيم السائدة في المجتمع. ويتعين القضاء على الأسباب التي قد تقود إلى السلوك العنيف وذلك بتحليل ظاهرة العنف، وتعرف أسبابها، والتصدي لهذه الأسباب، ووضع البرامج العلاجية والوقائية ضد العنف.



غريزة الموت Death instict

غريزة الموت أو التدمير أو التحطيم، أو العدوان أو الرغبة الداخلية في الموت، ويطلق عليها أيضًا Death wish، هي من المفاهيم التي أتى بها سيجمند فرويد Sigmund Freud مؤسس مدرسة التحليل النفسي Thanatos Instict، وهي دافع في الإنسان، يتطلّع إلى التحطيم والهدم والتدمير والعدوان، وهي التي تدفع الإنسان إلى الجريمة والعنف والحروب والدمار. وقد ترتد هذه الغريزة إلى الداخل فتدفع الإنسان إلى الانتحار والقضاء على حياته. ومن مظاهرها والدلائل عليها لجوء الفرد إلى التدخين المكثف مع علمه أن التدخين يودي بحياة الكثيرين، وكذلك اللجوء إلى إدمان الخمور والمخدرات، وإلى هدم الصحة، ومن ثم الموت البطيء. ويقابل هذه الغريزة، في الفكر الفرويدي، غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية Life istict، وتشمل دوافع الحفاظ على الحياة وعلى الذات والتكاثر. وهي المسؤولة، في الإنسان، عن كل الأنشطة الإيجابية والبناءة كالعلوم والفنون والآداب وإقامة الحضارات وكل مظاهر التحضر. وغريزة الموت تدفع الإنسان إلى التخريب وإلى الموت وإلى الجريمة. وفي تفسيره للجريمة أرجعها فرويد لهذه الغريزة. ولقد وضع فرويد هذا المصطلح لتفسير العدوان الإنساني Human agression، أي لإيجاد أسباب تفسر إتيان الإنسان بالسلوكيات العدوانية، وتنضوي هذه الفكرة تحت لواء الرأي القائل إن الإنسان يولد مزودًا ببعض القوى الوراثية، أو الاستعدادات الوراثية للتخريب والتحطيم لذاته Inborn self-destructive Drive. وجدير بالإشارة أن مصطلح الغريزة، عمومًا، لم يعد مقبولاً، أو مستخدمًا في التراث النفسي (السيكولوجي) المعاصر لما تبين من أنه مفهوم يشوبه الغموض وعدم التحديد، وحلت محله مصطلحات مثل الدافع، أو الحاجة.

عروبتنا

شعر: د. حيدر الغدير

سألت عن العروبة قلت مجد ... تأثل في القفار وفي الفيافي
سجايا مشمخراتٌ حسان ... مذللة لمكروب وعاف
ونبل كالذي تهواه زاكٍ ... وَجُود كالذي تهواه ضافِ
ونجدة مرمل تعبت خطاه ... وقد عانى من الكرب العجافِ
ونار أوقدت لِقرى غريبٍ ... على نشز منيف أو طِرافِ
عليها حاتم يشدو ويحبو ... فتضحك بين برديه القوافي
وتبيضَ الصنائع في يديه ... وتسودّ الجفان على الأثافي

* * *

عروبتنا المروءة وهي تاج ... من الأخلاق يزهو بالعفافِ
وأسياف غضبن لعِرض جار ... فجئن بشامخ في الصون شافِ
وخيل حرة دُعيت لمجد ... فأسعفت الفوارس في المطافِ
عليها الصيد عقبانًا تهادى ... بنو تيم هُمُ وبنو منافِ

* * *

عروبتنا مكارم من غوال ... كخيط من ضياء الفجر صافِ
حمتها الشمس من غدر ولؤم ... وجادتها الغوادي بالنطافِ
ونقّتها الرياح من الدنايا ... فقال المجد في تيه كفافِ

* * *

عروبتنا أتاها خير دين ... فجنّبها الضلالة والتجافي
حباها بالهداية وهي نور ... ونور الله جلَّ الله كافِ
أمات الجاهلية وهي شؤم ... وأقتل في الهلاك من الزعافِ
وبَوَّأها العوالي شامخات ... فأورق روضها بعد الجفافِ
وفاض نميره غدقًا فنادت ... هلم إلى ارتشاف واغترافِ
وقالت وهي بالإسلام جذلى ... وفي الأكوان أصداء الهتافِ
سيفنى شانئوه وإن تمادوا ... وتطويهم وإن عظموا السوافي

صديق للبشر!

جمال ميساوي

الطريق طويل بلا نهاية.. عقارب الساعة المربوطة بالمعصم النحيل لا تتحرك، كل شيء جامد، خارج الزمان والمكان.. والظلام يُطبق على العالم خلف الزجاج. أحسَّ أن رجليه شُلَّتا، قام ليطرد عن نفسه الألم والنعاس، رفع عينيه السوداوين ليتأكد من وجود حقيبته رفيقة سفره الذي لا يعلم إن كان سيعود منه أم لا؟ في الحقيقة إنه يسافر بحقيبتين: واحدة جمع فيها كل ما يملكُ؛ بعض الثياب وبعض الكتب، وهي التي فوق الرف. أمَّا الأخرى فيحملها بين ضلوعه، جَمَعَتْ كل ما يربطه بهذه الأرض التي سيغادرها - إن شاءت الأقدار - بعد ساعات. الحقائب تختلط.. صورة أمه وإخوته الستّة وَهُم يودعونه تكاد تقتله:

- عد إلينا، رافقتك السلامة، سندعوا اللَّهَ لك.

كيف تختلط الصُّور وتعجز الكلمات؟ منظر الوداع يشحذ الهمَمَ.

متى يصل فيقذف من قلبه بكل الذكريات؟ لا.. لن ينتظر حتى يصل، سيقذف بها في البحر.

خرج من مقصورته، أدْخَل إحْدَى يديه في جيبه، تحسَّسَ ما بداخله، ثم تنهد تنهيدة عميقة كَلَّلَهَا بزفرات ساخنة سُخونة الحر الذي حوله.

- عشرة آلاف درهم!

مشى في الممر الضيق الذي يحاذي بشكله الضيق الطولي مقصورات القطار التي لم يكن يصدر منها إلا أصوات نفوس نائمة.. جالت في نفسه فكرة لعلها تسليه، أو تجمع شريط الأحداث المُبعثَرِ في رأسه:

- حقًّا هل تنام هذه الأنفس في أمان؟

سخر من الفكرة، لكن من دون أن يشعر أدخل يده من جديد في جيبه:

- العمر كله متوقف على هذه الدريهمات. إنها مغامرة تشبه لعبة القمار، تدفع مَالاً، وإمَّا أن تربح حياة، أو تخسر. لكن هل يوجد مكان في هذا العالم يُقامر فيه الإنسان بالمال مقابل الموت، أو الحياة. لابد إن وجد؛ فعلى امتداد خريطة عالم لم يعرفه بعد!

عاد إلى مكانه خوفًا من التأمل والتفكير، استلقى على مقعده وأغمض عينيه، لكن دون أن ينام.

مع أول شعاع اخترق ظلام فجر «طنجة»، وَصَلَ القطارُ. نزل المسافرون، وبدا من حركات أجسامهم أنهم يعرفون وجهتهم. أمَّا هو، فإلى أين يسير؟ إلى البحر!

فتح حقيبته، بعد أن جلس فوق مقعد داخل المحطة، قلَّبَ ما فيها كأنه يَبْحَثُ عن شيء مَا، أخرج كتابًا وبدأ يقرأ، ينتظر طلوع شمس النهار، فهو غريب، والغريبُ يقهره الظلام.

لم تمضِ ساعاتٌ، حتى كان الضوء والضوضاء قد احتلا المدينة. اتجه صوب مقهى، جلس.. أمَر بكأس حليب وقطعة خبز، أكل في حركة آلية، نظر إلى ساعته، نهض ليخترق جَوْفَ المدينة بحَقيبَتَيْه على وقع طُبُول المجهول. وصل إلى زقاق ضيق، انعطف جهة اليَسارَ إلى آخر أضيق، تسمَّرَ أمام بَيْت عتيق، طرَقَ بابًا خشبيًا طالما لفحته أشعة الشمس الحارقة ومَسحته نسمات البحرِ الباردة، بعد هُنيهة أطَلَّ عليه وجه.. نَدَّت عنه ابتسامة مُنبعثة من مَغَارَة عميقة:

- الرَّايس موجود؟

- اسمك؟

- أحمد.

- لحظة من فضْلك.

في حُجرة ضَيِّقَة العينان السوداوان تتأملان لوحات زَيتية على الجدار: بحر هائج، صيادون، حيتان، جزائر، ثم في تُحَفٍ خشبية لسفن بلا مجاذيف.

- في مثلها ستسافر. لكن لا تخف، الحقيقية بمحرك وربان يصرع البحر!

ارتسمت على وجه أحمد ابتسامة وَهَبَّ واقفًا ليسلم على الرَّايس، لكن هذا الأخير كان أخف، فمد له يده وضمّه في حرارة.

وبالنبرات القويّة نفسها التي لم تؤثر فيها سنوات العمر الطويلة ومغامرات البحر، أردف:

- جئت في الوقت المناسب، العدد قد اكْتَمَلَ، عشرون مع منتصف الليل..

لم تكن المرة الأولى التي التقى فيها بهذين الرجلين، فقد سبق أنْ جمعتهما صفقة مماثلة، لكنها كانت بين صديق أحمد والرايس.

نزل الظلام كشبح مخيف على المدينة التي تغرب فيها آخر شمس تُودِّع كل يوم العالم، فكان الموج والخوف، والزورق في الانتظار.

في الزورق كانت الوجوه تبدو شاحبة على ضوء القمر، جاءت من كل ربوع الوطن. أدَار الرَايس المحرك فتحرك جَزْرُ القلوب يصارع مدَّ اليَم. كيلومترات من الماء والموج والملح، وزورق صغير يضم بين ألواحه أرْواحَ

عشرين من البشر، طافت بالرؤوس صورة مُوسى وأُمّه تلقيه في اليمّ وسفينة نوح ويونس يَسْتَهِم. رفع الرايس رأسه الذي لمع كقنديلٍ إلى السماء، وإحدى يديه القويتين تُمسكُ بالمقود:

ـ لا أعتقدَ أنَّ البحر سيبقى هادئًا، لكن على العموم البحر صديق للبشر، ثم أطلق ضحكة بَدَتْ للمغامرين في غير محلها.. كُلَّما تقدم الزورق في الأعماق تأقلمت القلوب مع البحر واستشعرت معاني الصداقة التي تحدث عنها الرايس قبل قليل.

انتشرت السُّحُبُ في السماء، واختفى القمر، وعَمَّ الظلام، وارتفع الموج، فأطبقت الأيدي بقوة على جنبات الزورق.

وحتَّى يُطَمْئِنَ الرايس المغامرين، رفع صوتَهُ الذي يشبه الموج وهو يلطم الصخور:

ـ لا تخافوا.. فهذا الموج، وهذا الظلام الدامس في صالحنا، فرجال الدرك البحري تصعب عليهم رؤيتنا. اطمئنوا البحر صديق للبشر.

لكنْ قَالَهَا هذه المرة دون أن يطلق ضحكته. فالأمر جد، إذ لم يعد يمسك المقود بيد واحدة، بل لم يعد يُسيْطرُ على مسار زورقه.. موج كالجبال، وريح عاصفة قاصفة، أهيَ نقمة السَماء، أمْ حرارة الاستقبال من صديق البشر، البحر.. الصوت الجهوري مرة أخرى:

ـ ارموا بحقائبكم، قبل أن نغرق..

ترتعش الأيدي، فَتَتَلَمَّسَ الأشياءَ في الظلام، تتردد ويهون الاختيار، تقذف بمتاعها قربانًا للبحر، أهيَ نقمة السماء، أم حرارة اللقاء؟

القرابين تُقَدَّم في الأفراح كما في الأحزان. لم يشعر أحمد، حتى وجد نفسه يصرخ:

ـ سنغرق، ولست خائفًا من الموت، سنغرق؛ لأن الحقائب الحقيقية مازالت في صدورنا بين ضلوعنا مع دقات القلوب وحرارة الدماء.. إنها الحقائب الأثقل، أثقل من تلك التي رميناها، لكنها ـ للأسف ـ ستبقى في صدورنا بين ضلوعنا مع دقات القلوب وحرارة الدماء. فلنغرق، لكن سيبقى البحر مع ذلك صديقًا للبشر.

وإذا مَثَّلَ أحمد فريقَ مُحبي الموت، نطق صوت أقوى من العواصف والموج، محب للحياة:

ـ أمَا من جزيرة نهبط بها إلى أن تهدأ العاصفة؟

أيها المغامرون لا أدري أيَّ اسم تستحقون، العواصف أمَامكم والعواصف من ورائكم، وما الفرق بينهما إلاَّ أن هذه التي تصارعونها الآن مرئية تصدر من بحر لا يعرف التلوث والنفاق. أمَّا الأخرى التي خلفتموها وراءكم، ففي بحر ما له من قرار.

ما أجمل أن تواجهوا الموتَ في شجاعة، لكن ما أخجل أن تموتوا على درب طارق بن زياد، لكن ليس للغاية نفسها!

وما كاد يُنهي عبارتَه الأخيرة حتى خرجت من جوف البحر موْجةٌ ضخمة ابتلعت الزورق، وَمَنْ فيه.

من الذي قال إن البحر صديق للبشر، وهل كان حقًّا كذلك؟!

قصيدة

مد لي.. قلبا

شعر:

يوسف عبدالعزيز علي

مُدَّ لي كفًّا، وداوِ السَّقَما
ارْوني بالحبِّ، رُوحًا ودمًا
فعظامي مُورِقاتٌ عطشًا
إنّني ظمآنُ أرْضًا وسَما!
وفؤادي ـ طفلُك الباكي ـ شدَا
بعد أنْ أحيَيْتَ فيه النَّغما
قاسيَ الوَعْدِ، وما أنْتَ سوى
ظالِمِ الظَّنِّ، ومُرٍّ كَلِمَا..
داوِني، بَلِّلْ شموعي أمَلاً
أحْرِقِ الوَهْمَ، وأطْفِئْ ألما
مَلَّ عَيْنَيَّ، وهَدْهِدْ مُهْجَتي
زَوِّقِ الحاضِرَ، هاتِ الحُلُما
اسْقِني كأسَ المُنَى الخُضْرِ إذا
خانَني صَبْرِي وأزْجَى النَّدما
مُدّ لي قلبًا، وخُذْ من عُمُري
فأنا أحْيَاكَ.. رُوحًا وفَما!



افتتاح جامعة للعلوم الإسلامية في أمريكا، وإقامة ندوة عن الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الأمريكية

باريس تستضيف مؤتمرًا عالميًا تحت شعار «الإسلام وفرنسا وأوربا: كيف نبني مستقبلنا المشترك؟»

ندوتان علميتان تؤكدان: القدس عربية

العثور على أطلال المدينة الملكية للبطالمة وقصر كليوباترا

صدور مجلات جديدة، وإقامة مهرجانات ثقافية ومعارض للكتب في أنحاء عدة من العالم

إعلان أسماء الفائزين بجوائز جونكور والأكاديمية الفرنسية ورينودو



في إطار رعايته المستمرة لمسيرة التعليم:

خادم الحرمين الشريفين يتكفل بنفقات إنشاء معهد لتعليم العربية لغير الناطقين بها

تبنى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ إنشاء معهد للغة العربية لغير الناطقين بها في مقر جامعة أم القرى الجديد بمكة المكرمة على نفقته الخاصة.

وتأتي هذه المكرمة السامية في إطار حرصه ـ وهو الرائد الأول لمسيرة التعليم المباركة في هذه البلاد، منذ أن كان أول وزير للمعارف في المملكة ـ على تبني المشروعات العلمية الجادة التي تعود خيراتها إلى جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وهو لا يألو ـ حفظه الله ـ جهداً في دفع هذه المسيرة لخير الشعب السعودي والشعوب العربية والإسلامية قاطبة؛ الأمر الذي أفاد منه أبناء العروبة والإسلام في كل مكان.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية تسهم في إنشاء جامعة أهلية

أكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، في مؤتمر صحافي عقده في منتصف جمادى الآخرة الماضي استعداد المؤسسة للإسهام في إنشاء جامعة أهلية تكون الأولى من نوعها في المملكة.

وأشار سموه إلى أن النجاحات التي حققتها المؤسسة خلال احتفالاتها بالذكرى العشرين لإنشائها، جعلتها تتطلع إلى الإسهام بفعالية في احتفالات الذكرى المئوية لدخول الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ الرياض، المقرر إقامتها عام 1999م.

وأشار سمو الأمير خالد الفيصل إلى أن الميزانية التقديرية للمؤسسة العام المقبل قد بلغت إيراداتها المقدرة 52,38 مليون ريال، سيتم إنفاقها على مشروعات المؤسسة الاستثمارية وبرامجها الخيرية.

اكتشاف سد مياه من العصر العباسي

اكتشف فريق آثاري سعودي سد مياه في جنوب شرقي منطقة عنيزة يرجح أن يعود تاريخه إلى العصر العباسي.

ووُجد السد بحالة جيدة، ويأخذ شكل المستطيل، ممتداً من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية بطول ثلاثمئة متر، وبعرض مماثل، فيما كانت جهته الجنوبية غير واضحة المعالم لتهدمها، وعثر بجهته الشمالية على قناة للمياه.

ويعتقد أن السد واحدٌ من المشروعات

الخيرية التي نفذتها السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد.

«أحوال المعرفة»

هذا هو اسم أحدث نشرة ثقافية أدبية جامعة صدر عددها الأول - مؤخرًا - عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

من الموضوعات التي تضمنها العدد الأول ملف خاص عن المكتبة بمناسبة صدور الموافقة السامية على إعلانها مؤسسة خيرية، إضافة إلى إبداعات شعرية وقصصية ونقدية.

ندوة الوثائق التاريخية السعودية

نظمت دارة الملك عبدالعزيز بالرياض ندوة عن الوثائق التاريخية بوصفها تمثل الذاكرة الفعلية للأمة والسجل الرسمي للدولة.

وكانت الدارة قد أرسلت عدة فرق متخصصة بالوثائق والمخطوطات في جولات شملت عددًا من مناطق المملكة المختلفة بغية رصد الوثائق الوطنية الموجودة في حوزة الأفراد، لترميمها وصيانتها وفهرستها، وترجمة بعضها، لتكون في خدمة الباحثين في التاريخ السعودي والثقافة السعودية.

متاحف لآثار الحضارة الإسلامية

تدرس وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف حاليًا ترميم بعض المباني التاريخية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وتبوك والقصيم، تمهيدًا لتحويلها إلى متاحف لآثار الحضارة الإسلامية.

وقد انتهت الدراسات الاستشارية الخاصة بتصميم متحفي وادي الدواسر والقصيم المزمع إقامتهما، تمهيدًا للبدء في التنفيذ، في إطار خطة الوزارة الهادفة لتعميم المتاحف في مناطق المملكة المختلفة.

وفاة الأديب محمد علي مغربي

توفي - إلى رحمة الله - الأديب والصحافي محمد علي مغربي، عن عمر ناهز 84 عامًا، وهو أحد رواد الأدب والفكر السعودي المعاصر.


محمد علي مغربي

ولد الفقيد في مدينة جدة عام 1333هـ، وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح، ثم اتجه إلى العمل الحكومي، كما ترأس تحرير صحيفة «صوت الحجاز»، وتفرغ بعدها لأعماله الخاصة.

وهو حاصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثانية، وتعددت إسهاماته الصحافية وكتاباته الإبداعية التي لم تخل منها مجلة أو صحيفة سعودية.

ومن أبرز مؤلفاته: قصة «البعث»، و«حبات من عنقود»، و«لعنة هذا الزمن»، و«أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري»، و«ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري»، و«الإسلام في شعر شوقي»، و«تاريخ الدولة الأموية»، ومؤلفات أخرى.

المسابقة الثانية لبيت الفوتوغرافيين

أعلن بيت الفوتوغرافيين بفرع جمعية الثقافة والفنون بجدة عن فتح باب المشاركات في مسابقته الثانية للتصوير الفوتوغرافي.

والمسابقة مفتوحة لفئتي المحترفين والمبتدئين، بتصوير المجسمات والميادين العامة بمدينة جدة، على ألا تزيد المشاركة عن عملين لكل مشترك. وتحدد يوم الأربعاء 15 شعبان الجاري موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

د. زبير يفوز بجائزة البنك الإسلامي للتنمية

منح المدير السابق لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة معالي د. محمد عمر زبير جائزة البنك الإسلامي للتنمية في مجال الاقتصاد الإسلامي.

وتسلم معاليه الجائزة خلال حفل أقيم في مقر البنك بجدة في السادس عشر من شهر جمادى الآخرة الماضي.

كتب جديدة

الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، تأليف طرفة عبدالعزيز العبيكان.

معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، إعداد عبدالله عبدالرحمن المعلمي.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

رويدًا باتجاه الأرض، ديوان لإبراهيم زولي، صدر عن مركز الحضارة للإعلام والنشر.

التدريب والسعودة، تأليف د. مازن عبدالرزاق بليلة، صدر عن الغرفة التجارية الصناعية في جدة.

المسلمون في لاوس وكمبوديا، تأليف محمد بن ناصر العبودي، صدر ضمن سلسلة «دعوة الحق» عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، تأليف جورج المقدسي، ترجمه إلى العربية د. محمود سيد محمد، وراجعه د. محمد بن علي الحبشي، صدر عن مركز النشر العلمي في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

قاعدة اليقين لا يزول بالشك: دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية، تأليف د. يعقوب عبدالوهاب الباحسين، صدر عن مكتبة الرشد في الرياض.

الإمارات

جائزة البابطين تستعد للأخطل الصغير

احتفت أبو ظبي بالمشاركين في احتفالية الدورة الخامسة لجائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي حملت اسم الشاعر الكويتي الراحل أحمد مشاري العدواني، بحضور وزراء ثقافة الإمارات

سمو الأمير سلطان يرعى

حفل إصدار الطبعة الأولى من الموسوعة العربية العالمية



رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام رئيس مجلس إدارة الموسوعة العربية العالمية، حفل إصدار الطبعة الأولى من الموسوعة العربية العالمية، وذلك في مساء اليوم السادس من شهر رجب الماضي.

وتضم الموسوعة ـ التي صدرت في ثلاثين مجلدًا بتمويل من سموه ـ أكثر من ثلاثة آلاف شخصية عربية وعالمية مشهورة في مجالاتها، فضلاً عن ألفين من أعلام التراث العربي الإسلامي في مجالات المعرفة المختلفة.

وقد حضر الحفل عدد كبير من أصحاب السمو الملكي الأمراء، وأصحاب الفضيلة العلماء، والمعالي الوزراء، ورجال الفكر والأدب والإعلام، يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير، وصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، وسمو الأمير فهد بن عبدالله بن محمد آل سعود مساعد وزير الدفاع والطيران لشؤون الطيران المدني.

في مستهل الحفل، ألقى عضو مجلس إدارة الموسوعة د. راشد بن عبدالعزيز المبارك كلمة مجلس الإدارة التي نوَّه فيها بما قدمه سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز من رعاية واهتمام بهذه الموسوعة، وقال: «إنه ما كان لهذا العمل الشامخ أن يتم ولا لثمرته أن تُقطف لولا عون الله، ثم كفالة سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز التامة له تمويلاً واهتمامًا ومتابعة، فأثابه الله بما قدَّم بأكرم ما أثاب به عاملاً شرفت غايته وحسنت نيته».

وبيَّن الدكتور راشد المبارك اهتمام الأمم بالمعرفة، وجهودها في إخراج موسوعات تحيط بالعلوم والمعارف التي تشعبت، والأطوار التي مرت بها الحضارة العربية الإسلامية من ازدهار وتقهقر، وما تبع ذلك من إقبال على العمل الموسوعي وإحجام عنه. ثم تطرق بعد ذلك إلى فكرة عمل الموسوعة العربية العالمية، فقال: «إنه قد تبيَّن أن ما يتطلبه وضع موسوعة عربية شاملة من جهد وخبرة ووسائل أمر يؤخر هذا المطلب الملح أكثر مما تأخر، فصار التفكير في أمر يجمع بين اختصار الوقت

ومصر والأردن والمغرب وموريتانيا.

وشهدت الدورة مناقشة مستفيضة لشعر أحمد مشاري العدواني، ودوره النقدي، إضافة إلى طبع أعماله الكاملة، وشهادات معاصريه عنه في مجلدات.

كما تقرر أن تحمل الدورة السادسة للجائزة اسم الشاعر اللبناني الراحل بشارة الخوري (الأخطل الصغير)، على أن تقام الاحتفالية في دمشق خلال شهر أكتوبر 1998م.

معرض الشارقة للكتاب

اختتم معرض الشارقة الدولي للكتاب فعالياته في مطلع شهر رجب الماضي بمشاركة أكثر من 600 دار نشر ومؤسسة عربية وأجنبية تنتمي إلى 25 بلدًا عرضت ما يقارب نحو 120 ألف عنوان.

صاحب المعرض ملتقى فكري أقيم تحت عنوان «الثقافة العربية والتراث» شارك فيه مجموعة من المفكرين والمثقفين العرب، كما

محاضرات وندوات

«أركان الإيمان»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأميرة هيا بنت عبدالعزيز بحي الشفا في الرياض، الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان.

نظم نادي مكة الثقافي الأدبي أمسية شعرية شارك بها الشاعران: فاروق بنجر ويحيى السماوي، والناقدان د. محمد مريسي الحارثي ود. عبدالله عطاس.

«الثقافة الوافدة وتأثيرها على الذوق العام في المجتمعات العربية»، عنوان ندوة نظمها نادي الرياض الأدبي، شارك فيها مجموعة من المثقفين والأدباء، وأدارها محمد منور.

«الحروب وتأثيرها على الطفل والأسرة»، عنوان ندوة نظمها مركز الزهراء النسوي في لندن، شاركت فيها باحثات عربيات وأجنبيات.

«إسهامات العلماء العرب المعاصرين في التقدم العلمي العالمي»، موضوع محاضرة ألقاها في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض، محمد عارف.

«فكر محمد إقبال وشعره»، موضوع محاضرة ألقتها في قاعة المحاضرات بمتحف فيكتوريا وألبرت في لندن، المستشرقة الألمانية أنا ماري شيمل.

نظمت إدارة تعليم رجال ألمع بالمملكة العربية السعودية ـ في إطار معرضها للكتاب ـ أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: أحمد إبراهيم مطاعن، وعلي عبدالله آل مهدي، وإبراهيم الألمعي، ومحمد زايد الألمعي.

«متحف الكويت وقصة نشأته»، موضوع محاضرة ألقتها في متحف الجامعة الأمريكية في بيروت، الشيخة حصة الصباح.

«مدريد وطليطلة والمتاحف العالمية»، عنوان محاضرة ألقاها في مبنى نقابة الفنانين التشكيليين بدار الأوبرا، د. عبدالقادر مختار.

«الجامعات الخاصة مالها وما عليها»، موضوع ندوة أقيمت في مقر اللجنة المصرية للتضامن في القاهرة، شارك فيها كل من الدكاترة: نعمات أحمد فؤاد، وحامد عمار، ويونان لبيب رزق، وآخرون.

بالاستفادة من عمل الآخرين وخبراتهم وبين ظهور شخصية الأمة العربية المسلمة ومكانتها في هذا العمل».

وأكد أن تحقيق هذا المطلب والتزامه كان الشاغل الأول لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي اشترط أمرين لإخراج هذا العمل: الأول: أن تخلو الموسوعة من كل ما يشين الإسلام أو يتعارض مع ثابت من ثوابته، والثاني: أن يبرز وجه الحضارة العربية الإسلامية بما قدمت من عطاء للحضارة الإنسانية.

بعد ذلك ألقى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلطان بن عبدالعزيز، أمين عام مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية، كلمةً عدَّد فيها بعض أعمال سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ومنها قيام سموه - قبل شهرين - بوضع حجر أساس مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية، والموافقة على إنشاء مركز سلطان بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وافتتاح سموه مركز مكة الطبي، مع تبرعه للمركز بمبلغ عشرة ملايين ريال لمساعدة المحتاجين للعلاج، إضافة إلى إسهامه بمبلغ خمسة عشر مليون ريال في المركز يخصص ريعها لصندوقه الخيري. وقال الأمير فيصل: «إن هذه الأمسية تعد للموسوعة نهاية وبداية، فهي الإعلان عن نهاية عمل جبار أسندتم مهمته لمواطنين أكفاء مخلصين، وتابعه سموكم خطوة خطوة حتى أُنجز على خير وجه، وهذه هي نهاية المهمة الصعبة، وبداية استثمار هذا الجهد المميز بوصول الموسوعة إلى طالبي العلم وتوافرها بالمكتبات العامة والخاصة ودور العلم والمعرفة».

ثم عبَّر سموه عن بالغ شكره لسمو الأمير سلطان على تبنيه هذا العمل المعرفي الإنساني الجليل، وتخصيص سموه حصته من ريع الموسوعة لصالح مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية.

وألقى د. صالح بن عبدالرحمن المانع، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود والمراجع العلمي لمواد العلوم السياسية بالموسوعة، كلمة الأساتذة السعوديين المشاركين في أعمال الموسوعة أشار فيها إلى الذين شاركوا في تحرير الموسوعة العربية العالمية وتأليف أجزاء منها، وتعريب أجزاء أخرى من الأساتذة السعوديين والعرب من جميع البلدان العربية وأساتذة عرب آخرين عاملين في مؤسسات خارج الوطن. وأكد حرص الباحثين والمترجمين والمشرفين على أن تعكس الموسوعة وجهة النظر العربية، وأن تتماشى محتوياتها مع الثقافة العربية الإسلامية والقيم الراسخة لمبادئ العقيدة الإسلامية. ووجه الدكتور المانع شكر نحو 300 أستاذ سعودي شاركوا في أعمال الموسوعة إلى سمو الأمير سلطان.

ثم ألقى عصام ابن الشاعر الأستاذ عبدالله بن خميس قصيدة بهذه المناسبة نيابة عن والده.

وخاطب الحفلَ د. محجوب عبيد طه أستاذ الفيزياء بجامعة الملك سعود، والمراجع العلمي لمواد الفيزياء في الموسوعة نيابة عن الأساتذة العرب المشاركين في أعمال الموسوعة، وعددهم نحو سبعمئة عالم وباحث، ووصف إنجاز الموسوعة العربية العالمية بأنه إنجاز علمي كبير أصبح يتبوأ مقعداً مميزًا في قاعة الثقافة الإسلامية والعربية، وأشاد بالجهد العظيم والعمل الكبير اللذين رعاهما سمو الأمير سلطان من أجل هذا المشروع الرائد. ثم تطرق إلى ضرورة الانتقال في مجال تعريب العلوم والمعارف من مرحلة المناقشة والبحث إلى مرحلة التخطيط والتنفيذ.

وعُرض في ختام الحفل فيلم تعريفي إعلامي عن الموسوعة العربية العالمية.

أقيمت عدة محاضرات وأمسيات شعرية وقصصية ونقدية، ومشغل ثقافي للطفل، وعدة ورش متخصصة.

كتب جديدة

تقاسيم على العنبر، مسرحية لجواد الأسدي.

يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر 1046- 1099هـ، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق عبدالله محمد الحبشي.

صدر الكتابان السابقان عن المجمع الثقافي بأبو ظبي.

أساور في ذراع القمر، ديوان جديد لمحمد أحمد السويدي، صدر عن دار السويدي للنشر والتوزيع.

البحرين

المعرض الثاني لطوابع دول مجلس التعاون

استضافت المنامة - مؤخرًا - المعرض

أقام قصر ثقافة دمنهور في مصر أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: ماجد يوسف، وعبدالعزيز موافي، وجمال القصاص، وسامية عبدالسلام، ويسري حسان.

«تقويم منظمة الوحدة الافريقية وآليات إدارة إصدار قرارات منع الصراع»، عنوان محاضرة ألقاها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، السفير مجدي حفني.

«مشكلة المخدرات.. المأزق والحلول»، عنوان محاضرة ألقاها في جاليري الكوفة في لندن، د. بابكر مخير.

«التقاليد البراقة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني»، عنوان محاضرة ألقاها د. أوليفر واطسون.

«مؤثرات إسلامية في الفن الغربي.. لغة الزخرفة الساكنة»، عنوان محاضرة ألقتها د. كارين آدال.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في ثانوية عبدالله السالم بمنطقة حولي في الكويت.

«وبالوالدين إحسانًا»، عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير بمدينة المجمعة، الشيخ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي.

«الفولكلور وقضايا الإنسان المعاصر»، موضوع محاضرة ألقتها في منتدى أصحاب القلم بالكويت، د. حصة الرفاعي.

نظم نادي جازان الأدبي أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: أحمد عكور، وحسن أبو عطة، وعبدالله جبر.

نظم نادي جدة الأدبي الثقافي أمسية شعرية ضمت الشعراء: أحمد مشاط، وحمزة أحمد عامر الشريف، وعبد الإله جدع، ومحمد سالم الصفراني.

«دول الخليج والقرن الحادي والعشرون»، الجزء الثاني من محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن، يوسف الشيراوي.

«نجيب محفوظ.. خلفية فكرية»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي في القصيم، د. مصطفى بكري السيد.

«المخطوطات بين الحفظ والإتاحة»، موضوع ندوة نظمتها دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحدث فيها الدكاترة: ناهد حمدي، وأيمن فؤاد سيد، وإبراهيم فتح الباب.

سمو الأمير سلمان يرعى

حفل إصدار مجلة «المعرفة» الصادرة عن وزارة المعارف



رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مساء يوم 29 جمادى الآخرة الماضي احتفال وزارة المعارف بإعادة إصدار مجلة «المعرفة».

وألقى سموه كلمة بهذه المناسبة مشيرًا إلى تاريخ صدور المجلة أول مرة، فقال: « لقد كان اختيار اسم المعرفة من وزير المعارف ـ آنذاك ـ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ اختيارًا في مكانه، فبالمعرفة نعرف ما حولنا، وبالمعرفة نعرف قبل شيء ربنا وعقيدتنا التي بها نعتز وبها نعمل، ونعرف بلادنا، ونعرف تاريخنا، ونعرف حضارتنا، ونعرف تراثنا العظيم». وأكد سمو الأمير سلمان أن الثروة الأولى للبلاد هي العقيدة الإسلامية، ثم ثروة الرجال التي هي من أهم الثروات، ومن أهم الاستثمارات الاستثمار في الرجال والعلم، وأشاد بالذين كانت لهم الريادة في مسيرة العلم والمعرفة، منذ انطلاق هذه الدولة عام 1157هـ بتعهد الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ حتى أصبحت الجامعات تضم جميع التخصصات. وقال سموه: «وهذا شيء مكان اعتزاز دائمًا، لذلك أعود وأقول إن الفضل لله قبل كل شيء، ثم لمؤسس هذه البلاد، ثم لملوك هذه البلاد أبناء الملك عبدالعزيز، وهم سعود وفيصل وخالد وفهد وولي عهده الأمين في استمرار المسيرة، وفي تواصلها بالتعاون مع أبناء بلادنا، وهنا أقول كلمة، وهي كلمة إنصاف وحق ووفاء، نعم لقد ساعدنا أخوةٌ لنا من أبناء البلاد العربية والإسلامية والدول الصديقة في أن نضع اللبنات الأولى في مسار التعليم».

المشترك الثاني لطوابع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

اشتمل المعرض على مجموعات من إصدارات دول المجلس التي سجلت مظاهر النهضة والتقدم والإنجازات الثقافية والتاريخية والمناسبات الوطنية، إضافة إلى تراث دول المنطقة وحضارتها وأزيائها، وصور قادتها.

وضم المعرض قسمًا خاصًا لهواة الطوابع، عُرضت فيه مجموعة من أقدم الطوابع وأندرها.

قطر

معرض دولي للكتاب

تقام الدورة الحادية عشرة لمعرض الدوحة الدولي للكتاب خلال المدة من 8 إلى 17شعبان الجاري (18ـ 27 ديسمبر 1996م).

وتشارك معظم الدول العربية وعدد من الدول الأجنبية في المعرض الذي يتكون من ثلاثمئة جناح تضم قرابة 35 ألف عنوان، إلى جانب أجنحة متخصصة في تقنية الحاسب الآلي وأنظمة المعلومات، كما تُقام على هامشه فعاليات ثقافية وفنية متنوعة ما بين محاضرات وندوات، وأمسيات شعرية وقصصية ونقدية وعروض فنية.

كتب جديدة

وثيقة مؤتمر السكان والتنمية: رؤية شرعية، تأليف د. الحسيني سليمان جاد، صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الكويت

مهرجانا كاظمة والقرين

ما كاد مثقفو الكويت ومبدعوها ومفكروها يودعون مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي الذي رمى إلى إبراز روائع الإبداع الإسلامي في الشعر والأدب والعمارة، حتى أهلَّ عليهم مهرجان القرين الثقافي الثالث الذي افتُتح تحت رعاية ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح في التاسع من شهر رجب الماضي (20 نوفمبر 1996م).

تضمن المهرجان افتتاح معرض الكويت الحادي والعشرين للكتاب، ومجموعة من النشاطات الثقافية والفكرية والفنية، من بينها عروض شعبية من دول عربية مختلفة، وأمسيات شعرية لعدد من الشعراء العرب، وندوة عن «العمارة في الكويت»، وأخرى عن «الفن التشكيلي المعاصر: الواقع والطموح» ونشاطات أخرى.

كتب جديدة

الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية، تأليف د. محمد بهي الدين عرجون.

العبقرية.. تاريخ الفكرة، تحرير بنيلوبي مرّي، ترجمه إلى العربية محمد عبدالواحد محمد، وراجعه د. عبدالغفار مكاوي.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

إبراهيم العريض وإشعاع البحرين الثقافي، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف د. محمد جابر الأنصاري.

واختتم الأمير سلمان كلمته بالقول: «الدكتور محمد الرشيد بحث معي اقتراحًا مناسبًا جدًا، وأحب أن يقال في هذا الحفل. لقد ذكر أنه يرى أو يستشيرني في أن يضع على ترويسة المجلة أنها صدرت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز كوزير للمعارف، وأعيد نشرها في عهده كملك للمملكة العربية السعودية، وبارك خطواتها».

وقد تضمن الاحتفال عرض فيلم لمسيرة التعليم في المملكة، ثم مراحل صدور مجلة المعرفة، وتَضَمَّن مقتطفات من كلمة خادم الحرمين الشريفين التي تصدرت العدد الأول من المجلة حينما كان وزيرًا للمعارف. ثم أُهديت لسمو الأمير سلمان نسخة من العدد الجديد لمجلة المعرفة، قدمها معالي وزير المعارف الدكتور محمد الأحمد الرشيد؛ الذي ألقى كلمة ترحيبية نوَّه فيها بأهمية الإعلام المتخصص في هذا العصر، وتعاظم دوره في مجال التربية والتعليم، فقال: «ففي الدول المتقدمة يتجاوز الإعلام التربوي حدود تلبية احتياجات المربين والمعلمين، ليشمل تلبية احتياجات الطلاب وأولياء أمورهم، ويشمل المناهج والمقررات التعليمية ذاتها».

وتناول د. الرشيد النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة العربية السعودية في مجال التعليم بفضل الله، ثم بفضل الدعم غير المحدود من خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده وسمو النائب الثاني، حتى أصبح العاملون في هذا الميدان يزيد عددهم على أربعة ملايين. واستطرد قائلاً: «لقد بدأت المجلة انطلاقتها الأولى بقوة عندما كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ أيده الله ـ وزيرًا للمعارف، والأعداد التي بين أيدينا منها تدل على أنها كانت مجلة رائدة، ويجب أن تكون انطلاقتها الثانية اليوم قوية تناسب روح العصر الذي نعيشه، والتقدم الذي نتفيأ ظلاله».

وقدم وزير المعارف المجلة إلى الحضور، ثم خاطب الأمير سلمان شاكرًا له رعايته للاحتفال، منوهًا بجهود سموه الرشيدة في حقول العلم والفكر والثقافة، وأضاف: «دعونا ـ بهذه المناسبة ـ نذكر الوالد المؤسس الباني جلالة الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ الذي وَحَّدَ بلادنا، وجمع شملها، ولم شعثها، ووهبها من حكمته وحنكته ما جعلها ـ بفضل الله ـ تتبوأ هذه المكانة المرموقة التي تحتلها الآن».

وألقى الدكتور وليد الطويرقي المشرف على الدار الناشرة للمجلة كلمة أشاد فيها بالجهد الذي بُذل لإخراج هذه المجلة.

آخر السيوف، مجموعة شعرية للدكتورة سعاد الصباح.

صدر الكتابان السابقان عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.



مصر

اقتراح بإنشاء هيئة عليا للمخطوطات الإسلامية

يدرس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر اقتراحًا بعث به مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد لإنشاء هيئة إسلامية عليا تناط بها مهمة صيانة المخطوطات الإسلامية وحفظ التراث الإسلامي.

وينتظر أن يتم الإعلان عن إنشاء الهيئة قريبًا، بعد أن أكدت دول وجامعات إسلامية عديدة موافقتها على الانضمام للجنة التأسيسية للهيئة.

ندوتان علميتان تؤكدان: القدس عربية

أقيمت ـ مؤخرًا ـ ندوتان علميتان عن مدينة القدس، نظم أولاهما مركز دراسات المستقبل في جامعة أسيوط، ونظم الأخرى قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب في جامعة الاسكندرية.

دارت مناقشات الندوة الأولى التي كان عنوانها «القدس.. التاريخ والمستقبل» حول تاريخ القدس وحقوق الأديان الثلاثة بها، وعروبة القدس في التاريخ القديم، وموقف الأحزاب الإسرائيلية والرأي العام الإسرائيلي من قضية القدس.

فيما ناقشت الندوة الثانية تحت عنوان «القدس.. التاريخ والحضارة» وضع القدس قبل عصر النبي داود عليه السلام، وفي القرن السادس الهجري، وخلال الحرب العالمية الأولى.

رمت الندوتان إلى تأكيد عروبة القدس، ودحض المزاعم الإسرائيلية حول حق اليهود فيها، والتذكير بالقرارات الدولية التي اعترفت بالحقوق العربية التاريخية في المدينة المقدسة، والتنبيه على المخاطر التي تترصد عملية السلام من جراء المزاعم الإسرائيلية.

مهرجان الشعر العربي

شارك ما يزيد على خمسين شاعرًا وناقدًا من اثنتي عشرة دولة عربية في مهرجان الشعر العربي الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة خلال المدة من 12 إلى 16 رجب الماضي (23-27 نوفمبر 1996م) تحت عنوان «مهرجان القاهرة للإبداع الشعري».

وعُقدت على هامش المهرجان جلسات نقدية لمناقشة القصائد التي ألقيت، ولوحظ تنوع المهرجان، وشموله لمختلف التيارات النقدية والإبداعية، مما حدا بالبعض إلى المطالبة بأن تُخَصَّص المهرجانات التالية لموضوع واحد أو قضية نقدية واحدة.

صالون الفراهيدي الثقافي

افتتحت سفارة سلطنة عمان بالقاهرة أحدث صالون أدبي عربي أُطلق عليه اسم «صالون الفراهيدي الثقافي» نسبة إلى العالم العربي ذي الأصل العماني الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وتقرر أن تكون حلقات الصالون يوم الثلاثاء الأخير من كل شهر، وقد بدأت أولى

بعد مشكلات ومآزق عدة:

معرض القاهرة الدولي للكتاب يُقام هذا الشهر

القاهرة ـ مراسل الفيصل:

تقرر أن تُقام الدورة التاسعة والعشرون لمعرض القاهرة الدولي للكتاب خلال المدة من 11ـ 26 شعبان الجاري (من 21 ديسمبر 1996م إلى 5 يناير 1997م).

ويجيء تحديد هذا الموعد بعد أن تعرضت الهيئة المصرية العامة للكتاب منظمة المعرض لعدة مآزق تتعلق بالمواعيد، فقد كانت حريصة على ألا يقام المعرض خلال شهر رمضان المبارك تلافيًا لاحتجاجات دور النشر من ناحية، حيث أثرت إقامته في الدورة السابقة خلال الشهر الفضيل على حركة المبيعات، ومن ناحية ثانية فإن الهيئة اصطدمت بوجود تعاقدات بعد عيد الفطر المبارك بين هيئة المعارض التي يقام المعرض على أرضها وجهات أخرى، ومن ناحية ثالثة فإن ديوان رئاسة الجمهورية أبلغ مسؤولي المعرض بأن ظروف ارتباطات الرئيس حسني مبارك تجعل أنسب المواعيد 5 يناير، كي يمكن أن يفتتح الرئيس المعرض ـ كعادته كل عام ـ بلقاء مع الكُتّاب والمفكرين. وأخيرًا بعد مشاورات بين الناشرين والهيئة ووزارة الثقافة اتُّفق على الموعد المذكور أعلاه.

ولم يُعرف، حتى لحظة كتابة هذه السطور، عدد الدول ودور النشر التي ستشارك، حيث أبدى رئيس هيئة الكتاب د. سمير سرحان تخوُّفا من أن موعد انعقاد المعرض سوف يؤثر سلبًا في مشاركة الناشرين، ولاسيما الأجانب منهم لتزامنه مع احتفالات نهاية العام.

وفي ظل هذه الأجواء الساخنة انعقدت الدورة الثالثة عشرة للمعرض الدولي لكتب الأطفال بمشاركة 320 دارًا للنشر من ثلاثين دولة، من بينهم 27 ناشرًا عربيًا، وأقيمت على هامشه نشاطات ثقافية وفنية من بينها معارض تشكيلية للأطفال.

يُذكر أن هذه هي المرة الأولى التي تقام فيها دورتان لمعرض القاهرة الدولي للكتاب في عام ميلادي واحد، حيث أُقيمت الدورة السابقة في شهر فبراير. إلا أن الدورة الحالية تحمل أخبارًا سارة للناشرين تتمثل في تخفيض قيمة الاشتراك، وصدور العدد الأول من مجلة اتحاد الناشرين.

حلقات الصالون بمناقشات للدور التاريخي الذي قام به الفراهيدي، وإنجازاته في مجالات عروض الشعر واللغة والفكر والأدب والثقافة، فيما كانت «موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية» موضوعًا للحلقة الثانية.

اكتشاف قصر كليوباترا والمدينة الملكية للبطالمة

عثر فريق آثاري مصري ـ فرنسي في مياه الميناء الشرقي للإسكندرية على المدينة الملكية للبطالمة، ومن بينها أطلال قصر كليوباترا، الذي يعود تاريخه إلى نحو ألفي عام.

ويتوقع الآثاريون أن يعثروا في الموقع على قطع من الفسيفساء والتماثيل والأعمدة الرخامية التي تؤرخ لهذه الحقبة، مما قد يساعد

رسائل جامعية

«كتاب التفليس والحَجْر من الحاوي الكبير للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي.. دراسة وتحقيق»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها ظافر بن عبدالله الشهري.

«الشهادة في القرآن الكريم.. أنواعها ومعانيها»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها علي حسان علي حسان.

«دراسة لصفحتي التعليم بجريدتي الجمهورية والوفد وتحليل مضمونهما»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الإعلام بكلية الآداب في جامعة الزقازيق المصرية، تقدم بها سامي السعيد أحمد.

«عضلة القلب في الأطفال المصابين بالكساح»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدمت بها نجلاء صلاح ربيع.

«فلسفة قانون الجنسية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة فيينا بالنمسا، تقدم بها جورج داوود.

«علاقة عروض الشعر ببنائه النحوي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد جمال صقر.

«إعلام منظمة التحرير الفلسطينية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها عصام فرج.

«تطور الرواية في الستينيات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها منال محمد عبدالحليم.

«اليهود في مصر من الفتح العثماني حتى أوائل القرن 19م»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محسن علي شومان.

«صورة الأدب في ثلاثية نجيب محفوظ»، دراسة في التحليل النفسي»،

على كشف مواقع أثرية مهمة مثل قبر الإسكندر المقدوني، إضافة إلى توضيح الكثير حول مرحلة حكم البطالمة، وربما أدت هذه الاكتشافات إلى تصحيح أخطاء تاريخية رسخت في كتابات سابقة، وإعادة رسم خرائط جديدة؛ حيث إن الاعتقاد السائد أن زلزالاً ضرب مصر عام 535م كان السبب وراء اختفاء المدينة الملكية للبطالمة وما تضمه من قصور ومعابد.

أميّة المرأة العربية في ندوة

بحثت ندوة «أثر أمية المرأة العربية على الأسرة»، خطط مواجهة مشكلة الأمية، وجهود البلدان العربية في مجال محو أمية المرأة، وواقع الأمية في الدول العربية من منظور الأسرة.

كما ناقشت الندوة - التي استمرت يومين - نتائج أعمال مؤتمر المرأة العربية الذي عُقد في الأردن في شهر جمادى الأولى الماضي.

غابات وحيوانات متحجرة منذ 30 مليون سنة

عثر فريق جيولوجي مصري - أمريكي على عدد كبير من الغابات المتحجرة في منطقة جبل قطراني بمحافظة الفيوم جنوبي مصر يقدر عمرها بأكثر من ثلاثين مليون عام.

ويضم الكشف، الذي يعد الأول من نوعه في العالم، أعداداً كبيرة من الأشجار المتنوعة، يسكنها العديد من أنواع الحيوانات البرية والبحرية المتحجرة أيضاً ما بين تماسيح وطيور وعشش لحشرات مثل النحل والزنابير.

كتب جديدة

رامبو وزمن القتلة، تأليف هنري ميللر، ترجمه إلى العربية سعدي يوسف.

أزمة الشعر في مصر (أبحاث مؤتمر شمال الصعيد 1996م)، إعداد شحاتة إبراهيم.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ليلة باسمة في حياة ميّ، تأليف أحمد حسين الطماوي، صدر عن دار الفرجاني.

دراسات في الإعلام الفضائي، تأليف د. عاطف عدلي العبد، و د. فوزية عبدالله العلي، صدر عن دار الفكر العربي.

يلتسين وأسرار الكرملين، تأليف منى ثابت، صدر عن القطاع الثقافي بمؤسسة أخبار اليوم.

الحضارة المصرية: من عصور ما قبل التاريخ وحتى نهاية الدولة القديمة، تأليف سيريل ألدريد، ترجمه إلى العربية مختار السويفي، وصدر عن الدار المصرية اللبنانية.

معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوربي، تأليف د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي، صدر عن عالم الكتب.

الشخصية المصرية: دراسة للمدرسة المصرية للفن والحياة، تأليف د. علياء رضاه رافع، صدر عن دار صادق.

أحزان رجل لا يعرف البكاء، مجموعة قصصية لخالد محمد غازي، صدرت ضمن سلسلة «نوافذ» عن وكالة الصحافة العربية.

السودان

وفاة الأديب معتصم جلابي


معتصم فضل جلابي

توفي الشاعر والقاص والمترجم السوداني معتصم فضل جلابي في السابع عشر من شهر جمادى

موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها منال عاشور.

«القيم التشكيلية والتعبيرية للرسم في ضوء الأساليب الأدائية الحديثة»، **عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية الفنية بالقاهرة، تقدمت بها صباح مصطفى.**

«الشخصية المصرية في أدب الروائي ثروت أباظة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة المنيا المصرية، تقدم بها سعيد محمد أحمد.

«خدمات دار الوثائق القومية في مصر.. مشكلاتها ومتطلبات التطوير والتحديث»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها وفاء صادق.

«التخطيط العمراني والجغرافيا»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة تكساس الأمريكية، تقدم بها إبراهيم البطحي.

«تطوير الألياف البصرية وتطبيقات جديدة لها»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الهندسة بالمنصورة في مصر، تقدم بها عابد محمد نصر.

«الأديب والروائي الإسباني أنطونيو مونيوس موليتا وأدبه»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بالقاهرة، تقدمت بها هالة عبد السلام عواد.

«المنمنمات الإسلامية ودورها في عمل تصويري معاصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، تقدم بها خلف طايع.

«موقف الصحافة السورية من القضايا الوطنية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها إلهام العيناوي.

«أقمشة المفروشات الأرضية من سجاد وكليم وحصير»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان، تقدم بها طارق عبدالرحمن.

«القصة القصيرة في جريدة الأهرام وموقفها من قضايا المجتمع»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة جنوب الوادي في مصر، تقدم بها الأمير فايز صحصاح.

الآخرة الماضي بمدينة الرياض.

وقد ولد جلابي في مدينة أم درمان عام 1956م، وتخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة في عام 1983م، وله عدة كتب مترجمة في مجال التسويق والإدارة، وقصائد وقصص ودراسات نقدية منشورة، وكان قد دفع بمجموعته القصصية الأولى إلى المطبعة قبل أيام من وفاته.

مركز الدراسات النوبية وإصدارات توثيقية

يعتزم مركز الدراسات النوبية والتوثيق إصدار نشرة تعريفية باللغتين العربية والإنجليزية بعنوان «أركي»، كما سيصدر المركز بصفة دورية سلسلة إصدارات تحت عنوان «سودانيات»، تُعنى بمجمل الثقافة السودانية، إلى جانب إصداره لسلسلة أخرى بعنوان «كولاركي» تعنى بقضايا الثقافة والتعليم، فضلاً عن سلسلة «مزار» الخاصة بنشر الإبداع الثقافي للشباب السوداني.

من المشروعات الأخرى للمركز، طبع كتاب البروفيسور وليم آدمز «النوبة رواق إفريقيا»، ثم كتاب للأديب السوداني سامي سالم بعنوان «نصوص أدبية: عائشة الفلاتية تغني لزغب الحواصل».

ومركز الدراسات النوبية والتوثيق هو مؤسسة غير حكومية مسجلة في لندن، وهو عضو في الجمعية العالمية للدراسات النوبية وجمعية الدراسات السودانية العالمية.

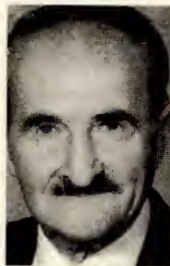
سورية

اكتشاف مدينة أثرية تعود إلى عام 2400 ق. م.

بعد عمليات بحث استغرقت أربعة عشر عامًا من العمل المتواصل، اكتشفت بعثة آثارية ألمانية في منطقة تل البيعة مدينة مدفونة في باطن التل هي مدينة توتول القديمة، التي كانت عاصمة إقليمية معروفة في سنوات ما قبل الميلاد.

وقد عاصرت توتول - كما يقول علماء التاريخ والآثار - ثلاث مراحل رئيسة هي: المرحلة البيزنطية وتعود إلى عام 600م، والمرحلة البابلية وتعود إلى عام 1800ق. م. والمرحلة الأكادية وترجع إلى عام 2400ق. م، وقد عُثر بالموقع على آثار تعود إلى المراحل الثلاث التي عاصرتها توتول.

وفاة الجابري وعمران


د. شكيب الجابري

توفي - مؤخرًا - الروائي السوري د. شكيب الجابري خلال زيارة لأبنائه في مدينة الرياض السعودية عن عمر ناهز 85 عامًا، والشاعر محمد العمران عن عمر ناهز 62 عامًا.

والجابري من مواليد حلب عام 1912م، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء من جامعة برلين، ومارس العمل الصناعي والإعلامي والدبلوماسي، وله عدة مؤلفات أشهرها: «تأثير الأوزون في مشتقات البترول» إلى جانب عدة روايات، منها: «نهم» و«قوس قزح». أما آخر رواية فقد كتبها عام 1960م بعنوان «وداعًا أفاميا» التي توقف بعدها عن الكتابة الأدبية من دون إبداء الأسباب.

أما الشاعر محمد عمران فهو من مواليد محافظة طرطوس، وكان يرأس تحرير مجلة «المعرفة» التي تصدرها وزارة الثقافة السورية، وله عشرة دواوين شعرية وثلاثة كتب في الأدب والنقد.

وفاة شاعر الوطنية

توفي الشاعر العراقي السيد مصطفى جمال الدين، في دمشق عن عمر ناهز 69 عامًا.

والفقيد من مواليد محافظة الناصرية عام 1928م، ودرس بجامعة النجف، حيث نال درجة الدكتوراه عن موضوع «الإيقاع في الشعر العربي»، وإلى جانب عمله الأكاديمي في الجامعة، واشتغاله بالنقد، كان صاحب مدرسة أصيلة في الشعر؛ حيث تميزت أشعاره بالجانب الإنساني، والدفاع عن الحقوق، وقد اضطر عام 1980م إلى الرحيل للإقامة في دمشق، وجمع أشعاره بين دفتي كتاب أسماه «الديوان».

كتب جديدة

الاتجاهات الفكرية في الصحافة العربية: حلب نموذجًا، تأليف سهيل الملاذي، صدر عن دار يعرب في دمشق.

عبقريات وأعلام، تأليف عبدالغني العطري.

ديوان الإمام الشافعي، تحقيق عبدالمجيد همو.

صدر الكتابان السابقان عن دار البشائر.

تاريخ أمراء المدينة المنورة: 1هـ - 1417هـ، تأليف عارف أحمد عبدالغني، صدر ضمن سلسلة «تواريخ المدن»، عن دار كنان.

جسر بنات يعقوب، رواية لحسن حميد، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب في دمشق.

أطياف الحداثة، تأليف محمد جمال باروت، صدر عن دار الصداقة في حلب.

أوبرج السعادة، رواية لعبدالقادر لطفي، صدرت عن دار حوار باللاذقية.

النقد الأدبي في القرن العشرين، جزءان، تأليف جان إيف تاديه، ترجمه إلى العربية د. منذر عياشي، وصدر عن مركز الاتحاد الحضاري في حلب.

لبنان

كتب جديدة

ديوان ابن مقبل، تحقيق عزة حسن، صدر عن دار الشرق العربي في بيروت.

نشيد أوروك، ديوان لعدنان الصائغ، صدر عن دار نشر أمواج.

الخائبون، رواية لمنى شاتيلا، صدرت عن دار نشر كتابات .

المنخل: مختصر إصلاح المنطق، للوزير أبي

القاسم الحسين بن علي المغربي (ت 418هـ)، تحقيق د. جمال طلبة.

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تأليف أبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (384هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين.

صدر الكتابان السابقان عن دار الكتب العلمية.

خشب يتمسح بالمارة، ديوان للشاعر إبراهيم الحسين، صدر عن دار الجديد.

صيدا المدينة القديمة (كتاب توثيقي بالصور والنصوص والخرائط)، أعده سامي كركبي، وصدر باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية عن منشورات مؤسسة الحريري.

البيت الأخير، رواية لربيع جابر، صدرت عن دار الآداب.

رسائل الحنين إلى الياسمين، تأليف غادة السمان، صدر عن منشورات غادة السمان.

الإعلام العالمي: مؤسساته، طريقة عمله، وقضاياه، تأليف فارس أشتى، صدر عن دار أمواج في بيروت.

الأردن

مؤتمر النشر والضبط الببليوجرافي

اختتمت في عمان - مؤخرًا - أعمال المؤتمر السنوي للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، الذي عقد تحت عنوان «النشر والضبط الببليوجرافي في الوطن العربي».

شارك في المؤتمر أكاديميون ومختصون بعلوم المكتبات من مختلف أرجاء الوطن العربي، حيث ناقشوا على امتداد أربعة أيام عدة محاور من بينها موضوعات: الضبط الببليوجرافي القومي، والنشر التخصصي في العالم العربي، والنشر العام في العالم العربي، وموضوعات أخرى.

منع 30 كتابًا في معرض عمان الدولي

أثار قرار دائرة المطبوعات والنشر بوزارة الإعلام بمنع إجازة 30 كتابًا لدور نشر سورية ومصرية وفلسطينية في مجالات السياسة والفكر والأدب من المشاركة في معرض الكتاب الدولي السادس بعمان ردودَ فعل غاضبة من قبل الناشرين الذين مُنعت كتبهم، وحجتهم أن بعضها يباع حاليًا في الأسواق الأردنية، كما أن بعضها قد تمت المشاركة به في المعرض السابق ولم يُعترض عليه.

من الكتب الممنوعة: «العار والكارثة» لعلي عقلة عرسان، و«العالم بين صليبيتين» لعبدالوهاب زيتون، و«من الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان» لعبدالله حنا.

يُذكر أن المعرض اختتم أعماله في شهر جمادى الآخرة بمشاركة 203 دور نشر عربية وأجنبية. واختير الأديب المحقق د. إحسان عباس ليكون شخصية عام 1996م الثقافية، حيث خُصِّص جناح لعرض كتبه التي تقارب الستين كتابًا، إضافة إلى ندوة عنه.

كتب جديدة

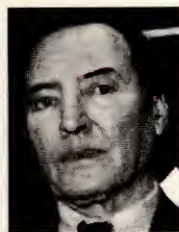
منطق الكلمات، مجموعة شعرية لمريد البرغوثي، صدرت عن دار المدى في عمان.

دائرة الطباشير الفلسطينية، طائفة في بيت النار، ثقافة لذاتها ثقافة في ذاتها، من هناك حتى ثورة النعناع، أربعة كتب جديدة لسلمان ناطور، صدرت عن دار نشر كرمل ميديا.

إسرائيل تستولي على بيت المقدس وفق مخطط استراتيجي، إعداد وإصدار وحدة البحوث والدراسات بمركز الشرق الأوسط.

الجزائر

رحيل ابن هدوقة


عبد الحميد بن هدوقة

توفي الروائي القاص عبدالحميد بن هدوقة، بعد صراع مع المرض عن عمر ناهز 71 عامًا.

ولد ابن هدوقة في سطيف عام 1925م، وتلقى تعليمه في معهد الكتاني بالجزائر وجامع الزيتونة في تونس، وقام بدور إعلامي خلال حرب تحرير الجزائر، حيث ترأس عام 1958م الإذاعة العربية لجبهة التحرير الشعبية، وظل يترأسها حتى تم الاستقلال، حيث عين رئيسًا لقسم البرامج الفنية بالإذاعة الجزائرية، كما تولى مسؤولية المؤسسة الوطنية للكتاب، إلى جانب منصب الأمين العام المساعد لاتحاد الكتّاب، ورئيس المجلس الوطني الجزائري.

ترك الراحل رصيدًا ثقافيًا وإبداعيًا يتمثل في خمس روايات من أهمها «ريح الجنوب» و«السراب»، وأربع مجموعات قصصية منها «ظلال جزائرية»، و«الكاتب وقصص أخرى»، فضلاً عن ديوان شعر بعنوان «الأرواح الشاغرة»، إلى جانب مجموعة من الدراسات وأكثر من مئتي تمثيلية إذاعية.

ليبيا

كتب جديدة

أربع مسرحيات قصيرة، تأليف د. فيصل المقدادي، صدرت عن منشورات جامعة قار يونس في بنغازي.

قطرات من يراع، تأليف مصطفى المصراتي، صدر عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

المغرب

مائدة مستديرة حول النشر وحقوق المؤلفين

نظمت دار أمريكا في الرباط مائدة مستديرة حول موضوع «من الفكرة إلى السوق» للتعريف بالملكية الفكرية وفتح آفاق جديدة في مجال تسويق الكتاب.

شارك في أعمال المائدة مجموعة من الخبراء والاختصاصيين بمجال الكتابة والنشر وحقوق المؤلفين من المغرب وأمريكا.

كتب جديدة

الفضاء والجسد، تأليف موليم العروسي، صدر عن منشورات الرابطة في الدار البيضاء.

حوار التواصل، تأليف المهدي المنجرة، صدر عن وكالة شراع في طنجة.

تونس

مجلة اقتصادية بالفرنسية

صدرت - مؤخرًا - مجلة اقتصادية وعلمية جديدة باللغة الفرنسية تحمل اسم «ليكسبير».

وتتوجه المجلة إلى مديري الشركات ورجال الأعمال، وسيتم توزيعها بالإضافة إلى تونس في البلدان التي تنتشر فيها الثقافة الفرنسية مثل الجزائر والمغرب ولبنان إلى جانب فرنسا.

كتب جديدة

التيارات الأدبية في تونس المعاصرة، تأليف البشير بن سلامة، صدر عن دار المعارف للطباعة والنشر في سوسة.

موريتانيا

وفاة الشيخ محمد الفال

نعت الأوساط الإسلامية فضيلة الشيخ محمد الفال البناني، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، والمستشار بديوان رئاسة الجمهورية الموريتانية، وسفير بلاده المتجول في الشرق الأوسط، الذي توفي عن عمر ناهز 87 عامًا.

والفقيد من مواليد 1330هـ وقد خدم الدعوة الإسلامية من خلال عضويته في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعمله مديرًا لمكتب الرابطة في نواكشوط، إضافة إلى مؤلفاته في مجالات الفقه والسيرة والإفتاء والشعر والتاريخ.

تركيا

دائرة معارف إسلامية

تعكف مجموعة من العلماء والمتخصصين على إصدار دائرة معارف إسلامية شاملة تتكون من 230 ألف مادة في مختلف المجالات ذات العلاقة بالإسلام والمسلمين.

يشارك في إعداد الموسوعة، إلى جانب العلماء الأتراك، علماء وباحثون من جامعات وهيئات خارج تركيا، ويشرف على إصدارها وقف الشؤون الإسلامية التابع لرئاسة الشؤون الدينية.

الولايات المتحدة الأمريكية

جامعة للعلوم الإسلامية

افتُتحت في مدينة ليسبرج بولاية فرجينيا - مؤخرًا - أول جامعة تختص بمنح درجتي الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية والاجتماعية تحت مسمى «جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية».

وذكر رئيس الجامعة د. طه جابر العلواني أن الجامعة الجديدة ستكون امتدادًا لجامعة قرطبة، وجسرًا بين الشرق والغرب.

ندوة عن الدراسات الإسلامية والعربية بجامعات أمريكا

نظم معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا ندوة علمية في واشنطن بعنوان «الدراسات الإسلامية والعربية في جامعات أمريكا الشمالية ومعاهدها» خلال النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

دارت الندوة حول محورين أساسيين، أولهما عن القضايا الإسلامية المعاصرة في مواد الدراسات الإسلامية بالجامعات الأمريكية، والآخر عن مشكلات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.

شارك في الندوة باحثون وأكاديميون ومهتمون بالدراسات الإسلامية والعربية من جامعات أمريكية مختلفة.

هيكل الإنسان قبل نحو 9300 عام

اكتشف فريق آثاري بالقرب من شاطئ نهر كولومبيا على حدود مدينة واشنطن هيكلاً عظميًا كاملاً يعود تاريخه إلى نحو 9300 عام.

ويُعدّ هذا الهيكل أقدم بقايا إنسان عُثر عليها حتى الآن، ويضم أجزاء من الإنسان وهو بهيئته الكاملة من الرأس إلى القدمين، وقد كانت المياه تغطي نصفه.

فرنسا

مؤتمر الإسلام وأوربا والمستقبل المشترك

تستضيف باريس مؤتمرًا عالميًا حول التعايش السلمي بين الإسلام والغرب خلال يومي (29، 30 يناير 1997م)، تحت شعار «الإسلام وفرنسا وأوربا: كيف نبني مستقبلنا المشترك؟».

تتولى تنظيم المؤتمر منظمة أهلية فرنسية برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي، ويرمي إلى دحض الآراء والتصورات التي يُروّج لها البعض في الغرب عن اندلاع مواجهة في المستقبل بين الإسلام والغرب.

كما يبحث المؤتمر أوضاع الجالية الإسلامية في أوربا التي يقدر عددها حاليًا بنحو عشرين مليون نسمة.

وينتظر أن تشارك شخصيات أوروبية كبيرة في أعمال المؤتمر، ومن بين المتوقع مشاركتهم ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز، والمستشار الألماني هيلموت كول، إضافة إلى الرئيس السنغالي عبدو ضيوف، ورئيس الوزراء التركي نجم الدين أربكان، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي د. حامد الغابد، فضلاً عن مشاركين بارزين من السعودية ومصر

وفلسطين والبوسنة وتركيا وباكستان وماليزيا ودول أخرى.

معهد العالم العربي يكرم الطيب صالح

ينظم معهد العالم العربي في باريس هذا الشهر مهرجان تكريم للروائي السوداني الطيب صالح، يتضمن عرض فيلم «عرس الزين» المقتبس من رواية الكاتب التي تحمل العنوان نفسه، وإقامة عروض فنية لفنون الشعبية، وإعلان اكتمال ترجمة جميع أعماله إلى اللغة الفرنسية، وإقامة معرض للآثار النوبية في شمال السودان تحت عنوان «السودان بلاد النيلين»، يتم فيه عرض قطع نادرة وجديدة تعرض لأول مرة.

ويشارك في هذا المهرجان التكريمي عدد كبير من المثقفين والفنانين السودانيين والعرب، والفرق الشعبية.

الفائزون بجوائز: جونكور والأكاديمية ورينودو

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز: «جونكور»، و«الأكاديمية الفرنسية» و«رينودو».

نالت جائزة «جونكور» - أرفع الجوائز الأدبية الفرنسية - الروائية باسكال روز عن روايتها «المقاتلة صفر».

وباسكال روز من مواليد الهند الصينية، تبلغ من العمر 38 عامًا، وقد عملت في المسرح قبل أن تتجه إلى الكتابة، ونشرت عام 1994م مجموعة قصصية بعنوان «حكايات مزعجة».

وحصلت الكاتبة الكاميرونية كاليكست بيالا على الجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية عن روايتها «الشرف المغفور». وهي كاتبة متفرغة منذ أن نشرت روايتها الأولى عام 1987م بعنوان «الشمس التي أحرقتني»، وسبق لها الحصول على جائزة فرانسوا مورياك عام 1994م عن كتابها «اسيزي الإفريقية».

فيما حاز الروائي الألماني بوريس شريبر (73 عامًا) جائزة رينودو عن رواية «صمت لنصف ساعة تقريبًا».

وشريبر من مواليد برلين، وله اثنا عشر مؤلفًا، لعل أبرزها: «دوار الشمس الممزق» و«حليب الليل».

وفاة الروائية إيزابيل ماري

توفيت الروائية والمحللة النفسانية إيزابيل ماري إثر أزمة قلبية عن عمر ناهز 52 عامًا، وهي من رموز الأدب النسائي الفرنسي.

وتعد إيزابيل ماري من المتخصصين بالتحليل النفسي إلى جانب ممارستها للكتابة الروائية، حيث استفادت من دراساتها النفسية في تقديم أدب روائي على مستوى راق، حتى إن روايتها «الخادمة» التي صدرت - مؤخرًا - أدرجت ضمن الأعمال المرشحة لجائزة «جونكور»، ولها إلى جانب الرواية السابقة ثلاث روايات أخرى.

أحدث الكتب

بين الأسطورة والسياسة، تأليف جان بيار فرنان، صدر عن دار نشر سول في باريس.

الحرب البلقانية الأخيرة، تأليف جين هوت، صدر عن دار نشر هارتمان.

منمنمات تاريخية، طقوس الإشارات والتحولات، مسرحيتان لسعدالله ونوس، ترجمهما إلى اللغة الفرنسية رانيا سمارة، وماري إلياس، وحنان قصاب حسن، وصدرتا في كتاب واحد عن دار نشر سندباد.

وداعًا أيها الطفل، مجموعة قصصية لجبار ياسين، ترجمها إلى الفرنسية مصطفى علمان وبيار روش، وصدرت عن دار نشر اتوليه دوجيه.

علامات الخريف، رواية لشمعون بلاص، ترجمتها إلى الفرنسية سيلفي كوهن، صدرت عن دار نشر جلجامش.

بريطانيا

جائزة بوكر لـ «آخر الطلبات»

مُنح الروائي البريطاني جراهام سويفت «جائزة بوكر» أرقى جائزة أدبية بريطانية عن روايته الأخيرة «آخر الطلبات».

وسويفت من مواليد عام 1949م، وقد سبق أن رُشِّح للجائزة نفسها قبل 13 عامًا عن روايته «أرض الماء» لكنه لم ينلها، وقد فازت روايته هذا العام من بين 150 رواية رُشحت، واختارت هيئة الجائزة ستًا منها للمسابقة، وكان القرار في النهاية بفوز رواية سويفت.

وفاة الناقد الأدبي كينث مور

توفي - مؤخرًا - الناقد وأستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة ليفربول د. كينث مور عن عمر ناهز 89 عامًا.

ويعد مور أحد أكبر المتخصصين بأعمال الكاتب المسرحي الكبير وليم شكسبير، كما كان عضوًا في الجمعية الملكية لتطوير الفلسفة والتاريخ بين عامي 1951 - 1974م، والجمعية الملكية للآداب والفنون.

أحدث الكتب

خبط الأجنحة: سيرة المدن والمقاهي والرحيل، تأليف أمجد ناصر.

بيروت في البال، تأليف رياض جركس.

صدر الكتابان السابقان عن شركة رياض الريس للكتب والنشر في لندن وبيروت.

الوثائق السرية (أسرار انقلاب شباط 1963م في العراق). إعداد وترجمة د. حامد البياتي، صدر عن مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع.

كروموسوم كلكوتا، رواية لأميتاف جوش، صدرت عن دار نشر بيكادور.

ثمار العاطفة، رواية لسوي لمب، صدرت عن دار نشر ماندرين.

الزهرة الزرقاء، رواية لبنيلوب فيتزجرالد، صدرت عن دار نشر فلامنجو.

أرض الميعاد، رواية لجين روجرز، صدرت عن دار نشر فابر.



الجزيرة



الشريعة والتشريع

بحث يتناول في عرض موجز الأطوار التي مرت بها الشريعة والتشريع في عصر بناء الدولة الإسلامية بدءًا من صدر الإسلام.
قسمت الباحثة فاطمة السيد علي سباك موضوع بحثها ستة فصول، تطرقت في الفصل الأول إلى الشريعة لغة واصطلاحًا، ومكانة الشريعة الإسلامية بين الشرائع السماوية، ووازنت بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، وتحدثت عن التشريع في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومصادره (القرآن والسنّة)، وناقشت التشريع المكي والتشريع المدني وخصائص كل منهما.
في الفصل الثاني تناولت الباحثة التشريع في عصر الخلفاء الراشدين ومصادره الأصلية والمصادر الأخرى، وعرّفت كلاً منها مع بيان أهميتها. وفي الفصل الثالث ناقشت أوضاع التشريع في عصر ما بعد الخلفاء الراشدين، وانعكاس الحالة السياسية للعالم الإسلامي على التشريع. كما تحدثت عن نشوء الفرق الإسلامية وأثرها في الفقه الإسلامي، كما عرضت كيفية ظهور المدارس الفقهية في العراق والحجاز وأسباب ظهورها ودورها في التشريع الإسلامي، وعرّفت بزعماء هذه المدارس.
وخصصت الفصل الرابع للحديث عن نمو الفقه الإسلامي وازدهاره في العصر العباسي الأول، وتدوين السنّة النبوية المطهّرة، كما تحدثت عن المذاهب الفقهية الأربعة والظروف المحيطة بها، وقدمت تعريفًا بالأئمة الأربعة. أما الفصل الخامس فقد ناقشت فيه الركود الذي أصاب الفقهاء في منتصف القرن الرابع الهجري والجنوح إلى التقليد. وأفردت الفصل السادس للحديث عن الواقع المعاصر للفقه الإسلامي ومحاولات التجديد فيه. وذكرت الباحثة أن الحقبة التي بدأت في القرن السابع الهجري وامتدت حتى الوقت الحاضر، اتصفت بالتقليد أيضًا، لقلة ظهور المجتهدين المجددين، وظهور المتون والحواشي والشروح. واختتمت موضوع بحثها بمناقشة الظروف المحيطة بإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية في بعض الدول الإسلامية.
يقع الكتاب في 158 صفة من القطع المتوسط، وقد صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ضمن سلسلة «دعوة الحق».



الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها

كتاب يقدم موقفًا فكريًا من الحداثة المعاصرة السائدة، وقد طرح المؤلف د. وليد قصاب رؤيته الفكرية والفنية للموضوع من خلال تمهيد وخمسة فصول جمعها بين دفتي الكتاب.
جاء التمهيد بعنوان «أوهام حول الحداثة» أوضح فيه أن الحداثة شيء مختلف تمامًا عما يدفعه «المصطلح المموه المخايل»، إلى ذهن المتلقي العادي، فهو مغاير للدلالة اللغوية التي يمكن أن يوحي بها الجذر الاشتقاقي للكلمة «حدث»، وهو غير الجدة وحدها، وغير المعاصرة وحدها، وغير الشعر الحر، وغير ما يُدعى بقصيدة النثر.
ولأن الحداثة الأدبية المعاصرة ارتبطت - أكثر ما ارتبطت - بالشعر، فقد عرض المؤلف في الفصل الأول دراسة حول «رحلة تحديث الشعر العربي» من خلال إخضاعه للمدارس الأدبية الغربية، والبصمات التي تركتها عليه تلك المدارس. وتوفر الفصل الثاني على درس «الحداثة الغربية» واستجلاء ملامحها التي انطبعت في الحداثة العربية. كما عُني الفصل الثالث برسم القسمات الكبرى للحداثة العربية، تحت عنوان «الحداثة العربية المعاصرة حقيقتها وملامحها»، وقد اتكأ المؤلف في ما ورد في هذا الفصل على أقوال زعماء هذه النزعة. وفي الفصل الرابع عالج المؤلف بعض قضايا الحداثة، مثل: «الحداثة واللغة»، و«الحداثة ومفهوم الشعر»، و«الحداثة والمعايير»، و«الحداثة بين التجديد والتبديد». أما الفصل الخامس فقد اشتمل على طائفة من شهادات بعض الأدباء والنقاد على الحداثة، وهي لحداثيين، ولمن يعدهم الحداثيون غير محافظين ولا تقليديين.
يقع الكتاب في 310 صفحات من القطع الكبير، وقد صدر عن دار القلم في دبي.



اختبارات اللغة

كتاب يلبي احتياجات المعنيين بتعليم اللغات، وخاصة تعليم اللغة العربية لغير أهلها، وضعه المؤلف محمد عبدالخالق محمد خصيصًا كي يناسب الدارسين الذين يقومون بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ويشتمل الكتاب على عشرة فصول مع ثبت بالمصطلحات والمراجع، وكشاف بالموضوعات الواردة فيه.
عرض المؤلف في الفصل الأول مراحل تطور الاختبارات بدءًا بالمرحلة التقليدية، ومرورًا بالمرحلة العلمية، التي واكبت تطور علوم اللغة، وظهور ما يعرف بالاختبارات المقننة، كما عرض أحدث ما هو مطروح في ساحة تعليم اللغات: الاتجاه الاتصالي في تعليم اللغات الأجنبية واختبارها.
وتناول في الفصل الثاني أنواع اختبارات اللغة، وعلاقة العملية الاختبارية بعملية التعليم، وأوضح المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه الاختبارات وكيفية تصميمها وبنائها.
وخصص المؤلف ثلاثة فصول للحديث عن اختبارات عناصر اللغة، بدءًا بالقواعد والتراكيب، فالمفردات ثم الأصوات، متناولاً المصادر التي تؤخذ منها مادة الاختبار، شارحًا أنواع الأسئلة التي يمكن أن تكون عليها بنود الاختبار، ومبينًا خطأ بعض الصور التي ترد عليها الاختبارات الصفية. وامتد هذا التناول إلى الفصل الثامن الذي عالج فيه موضوع اختبارات المهارات اللغوية: الاستماع، والكلام، والقراءة والكتابة.
وأفرد الفصل التاسع للحديث عن اختبار الثقافة والأدب، وخصص الفصل العاشر لشرح العمليات الإحصائية الأساسية التي ينبغي لمدرسي اللغات الإلمام بها.
يقع الكتاب في 341 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في طبعته الثانية عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.



فن التقطيع الشعري

كتاب يناقش الطرق المتبعة لوزن الشعر العربي، ومعرفة بحوره، ومدى مطابقته لوزنه النموذجي، أو افتراقه عنه، واكتشاف مواطن الخلل فيه إن وجدت. ويذهب المؤلف د. عمر خلوف إلى أنه توصل إلى طريقة جديدة وميسرة في التقطيع، هذا الفن الذي يُعدّ من أهم مباحث علم العروض. وقد استفاد المؤلف في وضع أسس طريقته من كتاب «اللسانيات الرياضية والعروض» للدكتور مصطفى حركات، الذي استهدف حل مشكلة، فشرح طريقة علمية بأسلوب رياضي، فقام د. خلوف بتعديل تلك الطريقة، فأزال ما شابها من إبهام وقصور، وبسطها بصورة تعليمية، بحيث تناسب معظم بحور الشعر العربي.
قسم المؤلف دراسته قسمين، عرض في أولهما ما يجب أن يتسلح به مريد التقطيع من معرفة نظرية لا يحتاج معها إلى مراجعة كتب العروض، وقدم في ثانيهما دراسة تطبيقية تسير على منهج الدراسة النظرية، وهو يقول: إن ما يميز طريقته المعدلة هو عدم إحداث تفاعيل، أو أشكال جديدة للبحور، وعدم قسر أي بحر حتى يقبل قواعد الطريقة. وجديد الطريقة حسبما يقول المؤلف: القدرة على كشف أشكال الزحاف (التغيير) الثلاثة، وهي: «ظهور الفاصلة» الذي يتألف من أربعة متحركات وساكن، و«ظهور فاصلة عارضة»، كل فاصلة متبوعة بسبب، والسبب يتألف من متحرك فساكن، وأما الزحاف الثالث فهو: تجاوز وَتَدَيْن فأكثر، فالوتد يتألف من متحركين فساكن. تركز التعديل الذي أدخله د. خلوف على إلغاء ما يسمى بـ «الوتد المفروق»، متحرك فساكن فمتحرك، وإلغاء ما يعرف «بالسبب الثقيل» متحركان، واعتبار الفاصلة ثلاثة متحركات وساكن، نواة إيقاعية قائمة بذاتها غير قابلة للتجزيء.
اشتمل الكتاب، إضافة إلى فهرس المراجع، على فهرس الأشعار حسب بحورها، وفهرس المصطلحات. وهو يقع في 101 صفحة، وقد صدر في الرياض.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة: مجلة الفيصل
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 239

ج1 : من المعاني التي وردت في تفسير «استقاموا» في قوله تعالى: *إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.* أي أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع لهم. روى الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية: *إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.* قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها». أخرجه النسائي والبزار. وعن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية: *إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.* قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا». أخرجه ابن جرير عن سعيد بن عمران. وقال عكرمة: سُئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص؟ قال: قوله تعالى: *إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.* على شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الزهري: تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب. وقال ابن عباس رضي الله عنه: *ثم استقاموا.* على أداء فرائضه. وكان الحسن يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. وقال أبو العالية: ثم استقاموا. أخلصوا له الدين والعمل. وعن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت: يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال صلى الله عليه وسلم: «قل ربي الله ثم استقم»، قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف عليَّ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه، ثم قال: «هذا». أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة. وقال الترمذي: حسن صحيح.

ج2 : نزلت هذه الآيات الكريمات من سورة الفتح لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية، في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، وحالوا بينه وبين العمرة، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على كره من جماعة من الصحابة. فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عزَّ وجلَّ هذه السورة، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل إليه الأمر، كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح (فتح مكة) ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يردَّ عليَّ، قال: فقلت في نفسي ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، ألححت، كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك. قال: فركبت راحلتي

نتائج مسابقة العدد 239

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، نصر بن جلال بن إبراهيم الشاعر، المجمعة، المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، وجدان حسن أحمد محمد، الخرطوم، السودان.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، سلاّمة بنت محمد الهذيلي البرهومي، المنستير، تونس.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1ـ ربيع عبدالفتاح أحمد عبدالفتاح، بني سويف، مصر.

2ـ هيلين مجدل خلف علي، دمشق، سورية.

3ـ خيرية أحمد أبريشة أبو شقرة، أبو ظبي، الإمارات العربية.

4ـ قبس علي كاظم، عمّان، الأردن.

5ـ بن أعراب رشيد بن المبارك، الجزائر العاصمة، الجزائر.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1ـ لطيفة علي عبدالرحمن الخريف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

فحركت بعيري، فتقدمت مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء، قال: فإذا أنا بمناد: يا عمر، قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نزل عليَّ البارحة سورة هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها: *إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا. ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر*». أخرجه أحمد ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: *ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر*. مرجعه من الحديبية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية أحب إليَّ مما على الأرض» ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هنيئًا مريئًا يا نبي الله، بيّن الله عزَّ وجلَّ ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم: *ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - حتى بلغ - فوزًا عظيمًا*. أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد.

ج3 : من الحالات التي يجب فيها المهر:

* إذا حصل الدخول الحقيقي لقول الله تعالى: *وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا*. **النساء:** 20- 21.

* إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول. وهو مُجمع عليه.

* إذا عقد الرجل على المرأة، ودخل بها، ثم تبيَّن فساد الزواج لسبب من الأسباب، وجب المهر المسمّى كله، لما رواه أبو داود أن بصرة بن أكثم تزوج امرأة بكرًا في كسرها فدخل عليها، فإذا هي حُبلى، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « لها الصداق بما استحللت من فرجها.. وفرّق بينهما».

وهناك حالات أخرى مع تفصيلات أوسع فلينظرها من أراد في كتب الفقه، وما ذكرناه هنا إنما هو للتمثيل فقط.

ج4 : مدينة جدة، عروس البحر الأحمر، وإحدى حواضر المملكة وأهم ميناء فيها. وهي مركز لنشاط تجاري عظيم، ويفد معظم الحجاج من طريقها. أما من جعلها ميناء بصفة رسمية فهو الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك في سنة 648م. وفي سنة 1369هـ/ 1949م أمر جلالة الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - بتجديد الميناء وجعله جاهزًا لاستقبال السفن العملاقة. ويُعد الآن واحدًا من أكبر الموانئ البحرية في العالم.

ج5 : هو التابعي الجليل، شيخ أهل الشام في عصره، أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي (112هـ - 730م). من الوعاظ الفصحاء العلماء. كان ملازما لعمر بن عبدالعزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر حين حانت وفاته.

أسئلة مسابقة العدد 242

السؤال الأول:

سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين الوليمة، وهي طعام العرس، وكل طعام يُصنع لدعوة الناس إليه. اذكر حديثين شريفين في الوليمة.

السؤال الثاني:

اللقطة، هي كل مال معصوم مُعرَّض للضياع لا يُعرف مالكه. ماذا يجب على المرء أن يفعل حيال اللقطة؟ مع ذكر حديث شريف في ذلك.

السؤال الثالث:

عالم عربي من أصل فارسي. من أشهر كتبه: «تحقيق ما للهند من مقولة»، «القانون المسعودي»، «الآثار الباقية عن القرون الخالية». فمن هو؟

السؤال الرابع:

تغلب، قبيلة عربية عريقة، أنجبت عددًا من الشعراء الفحول في الجاهلية والإسلام. اذكر شاعرين من تغلب أحدهما عاش في الجاهلية، والآخر عاش في الإسلام.

السؤال الخامس:

«ضيَّعني صغيرًا، وحمّلني دمه كبيرًا. لا صحو اليوم ولا سكر غدًا. اليوم خمر وغدًا أمر». مثل أرسله شاعر ملك حين حدَّثوه بمقتل أبيه. من هو؟ وما قصته على سبيل الاختصار؟

2- أحمد علي ساكا، أصيلة، المغرب.
3- عباس عبدالرحمن قاسم المتوكل، صنعاء، اليمن.
4- محمد سلطان مذكور، المحرق، البحرين.
5- هناء عبدالوهاب عماشة، الدقهلية، مصر.
6- علي مدثر زين العابدين، كسلا، السودان.
7- نصره سليمان أرميضين،الزرقاء، الأردن.
8- نخلة بنت العربي نقاش، ولاية ميلة، الجزائر.
9- رأفت محمد جهاد رفاعي، حلب، سورية.
10- المصطفى بن عبدالسلام أزوين، مراكش، المغرب.

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- أحمد شاه (فاضل) بن ولي محمد، إسلام أباد، الباكستان.
2- إبراهيم حسن أحمد عبدالباقي، جدة، المملكة العربية السعودية.
3- محمد حسين الهبشة، النبك، سورية.
4- عبداللاه أبو بكر محمد عباس، قنا، مصر.
5- أحمد موسى، تطوان، المغرب.

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 242
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال:

أغَيْرةً وجُبْنًا!

يقال لمن يجمع بين الشيء ونقيضه.

قالوا: إن بعض العرب أغار على بعض، فهب المغار عليهم يدفعون أعداءهم، إلا رجلاً منهم قعد في بيته ولم ينهض كما يفعل الشجعان.

ودارت معركة حامية، والرجل ما يزال قاعدًا لا يتحرك. فاغتاظت امرأته منه، وأخذت تنظر إلى المقاتلين ثم تنظر إليه، فغاظه ذلك منها، وقام إليها فضربها، فصاحت وهي تبكي: أغيرة وجبنًا! فصارت مثلاً.

حسب عمرها

سُئل حكيم: إذا تقدم رجل للزواج من فتاة في مراحل مختلفة من عمرها، فماذا يكون ردها؟! فقال: هذه مسألة تختلف باختلاف سنها، فإذا كانت في العشرين تساءلت: كيف هو؟ وإن كانت في الثلاثين تساءلت: مَنْ هو؟ وإذا كانت في الأربعين صاحت: أين هو؟!!

تهمة

سأل كاتب فاشل يومًا ناشر كتابه: هل وصلك من الجمهور دلائل إعجابه الشديد وتقديره الكبير لكتابي؟ فقال الناشر ساخرًا: بل كل ما وصلني رسالة من شخص تشابه اسمه مع اسمك يتبرأ فيها من الكتاب ويطلب أن ننفي عنه هذه التهمة!

ضرب يقوى عليه

أمر أحد الحكام يومًا بضرب رجل حتى أوجعه في تهمة غير صحيحة، فقال الرجل متوجعًا: إذا ضربت فاضرب ضربًا تقوى عليه!!

قال الحاكم: وكيف ذلك أيها الرجل؟! قال الرجل وهو يتأوه: نعم إذا ضربت فاضرب ضربًا تقوى عليه، لأنه لا بد من القصاص وأنا مظلوم ولكنك لم تستمع إليَّ. وعندها علم الحاكم أن الرجل مظلوم فعلاً، فطلب الصفح منه وأمر له بصلة.

أرض النار

أطلق المكتشف فرديناند ماجلان هذا الاسم على مجموعة من الجزر التي اكتشفها في أقصى جنوب أمريكا اللاتينية، إذ اتفق أن شاهد لدى وصوله إليها النيران مشتعلة هنا وهناك، فظنها نارًا طبيعية أو بركانية، ولم يخطر بباله أن أهل الجزر هم الذين أشعلوها. الطريف أن أرض النار تتميز ببرودتها الشديدة!!

راعِ نفسك في ثلاثة

قال حاتم الأصم: راعِ نفسك في ثلاثة أوقات: إذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله إليك، وإذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله لك، وإذا كنت ساكتًا فاذكر علم الله فيك.

آمنت بالله

كان الصحابي الزاهد أبو ذرالغفاري - رضي الله عنه - يعبد في جاهليته صنمًا، لا يفارقه حضرًا أو سفرًا، فخرج يومًا يطلب سفرًا، وقبل أن يخرج أقبل على الصنم وقال له: أيها الصنم احفظ متاعي، فلما ذهب جاء ثعلب وَبَالَ على الصنم وعلى حاجات أبي ذر، الذي عاد فوجد صنمه مبلولاً. فقال: واعجبا، السماء لم تمطر!! واكتشف أثر الثعلب في بعض متاعه فرفع وجهه إلى السماء وقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذلَّ مَنْ بالت عليه الثعالبُ
فلو كان ربًا كان يمنع نفسه
فلا خير في رب نأته المطالبُ
برئت من الأصنام يا رب كلها
وآمنت بالله الذي هو غالبُ

شخصية محبوبة

سُئل السياسي الفرنسي المشهور تاليران يومًا: كيف يستطيع الإنسان أن يكون شخصًا محبوبًا في المجتمع؟ فقال ساخرًا: حسنًا، إذا كنت تريد أن تصبح شخصية محبوبة حقًا، فيجب أن توافق على أن تتعلم أشياء كثيرة، مع أنك تعرفها تمام المعرفة!

من نوادر جحا

عرض جحا الغرفة التي تعلو سطح منزله للإيجار، فجاء رجل ليستأجرها، فوجدها بلا سقف، فقال لجحا: كيف يمكن أن يسكن إنسان في حجرة مثل هذه بلا سقف؟! فقال جحا: الأمر هيِّن، فالجو حار والسماء لا تمطر صيفًا. فما الحاجة إلى سقف؟! قال الرجل: وماذا أفعل حين يحل الشتاء ببرده وأمطاره؟! قال جحا: اقلبها - يا أخي - رأسًا على عقب!!

التعامل مع السياسة

سُئل وزير الخارجية المصري والأمين العام للجامعة العربية الأسبق محمود رياض يومًا: كيف تتعامل مع السياسة؟! فقال: أتعامل معها بمنطق حسابي، وليس بالتفاؤل أو التشاؤم، فالسياسة كلها حسابات دقيقة عند السياسيين.

اللسان والسجن

سُئل ابن مسعود - رضي الله عنه -: ما الشيء الذي يحتاج إلى السَّجْن في الإنسان؟ قال: لسانه، فوالله الذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج من طول سجن من لسان.

من بلاغات النساء

لما مات الأحنف بن قيس - رضي الله عنه - ودُفن، قامت على قبره امرأة، فقالت: لله درُّك من مُجَنٍّ في جنن، ومُدْرَجٍ في كفن، فنسأل الذي فجعنا بموتك، وابتلانا بفقدك، أن يجعل سبيل الخير سبيلك، ودليل الخير دليلك، وأن يوسِّع لك في قبرك ويغفر لك يوم

استراحة العدد

حشرك، فوالله لقد كنت في المحافل شريفًا، وعلى الأرامل عطوفًا، ولقد كنت في الحيِّ مُسوَّدًا، وإلى الخليفة مُوفَدًا، ولقد كانوا لقولك مستمعين، ولرأيك متبعين. فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها.

الماء والحياة

يُروى أن ملك الروم أرسل يومًا قارورة فارغة إلى معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -، وقال له: ابعث إليَّ فيها من كل شيء!

فبعث معاوية إلى عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - يستفتيه في هذا الأمر، فقال عبدالله: املأها بالماء. فلما ردها إلى ملك الروم قال: للّه أبوه! ما أدهاه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ قال: لقوله تعالى: *وجعلنا من الماء كل شيء حي.*

ابتهال

ابتهل رجل صالح إلى الله جلّت قدرته بالدعاء، فكان من بين ما قال: اللهم طَهِّر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخائنة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

أرخص

تلقت صحيفة أمريكية هذه الطرفة من إحدى المواطنات قالت فيها: زوجي يعمل كاتبًا، وهو ينهمك في عمله إلى حدٍّ ينسى معه كل شيء، ولا يهمني ذلك في البيت، أما إذا غادر البيت فإنه يفقد القبعات والمظلات والحقائب والمعاطف وغيرها، وقد تقابلت في الصيف الماضي مع أحد المحللين النفسانيين وسألته عن إمكان علاج زوجي، فأفادني بأن من الممكن علاجه، ولكن صدقيني يا سيدتي إن فقد زوجي للأشياء أرخص كثيرًا من تكلفة العلاج!

الجواد

قيل لحكيم: مَنْ الجواد؟! قال: من جاد بماله، وصان نفسه عن مال غيره.

نزاهة عمر

احتاج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يومًا إلى أبعمئة درهم لقضاء بعض شؤونه، فأرسل إلى عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - يطلب منه قرضًا. فقال له عبدالرحمن: أتطلب مني قرضًا وعندك بيت المال، إنك تستطيع أن تأخذ منه ما شئت ثم ترده؟! فقال عمر: إني أتخوف أن يصيبني قدري فتقول أنت وأصحابك: اتركوا هذا لأبناء أمير المؤمنين، فيؤخذ من ميزاني يوم القيامة، ولكني أقترضها منك، فإذا متُّ استوفيتها من ميراثي.

لهذا ساد

كان العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - عم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، يرفض في الجاهلية أن يقرب الخمر، فقيل له يومًا: ألا تأمر بشراب، فإنه يزيد في قوتك وجرأتك؟! فقال: لا أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم، لا والله لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي.

هكذا كانوا

يروى أن يهوديًا كانت له حاجة عند الخليفة العباسي هارون الرشيد، وظل يتردد عليه في مقر خلافته قرابة عام، دون أن تقضى حاجته، فوقف يومًا على الباب، حتى إذا خرج الرشيد سعى إليه ووقف بين يديه وقال: اتّق الله ياأمير المؤمنين.

فنزل الرشيد من فوق دابته منزعجًا، وخرَّ ساجدًا، فلما رفع رأسه، أمر بحاجة اليهودي فقُضيت، وحين رجع قيل له: يا أمير المؤمنين، نزلت عن دابتك لقول يهودي!! قال الرشيد: لا، وإنما تذكرت قول الله تعالى: *وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد.*



وجعلنا من الماء كل شيء حي.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

حدث في وطن صغير

مصطفى محمود السيد

قلفاو، سوهاج، مصر

كانت البحيرة القريبة من القرية تحيط بها الأشجار، وعلى صفحة مائها تطفو ظلال متكسرة وصور مشوهة لواقع حزين جداً. وتتكون في النهاية لوحة بدائية تطلق العنان للقلق الدفين كي يرقص في الأعماق بحُرِّية، وللحزن الكظيم كي يعربد في الأحشاء طالبًا حقه الشرعي في الوجود.

و «طائر البجع» يحس بذلك جيداً.

ورغم ذلك يمرح في فضاءات البحيرة، وعندما يبرز إليه النصب فارسًا ملثمًا يريد النزال بلا هوادة، يؤوب إلى صفحتها ويستغرق في العودة والبقاء بها، غير أن هناك شيئًا ما في دخيلة نفسه يحدثه دائمًا بلسان عربي مبين:

«الحياة بلا رفيق صاع من تراب أو حفنة من أكاذيب».

وهنا يحدث شيء مجهول الهوية، غير محدد القسمات، في رحم الغيب يتحرك كجنين مشاكس. ها قد صار النسيم أكثر رقة، وشعاع الضوء المسافر آلاف الأميال من الشمس إلى الأرض قد صار أكثر **بهاءً**، وأصبح يملك قدرة فائقة على النفاذ إلى أغوار الجسد.

لقد كان في الجوار، على صفحة الماء، «طائر» آخر يرتدي القناع نفسه وربما كانت له **نفس الأحاسيس المتوقدة**. يقترب منه طائر البجع في حذر ويبدأ أولى خطوات التعارف. المراسم العتيقة لا بد منها. يبدأ.. يتراجع القهقري.. ثم يبدأ من جديد. ويقترب في أمل بازغ.

يفرد جناحيه إلى أقصى مدى، ويضمهما مرة أخرى. يرسل لهذا الغريب تحية شوق. ويخاطبه متوجسًا، وفي صوته لجاجة:

ـ أيها الغريب ـ مثلي ـ، أنا طوع يمينك. هل لك أن تشاركني بحيرتي الصغيرة؟.

يتمايل الطائر الآخر في تمنع. فيفهم طائر البجع من ذلك أنه يرد له التحية، ويعطيه صك الموافقة وإتمام البيعة. فيفرح لأول مرة في حياته، وينتشي من جمال الأحلام.

وفجأة تزمجر السماء الوادعة، ويقترب الأفق. ثم يتناثر رذاذ الماء مدفوعًا في كل **إتجاه**: **أنُفِخَ** في الصُّور، أم قامت القيامة؟. ويهوي طائر البجع إلى السماء، يقطر دمًا على **إنهيار** ذلك الحلم وتشظيه إلى كِسَر وفتافيت من الأمل والخيبة.

ويدرك أن هذا الغريب لم يكن إلا «دمية خشبية» جنحت من صاحبها الواقف على حافة البحيرة، فأخذ يقذفها بالحجارة كي تعود إليه.

التعليق: شكل هذه القصة القصيرة يتّسم بالتركيز والاقتصاد، ولغتها إيمائية مشحونة بكثير من المعاني التي يوحي بها الشكل وليست مسجلة. وقد أفلح الكاتب في بنائها بناءً دراميًا يتناسب والومضة التي يريد نقلها إلى القارئ.

إنّ إضفاء الصفات الإنسانية على طائر البجع تَمّ بطريقة جيدة، بل إنّ الحوار (المونولوج) الداخلي الذي أسنده القاص إلى طائر البجع أضفى على القصة شيئًا من الطرافة.

وإنّ النهاية محبوكة بقالب سردي يفاجئ القارئ ويخالف أفق توقعه وهذا من تقنيات القصة القصيرة التي أفلح القاص في استخدامها.

كنت أرجو أنْ تخلو القصة من بعض المخالفات الأسلوبية. فقول القاص: «ورغم ذلك يمرح...» كان من الأفضل أن يستخدم: «على الرغم من ذلك...» أو باختصار أكثر وفصاحة أعلى: «على ذلك...» وهذا هو أسلوب القرآن الكريم والشعر الفصيح. وإن كلمة «بهاءًا» لا حاجة لها بألف بعد الهمزة «بهاءً». وكذلك في قوله: «.. كانت له نفس الأحاسيس المتوقدة..» ونفس توكيد يحسن تأخيره؛ فالأفصح أن يقال: «كانت له الأحاسيس المتوقدة نفسها». كما أن همزة «اتجاه» وكذلك «انهيار» هي همزة وصل، فليس هناك مايدعو لإثباتها.

القصة جيدة عمومًا، وأرجو للكاتب أن يتابع قراءاته في مجال القصة وفي مجال الأدب كي يتحسن أسلوبه ويغنى معجمه، ويتقن تقنيات القصة سعيًا لصقل موهبته، والله الموفق.

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخ بدر عمر المطيري، البدائع العليا، القصيم:

البناء الدرامي لقصتك «الحقيقة تحت أقدام الشيخ سالم» بدأ جيدًا، ثم أخذ يضعف بتشعب القضية الأساسية ودخول الأحكام المعيارية، ومن ثم، أصبحت اللغة فضفاضة، وطالت القصة، وأصبح هَمُّ الكاتب التنظير وإصدار الأحكام.

الأخطاء الطباعية كثيرة، لأنك لم تهتم بمراجعتها، ثم هناك أخطاء أخرى، منها الأسلوبي كقولك: «دب اليأس إليّ في العثور على القاتل»، وقولك: «لأنني اعتبرها ليست إلا ظل شجر»، ومنها اللغوي إذ تستعمل كلمة «وحد» مسبوقة باللام فتقول «لوحدها»، والصواب وحدها من دون لام، ومنها الإملائية: «بنظرياته وآراءه» والصواب «آرائه»، وأنت لا تثبت الهمزة عندما تكون همزة قطع، ومنها النحوي، فتقول «بينما عيني»، والصواب «بينما عينا». ونأمل أن نتلقى مستقبلاً إنتاجًا أكثر اتقانًا وضبطًا، وفقك الله.

الأخ درغام عبدالله حسين، الفيوم، مصر:

مقالتك يا أخ درغام فيها شعور نبيل بالمآسي التي ينوء بها كاهل الأمة الإسلامية، والتي كثر الكلام عنها منذ وقت طويل. وقد حشدت في مقالتك من الآيات الكريمة والأحاديث والأشعار ما تدعم به رأيك، وكان ينبغي أن تدقق في الآيات الكريمة فتذكر اسم السورة ورقم الآية، وقد فعلت ذلك مرة وتركته مرات.

والشعر الذي أوردته خارج عن العروض، وقد وقعت في أخطاء، منها قولك: «فالأمة تلملم أشلائها»، والصحيح «أشلاءها»، والفعل «نستطيع» إذا جُزِم يصبح «نستطع» وليس «لم نسطع»، ولا سبب لجزم فعل «تتناسى» في قولك: «بعد أن كادت تتناس خلافها»، وهمزة «الاهتمام» همزة وصل فليس هناك ما يدعو لإثباتها. ووجدنا في أسلوبك تداخلاً، فأنت تقول: «فقلب هو الهوس الموازي من إفزاع للأبرياء، وتنكيل للضعفاء...»، فالمعنى مفهوم، ولكن الأسلوب يحتاج إلى صقل بقراءة كتب الأقدمين وتمثل طرائقهم في التعبير.

ووجدناك تفصل بين المضاف والمضاف إليه بالعطف، وهذا مخالف لكلام العرب، فتقول: «أدت إلى تناحر وتقاتل أبناء الوطن الواحد»، والصواب «أدت إلى تناحر أبناء الوطن الواحد وتقاتلهم».

بانتظار مشاركات أكثر توثيقًا وتدقيقًا، ولك الأمنيات بالتوفيق.

الأخ راضي ساطع عيسى، حلب، سورية:

قصيدتك «صامتة ولكنها ملهمة» متينة اللغة، مضبوطة الوزن (البسيط) بموسيقاه المتدفقة، وجاءت القافية مناسبة للموضوع، ولكنها في أماكن بأعيانها من القصيدة بدت متكلفة كقولك:

رحماك ربي فقد لانت عزيمتنا
وذنبنا أن حسنًا قد عشقناه

فالشطر الثاني لا يؤدي فنيًا أي إحساس جمالي، ولكن هدفه كان الوصول إلى القافية، ونأخذ عليك بعض الصياغات الضعيفة التي تقترب من العامية في بعض الأحيان كقولك:

وفوق آلامنا أنّ الهوى وشكى
من حزنه وكلانا حسّ شكواه

فشكا تُكتب هكذا بالألف الطويلة لأنها من ذوات الواو، والشطر الثاني مهلهل النسج، ضعيف التركيب، يقترب من العامية في قولك «حسَّ»، والصواب «أحسَّ» ولكنك لم تستطع استخدامه على الصواب لمكان العروض.

على أي حال، نهنئك على رصفك المتين، ولغتك الجيدة عمومًا، والضبط العروضي، ونرجو لك دوام التقدم.

ردود خاصة

الأخ خليل النقاش، ولاية ميلة، الجزائر:

قيمة كشاف «الفيصل» خمسون ريالاً أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي، تُرسل بشيك على عنوان المجلة. كما نشكر لك إطراءك، ونأمل أن تكون المجلة دومًا عند حسن ظن قرائها، الذين نرحب بآرائهم واقتراحاتهم.

الأخ مازن مغيربي، مكة المكرمة:

نطمئنك أن مشاعرك الصادقة التي عبرت عنها في رسالتك قد وصلت إلينا، ونشكرها لك، كما وصلت الحكَم الجميلة التي خطها يراعك، وسوف تصل إليك بعض أعداد المجلة التي نأمل أن تجد فيها النفع والفائدة، فمرحبًا بك وبمشاركاتك.

الأخ محمود فوزي إبراهيم، القاهرة، مصر:

لا يمكن الحكم على مستوى أي عمل صحفي أو ثقافي إلا بالاطلاع عليه، لذلك نأمل إذا كانت لديك بعض الأعمال التي تناسب المجلة أن ترسلها إلينا، حتى يمكن النظر فيها، ثم إبلاغك بمدى مناسبتها للنشر. أما شروط النشر في المجلة، فهي مدونة في صفحة 3 من المجلة، وما عليك إلا مراعاة ما جاء فيها، حتى يكون عملك مناسبًا للنشر.

الأخ سلام عثمان على بخيت، الخرطوم بحري، السودان:

وصلت قصيدتك المهداة إلى المجلة ورئيس تحريرها، ونشكرها لك، وحبال التواصل ممدودة دومًا بين المجلة وقرائها أينما كانوا، وندعو معك أن تتوطد العلاقات بين الشعوب العربية الإسلامية لما فيه خير الأمة وصلاحها.

الأخ المعزين بو بكر بن محمد الدلاجي، تونس:

اقتراحك بأن يكون هناك ممثل للمجلة في المغرب يجد لدينا القبول، ونعلمك أن هناك عددًا من الإخوة في المغرب والجزائر وتونس يمدوننا بالأخبار الثقافية في المغرب، إضافة إلى مشاركات متنوعة من الإخوة المتخصصين بالمجالات المختلفة؛ وهي تحتل مساحة طيبة من كل عدد من أعداد المجلة.

الأخ حامد عبدالمجيد حسن كابلي، المدينة المنورة:

سوف نرسل إليك قائمة بإصدارات دار الفيصل الثقافية وأسعارها، فنأمل أن تحدد اختياراتك، وترسلها إلى المجلة، حتى يمكن إجابة طلبك.

الأخ كمال مداني، ولاية المسيلة، الجزائر:

يوجد في الجزائر مراسل للمجلة، إلا أننا نرحب بمشاركاتك التي نأمل أن تجد طريقها إلى النشر لتكون صديقًا لكل قارئ من قراء المجلة كما تأمل.

الأخ بنعزوز عسو، مدينة الخميسات، المغرب:

عنوان مجلة اليمامة تجده منشورًا في زاوية عناوين، ونفيدك إن العدد 232 قد نفد تمامًا، حتى لم يعد هناك رجيع منه، وسوف نحاول إجابة طلبك قدر الإمكان.

الأخ سعيد علي عبود، أبو ظبي، الإمارات:

نشكر لك اقتراحك بأن يتحول اسم المجلة إلى «روضة الفيصل»، وذلك لأنها ـ كما ترى ـ روضة علوم وفكر وثقافة، إلا أنه لا يمكن الأخذ باقتراحك، لطول ارتباط القراء بهذا الاسم الذي حملته المجلة على امتداد عشرين عامًا، إضافة إلى أن لهذا الاسم دلالات لا تخفى على القارئ.

الأخ الأشهب محمد، آسفي، المغرب:

كتاب الدكتور عبدالله أحمد باقازي «الشعر والموقف الانفعالي» قيمته 20 ريالاً، يمكن إرسالها بشيك بالريال السعودي أو بالدولار الأمريكي على عنوان المجلة.

الأخ خليفة الخياري، سليانة، تونس:

نعتذر لك من تأخر نشر مقالتك عن الألغاز الشعبية في تونس، نظرًا لكثرة المقالات التي ترد إلى المجلة، والتي في انتظار النشر. كما نعتذر، كذلك، لكل الإخوة الذين تتأخر مقالاتهم في النشر، علمًا بأن وصول إخطارللكاتب بإجازة مادته للنشر يعني أنها ستأخذ دورها في النشر وفق القواعد الخاصة بذلك، ونأمل من الذين سيرسلون مادتهم إلى دورية أخرى إخطارنا لتفادي الإحراج الذي قد ينتج من ذلك. وقد أُرسلت المكافأة الخاصة بالمقالة المذكورة التي نشرت في العدد 237 إلى عنوانك، ونأمل أن تكون قد وصلت إليك.

الأخ بلحاج ولد عبدالله، الجزائر:

استجابة لطلبك ولطلبات أخرى كثيرة وردت من القراء بخصوص معلومات عن المملكة العربية السعودية، أعدت المجلة صفحات خاصة تناولت تاريخ المملكة وبعض إنجازاتها الحضارية، وذلك في العدد 239، الذي نأمل أن تجد فيه مبتغاك.

الأخوين أحمد مجد، الدار البيضاء، المغرب، عبدالرحمن إبراهيم محمد، غانا:

كما سبقت الإشارة أكثر من مرة، وكما هو مدون في زاوية إيضاحات، لا يمكن إجابة الطلبات الخاصة التي لا صلة لها باختصاصات المجلة، فنرجو المعذرة، ويمكنكما مراسلة الجهات المختصة بذلك، وهي لن تألو جهدًا في إجابة طلباتكم مادامت مقنعة لها، ومتوافقة مع اختصاصاتها.

بين القارئ والقارئ

أرغب في الحصول على مجلدات مجلة «الاقتصاد الإسلامي الإماراتية، ومجلة «الفيصل». وفي مقابل ذلك لدى نحو **300** عدد من مجلة العربي الكويتية، لمن يريد المبادلة بالمجلتين المذكورتين أولاً..

درغام عبدالله حسن
سنرو، الفيوم، مصر

أرجو من قراء «الفيصل» الأفاضل مساعدتي في معرفة عناوين المؤسسات الأمريكية التالية: المعهد العربي الأمريكي، وجمعية الأمريكيين العرب، والمنظمة العربية الأمريكية، والمجلس الإسلامي الأمريكي.

د. هاني حسين
136 - D. K.D.A SCHERE N01
KARACHI - 8 ,PAKISTAN

آمل من الإخوة القراء تزويدي ببعض الكتب والأشرطة الدينية، وأعداد من مجلات ثقافية.

عبد الحفيظي محمد
حي عين الشيخ ص.ب 3127
الجلفة 17000 - الجزائر
محمد حبيب الله بن يونس
P.O BOX M 508
SUAME - KUMASI - GHANA

آمل تزويدي بعنوان معهد ماساشوستس للتكنولوجيا M.T.I بالولايات المتحدة الأمريكية.

م. بدوي زين العابدين بدوي
بوساطة سليمان محمد عبدالماجد
غرفة السودان التجارية
ص.ب 81، الخرطوم، السودان

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ طه الزهاوي، الدوحة، قطر:

كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتوره عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) صادر عن دار المعارف، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية:
1119 كورنيش النيل، القاهرة، مصر.

الأخ محمد الخالد الأسدي، عمان، الأردن:

عنوان دار الكتاب العربي بدمشق:
دمشق، الحلبوني، مدخل فندق الشموع
ص.ب 12344، هاتف 223811
وفي القاهرة:
مصر الجديدة، مساكن مصر للتعمير
شيراتون المطار، المنطقة الثالثة
عمارة 220 شقة 4، هاتف 2692751

الأخ نميري محمد سيد، الولاية الشمالية، السودان:

مركز دراسات العالم الإسلامي، عنوانه:
P.O BOX: 528 VALLETTA - TEL 00356 / 697202 - FAX: 697207
MALTA

الأخ عيد سالم الشريف، الرياض:

عنوان معهد الإدارة العامة:
ص.ب 205 الرياض 11411
المملكة العربية السعودية

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي



لقد توقفت طويلاً مع الكتيب النادر بموضوعاته وصوره عن «الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي»، والصادر هدية مع العدد 237 من مجلتكم الزاهرة.

لقد اكتشفت في إهدائكم الرقيق نبعًا من الحقائق التي كانت غائبة عن ذاكرة الكثيرين، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا التي أثارت جدلاً كبيرًا بين أوساط الباحثين والمؤرخين والمثقفين؛ ومن تلك القضايا ما أود في هذه الإضافة أن أطرحه راجيًا من الله التوفيق:

نعلم جميعا أن جلالة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ كان غرضًا مستمرًا للقوى الصهيونية، وخاصة في أمريكا بعدما تأكد لديهم موقفه الصلب في أثناء حرب رمضان 1393هـ ـ تشرين الأول/ أكتوبر 1973م المجيدة.. وكلنا يذكر أن القوى الصهيونية قامت بحملة إعلامية ضخمة لا تتوقف لمحاولة إقناع الرأي العام العالمي والأمريكي على وجه الخصوص بأن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ هو سبب التعاسة التي ستلحق بحياتهم الاقتصادية.

ومما تعيه الذاكرة أيضا: أن الكاتب المصري الراحل موسى صبري ذكر أنه سأل الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وهو يعد لإصدار كتاب «وثائق حرب أكتوبر»:

«عما طلبه سيادته من جلالة الملك فيصل خلال الإعداد لحرب رمضان ـ أكتوبر المجيدة».. فأجابه الرئيس السادات: «إنني لم أطلب من جلالته شيئًا.. قلت له: فقط أريد تأييدك. وكل ما صدر من قرارات بعد ذلك: من وقف للبترول، وإمداد مصر بكل ما تحتاج إليه، والوقوف الصلب في المحيط الدولي والدعم الكامل للتضامن العربي صَدَر من جلالة الملك فيصل شخصيا دون أن يطلب أحد منه ذلك، إلا أن تكون المعركة طويلة حتى تتاح الفرصة لتجمع وتضامن عربيين يدعما معركة العرب في كافة اتجاهاتها».

.. إننا لم ننس تلك المواقف الفيصلية التاريخية التي كان لها أكبر الأثر في رفع الروح المعنوية للجنود على جبهات القتال، وكنت واحدًا منهم، ولن تنسى الذاكرة العربية جهود الفيصل لبناء القوة العسكرية العربية، فيكفي أنه لم يسمع عن حاجة لمصر أو سورية، أو أي بلد عربي إلا ولبَّاها دون أن تكون موضعًا لأي نقاش.

وما زلنا حتى اليوم نذكر قوله عن الصراع العربي الإسرائيلي: «ومن مسؤولية الدول العربية جميعا ومن واجبها القومي أيضًا: مساندة الدول المقاتلة بأقصى الإمكانيات.. يجب مساندتها عسكريًا لتعزيز أوضاعها وتأمين تحركاتها، وسياسيًا لدعم أية خطوة تقوم بها، وتأكيد ما تقرره، والمملكة العربية السعودية مؤمنة بكل هذا.. واضعة كل إمكانياتها وراءه».

وقوله: «إن أقوى سلاح بيد العرب هو وحدة الكلمة والصف في وجه الأعداء، وإن السعودية حريصة على التضامن والتكاتف بين العرب وعلى جمع كلمتهم، وإن السعودية ألقت بثقلها في معركة التحرير، وإنها لن تتوقف قبل أن يحصل العرب على ما يريدون».

رحم الله جلالة الملك فيصل بقدر ما أعطى لأمته، ووفَّق قادة الأمة العربية جمعاء لتحقيق ما نصبو إليه جميعًا من عزة ومجد ورضا..

مهندس/ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة، مصر

مناقشات وتعليقات

الترجمة الأدبية ومشكلاتها



لقد قرأت ملف «الترجمة ما لها وما عليها» في العدد 239، وقد جاء حافلاً بأجمل المقالات المتنوعة وأبدعها حول جوانب مختلفة من هذا الموضوع الشائق.

ومما استرعى انتباهي على الخصوص مقال «الترجمة الأدبية ومشكلاتها» للدكتور

عبدالحكيم حسان عمر. فقد أشار إلى ما اشترطه الجاحظ في الترجمة لكي تؤدي بأمانة كل ما في الأصل. إنه يتحدث عن الترجمة الأدبية النثرية بصفة عامة.

وأود أن أضيف أن الجاحظ له رأي واضح في الترجمة الشعرية، فهو الذي قال: «والشعر لا يُترجم ولا يجوز عنه النقل، فإذا تُرجم سقط منه موضع التعجب».

والواقع أن الجاحظ يطرح هنا قضية مهمة من قضايا الشعر العربي مازالت حتى يومنا تثير مناقشات الأدباء والنقاد والشعراء أنفسهم؛ تلك هي قضية نقل الشعر من لغته الأصلية إلى لغة أجنبية.

إن الأمر في هذه الحالة على احتمالين: أن يُترجم الشعر نثرًا أو أن يُترجم شعرًا. فأما إذا تُرجم نثرًا فسيفقد معظم عناصر جماله: الوزن والقافية والإيقاع، أي إنه لن يكون بعد شعرًا، أو أنه سيكون ما نسميه شعرًا منثورًا وهو لون مستحدث من الكتابة ليست له أية قيمة جديدة في لغتنا العربية على الأقل، وأما إذا نُقل شعرًا فإن لذلك كثيرًا من المحاذير والمخاطر. لذلك يرى الجاحظ استحالة الترجمة الشعرية. كما قال بعدم قابلية القرآن الكريم للترجمة لكون الخطأ يأخذ أهمية خاصة.

وهذا رأي آخر للمستشرقة الألمانية الدكتورة أنّا ماري شيمل يتفق مع رأي الجاحظ مع اختلاف في إشكالية الترجمة الشعرية. تقول: إن مزاولي مهنة الترجمة عليهم أن يدرسوا اللغة الأم دراسة وافية مستفيضة، وأن يتبحروا فيها، وأن يلموا بدقائقها، إذ إن المترجم الناجح لا يستطيع إلى ذلك سبيلا دون أن يكون قد تحكم تماما بلغته الأم، وعلى المترجم ألا يقتصر على نقل الكلمات ورصها كحبات الخرز بعضها وراء بعض؛ بل عليه أن ينقل روح النص كما تحتمه عليه لغته الأم وبتعابيرها ومفرداتها.

أما مترجم الشعر فيجب أن يكون نفسه شاعرا. والترجمة الشعرية لا تحلو ولا تطيب إلا عندما تُنقل نغمًا وقافية.

سومع عبد السلام

ص ب 204، كرونة، ناحية الناظور

تمسمان، المغرب

مشكلات.. أليس لها حلول؟

قرأت ملف الترجمة الذي حواه العدد 239 من مجلتكم المحببة إلى كل الأفئدة المتلهفة إلى نور المعرفة وجوهر الحقيقة، فسُررتُ لما تضمّنه هذا الملف من أفكار وقضايا تهمّ المترجمين وتحثهم على مزيد من الدقة والقرب من روح العمل المترجم، وتبصرهم بالدور القيادي الملقى على عاتقهم، وبالأمانة العلمية التي ينبغي لهم أن يؤدّوها بكلّ صدق للنهوض بثقافتنا والسير بتراثنا قدمًا إلى الأمام.

وقد وقفت بأناة وروّية على المشكلات التي تعترض سيرورة النهوض بالترجمة إلى مستوى رفيع، ومنها مشكلة ترجمة المصطلحات، إذ نجد في الواقع كمًا هائلاً من تلك المصطلحات تختلف في استخدامها بين لغة وأخرى، إلا أنها تتفق في المفهوم، ومع ذلك نجد مترجمينا يتخبطون بين استخدام هذا المصطلح أو ذاك، ممّا يؤدي إلى تشويش ذهن القارئ العربي بهذا الزخم من المصطلحات الذي لا طائل تحته. وهذا ما لمسته بنفسي في دراساتي اللغوية في حقل الدراسات اللسانية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إلى متى نقف مكتوفي الأيدي أمام تعدد المصطلحات دون محاولة توحيدها ليتيّسر فهمُها على امتداد الخارطة العربية من المحيط إلى الخليج؟!

ومشكلة أخرى نلمسُها في ميدان الترجمة تتعلّق بقدرات المترجمين من اللغة المترجَم منها، أو اللغة المترجَم إليها، وقد تناول الدكتور عبدالحكيم حسّان عمر الجانب الأول، وهو قدرة المترجِم على فهم العمل المترجَم في حديثه عن المؤهلات التي يجب أن تتوافر في المترجمين، لكنه لم يشر إلى الجانب الآخر، وهو قدرة المترجم على التعبير عن العمل المترجَم بأسلوب متين يؤثر في القرّاء ويأخذ بألبابهم ويجعلهم ينفعلون مع ذلك الأثر المترجَم مهما كان نوعه.

إنّ الجانب الثاني المتعلق بقدرة المترجم على صياغة العمل المترجَم في لغته الأم لا يقلّ أهمية عن الجانب الأول، ونستطيع أن نضيف هذه المهمة أو القدرة إلى المؤهلات الخمس التي ذكرها الدكتور عبدالحكيم في مقالته «الترجمة الأدبية ومشكلاتها»، فلا يمكن للعمل المترجَم أن يقترب من روح الأصل إذا لم تكن لدى المترجم قدرة على التعبير بلغته الأم، ولاسيما إذا كان العمل المترجَم شعرًا. ونحن لا نطالب بترجمة الشعر شعرًا بالوزن نفسه والقافية نفسها، كما ذهب إلى ذلك بعضهم، وإنما ينبغي للمترجم أن يترجم القصيدة الشعرية ملتزمًا موسيقا الشعر، مستخدمًا الخيال المحلق والصور الأدبية التي تُشعر القارئ أنه يقرأ شعرًا لا كلامًا عاديًا.

وإذا كان العمل المترجَم نثرًا فيجب على المترجِم أن يسبك المعاني ضمن أسلوب

تتجلّى فيه المقدرة اللغوية والمتانة الأسلوبية، ولا نطالبه بالكتابة بأسلوب مقامات الهمذاني أو الحريري.

وثمة شواهد كثيرة يتمايز فيها المترجم المبدع من المترجم العادي، وخير مثال على ذلك ترجمة الدكتور بديع حقي لروائع طاغور، والمجموعة المعرّبة لجبران خليل جبران، وغير ذلك كثير. فالقارئ حينما يقرأ أمثال هذه الأعمال المترجمة، يشعر بالفعل أنه يقرأ أدبًا شعرًا كان أم نثرًا. هذا وفي الوقت ذاته نجد أمثلة كثيرة لأعمال مترجَمة تبدو فيها الركاكة، ويتجلى فيها ضعف المترجِم، وما أكثر الشواهد التي نراها على صفحات العديد من الجرائد والصحف والمجلات وبعض الكتب المترجَمة على امتداد الساحة الثقافية العربية..!

ونأمل أن تتكاتف كل الأقلام وتتعانق من أجل الوصول إلى الهدف الاسمي للترجمة، وهو إيصال جواهر العمل الإبداعي الأصلي إلى قلب القارئ العربي وعقله، حتى نصل في خاتمة المطاف إلى نهضة أدبية علمية تشمل ميادين الثقافة والعلوم والفنون جميعها.

رامز محيي الدين علي
ص ب 14، مصياف
حماة، سورية

المعتمد بن عبّاد بين التشفّي والرثاء



بين يديَّ العدد 235 من مجلة الفيصل الغرّاء ـ ورحم اللّه الفيصل ـ، وهو عدد شدّني لقراءته كثيرًا، فغير أنه يحوي ملفًا عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وحياة الملك فيصل بن عبدالعزيز عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه، فهو أيضًا غني بمادته التاريخية، وخاصة ما كتبه د. خالص جلبي عن الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي، وردّ السبب إلى هزيمة داخلية في أعماق المسلمين آنذاك، وقابليتهم للاجتياح. وقصة قصيدة للدكتور محمود جبر الربداوي بعنوان «من عبر التاريخ»، وعلى أسوار دمشق بين الكيلاني وباكثير، ودائرة المعارف حول المربين المسلمين، وغير ذلك.

إلا أنّ لي وقفة مع الدكتور الربداوي في «قصة قصيدة»، وقد ظهر تفاوت بين العنوان في فهرس المجلة، حيث كان «حين يقلب الدهر ظهر المجن» ـ وأظنه من وضع هيئة التحرير ـ والعنوان داخل العدد «من عبر التاريخ»، وهو أوفق لما حواه المقال من شيء من التشفّي بالملك المعتمد بن عبّاد (431 - 488هـ) ملك إشبيلية، وهو الذي ما عرف التاريخ رجلاً أبرَّ بزوجته وألطف وأوفى منه. فهو قد اشتقَّ اسمه من اسم زوجته اعتماد الرُّميكية، وكان يُلَقَّب بالمؤيّد، فتلقب بالمعتمد إكرامًا لها، وهو الذي زرع الجبال بأشجار اللوز كي يرضي أهواءها ومزاجها لأنها كانت تسرُّ بمنظر الثلوج، وأشجار اللوز حين تزهر تبدو كالثلج من بعيد، وهو صاحب يوم الطين، الذي رصّع به تاريخ الرجل العربي المسلم بدُرَّة تشهد على شفافية العربي وتقديره للمرأة .

وقد أثّر كلام الدكتور الربداوي، أو كاد يخدش صورة هذا الملك الجليل، حين ذكر أن ما أصابه هو من عدالة السماء، قصاص دنيوي على قتله لرفيق عمره الشاعر ابن عمار، وخيانته السياسية لأمته بالتواطؤ مع ألفونسو السادس بعقد معاهدة سرية كان من عواقبها ما كان. هذا ملخص كلام الدكتور والباحث الكريم الذي نضمر له كل تقدير على الساحة الأدبية. لكن أرى فيه ـ أي في هذا التشفّي ـ هضمًا لمكانة الرجل، بالموازنة مع ما كتبه باحثون آخرون، وخاصة دراسة وافية عنه بعنوان «ابن عبّاد: بطل جسّد مأساة الأندلس وشاعر غنّى مجدها المفقود». وفيها ما خلاصته:

1ـ ابن عمّار: شاعر خليع ماجن من أهل الخمرة والتعهر، وهو من أصفياء المعتمد منذ صغره، على الرغم من تحذير أبيه المعتضد له من هذه الصحبة.

ومن ثمرات هذه الصحبة أن المعتمد قد ركن إلى خطط ابن عمار، ومنها طموحه لفتح مرسية اعتمادًا على مؤازرة الكونت ريموند، لقاء عشرة آلاف دينار، وقدّم ابن عمّار المبلغ للكونت مع رهينة لم يخلِ الكونت سبيلها إلا بمبلغ أكبر، مع ذلك استمر ابن عمار بمصاحبته للكونت. ثم إن ابن عمار لما فتح مرسيه تزيًا بزيِّ الملوك وأراد أن ينفرد بالحكم فيها، ووصلت بجاحته حدَّ الافتراء

على اعتماد زوج المعتمد؛ فعرَّض بها وهجا المعتمد، وتحالف مع ألفونسو السادس، حتى وقع بيد ابن مبارك الذي سلّمه للمعتمد فقتله بيمينه بالفأس نكالاً.

2- جهوده كانت عظيمة ومشكورة في معركة الزلاقة، ولهذا السبب رأى الفقهاء أن تُخَفَّف عقوبته بعد حمله أسيرًا إلى طنجة ثم أغمات. أما سبب استعانته بقوى الإسبان على المرابطين؛ فيرى كثير من الباحثين أن المرابطين أنفسهم قد طمعوا في ملكه، ويرى آخرون أنها تهمة حيكت ضدَّه، ولم يثبت وجود معاهدة سرية، فهو ليس مغفلاً لدرجة أن يثق بألفونسو السادس، وكان بينهما ما كان، إلا أن أصابع الاتهام كلها تُوَجَّه نحو الماجن ابن عمار، فقد كان خبيثًا حقًّا.

وتبقى العبرة قائمة حقًّا في تلك القصيدة، فنكبة المعتمد تستحق الادّكار، إذ كان من نتائج نكبته أن سُبيت ابنته بثينة وبيعت، ولولا ذكاؤها وقوّتها لصارت سريَّة من السراري، لكنها أثبتت نسبها وحسبها، أما بنتاه الأخريان فقد اضطرتهما قسوة الحياة لغزل الصوف مسكًا للرمق، وقُتل ابنه الراضي غيلةً، أما الثاني المعتدّ باللّه فَنُهب. ألا يستحق هؤلاء الرثاء بدلا من التشفي؟!

بثينة محمد فتحي الحريري
دبي، ص. ب. 10310
الإمارات العربية المتحدة

ليقات نافذات وتعليقات نافذات

ملاحظتان حول مقالين



هاتان ملاحظتان حول مقالين نُشرا في العدد 240، أرجو نشرهما كي تعم الفائدة:

1- جاء في مقال الدكتورحسن ظاظا «خلفاء موسى أضاعوا شريعته» مايلي:

«فموسى نفسه عندما فوجئ بعبادة العجل لم يحطم العجل، بل حطم الألواح! ولكن الله رحمه؛ لأن غضبه هذا كان في سبيله، فغرس في ذاكرته أحكامها، قالوا: وألفاظها».

وأرى أن هذا القول يجافي الحقيقة في عدة نقاط:

أولاً: من أين للكاتب أن موسى حطم الألواح، والقرآن الكريم يقول: *وألقى الألواح*. **الأعراف**:150. والإلقاء لا يعني التحطيم، بدليل قوله تعالى في خطاب أم موسى: *فإذا خِفْتِ عليه فألقيه في اليمِّ*. **القصص**: 7.

ثانيًا: إن قول الكاتب يفيد أن الكتابة والأوامر الإلهية في الألواح قد ذهبت بتحطمها إلى أن ألقى الله معانيها في ذاكرته؛ لكن سياق القصة القرآنية لا يفيد هذا، بل يؤكد أن الألواح والكتابة فيها لم تتأذّ. يقول سبحانه: *وَلَمَّا سَكَتَ عن مُوسى الغَضَبُ أَخَذَ الألواح وفي نُسْخَتِهَا هُدًى*.. **الأعراف**:154.

ثالثا: إن موسى لم يفاجأ بعبادة العجل عندما عاد، لأن الله ـ سبحانه ـ كان قد أخبره بذلك وهو في الميقات، ولو كان إلقاء الألواح بسبب المفاجأة، لكان قد ألقاها قبل وصوله إلى قومه.

2 ـ جاء في مقال «المعيار الأخلاقي في نقد الشعر» للدكتوره نوره صالح الشملان: «الشاعر لا يُطالَب بالصدق، وإلا الحُكمَ بالإعدام على أكثر الشعراء».

وأقول للدكتوره:

إن الصدق فضيلة يُطالَب بها الجميع ـ شعراء وكتابًا وقرّاء ورُعاة ورعيَّة وصغارًا وكبارًا ـ. فإذا تحلل الشاعر من الصدق، فماذا يقول؟ وهل يمكن للإنسان أن يكون صادقًا في سيرته وحياته وكاذبًا في شعره؟

ثم لماذا الكذب؟ وهل نَفِرّ إلى (جماليته) من (قبح) الصدق؟!

نحن لا نقول بإعدام الشعراء الكذابين، ولكن علينا ألا نعطي المشروعية للكذب حتى في الشعر بحجة أنه يجوز للشعراء ما يحرم على سواهم.

ليبق الباب مغلقًا أمام الرذائل في أدبنا وحياتنا. ولا أظن أن الشاعر الملتزم يوافق الكاتبة على قولها، فقد ذمّ القرآن الكريم تلك الطائفة من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ووصف أتباعهم بـ «الغاوين». انظر سورة الشعراء الآيات 224- 227.

إذًا ليكن شعارنا «أعذب الشعر أصدقه» لا أكذبه، ولنعرف أن كلام الإنسان من عمله، فلنقصره على القول الصادق، والله الموفق.

نبيل حميد محسن
مصياف، خلف البريد
سورية

عن الشنفرى والصعاليك



طالعت مقال د. فاطمة عبدالفتاح «قراءة في تائية الشنفرى» بالعدد 240، فاستوقفتني عدة نقاط حول الشنفرى بداية بالاسم الحقيقي الذي أوردته الكاتبة حيث ذكرت في مقالها أن اسم الشنفرى: عامر بن عمرو الأزدي. ومن المعروف أن الشنفرى هو: ثابت بن أوس الأزدي.

وقد ذكرت أن الشنفرى يُراد به الأسد، وقيل الجمل الكثير الشعر، ويجوز أن يكون من قولهم، أذن شفاريه إذا كانت كثيرة الشعر والوبر. والصحيح أن الشنفرى من طائفة الأغربة أو الهجناء واسمه يقدم لنا دليلاً على أصله، فمعناه: الغليظ الشفتين.

والشنفرى من الصعاليك، والصعاليك ثلاثة: فقراء متمردون على فقرهم، وهجناء أو أغربة، وهم الذين ليسوا من أصل عربي نقي، وخلعاء أو مخلوعون، وهم الذين خلعتهم قبائلهم وأسقطت انتماءهم إليها لكثرة ما ارتكبوه من أمور أوقعت قبائلهم في نتائجها. وفي القاموس المحيط: «صعلكه أفقره والصعلوك الفقير»، وفي لسان العرب: «الصعلوك الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد». والدكتور عبد الحليم حفني يوجز معرفًا الصعلكة بأنها: «احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم». أما الدكتور يوسف خليف فهو يعرف الصعلكة بقوله: «الصعلكة إذن ـ في مفهومها اللغوي ـ الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهره ضامرًا بين أولئك الأغنياء المترفين الذين أتخمهم المال وسمنهم»، وأما الدكتور أحمد أمين في كتابه «الفتوة والصعلكة في الإسلام» فيقول: «إن كلمة صعلوك لم تكن تدل على معنى سيئ كالذي كان فيما بعد. وكم للكلمات من تنقل من عز إلى ذل ككلمة حرامي؛ فقد كانت في الأصل تدل على النسبة إلى قبيلة حرام فلما ذلَّ أصحاب حرام ذلت الكلمة. فكلمة صعلوك توسَّع معناها بحيث أصبح يُطلق على قطاع الطرق كما يحدث اليوم من وصف عديم الأخلاق بالصعلوك، ولو كان كل من أغار على قبيلة من القبائل «قاطع طريق» لكانت جميع القبائل الجاهلية التي كانت آنذاك تُسمَّى قبائل الصعاليك».

والشنفرى أحد أغربة العرب يُضرب به المثل في الحذق والمهارة. أسره بنو شبابة بن فهم من قومه، ثم انتقل إلى بني سلامان بن مفرج ليعيش فيهم عيش العبيد يرعى إبلهم، وقد وقع في حب ابنة الرجل الذي كان يعيش في كنفه، ونسى الفارق الاجتماعي فحاول التقرب منها، وما إن ناداها بقوله: يا أُخيَّة حتى صفعته مترفعة عن أن يكون أخاها. فثار لكرامته ثورة عارمة وصبَّ هذه الثورة على بني سلامان جميعهم، وأقسم أن يقتل منهم مئة رجل، واندفع إلى الصعلكة وقتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ثم قُتِلَ هو. ومن طريف ما يروى أن أحد بني سلامان مر بقبره فاصطدمت رجله بجمجمة الشنفرى فعُقرت رجله فمات فكملت به المئة.

وفي ذلك يقول الشنفرى:

ألا ليت شعري والتَّلهفُ ضلَّةٌ
بما ضربتْ كف الفتاة هَجينَها
ولو علمت قُعسوس أنساب والدي
ووالدها ظلت تقاصَرُ دونها
أنا ابنُ خيار الحَجر بيتًا ومنصبًا
وأمي ابنةُ الأحرار لو تعرفينها

والشنفرى شاعر مجيد، يتميز أسلوبه بالخشونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية والصياغة المحكمة؛ فضلاً عن صدق التصوير والصراحة في التعبير عن واقع حياة الصعلوك.

وإلى جانب التائية التي أوردتها الكاتبة فإن الشنفرى ترك لنا لاميته المشهورة التي مطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميلُ

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت 31721
طنطا، مصر

الفرق بين التفاؤل والحلم



أسعدتني لفتة الدكتور محمد عبد الرحيم الزيني إلى النفس الإنسانية المحبطة في مقاله: «التفاؤل في الحياة» في العدد 230، وأعتقد أن هذا الموضوع ـ لأهميته وخطورته في هذه المرحلة التاريخية التي تمر بها الأمة الإسلامية بنفوسها الحائرة القلقة ـ يحتاج إلى أكثر من مقال؛ بل أكثر من كتاب وأكثر من سلسلة ندوات ولقاءات وحوارات، تبحث في

عمق هذه اللبنة التي سيُشاد منها الصرح الإسلامي الجديد؛ وأقصد بها الفرد المسلم المتحرر من جميع العقد والرواسب النفسية التي طمح المستعمر - ومن قبله ومن ورائه أعداء الإسلام - إلى ترسيخها فيه ليقف جامدًا دون حراك في مضمار التسابق الحضاري، ثم ليرجع إلى الوراء متقهقرًا مخذولاً، حتى ضربنا أرقامًا قياسية في مضمار النكوص الحضاري بين الأمم منذ عصور الانحطاط إلى الآن..

لذلك عندما يقوم أحد علمائنا المخلصين - بإذن الله - بدعوة الأمة إلى التفاؤل بمستقبل مشرق متألق على كل عوائق الحاضر ورواسب الماضي، أشعر بالارتياح والسعادة لوصولنا إلى هذه النقطة المهمة من الحل الصحيح لمشكلاتنا. ولكن تبقى لي بعض الملاحظات على المقالة:

فقد أهمل الدكتور أهم عنصر في العلاج وأهم عامل بالتفاؤل المأمول، ألا وهو البحث في التفاؤل العملي. بعبارة أخرى: كيف نتفاءل؟ ما العمل الذي يجعلنا في زمرة المتفائلين حقًا؟ إذ لا يكفي أن نبتسم ونحلم بغد أفضل لحل مشكلاتنا التشاؤمية اليومية!! بل يجب أن نقدم الحل.. فماذا يجب أن نفعل لنشيع الحب والأمل، وأهم منهما التعاون والأخوة بين أفراد المجتمع؟ ما السبيل إلى إقناع المسلم أن لديه روحًا وثابة وعزيمة فتية وإرادة صلبة؟ ألا يجب أن نبيّن للشباب المسلم كيف يمكن أن يتكيف مع هذه الحياة، وكيف يمكنه أن يؤدي دوره في البناء والعمل والإنتاج لإعمار هذه الأرض الطيبة دون خوف من إخفاق أو سقوط أو ظلم؟

إنّ علم النفس لا يعترف بأي حل لا يخرج عن حيز الكلام إلى حيز العمل والتنفيذ.. ونحن ننتظر حقًا من يقوم بدفع عجلة التنفيذ والعمل بنيَّة خالصة وعقيدة حية تُخرج الناس من بؤرة الإحباط والتعاسة إلى نور التفاؤل بالتوحيد والمساواة بعد أن ضاقت مجتمعاتنا بالمتكلمين فقط!

حياني النحلاوي
ص.ب 7553 - دمشق
سورية

كلمات مضيئة

منهج الاعتدال

وحيد الدين خان

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما أحسن القصد في الغنى، ما أحسن القصد في الفقر، ما أحسن القصد في العبادة». وفي رواية أخرى أنه قال: «القصد القصد تبلغوا».

وجاء في القرآن: *وسَفَرًا قَاصِدًا*. التوبة: 42. يعني متوسطًا قريبًا لا مشقة فيه. ويصف أحدُ الصحابة رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول: «كانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا». وقَصَدَ في الأمرِ معناه توسَّط فلم يُفرِط ولم يُفَرِّط (راجع لسان العرب، لابن منظور، مادة ق ص د).

منهج المؤمن هو منهج القصد في كل الشؤون والمعاملات، فردية كانت أو جماعية، وهو يأخذ دوما بالتوسط والاعتدال مهما كانت الظروف والأوضاع المحيطة به.

إن العالم الراهن هو عالم امتحان، حيث لا تجري حياة فردٍ أو شعبٍ ما فيه على وتيرةٍ واحدةٍ أبدًا؛ فتارة يجد الإنسان الظروف من حوله مواتية له، وتارة معاكسة. وتتيح له الأقدار حينًا أن يعيش في بيئة هادئة مستقرة، وتضطره أحيانًا إلى العيش في بيئة استفزازية عنيفة. وهو يجد نفسه بين الناس طورًا في وضع الأضعف، وطورًا في وضع الأقوى، وقد يقضي حياته تارة بين ذويه، وأخرى بين الغرباء والأجانب، وهو يتعامل حينًا مع الأصدقاء، وحينًا آخر مع الأعداء.

غير أن الإيمان يجعله إنسانًا متّزنًا متماسكًا؛ فيظل ثابتًا على طريق التوسط والاعتدال، رابطًا نفسه دومًا بحبل الله المتين.. إن أهل الإيمان هم أهل الاعتدال؛ لا يتأثر هدوؤهم الداخلي بتقلب الأحوال الخارجية بين مَدٍّ وجَزْرٍ، وإقبالٍ وإدبارٍ، واتجاه حياتهم إنما تحدده المبادئ السامية التي يتبنونها عن وعيٍ وعلى بصيرة، دون القضايا الطارئة المثارة من قِبل الآخرين.

على موعد

في حياة كل امرأة قصة وأكثر..

سعد البواردي

إذا كان في حياة كل رجل قصة أو أكثر. فإن في حياة كل امرأة قصة أو أكثر.. قد تبدو القصص متشابهة أحيانًا، ومختلفة أحيانًا أخرى، إلا أنها نسيج من حياتها التي تحياها تؤرقها، وتقض مضجعها، بل تعيدها إلى عهد الصبا في ضيق وتحسر.

بطلة هذه القصة قد تبدو امرأة بعينها، وقد تبدو أكثر من امرأة عاشت التجربة نفسها، وعانت المعاناة نفسها، إلا أنها في كلتا الحالتين: البطلة الضحية.

وُلدت بحلم يداعب قلبها، ويلاعب صباها، إلا أن هذا الحلم تكسَّر وتناثر على صخرة الواقع دون أن تدري.

حلمها كان مشبوبًا باتساع دائرة الأرض.. وهي في ريعان صباها طرق بابها أكثر من خاطب.. ولأنها الصغيرة بين أخواتها، ولأنها آخر العنقود فقد تمسكت أمها بها، لا تريد لها أن تُفلت من بين يديها تعلقًا بها وخوفًا عليها، وبين حبها الجارف وقلبها الخائف مضى قطار العمر أو كاد.

تجاوزت الثلاثين بأعوام، لم تعد هناك فرصة للتفكير أو للتذكير أكثر.. لا بد من كسر قيد التردد أيًا كانت تبعاته ومفاجآته.

البحث عن طارق جديد بلا مواصفات، بلا شروط، المهم ألاّ يسرقها قطار العمر وتتخلف دون أن تُخلِّف.



جاء الطارق يدق بابها، فاتسع الباب على أمل، كانت كل حساباتها أن لا يُغلق الباب من جديد، لم يُغلق الباب، وليته أُغلق.

كان زواجها الأول تجربة مُرَّة من مزواج حاد الطباع شاء أن يروِّضها وفق نظرة التملك ليس غير.. صبرت، وصابرت لعل جديدًا في سلوكه نحوها يتغير، وطال انتظارها دون بصيص أمل.. أنجبت منه، ومن أجل عيون أبنائها تحملت الكثير من الإهانة، إلا أن السيل طفح، وحين يطفح السيل فإنه يؤذن بالفراق، وكان الطلاق.. وتحملت وحدها عبء حياة أطفالها سنوات وسنوات دون نظرة حانية من والدهم، ودون قرش واحد يمده لأطفاله، أو حتى قطعة حلوى واحدة يعطيها لهم مع فرحة كل عيد.

ولأن الحلم لدى الإنسان لا يموت إلا بموته فقد خاضت حواء نفسها تجربتها الثانية.. فالرجال معادن، وهي تبحث بعقلها وبعاطفتها أيضًا عن معدن مختلف قد يعيد إلى شفتيها البسمة، وإلى حياتها الطمأنينة.

الفارس الثاني دخل بيتها وعيناه مسمرتان على ما تحتفظ به من مال، إنه زواج مصلحة ليس غير.. وما إن استراح به المكان حتى تلاشت كل وعوده التي قطعها على نفسه، فلا بيت للزوجية أُعدَّ، ولا التزام بإعالتها وأولادها تحقق، كان يُخاتلها، يمنِّيها، يَعِدُها، وأخيرًا حاول أن يلوي معصمها، أن يصل إلى مبتغاه، وهدفه البعيد.. أوهمها بأنه سيفتح لها خزائن الثروة من خلال استثمار ما لديها وهو ليس بالكثير، صدَّقت، ومنحته ذخيرتها، وتكشفت لها الأمور بعد مرور الوقت؛ فلا هو استثمر لها، وانما استثمر لجيبه، أو هكذا حاول.

كانت المفاجأة صارخة، والصدمة قاسية، وحتى لا تتم سرقة قلبها وجيبها معًا صارحَتْهُ، وقفت منه موقف المُطالب بتصحيح المسار، مرة بالعتب، وأخرى بالشكوى والتهديد، ولأن لعبة الزواج الثاني بدت مكشوفة لا يمكن سترها، ولأن أساليبه في التعامل تكيفت بتكيف مسارات الحدث، ولأن الثقة لم يعد لمكانها وجود بعد أن تكشفت أوراق اللعبة، أصبح من المتعذر الانتظار.. لا بد من إسدال الستار مرة أخرى على تجربة خاسرة ولكن بعد أن تعود مياه جيبها إلى مجاريها.

عادت نقودها إليها بعد أن آذنت العاصفة بالانفجار، وأُسدل الستار..

ولأن في الحلم بقايا تكمن بين طيات الضلوع، وبين تموجات الدموع، ولأن حواء - أيَّ حواء - ترى في وجود الزوج إلى جانبها أمرًا مكملاً لحياتها على كل المنغِّصات والصدمات، فإنها لم تتردد في أن تقضي مع نصيبها مرحلة تجربة ثالثة.. لعل وعسى.

وجاءت التجربة الثالثة والأخيرة بفارسها، زوج طيب، له عدة زوجات، وكتيبة من الأولاد.. لقد اكتفت منه بوجوده إلى جوارها بين يوم وآخر، وهذا يكفي.. أما هي فإنها الزوجة، والسكن، والمصاريف، وبعبارة أوضح: إنه الزوج المجاني المعفى من كل تبعات الحياة، وضريبة الزوجية.

المهم عندها أنها وجدت زوجًا مسالمًا يأوي إليها، ويجعلها تحسّ أنها - كمعظم النساء الأخريات - تملك بعلاً ولو كان على حساب جيبها.